إريك چوردان

العملية «هيبرون»



OPERATION HEBRON

Eric Jordan

دار الهلال

«العملية هيبرون»

أخطر رواية تكشف سيطرة الموساد على البيت الأبيض

كتبها : إريـــك جـــوردان

رجل المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط قرابة ٣٠ سنة

ترجمة: شـــاكر عبد الفتاح

المقـــدمـــة

الرواية والمؤلف

المؤلف

اريك جوردان

أحد الذين عملوا لسنوات طويلة فى أجهزة الاستخبارات بالولايات المتحدة، منذ نهاية الخمسينات وحتى أوائل الثمانينات ، وقد عمل بحكم وظيفته السرية فى بلاد عديدة بالشرق الأوسط، منها ليبيا، ولبنان ، وايران ، وإسرائيل، وفى العديد من دول افريقيا واوربا.

لقد قضى هناك نصف حياته ينتقل مع زوجته ، من مهمة سرية إلى اخرى ، فعرف خبايا السياسة وصناعة القرار في الشرق الأوسط، كما خدم فى مكتب الاستخبارات الامريكية بواشنطن لعدة سنوات كضابط اتصال مهتم بعمليات الشرق الاوسط، وذلك قبل ان يترك وظيفته ليعمل كرجل أعمال، وهى وظيفة سنحت له الانتقال إلى البلاد نفسها التى سبق له ان مارس عمليات التجسس بها.

إريك جوردان ، قرر ان يحول تجربته فى الشرق الأوسط إلى رواية، رواية حقيقية بها كل الحقائق التى عاشها طوال هذه السنوات، سواء فى الشرق الأوسط او الولايات المتحدة، وأهمية جوردان ككاتب لرواية «العملية هيبرون» انه عمل كمستشار شخصى للرئيس الامريكى الاسبق رونالد ريجان، فيما يخص العمليات الارهابية فى اماكن متعددة من العالم. ويقال إن جوردان هو الذى طلب من الرئيس الامريكى ريجان القيام بعمليات عسكرية فى لبنان.

وعندما ترك جوردان وظيفته السرية، كان رأسه مشحوناً بالعديد من القصص ، ظلت تعتمل فى اعماقه ، وتلح عليه ان يكتبها، وقدم هذه الرواية التى بين يديك التى تحمل الواقع السياسى فى منطقة الشرق الأوسط، اكثر من اى خيال سياسى، وقد قوبلت الرواية بنجاح منقطع النظير، كما قوبلت بالصدمة لدى اجهزة الاستخبارات لأنها غيرت مفهوم السيادة في علاقة الموساد والولايات المتحدة.

الصدمة فى هذه الرواية تأتي من انها شهادة مهمة يدونها أحد رجال

الاستخبارات الأمريكية العارفين بخبايا المنطقة، كما أنها مرآة لواقع الحروب المتكررة والمستمرة لصراعات الاستخبارات والأدمغة فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط من ناحية، والدور الذى يلعبه الموساد فى السياسة الداخلية والخارجية الامريكية خصوصاً أن الكاتب ليس مجرد مؤلف ، بل هو صاحب خبرة حقيقية بعالم الاستخبارات وقد شارك فى الكثير من هذه العمليات، وساعد على تغيير الكثير من المواقف وسياسات الحكومات.

تقع أحداث الرواية فى سنة الانتخابات الامريكية حيث يسود التوتر البلاد ، وحيث يتنامى دور وسائل الإعلام من أجل اختيار الرئيس الجديد، وفى وسط هذا التوتر يأتى دور إسرائيل ، وجهاز المخابرات فيها «الموساد» حيث يلعب الساسة الإسرائيليون دوراً مؤكدا فى مساعدة الرئيس الجديد أن يأتى إلى الحكم.

مؤامرات ، وخطط سرية، وطرق متعرجة ملتوية، واساليب غير مباشرة، ونساء ، وجنس ، وأموال ، وشراء .. و...

فى هذا العالم تدور أحداث الرواية التى تخص منطقتنا ، الشرق الاوسط ، وتكشف آلية الموساد ، والاستخبارات الامريكية تجاه الاحداث الساخنة، ليس فقط فى الشرق الاوسط ، ولكنه فى كل العالم الرحب من حولنا.

وفى الرواية إشارة إلى آلية التدخل الاستخباراتى الامريكى فى حرب الخليج وما سمى بفضيحة «ايران جيت» ودور رجال الدبلوماسية الإسرائيلية فى تحريك الأحداث من أجل عيون رئيس البلاد الجديد.

إذن ، فنحن لسنا أمام رواية متخيلة بقدر ما هى انعكاس حقيقى للواقع.

قد تكون الاسماء غير حقيقية ،لكن التقنية والاساليب هى نفسها المعروفة فى الواقع الخفى لعوالم لايعرف دروب خريطتها سوى القليلين.

وتتمثل القنبلة التى أحدثتها هذه الرواية فى أنها اقرب إلى ما يمكن تسميته بحرب الاستخبارات.

واريك جوردان ، فى هذه الرواية، أقرب إلى الكاتب الفرنسى جيران دوفيير ، الذى يمزج الواقع بالخيال ، فلا تستطيع ان تميز بسهولة الخطوط الفاصلة فيما بينهما وكأنها نسيج واحد..

العملية هيبرون..

رواية سوف تظل حديث الناس لسنوات طويلة ، مادامت اشتدت الحروب بين اجهزة الاستخبارات، ومادام رجال الموساد ظلوا يفكرون فى ان يكون الرئيس الأمريكى المنتخب عميلاً لهم يحكم البلاد باسمهم.

●●●

الفصل الأول

واشنطن العاصمة

السابع من نوفمبر
ليلة الانتخابات

ترامت أصداء دوى طلقتين مصدرهما الطابق السابع من البناية السكنية الواقعة على ضفة نهر يوماتاك من جورج تاون فى ضاحية فيرجينيا فى واشنطن العاصمة، مزق الصوت هدوء الليل مرسلا موجة من التداعيات سيكون لها وقع الصدمة فى العالم أجمع. وبخطوات رشيقة هادئة ولكن مسرعة غادر شخص ما البناية وعلى بعد أربعة مجمعات سكنية أخرى وفى ساحة انتظار احد الفنادق الصغيرة توقفت الخطوات ليقفز صاحبها فى إحدى السيارات المستأجرة المتوقفة هناك.

إنطلقت السيارة عبر الطريق السريع الخالى تقريبا إلى مطار دالاس الدولى ، لم يتجاوز قائد السيارة حدود السرعة المسموح بها فى هذا البلد ،، فالثبات والثقة هما أفضل سبيل للهروب، لا تلفت أبداً الانتباه إليك أو تفرط فى التفاصيل.

صعدت أقدام ثقيلة الى حيث انطلق دوى الرصاص. دفع صاحبها الباب المفتوح واندفع للداخل. كاد قلبه يتوقف، لم يصدق ما وقعت عليه عيناه. ثلاثة رجال راقدون على الأرض وسط بركة من الدماء والأشلاء الآدمية.

ركع الرجل على ركبتيه بجوار رئيسه، كانت الدماء مازالت تتدفق منه ، جس نبضه ولكن لم يجد له أي آثر، رفع رأسه، حملق فى الجثتين الأخريين، لم تبد على أى منهما أى مظهر من مظاهر الحياة.

أخرج الرجل من جيبه هاتفه المحمول واتصل بسفارته . خلال انتظاره الرد وقعت عيناه على قصاصة من الورق مطوية بجوار راحة يد رئيسه. أسند هاتفه بين ذقنه وكتفه وانحنى ملتقطا الورقة بحرص كيلا تختلط بالدماء.

رفعها وبدأ فى قراءتها، لم تعن محتوياتها الكثير بالنسبة له. ولكنه قال فى نفسه إنه لا يفهم الكثير مما يفعله رئيسه. عبر صوت حاد مختلج النبرات جاء الرد «انتظر عندك، آبى، إننا نتصل بالشرطة الآن، سيصلون إليك سريعا، عد إلى السفارة فور وصولهم، ولكن تذكر انك تتمتع بالحصانة الدبلوماسية، لا تقل لهم شيئا ! هل معك جواز سفرك وهويتك الدبلوماسية؟!». -

رد آبى بالإيجاب وأغلق هاتفه، ومن بعد كانت تقترب أصوات أبواق الشرطة. نهض آبى ووضع هاتفه والورقة المطوية فى جيبه. مهما كانت الورقة تعنى، فإنه أمر لا يخص الأمريكيين. وحسب تعليمات سفارته أنتظر آبى وقد تملكه إحساس بعدم التصديق وشعور بالغثيان لحراسة جثة الرجل الذى كان من الممكن أن يكون حيا الآن فقط لو..

ترامت أصوات أرجل مسرعة على الدرك، وأعلن جرس المصعد عن وصوله إلى الطابق السابع، حيث إنفتح بابه، وشقت مزيد من الأقدام طريقها إلى الشقة، بحث آبى بلهفة داخل جيب معطفه عن جواز سفره الدبلوماسى وثيقة حصانته.

جاءت المكالمة من قسم شرطة أرلينجتون بفرجينيا تخطر بوقوع إطلاق للنار داخل إحدى الشقق السكنية فى روسلين، من بين الرجال الثلاثة هناك دبلوماسى. كما قال المتحدث.

استدعت العميلة الخاصة بريندا شتراوس من قسم مكافحة الإرهاب فى مكتب التحقيقات الفيدرالى فريقها. قفزوا إلى إحدى السيارات التى انطلقت بهم مسرعة فى الشوارع وإطاراتها تصطك بالاسفلت محدثة أصواتا عالية وأنوارها تضوى لافتة الانتباه.

كان مشهد من أفلام الرعب فى انتظار فريق مكتب التحقيقات الفيدرالى، الدبلوماسى ملقى على الأرض وتظهر فى جانبه الأيسر فجوة ناجمة عن طلقة رصاص. وسائقه الذى هو أيضا حارسه الخاص غير متعاون بل وعدائى يصر على انه ليست لديه أية فكرة عن الرجلين الآخرين القتيلين. مؤكدا على الحصانة التى يخولها له وضعه الدبلوماسى. الجثة الثانية هى لرجل داكن البشرة توحى عيناه المفتوحتان على اتساعهما بصدمة الموت غير المتوقع. الرجل الثالث الذى يرتدى بنطلونا من الجينز وسترة رياضية بغطاء للرأس كان ملقى على جانبه. مزقت رصاصة وجهه الذى غطته الدماء وقطع اللحم المتناثرة بشكل يتعذر معه التعرف عليه.

صرخ الليفتانت فورد من مركز شرطة ارلينجتون «يا إلهى» . وقال وهو يشير إلى الرجل الذى تشوه وجهه مادا يده ببطاقة بلاستيكية صغيرة «العميلة شتراوس ألقى نظرة على رخصة قيادته».

قرأت بريندا البطاقة بعناية لتنطلق منها صرخة رعب «يا إلهى». وهو كل ما استطاعت قوله قبل ان تطلق أوامرها لرجالها «جاك، اتصل بالبيت الأبيض من هاتف السيارة المؤمن. قل لهم يرسلون رجال الخدمة السرية إلى هنا على الفور. نريد التحقق من شخصيته. كانت ترتعش وأنفاسها تتلاحق. اتجهت إلى فورد « تأكد من أن أحداً لايعلم بما حدث. أبعد الجميع عن تلك الجثث إلى أن يصل رجال الخدمة السرية. إنى أعني فى الحقيقة كل شخص، طوق الطابق بأكمله» .

وانتظر مكتب التحقيقات الفيدرالى وشرطة أرلينجتون ولكن انتظارهما لم يطل.

بعد ساعات قليلة فوق المحيط الهادى

الطائرة البوينج ٧٧٧ تحلق فوق الأطلنطى، تشق طرقها بانسياب تجاه فرانكفورت. أشعة الشمس الوليدة تبدد الظلام وغمامة الصباح الباكر تحتضن الطائرة وتغمرها بهالة بيضاء رقيقة. جاء صوت قائد الرحلة ٩٧٨ عبر مكبرات الصوت موحياً بثقة رجل فى منتصف الخمسينات متمنيا لركابه أن يستمتعوا برحلة مريحة وافطاراً ألمانياً شهياً. ثم فجر الأخبار التى يتعذر تصديقها والواردة من أمريكا إلى كابينة القيادة عبر اللاسلكى.

ركاب الطائرة المائتان وثلاثة وستون، بعضهم كان متيقظاً والبعض الآخر كان يتخلص من غفوته الطويلة، استقبلوا هذه الأخبار للوهلة الأولى بصمت مطبق. ثم فجأة استوعبوا هول صدمة ما سمعوا وأفصحوا عن ردود فعلهم التى تعكس ذهولهم. حتى أن الركاب غير الأمريكيين صرخوا بأسئلة، أطلقوا تكهنات كما لو أن صياحهم سيعطى مصداقية لنظرياتهم المتسرعة.

وتبدد الصباح الوديع فى الطائرة بهجوم الركاب على أفراد الخدمة ليرجوهم أن يطلعهم قائد الطائرة على الأخبار فور ورودها إليه. فهم يتوقون إلى معرفة المسئول عن ذلك، وما إذا كان قد تم إلقاء القبض على القاتل.

غير أن الراكبة رقم ٢٦٤ الصربية ذات الملامح الدقيقة الجميلة التى تحمل جواز سفر نمساوياً وتشغل المقعد ٣ سى لا تشارك الآخرين شعورهم بالإثارة، فهى ليست فى حاجة إلى التكهن. فقد تفتحت عيناها على عالم من الشك، والثانية أصيبت بالذهول لمعرفة شخصية الرجل الثالث الذى أردته قتيلاً.

ولكنها ما لبثت أن هزت كتفيها غير مبالية. إذا كانت له صلة بالدبلوماسى فهو يستحق الرصاصة التى شوهت وجهه. وباعتبارها قاتلة محترفة لم تبد هذه الجميلة ذات العينين الخضراوين أى شعور بالأسف. فهى أنجزت مهمتها بكل دقة ونجاح. أنها مهمة لا يمكن الندم عليها. هناك فاتورة بمبلغ كبير لم تدفع لها. كما أنها الآن أكثر أماناً من أى وقت مضى خلال الأشهر الأخيرة. وفرارها من مسرح الحادث لا تشوبه أية هفوة.

سرحت بخيالها وهى تبتسم ، يا للأسف، هذه هى إحدى عملياتى التى لا يمكننى أن أصرح بها أبداً إلا إذا كنت مستعدة لاحتلال المكانة التى ستفردها كتب التاريخ لى.

لا. لن تعلم أبداً جاكى ماركوفتيش مدى الذهول الذى أثارته تلك العملية فى واقع الأمر، ولا أنها دون أن تتعمد قد أفسدت أكثر العمليات السرية جراءة حتى الآن التى تستهدف الولايات المتحدة، العملية التى لا يجرؤ جهاز استخبارات واحد على القيام بها. وربما تكون هذه العملية التى أطلق عليها مخططوها اسم «هيبرون» (الاسم العبرى لمدينة الخليل فى الضفة الغربية) أكثر القصص نجاحاً فى تاريخ التجسس.

تأكدت جاكى من زينتها وحررت حزام مقعدها، فى الوقت الذى كان فيه مطار فرانكفورت / مين على مرمى البصر.

الفصل الثانى

القدس

فى وقت سابق من العام نفسه
الحادى عشر من أبريل

قطع الضوء الأزرق المنبعث من خطه الهاتفى الخاص استغراق رئيس الوزراء أهارون ايشيل فى التفكير. حملق فى الهاتف لعدة ثوان ليتمكن من إعادة تحويل تركيزه. وعندما رفع سماعة الهاتف سمع الصوت المنطلق الحاد المثير للأعصاب لرئيس جهازه للاستخبارات الجنرال بنيامين شتيرن، مدير الموساد.

«أنا ، شتيرن».

«نعم ، بن».

«بداية، هناك المزيد من الأنباء غير الطيبة. الأمريكيون يزدادون استياء من وضعنا العراقيل أمام صفقة التسوية النهائية مع السلطة الفلسطينية. ويعتزم البيت الأبيض أن يوجه لنا اللوم علنا عن هذا التأخير كالعادة . كما يشعرون أيضا بالاستياء من مبيعاتنا الأخيرة للتكنولوجيا المتطورة إلى الصين وروسيا. لقد تكاثرت علينا المشاكل غير الهينة. وآمل ألا يعرف الأمريكيون سوى القليل مما عرضناه على الصينيين. فإذا عرفوا القصة كلها فإنهم سوف ينفجرون غيظا . وفى غضون ساعات قليلة سأعرف المزيد عما يدور فى واشنطن. وعندها سوف أتصل بك على الفور. وبعد أن تصلك التفاصيل بوسعك أن تقرر إذا ما كنت ستتصل بالرئيس دوجلاس الليلة لإثنائه عن الخروج علنا وإلقاء اللوم علينا .

تردد مدير الموساد لحظة قبل أن يواصل فى نغمة أكثر إيجابية «والآن، كما اتفقنا ياسيدى، سأدعو إلى اجتماع للخمسة فى الغد. ونظرا لتلك التطورات فى واشنطن، فإنه من الملح أن نشرع فى اقتراحنا هيبرون على نحو حاسم. يمكن للخمسة أن يتجمعوا فى الساعة التاسعة مساء الغد، إذا كان هذا يناسبكم؟».

تصفح ايشيل دفتر المواعيد فوق مكتبه وألقى نظرة على مساء الثلاثاء «لا بأس أين سنجتمع فى ذلك الوقت؟ يجب أن يكون المكان مؤمنا تماما».

«فى مزرعة جيرومى. زوجة شقيقى وأطفالها فى حيفا، ومن ثم فإن المكان لا يوجد به أحد الآن. وهذه المزرعة مازالت واحدة من أكثر أماكننا سرية».

أصر ايشيل على أسنانه عند سماعه هذه الملاحظة الأخيرة، فقد تذكر أن جيرشون ياهاف وزير المالية عضو فى مجلس الوزراء الإسرائيلى لم يلتزم جانب الحذر تجاه المزرعة بعد آخر اجتماع للخمسة هناك.

«سوف أكون هناك ، بن، ومع ذلك تأكد من أن كل شخص خاصة ياهاف يعى أهمية الأمن المطلق. لقد كان آخر اجتماع هو الأول بالنسبة له فى المزرعة. صراحة لقد خرجت بانطباع بأنه يتعامل بخفة مع القاعدة الصارمة من أن أحدا، وأكرر لا أحد، يجب أن يعرف شيئا عن الخمسة سواء أكان صديقا أم عدوا».

«إننى أقدر قلقك، سيدى ، لقد تحدثت مع ياهاف بعد الجلسة الأخيرة. وأعتقد أن لديه تفهما أفضل لدور الخمسة. أنه يعى أهميته لبقاء إسرائيل، وعلى الرغم من أنه يزعم أن

النوم لم يزر جفونه منذ ذلك الحين، فإننى أرحب بوجوده فى هذا المستوى الحكومى من اتخاذ القرار».

رد ايشيل وهو يضحك ضحكة جافة «هذا الملعون، أعرف ما ينتابه من مشاعر».

واصل شتيرن «سأحضر معى ملف هيبرون ، وسيصل تيرون من واشنطن الليلة، وسيطلعنا على أحدث ما فى الساحة الأمريكية فى فترة ما قبل الانتخابات».

«آمل أن يقنع عرض تيرون وما ستعرضه علينا وما سأقدمه من حجج إخواننا بالشروع فى عمليتنا. ولكن يتعين عليّ أن أحصل على موافقتهم هذه المرة لا أرغب فى تحمل المخاطرة وحدى. وماذا عن عميلك؟ تقول إنه مستعد؟».

«إنه مستعد ياسيدى. لقد ضاق ذرعا من الانتظار. سأكون فى المزرعة قبل ساعة من حلولَ موعد الاجتماع، فقد يحضر أحدهم مبكرا. أنتظر مكالمة من واشنطن فى غضون ساعتين بشأن الوضع هناك. وسأراك غدا».

بدون تعليق أعاد ايشيل سماعة الهاتف. أفكاره المتلاحقة جعلته يشعر بأنه خائر القوى. لقد فاقم الإجهاد فى حالة ظهره الضعيف. اشتدت آلام عموده الفقرى. كان يلتقط أنفاسه بصعوبة. ابتلع قرصا آخر مسكنا للألم ومعه نصف كوب من المياه المعدنية الفوارة. أنه سيحتاج إلى كل فطنته ودهائه للشروع فى أكثر الأعمال السياسية جرأة تفكر فيها حكومة إسرائيلية منذ تأسيس الدولة.

لم يعد بأفكاره إلى الوقت الحاضر إلا عندما سمع صوت مساعده التنفيذى ديفيد هازور.

«سيدى! اتصل وزير الطيران المدنى. لقد أصر على ضرورة معالجتك لإضراب، العال، على الفور. ويرغب أيضا فى ترتيب اجتماع معك هذا المساء له وللمدير الإدارى للعال.

«ثانيا، اتصل كورت بادن من الحزب الديمقراطى الاجتماعى الألمانى يطلب منك الاتصال به فى برلين. كما أن رئيس الأركان يرغب فى رؤيتك قبل أن يتوجه إلى واشنطن صباح الغد. وأخيرا معى تعيينات وترقيات وتقاعدات للعاملين فى الخدمة المدنية لتوقع عليها، سيدى».

رد ايشيل سريعا «حسنا ، حسنا، اترك كل شىء على مكتبى وسألقى عليها نظرة فيما بعد عندما يتيسر لى ذلك». وأردف وقد اصطنع ابتسامة «إنك فى بعض الأحيان تبدو أسوأ من زوجتى بطريقتك المزعجة هذه».

وعندما خرج هازور مال ايشيل بظهره على مقعده، ثم شعر برجفة لقد عاد بذاكرته إلى آخر قفزة له بالمظلة خلال عملية قناة السويس. انه يعلم أن آلام ظهره سوف تستمر معه بقية حياته. لقد فاقمت الإثارة والتوتر من رد فعله. سيتعين عليه أن ينتهى سريعا من عمل المساء إذا ما كان يأمل فى أن يأخذ قسطا من الراحة وأن يستعد لاجتماع ليلة الغد الطويل. لايزال يجب عليه أن يستمع إلى سكرتيره الخاص وأن ينتهى من الأوراق التى

تركها هازور قبل أن يكون بمقدوره أن يستمتع بأفكار سعيدة مثل فراش دافيء. ولكنه فى حاجة إلى راحة قصيرة نهض من مقعده واتجه للنافذة.

تطلع من نافذة مكتبه، ثبت نظره على أشجار البرتقال التى ترصع فناء المبنى. قضبان نافذته الحديدية تحجب جزئيا الأشجار عن نظره. ومن المكان الذى وقف فيه كان يمكن للمرء أن يتخيل أن الأشجار قد تم تثبيتها خلف قضبان نافذته فى الطابق الثانى لو لم تكن أوراقها تتحرك بنعومة مع حركة النسيم الرقيق.

لدقائق قليلة ترك أوراق أطراف الأغصان تدغدغ وجهه. سرح بخياله، منظر مهدىء للأعصاب يناسب المدينة المقدسة، منظر يناقض الحقيقة القاسية لأرض يمزقها العنف، جال بنظره فى السماء. كان يوما ربيعياً معتدلا والشمس قوية تضفى شعورا بالسلوى على منطقة من عالم لم تعرف الأمن سوى لسويعات قليلة. وكما لو أن الواقع أحب فى نهاية الأمر أن يفرض نفسه، صبغت الشمس السماء بشرائط حمراء بلون الدم وهى فى طريقها للخلود للراحة فى النصف الثانى من هذا العالم البائس. تراود ايشيل مثل هذه الخواطر الفلسفية من حين لآخر وهى التى تصنع رجل دولة حقيقيا.

بخطوات متثاقلة ترك رئيس الوزراء النافذة وعاد ليجلس على مكتبه وقد بدا متجهما للغاية. تضاربت الأفكار داخل عقله. بدا الأمر طبيعيا. فقد تعود ايشيل على اتخاذ القرارات . كان عمله هو حل مشاكل بلاده الداخلية والخارجية.

الأمر الذى بدا غير عادى فى هذا الوقت هو تلك الورطة الكبيرة التى تواجهها إسرائيل حاليا، وهو مايمثل أكبر تحد لهذه الدولة الناشئة منذ استقلالها. الحل الذى اختاره ايشيل ينم عن تهور وجرأة. لم يكن هذا الحل ينطوى على إمكان حل مشكلة إسرائيل الراهنة فحسب وإنما كان فى حالة نجاحه سيضمن للبلاد مستقبلا طيبا لعقود قادمة.

وفى الحقيقة فإن الإقدام على مثل هذه العملية السرية يخاطر بموجات من التداعيات التى ستتجاوز الحدود. ولكن بالنسبة لمسألة بقاء إسرائيل فإن الغاية تبرر دائما الوسيلة، ولم يتردد ايشيل مطلقا فى إيضاح ذلك للأصدقاء والأعداء على حد سواء، وهو يقول ذلك علنا ويقولها بصورة أكثر جلاء فى اللقاءات الخاصة، حتى لرؤساء الدول. وفى هذه الحالة فإنه على قناعة بأن بقاء الدولة هو مرة أخرى محل تساؤل. تماما كما كان الأمر عند ميلادها عندما حارب كرجل عصابات فى تنظيم سرى. وردد لنفسه، «عندما يتعلق الأمر بالبقاء فإن المبادىء تعد من قبل الترف».

رجع بظهره للوراء مسترخيا على مقعده الجلدى. مد يده إلى الساعة المصنوعة من العقيق على مكتبه كما لو كان يبحث عن الإلهام. عبثت أصابعه وقد استغرق فى التفكير بحامل الساعة البرونزى البديع. كانت الساعة هدية من الحاخام وينبرت رئيس المجلس اليهودى الأمريكى خلال زيارة ايشيل لواشنطن قبل عامين. لم يعد رئيس الوزراء للعاصمة

الأمريكية منذ ذلك الحين. أو بالأحرى لم توجه الإدارة الأمريكية دعوة له منذ أن جمد عملية السلام.

صب اللعنات مرة أخرى، رفع الساعة وضربها بقوة فى سطح مكتبه مقتنعا بصواب خطته الجريئة، واللعنة على ما يصيب العالم من تداعياتها.

فى الأيام الأخيرة فقط استمتع بفترة سلام مؤقتة، وهو ترف نادر الحدوث تمكن خلالها من أن يفكر بوضوح. كانت ما تسمى بمحادثات السلام مع الفلسطينيين، كالعادة، تستمر فترة وتتوقف أخرى. وهذه المرة كانت متوقفة لفترة ليست بالقصيرة. كان من المفترض أن وقفا مؤقتا لإطلاق النار نافذ المفعول، ولكن لم تتوقف أبدا القنابل البشرية ولا المناوشات. غير أن حدة إطلاق النار كانت أقل هذا الاسبوع. فقد تقلصت إلى حد ما اشتباكات الشوارع وما ينجم عنها من مرارة وما يستتبعها من توترات. نعم كانت فترة هدوء مؤقتة. وتساءل متعجبا: «هل يمكن أن يكون هناك سلام دائم فى هذا الجزء من العالم؟».

علناً كان يعرب عن آماله العظيمة بتحقيق سلام دائم مع الفلسطينيين.

وعلى المستوى الخاص لم يكن لديه أية نية لإعطائهم مترا واحدا من أراضى إسرائيل. فقد قاوم محاولات الرئيس الأمريكى لدفع إسرائيل لتقديم تنازلات إلى العرب فى محادثات السلام التى بدأت منذ فترة طويلة فى مدريد، والتى انتقلت لاحقا إلى أوسلو ثم واى بلانتيشن. وهى محادثات سلام يقول عنها ايشيل هازئا «محادثات سلام من جانب من؟ لقد استخدمت الولايات المتحدة ضغوطها السياسية لإجبار كل الأطراف على المشاركة وتقديم التنازلات»، لقد سايرهم ايشيل طوال الوقت ولكنه لم يساوم أبدا على مواقف إسرائيل الأساسية.

كان يأمل فى أن يبقى الإيرانيون على العرب فى الخليج والجزيرة العربية وبالطبع فى لبنان فى حالة من الانشغال والقلق، بما لا يدع لهم متنفسا آخر.

«مازال العرب يتقاتلون مع بعضهم البعض والفضل للعراق، فإسرائيل تعتمد على هذين العاملين». كان ايشيل يسبح فى أفكاره المهمة عندما سمع دقة قصيرة انفتح على أثرها باب مكتب رئيس الوزراء ودلف ليف إيجلون.

تساءل ايشيل «ماذا هناك، ليف؟»

إيجلون الطويل القامة النحيل للغاية هو سكرتير ايشيل الخاص الشديد الولاء له. وطوال السنوات الخمس الماضية كان بمثابة العمود الفقرى لمكتب رئيس الوزراء. ويعتبر ايشيل شخصا يتمتع بالكفاءة والذكاء ويمكن الاعتماد عليه. وعلاوة على ذلك فإنه يحب العمل فى هدوء ولا يسعى للأضواء. سلم إيجلون رئيس الوزراء ملفا بالرسائل والبرقيات المرسلة والرسائل الشخصية الواردة.

«سيدى، رسالتك للرئيس دوجلاس جاهزة لمراجعتها والتوقيع عليها. وهناك أيضا ملاحظات سرية ترغب فى أن ينقلها رئيس الأركان للجنة اليهودية الأمريكية ولجنة العمل

السياسية الأمريكية الإسرائيلية. كما توجد رسائل أخرى متنوعة تنتظر توقيعك. أما الرسائل الأخرى فى الملف الأخضر فهى أقل أهمية، ولذا فإن الأمر لا يتطلب قراءتها قبل التوقيع عليها.

«تلقيت أيضا رسالة على خطك المؤمن من أمريكى، أو يبدو على الأقل من صوته أنه أمريكى، قال إن اسمه تشارلز وإنه سيتصل مرة أخرى».

زم ايشيل على شفتيه، ولكنه لم يرد «تشارلز» كان هو الاسم المستعار فى المحادثات الهاتفية لديفيد تيرون رئيس الموساد فى واشنطن الذى يجرى استخدامه فيما يتعلق بالعملية (هيبرون). كان ايشيل قد أعطى تعليماته الصارمة إلى تيرون بالتعامل مع القدس فقط من خلال الموساد وألا يتصل به مطلقا مباشرة. وبالنسبة لتيرون فإن اتصاله به مباشرة بإنجليزيته ذات اللكنة الأمريكية وفى حالة اضطرارية يعد بمثابة خطأ فادح.

تمتم ايشيل لنفسه قائلا «يجب أن يكون حريصا مع تيرون هذا».

ساورته الشكوك بأن تيرون يحاول تطوير علاقة سياسية مع رئيس الوزراء، منتهزا خدمة ايشيل السابقة مع الموساد ودوره الرئيسى فى عصابة شتيرن خلال حرب استقلال إسرائيل. والآن يشعر تيرون فيما يبدو بأن بوسعه الاتصال برئيس الوزراء لبحث عملية استخبارية على أعلى درجة من السرية مثل (هيبرون). أكد لنفسه أنه يجب ألا ينسى تلك الملحوظة عندما يلتقى بتيرون ليلة الغد.

أومأ لسكرتيره، وفتح ملف المراسلات لمراجعة النسخة الأخيرة من رسالته إلى الرئيس الأمريكى. شعر بإحساس مؤلم من عدم الراحة. كانت صرامة الرئيس دوجلاس الأسطورية تقريبا مع إسرائيل فيما يتعلق بتمويل المشاريع التنموية فى الضفة الغربية وقطاع غزة قد وترت العلاقات بين الزعيمين. كما أن حقيقة أن الرئيس رفض زيارة القدس أو عقد أية اجتماعات معه تعنى أنه مازال يتوقع من ايشيل أن يقدم تنازلات.. «أية تنازلات تلك، اللعنة على مثل تلك التنازلات، لن أفكر فيها . لن أتنازل عن مزيد من الأرض».

ولسوء حظ ايشيل كان الرئيس دوجلاس يتمتع بشعبية كبيرة بين الأمريكيين على الرغم من بروده وشخصيته المتحفظة. ويعلم الإسرائيليون جيدا إنه بوسعه، إذا أعطى الوقت الكافى، أن يجذب معظم الشعب معه إلى أية قضية تقريبا.

ظهر هذا جليا عندما هدد ايشيل ذات مرة بأن يتجاوز الرئيس ويتصل بالكونجرس مباشرة بخصوص ضمانات القروض للرئيس. لم يتزحزح الرئيس قيد أنملة. وكشف فى الحقيقة خداع إسرائيل واللوبى اليهودى. وخرج فائزا بعد أن أراق الكثير من ماء وجه إسرائيل ومؤيديها من الأمريكيين «معركة خاسرة فى حرب أكبر».

وأحس ايشيل بأن دوجلاس غير قابل للثنى من جانب باعة النفوذ السياسى المحليين حتى على الرغم من أنه مازال فى فترة ولايته الأولى.

والأدهى من ذلك أن الرأى العام قد جعل من هذا الرئيس الأمريكى لاعبا يحسب

جانبه فى السياسة الدولية. ويحجم معظم قادة الدول والحكومات عن تجاوزه، كان ايشيل يعلم خلال خدمته فى الاستخبارات الإسرائيلية أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قد تدهورت منذ الغزو الإسرائيلى للبنان فى نهاية إدارة ريجان. بل وشهدت العلاقات الثنائية مزيدا من التوتر بعد اكتشاف العميل الإسرائيلى جوناثان بولارد فى وزارة الدفاع الأمريكية والكشف عن سرقة إسرائيل لأجزاء من أسلحة ذرية ويورانيوم مخصب من الولايات المتحدة.

والآن أصبح الأمريكيون حازمين مع الإسرائيليين وأنذروهم قائلين: «لقد أيدناكم عسكريا وماليا. أدخلوا فى مفاوضات سلمية مع العرب وإلا لن تروا أبدا دولارا واحدا آخر خلال عهد هذه الإدارة!».

قال إيشيل بينه وبين نفسه «أمر لايطاق، لابد من القيام بعمل غير عادى»، لقد اتخذ قراره وتم إعداد الأرضية الضرورية، كان على ثقة من أن الخمسة - أعلى هيئة إسرائيلية لاتخاذ القرار - الذين يجرى تقليديا استدعاؤهم للموافقة على الأعمال السرية الرئيسية - سيتفقون معه فى الرأى.

على مدى عقد من الزمان لم تجتمع اللجنة لاتخاذ قرار إلا حوالى عشر مرات، وعلى الرغم من أنه من الناحية الفنية كان فى حاجة إلى موافقتهم على المخاطر السياسية التى قد تنطوى عليها مثل هذه المهام، فإنه كان فى حاجة إلى توقيعهم على المخصصات المالية اللازمة. بوسعه أن يتحمل المخاطر السياسية دون الحاجة إلى الخمسة كما فعل بسهولة فى عمليات الموساد الأخرى الخطيرة، ولكن المبالغ الكبيرة المطلوبة هذه المرة لا يمكن لوزير المالية أن يفرج عنها بدون موافقتهم. وهو ما أصبح جزءا من ثقافة العمل السرية غير المكتوبة فى دولة إسرائيل.

بوسع الرسالة إلى الرئيس دوجلاس أن تنتظر لحين عودته من اجتماع الغد، عندما يعرف ما إذا كان الخمسة قد وافقوا على خطته، وربما حتى يغير من اللهجة الأقرب إلى التوسل فى رسالته من الحاجة إلى مساعدة الولايات المتحدة لإسرائيل فى وضعها المالى المأساوى.

«لنؤجل رسالة دوجلاس إلى يوم الخميس يا ليف».

«ولكن، سيدى، اتصل السفير الأمريكى قبل دقائق من وصولك ليقول إنه سيغادر إلى الولايات المتحدة فى الغد وإنه يتوقع أن يحمل رسالة منك معه، إنه سيمكث فى منزله طيلة المساء ليضمن أنك ستعثر عليه فى أى وقت».

قاطع ايشيل سكرتيره قائلا: «ليف، هذه هى إسرائيل، يجدر بنا ألا ندع أى سفير أمريكى يتولد لديه الانطباع بأنه قناتنا الرئيسية مع واشنطن، سوف يثير هذا البلبلة لدى أصدقائنا اليهود فى الولايات المتحدة، أليس كذلك؟ وسيحد من حركة سفيرنا فى واشنطن وسيمنح ذلك أيضا تلك النماذج اللعينة فى وزارة الخارجية الأمريكية الانطباع بأن

بوسعهم لعب دور ما في علاقات واشنطن مع إسرائيل»، وتوقف قبل أن يضيف «دع السفير يتمتع بليلة من الأرق في بيته. وإذا اتصل أخبره بأنك نقلت رسالته إليَّ ولا تقل شيئا أكثر من ذلك».

«نعم سيدى».

«هذا كل ما هو عندك الليلة، ليف».

«نعم سيدى عمت مساء»، جمع إيجلون ملفه ثم تساءل «معذرة سيدى، هل بوسعى أن ٴ عرف تشارلز هذا سيدى؟ إننى أشعر بأن هناك شيئا خاصا».

ٴ يهمك انس هذا الأمر».

، سيدى».

وعندما غادر إيجلون دخل هازور مرة أخرى، «سيدى أود أن ألفت نظرك للمسائل التى أثرتها قبل دقائق قليلة».

رد رئيس الوزراء متنهدا وقد أغلق عينيه لبرهة «أبلغ وزير الطيران أن يتناول معى الإفطار فى منزلى صباح الغد لبحث مشكل العال. لا شئ هذا المساء. ظهرى يؤلمنى بشدة الليلة».

«آسف، سيدى بالطبع».. قالها إيجلون وهو يغادر المكتب.

التفت رئيس الوزراء إلى عشرات الرسائل التى تركها سكرتيره للتوقيع عليها. وفى الوقت الذى كان يتصارع فيه الإعياء داخله مع الألم والتوتر، خط ايشيل توقيعه على الوثائق دون أن يقرأ كلماتها، ومرة أخرى كان لزاما عليه أن يثق ثقة مطلقة فى معاونيه.

الثانى والعشرون من ابريل

مزرعة شتيرن صغيرة لا تزيد على سبعة هكتارات، وتقع بالقرب من هولون فى المسافة ما بين القدس وتل ابيب، تستخدمها أسرة شتيرن للاستجمام فى عطلات نهاية الأسبوع. كان الجنرال شتيرن قد منح شقيقه الأموال اللازمة لشراء المزرعة من أجل تلبية احتياجات شقيقه واحتياجاته هو أو ما يتطلبه العمل الحكومى.

هذه هى المناسبة الرابعة التى يجتمع فيها الخمسة فى المزرعة. عقب شراء المزرعة تجمعوا هناك فى اجتماع صورى لاختبار الأمن، وصلوا جميعا بسهولة ولم يلفت ظهورهم غير المبرر انتباه أحد وظل سريا، أشادوا بالمزرعة باعتبارها مكانا مثاليا ووافقوا بالإجماع على استخدامها مستقبلا.

وصل الجنرال شتيرن مع قرينته للعشاء فى الساعة ٦,٣٠ ظاهريا يبدو أنها زيارة عائلية. كان يرتدى ملابس بسيطة أخفقت فى إخفاء هيئته العسكرية. إذ يعتقد معظم الإسرائيليين أنه سيبدو كجنرال حتى فى لباس البحر.

دقائق قليلة وطرق رئيس محطته فى واشنطن الباب بخفة، لقد وصل تل أبيب من

ساعتين فى أول مرة يعود فيها إلى إسرائيل منذ إثنى عشر شهرا. ونظرا لشعره الأسود وبشرته الزيتونية اللون يمكن للمرء أن يحسبه عربيا وعيناه السوداوان الحادة وأنفه المعقوف تجعل منه يبدو كالمحارب البدوى أكثر من كونه ضابط استخبارات إسرائيليا.

كان وزير الدفاع ناتان مينتز هو التالى فى الوصول، قاد بنفسه سيارة لاندوفر زرقاء اللون بدون لوحات استعارها من إدارة الاستخبارات العسكرية فى وزارته، كان رئيس الوزراء ومينتز رفيقان فى الخدمة العسكرية وهما أيضا حليفان سياسيان يدينان بتوجه واحد. كان يساندان بعضهما البعض بدون تفكير وهى حقيقة يعرفها كل سياسى أو ضابط فى إسرائيل يفكر فى المخاطرة بمواجهة أى منهما.

يعانى مينتز من عرج خفيف من أثر جرح أصيب به فى حرب ١٩٦٧ ويتمتع بحس فكاهى أكثر من معظم صناع القرار الآخرين فى إسرائيل، ولكونه أعزب كان مشهورا بين أصدقائه بلقب رجل «مالبورو» نظرا لملابسه الشبابية ومظهره الخشن المنطلق وسيارته الجيب القديمة.

ونظرا لأنه فى العادة ما يعمل لأوقات متأخرة فإن اختفاءه فى أى مساء من مكتبه يبدو مثل العطلة الدينية لهيئة مكتبه. وعندما يطلب من مساعده إعداد سيارة ويقول إنه سيغادر قبل الموعد المعتاد فإن الشائعات سرعان ما تنتشر بأن العجوز على موعد غرامى.

وعندما استقر مينتز فى مكتبة المزرعة الصغيرة ومعه كأس من البيرة وصل عضو آخر من الخمسة - جيرشون ياهاف وزير المالية. جاء فى سيارته التابعة لمجلس الوزراء مع سائق الوزارة الذى تم صرفه بناء على إصرار شتيرن الغاضب.

وياهاف أستاذ جامعة يدرس الاقتصاد فى برلين، وزملاؤه يعتبرونه ألمانيا أكثر من الألمان نظرا لدقته وافتقاره للمرونة أو الرقة، ومازال إلى الآن صريحا تماما لا يعرف المراوغة.

وعرف مجلس الوزراء من التجربة أنه يجد صعوبة بالغة فى إخفاء موقفه من أية قضية سواء أكانت بسيطة أو خطيرة ونظرا لبراعته مثل أى رجل يخدم هذه البلاد، فقد كان موهوبا فى زيادة قيمة العملة الإسرائيلية. لقد فعل ذلك بصورة رائعة جعلت العالم يتعجب لماذا لم تقلس هذه الدولة الصغيرة مرات عديدة نظرا لمعدلات التضخم العالية والمخصصات العسكرية فى الميزانية الآخذة دائما فى التزايد والمناورات الدولية المكلفة. وإنجازاته المالية التى تشبه السحر هى التى منحت ياهاف مقعدا فى لجنة الخمسة على الرغم من تحفظات زملائه حيال قدرته على الكتمان والحذر.

كان القادم التالى هو ايدموند ورثبيرج الدبلوماسى البارع وزير خارجية إسرائيل، خريج جامعة أكسفورد، كما درس فى «إم آى تى» فى بوسطن، خدم كسفير لإسرائيل فى المملكة المتحدة والأمم المتحدة. كان ينظر إلى رؤيته الدبلوماسية باعتبارها رؤية أشمل من كونها صادرة من مجرد موظف مدنى. وهذه الموهبة جذبت انتباه رئيس الوزراء عندما كان

روثبيرج فى نيويورك خلال عمله فى الأمم المتحدة. وكان الجدير بالاهتمام على نحو خاص أنه – على النقيض من العديد من السفراء – فإن روثبيرج لن ينسى مطلقا أن إسرائيل وأهدافها تحتل المقام الأول سواء حظيت سياستها أو لم تحظ بموافقة الدولة المضيفة ويشمل هذا الولايات المتحدة.

ومع ذلك فإنه كان فى أعماقه يميل بشدة لأمريكا، وهو ما كان يخفيه لكونه دبلوماسيا بارعا فحسب ويعترف أصدقاؤه المقربون بمن فيهم رئيس الوزراء بهذا الجانب من شخصيته السياسية وكان ايشيل يأمل فى نهاية الأمر أن يستغل مثل هذا الاتجاه الذى قدره أكثر عندما ساءت العلاقات مع الأمريكان وغالبا ما كان يعتقد ايشيل أن يوم روثبيرج ربما قد حان ولكن متى وكيف هذا ما ظل غير مؤكد؟.

وصل رئيس الوزراء متأخرا. جاء فى سيارة شيفروليه حمراء قادها صديقه القديم وحارسه وكبير خدمه هارى جولدين القادم من بروكلين.

استرخى الخمسة يتناولون المشروبات ويثرثرون حول أحداث متفرقة غير مهمة. وبعد خمس عشرة دقيقة استدعى رئيس الوزراء المجموعة إلى غرفة المعيشة بينما وقف جولدين والسائقون الآخرون خارج المنزل الريفى يراقبون كل من يقترب من المنطقة بينما كانت الشمس تتوارى خلف التلال المحيطة. وفيما عدا رئيس الوزراء الذى تخير لنفسه مقعدا ضخما بذراعين بفرش من القماش المقصب بالقرب من المدفأة الحجرية، جلس قادة إسرائيل الكبار حول غرفة المعيشة دون أى اعتبار للبرتوكول. فهذه الاجتماعات لا وجود لها من الناحية الرسمية ومن ثم فلا وجود للبرتوكول.

بدأ ايشيل الاجتماع فى الساعة التاسعة تماما. وطلب اعتباره اجتماعا «غير عادى» حتى على الرغم من الطبيعة الخاصة لاجتماعات الخمسة ذات السرية البالغة والتى ليست لها مواعيد محددة.

«أصدقائى، الموضوع الذى نبحثه الليلة عظيم الشأن سيؤثر سواء بالسلب أو الإيجاب على مستقبل امتنا والشعب اليهودى على عكس أية عملية سياسية أخرى جرى بحثها فى تاريخنا، إننا لا نضمن النجاح غير أن المكاسب المحتملة تفوق كثيرا المخاطر، كما سوف تستمعون».

«باختصار، إننى أطلب منكم الليلة أن تخولوا الموساد، سياسيا وماديا بأن يضع الأساس لأهم العمليات وأكثرها سرية فى تاريخ امتنا على الإطلاق «العملية هيبرون» الهدف. انتخاب عميلنا – سيناتور أمريكى حال – رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية» توقف ايشيل ليسمح لهم باستيعاب ما يسمعون، راقب مستشاريه وقد تجمدت ملامح وجوههم، واصل حديثه «إلى الآن يعد وجود هيبرون واحدا من أكثر أسرارنا الخاضعة لأقصى درجات الحماية، بل تخضع لحماية أكثر من ترسانتنا النووية، هذا العميل المخضرم منذ فترة طويلة يجب أن يمنح فرصة خوض الانتخابات لمنصب الرئيس هذا العام، وإذا ما

تحقق ذلك فإنه فى غضون أشهر قليلة من الآن - وهو ما يتوقف على تقدم العملية والانتخابات الأولية فى الولايات المتحدة وعوامل أخرى - سنلتقى مرة أخرى لنقرر ما إذا كنا سنمنح الموساد الموافقة النهائية، وعند هذه النقطة، عند هذه النقطة فقط، سوف أسمح للموساد بإطلاعكم على شخصية هيبرون من المرجح أن يكون هناك ثلاثة مرشحين لانتخابات الرئاسة الأمريكية، كما حدث فى المرتين السابقتين، واحد منهم - إذا شاء الله - سوف يكون رجلنا عميلنا هيبرون، وبتعبير سياسى مسيحنا المنتظر الحديث.

النقطة التى يجب أن تعوها تماما، ونحن بصدد تقويم المخاطر معا، إنه إذا نجحت العملية هيبرون، فإننا سوف نغير على نحو جذرى من قدرتنا على السيطرة على السياسة الأمريكية لعقد من الزمان، وخلال هذه العقد سوف نعد لترتيبات ومعاهدات متبادلة سوف تستمر لجيل إسرائيلى آخر. لا كامب ديفيد أخرى ولا مفاوضات أوسلو أخرى ولا اتفاقيات واى أخرى.

سوف نفعل ما نريده وليس ما يريده غيرنا. وفى المرة القادمة عندما يرفع ديكتاتور العراق أو أى أحد آخر رأسه القبيح سوف نزيل هذا الوجه من على الخريطة، أو بالأحرى سوف نحمل رئيس الولايات المتحدة على بتره لحسابنا.

«وفى النهاية، أؤكد لكم بأن قراركم، أولا الليلة، ومرة أخرى عند الموافقة النهائية فى المرة القادمة، سوف يؤثر على أمن أطفالكم وأحفادكم والأجيال القادمة من اليهود ومن ثم ليس هناك مخرج سهل من هذا الأمر»، وتوقف قبل أن يختتم حديثه بقوله لهم «سأستمع إلى ملاحظاتكم الآن».

تحدث روثبيرج أهارون «هل أجرؤ على الإشارة إلى أنه يوم الأحد الماضى فقط نشرت الواشنطن بوست مقالا بشأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية نسبت فيه إلى أحد صحفيينا قوله، ايشيل يملك الكونجرس الأمريكى، وأعتقد بأننا نتفق بشكل عام أنك فعلت ذلك وإذا كان الأمر كذلك بالفعل، فلماذا نقامر بعملية تنطوى على مخاطر بالغة تشمل رئاسة الولايات المتحدة نفسها؟ مخاطر كبيرة تكاليف باهظة، يا إلهى ينفق الأمريكان المجانين مائة وخمسين مليون دولار على الانتخابات، فهل أصبحنا فجأة بمثل هذا الثراء؟، لدينا مشاريع اجتماعية ويحتاج شعبنا لهذه الأموال».

تردد رئيس الوزراء فى الرد، نظر فى أعين كل واحد منهم. لم يتحدث أحد انتظروا رده على وزير الخارجية.

قال «لدينا تأثير على الكونجرس سواء زعمت ذلك الصحف أو لم تزعم، كان لدينا دائما مثل هذا التأثير، هذا أمر مؤكد ولكن هل تفهمون ما أقوله؟ أنا لا أقول (تأثير) إننى أقول (سيطرة) على أقوى مكتب على سطح الأرض، أيضا لم أطلب منكم إنفاق مائة وخمسين مليون دولار عشرة أو عشرين مليونا تكفى، ولكننا سندع الأمريكيين ينثرون الأموال هنا وهناك سوف ننفق بحكمة بضعة ملايين هنا وهناك عندما وأينما يمكنها أن تثمر عن

تغيير، نعم، التغيير وحينذاك فقط».. وتوقف عندما ضبط ياهاف وقد بدرت منه ضحكة مكتومة.

«ياهاف ما الذى يثير الضحك؟».

«معذرة، لم أقصد مقاطعتك ولكن العملية الحسابية لصديقى العزيز روثبيرج لا تليق برجل خريج أكسفورد» أننا نتلقى أكثر من أربعة مليارات دولار فى شكل مساعدات أمريكية كل عام بما فى ذلك أكثر من مليار دولار نحصل عليها وفقا لاتفاق واى. وهى غير قابلة للسداد، ويأتى روثبيرج ويشعر بالقلق حيال إنفاق من عشرة إلى عشرين مليون دولار على عملية للسيطرة على الرئيس الأمريكى؟، لماذا لا نأخذ هذا المبلغ من صندوق الطوارئ الخاص الذى يصل رصيده إلى مائة مليون دولار فى ميزانية رئيس الوزراء وهذا المبلغ بأكمله مأخوذ من منح أمريكية ومن ثم فإن دواعى قلق روثبيرج حيال تكلفة هذه العملية لا مكان لها آسف. أنه بوسعنا استخدام الأموال الأمريكية لتمويل انتخابات رجلنا وهو ما ليس بالأمر السيئ أليس كذلك؟».

أومأ ايشيل مستحسنا وواصل «كما قلت قبل أن يساهم زميلنا ياهاف بتعليقه الذى جاء فى الصميم تماما، إذا نجح هيبرون، فإننا وليس دافعو الضرائب الأمريكيون الذين يمولون الانتخابات، الذين سنسيطر على أمريكا ومن خلال البيت الأبيض سنسيطر على الساحة الدولية: التجارة، الأسلحة، الصناعة، التكنولوجيا، الأمن اليهودى، هل هناك تعليقات أخرى؟».

لم يتحدث أحد وعندما تأكد من أنه ليست هناك اعتراضات أو أسئلة، استدار ايشيل إلى الجنرال شتيرن وأمره قائلا «قل ما عندك بن».

الفصل الثالث

بروكسل

الثامن والعشرون من مايو

أنعطفت سيارة ليموزين سوداء من طراز لينكولن يمينا بصورة حادة قبالة جراند ـ بلاس لتدخل شارعا جانبيا ضيقا وبجوار حافة الرصيف توقفت . أطفأ السائق الأنوار ، ولكنه لم يوقف محرك السيارة . فحص بعينيه الرصيف ، غير أن المطر أخذ يضرب بلا شفقة زجاج السيارة الأمامى مما حد من مجال رؤيته . زاد من سرعة مساحات المطر.

فى المقعد الخلفى جلس ريتشارد سورينسون السفير الامريكى لدى الاتحاد الاوربى يراقب أيضا الرصيف . وبضغطة على زر خفض من زجاج نافذته اليمنى الداكن بضع بوصات ، ثم مال بجسده للأمام ليختلس النظر من فتحة النافذة الصغيرة . أزال البخار الذى تكثف على الزجاج البارد بضربات ضجرة من قبضته ، بينما بللت قطرات صغيرة باردة جبهته .

تشبث جيرارد سائقه وحارسه الخاص البلجيكى بمقود السيارة . كان بوسع السفير رؤيته وقد قطب جبينه ، فهو يعرف أن خادمه يشعر بالقلق حيال ضعف الأمن فى مثل هذا الوضع . وربما صب اللعنات على رئيسه لهذا الموقف اللعين الذى وجد نفسه فيه . غير أن تلك طبيعته ويتعين على العاملين معه أن يتحملوه أو ينتقلوا لمكان آخر .

نظر الرجلان فى ساعتيهما فى وقت واحد تقريبا . كانت تشير إلى التاسعة والنصف مساء .

وفى هذه اللحظة بالضبط بدت امرأة تسير على قدميها عند نقطة التقاء الشارعين . يغطيها من الرأس إلى ما تحت الركبتين معطف واق من المطر بغطاء للرأس أسود اللون . وكانت قطرات المطر تنزلق من على مظلة زرقاء بدائرة من النجوم الصفراء التى تمثل العلم الاوربى . عدل السفير من جلسته بينما ظلت عيناه تحملقان من خلال فتحة النافذة .

قال بصوت أجش " إنها هى ! دعنا نذهب "، وتابعت عيناه هذه السيقان الطويلة .

"نعم ، سيدى . "

أضاء السائق الأنوار الأمامية ، ابتعد بالسيارة برفق عن الرصيف ، وتقدم ثلاثين مترا إلى حيث أبطأت المرأة من سيرها . توقف بجانبها ، نزل ودار حول الليموزين وفتح لها الباب الخلفى .

تمتم قائلا " مدام . "

بدون أن تقول شيئا أعطت المظلة للسائق ، صعدت للمقعد الخلفى إلى جانب سورينسون ، لم يتمكن السائق من رؤية وجهها داخل غطاء الرأس الذى بللته الأمطار .

قالت المرأة بتودد " عزيزى ، جئت فى الموعد تماما . "

"وكذلك أنت ، صغيرتى العزيزة . "

قبلته فى وجنتيه ، ودنت منه لتلتمس الدفء. عندما وضعت ساقا على ساق تزحزحت

جونلتها القصيرة إلى أعلى لتكشف عن جورب مثير . ضحك سورينسون فى سره وأحاطها بذراعيه ، وضمها إليه أكثر .ابتسمت إليه ، شعرت بالسعادة لأنها وضعته تحت سيطرتها . يجب عليها فقط أن تحتاط للسائق ، الذى هو كما تعلم مسلح .

"إلى المنزل ، جيرارد . "

"نعم ، سيدى . "

ألقى جيرارد بنظرة سريعة فى المرآة التى تعكس ما يجرى فى الخلف . قطب جبينه متنهدا بصوت مسموع .

رفع سورينسون رأسه فجأة ، والتقت عيناه مع عينى السائق فى المرآة .

"لنا حديث غدا ، جيرارد ، احتفظ بتنهداتك السافلة لنفسك . وإلا فإننى أعدك بأن تقضى وقتك فى عد قطع الأثاث فى مخزن المهمات الإدارية . "

تجمد وجه السائق من هذا اللوم الجارح فى حضور المرأة . نظر أمامه ، وبدون تعليق، امتثل للأمر الصادر إليه .

غمزت المرأة المثيرة للسفير لتقره فيما يبدو على توبيخه العنيف للسائق الصفيق . غمز لها السفير بدوره . فهذه ملاطفة مبكرة . السيطرة لعبة مفضلة . فهى تدرك أنه يشعر بالزهو لإسعادها بأن يبرهن لسائقه من هو السيد . أنها تشعر الآن بأنها تسيطر عليه تماما ـ وهو ما يجب أن يكون عليه الأمر .

* * * *

فى الجناح الرئيسى فى مقر إقامته حملق سورينسون فى الصورة التى عكستها المرآة لعينين تتطلعان إليه . مازال يحتفظ بشعر رأسه كاملا ، حتى وإن كان قد تحول اللون الفضى . كان الزمن عطوفا عليه ـ فلم يصب بشرته بالترهل . وإن كانت بشرته فى ظل ضوء معين تبدو وقد تأثرت بالزمن ، فإن ملامحه أحتفظت بالكثير من سحر الشباب الذى يخلب لب النساء . عمل على الاحتفاظ بهذا الانطباع بأدائه لتمارين بدنية يومية تتضمن رفع الأثقال باعتدال .يقول لكل من يجد فى نفسه رغبة فى الإنصات إليه إنه يتبع برامج غذائية ورياضية صارمة . أمسك بمشط وبدأ فى تصفيف شعره الأشهب مرة أخرى .

ومن خلفه جاء صوت نسائى رائق " أسرع ، حبيبى ، أننى أذبل هنا " .أنه يحب هذه اللكنة ، هذه العيون ، هذين النهدين الرائعين اللذين حسما الصفقة فى البار الصاخب قبل ليال عديدة . فجرت عيناه خياله بحثا عن هذا الكائن الذى ينتمى إليه هذا الصوت . الصورة المنعكسة للمرأة ذات الشعر الأسود الفاحم ابتسمت له من جديد . امرأة مثيرة فى الثلاثينيات ، تميل بشرتها للون البرونزى ، رقدت على فراشه الضخم ، مرتدية ملابس داخلية أرجوانية اللون وجوربا أسود ، تداعب صدرها النافر بقفازها الحريرى .قال لنفسه شخص ما يحبنى هذه الليلة» . وعندما التقت عيناها بعينيه وهو يحملق فيها تمددت بكامل

طولها وألقت بذراعيها خلف رأسها وهى تحرك أصابع قدميها . أثره جمالها والرغبة التى تطل من عينيها .

أنجذب مرة أخرى لعينيها ، عيون قطة : متحررة ، باردة ، بها حول خفيف ، خضراوان . عيون تتابع كل حركاته . قال مستعذبا انتظارها وهو يبتعد عن المرآة فوق السجادة الممتدة بطول الحجرة " حبيبتى تبدين متنمرة للغاية ، غير أن رغبتى الجامحة فيك لن تدع عقلي يخضع لإشاراتك التحذيرية ، ولذا ، قطتى الشقية إننى قادم "، وتخلص من الروب الذى يرتديه ليبدو مثل الملاكم البارز العضلات الذى يستعد للنزال فى الحلبة قبل أن يواصل حديثه " فقط حمام سريع وسأكون مستعدا ؟ "

همست الجميلة ذات الشعر الأسود الفاحم وهى تتموج حياء بجوار الوسائد " أسرع، تيرى . "

استدار سورينسون وقد علت الابتسامة وجهه ، أرسل لها قبلة طائرة قبل أن يغلق باب الحمام خلفه بعد أن ترك لفتاته فرصة إلقاء نظرة متفحصة على ردفيه المشوقين .

جالت بعينيها فى أرجاء الغرفة ، شعرت بالسرور لأنه تركها وحدها لدقائق قليلة .وهو كل ما كانت تحتاجه .

قالت لنفسها وأصوات رخات مياه الدش تترامى إلى سمعها «هذا الرجل ، من المؤكد أنه شديد التمسك بنظام حياته». كانت تعلم أن عاداته راسخة ولا تتغير من أجل آى شخص مهما كان الإغراء .

لم يكن هناك مفر من أن تقر بأن سورينسون يتمتع بحالة بدنية لافتة لرجل فى أوائل الستينيات . وعلى غرار العديد من الرجال الأثرياء الذين ألتقت بهم كان يملك الوسائل التى تبقى على رشاقته ، بما فى ذلك غرفة مخصصة لمارسة تمارين اللياقة . وكان سورينسون يذهب إلى لكسمبورج للاستجمام فى عيونها المعدنية . منحه المال ميزة عن معظم الرجال فى وقف زحف هجوم الزمن الغادر .

ابتسمت بثقة ، ورمقت باب الحمام المغلق ، كانت تعلم أن لا عضلاته القوية ولا بشرته التى يهتم بها سوف تسعفانه بقضاء أمسية أخرى أو حتى ساعة أخرى . وبغضون ذلك ستكون قد انتهت من عملها . كان السفير الامريكى لدى الاتحاد الاوربى هو العقد الذى تقوم بتنفيذه . لا أكثر ، ولا أقل . أخذت رشفة من الشمبانيا التى صبها لها .

مكنتها حقيقة انه مشهور عنه أنه زير نساء ـ على الرغم من منصبه ـ من أن تتغلب على دروعه الامنية والليموزين المصفحة . إن الشهوة هى أكثر الغرائز الهوجاء، ولذا فإنها المفيدة أكثر إذا ما جرى استغلالها بذكاء . وإلى الآن فإن هذا التعاقد الذى هى بصدد تنفيذه ، هو الأسهل منذ أن سلكت هذا الطريق .

وهى هنا الآن ، وكل شئ حسب جدولها يمضى قدما فى توقيته تماما . من الحمام تصدر أصوات أوبرالية نشاز تعلو وتهبط . مدت المرأة يدها إلى حقيبتها وبحثت عن

الزجاجة الزرقاء الصغيرة التى لصقت عليها بطاقة عادية مدون فيها كربونات الصودا لإخفاء حقيقة ما فيها . سكبت المسحوق الأبيض فى كأس الشمبانيا . فار السائل ليملأ الكأس عندها حدث الامتزاج الكيماوى ثم سرعان ما استقر مرة أخرى ليستعيد مذاقه مظهره الاصليين . سيبدأ مفعول المخدر بعد دقيقتين فقط من تناوله . بعدها سيستغرق هدفها الوسيم فى سبات عميق ، حياته ستكون مجرد خيط رفيع إلى أن قطعته .

ونظرا لأنها درست بعناية مقره السكنى فى بروكسل فإن المرأة كانت على ثقة من أن هروبها الليلة سيكون سلسا . وسيسجل عقدها هذا ثالث ضربة لها فى بروكسل فى غضون ثلاثة أعوام . أنها واثقة من أنه ليست هناك مدينة كبرى أقل مخاطرة للعمل فيها كقاتل محترف من بروكسل . فى الحقيقة أن بروكسل ، القلب النابض للاتحاد الاوربى ، هى مدينتها المفضلة : سهل الدخول إليها ، والأسهل ، وهو الأكثر أهمية ، الخروج منها ، إن نظام الشرطة فيها المشرذم الذى لاحول له ولا قوة يضمن لها أن رده سيكون بطيئا ، يعوزه الانسجام ، وعلى الأرجح وإن لم يكن مؤكدا لن يكون فعالا . ستكون على متن الطائرة قبل أن تشتبه السلطات فيما حدث .

وعلى الرغم من ذلك فإنها ، كمحترفة ، تعرف أن تنفيذ أية مهمة على أرض الواقع لا يكون أبدا بالبساطة كما جرى التخطيط له . فقد تعلمت أن المنفذين غالبا ما يواجهون بالمفاجآت . ولهذا السبب ابتكرت أنظمة احتياطية غير عادية . وهى دائما ما تنجح لأنها مثل الساحر تمزج ما بين التكنولوجيا وخيالها غير العادى والأساليب السرية . ويطارد حراس الأمن ومحققو الشرطة السراب . فالعقلية الإجرامية تكمل ذكاء العلماء والمهندسين.

والليلة لا تمثل استثناء ، فها هو قادم . كشفت عن صدرها . برز هدفها من الحمام يفوح منه عطر غالى الثمن ، مشط شعره الأشهب . يرتدى روبا أزرق اللون وتلمع فى عينيه رغبة متأججة . طريقة اصطياده الليلة هى أرجحة ساقيها الطويلتين الجميلتين على حافة الفراش للترحيب به . عندما التقت عيناها بعينيه عدلت من مشد جوربها ثم مدت يدها بكأس الشمبانيا وقدمته له قائلة وهى تبتسم بدلال " إننى سعيدة برؤيتك سيدى السفير ، نخبك ، أراك تتفجر رغبة وهو ما يتطلب منى مجهودا كبيرا ، أليس كذلك ؟ " أستلق على الفراش ، رفعت فخذها الأيسر إلى أعلى وهى مازالت تحدق فيه بعيون القطة، أخذ سورينسون كأس الشمبانيا منها وأفرغه على الفور فى جوفه " حسنا ، حبيبتى ، أننى مستعد الآن لافتراسك ! "

جذبها إليه بخشونة وأطبق بفمه على فمها ، دفعته بقوة وهو ما كان يثيره أكثر .

همست له وهى تدغدغ رقبته " أستلقى على ظهرك ، عزيزى ، وسأقوم بعمل تدليك خفيف لك ."

قال وقد ازداد خفقان قلبه " أوه ، ولكن ليس لفترة طويلة ، أنك تعذبيننى ! "

تحرر من ردائه ، تركه ينزلق على الأرض . رقد على ظهره . ضحكت بصوت مسموع

قبل أن تديره ليرقد على صدره . باعدت ما بين فخذيه ، وبدأت تدلك برفق منطقة أسفل ظهره ، تاركة يدها تسترخي للحظة أو لحظتين في ملاطفة خفيفة لخصره . استدار وهو يتأوه بصوت خفيض جذبها إليه وقبلها في إبط ذراعها .

قالت وهي تضحك من جديد ولكن بصوت ينم على الاستعجال " تعال ، دعني أنتهي ، أنني أرغب في تدليك عضلاتك لتسترخي . "

قال السفير متذمرا وهو يستدير مرة أخرى ليرقد على بطنه دافنا وجهه في الوسادة «ليس كلها على ما أتمنى ! ، أوه ما هذا تدلكينني بقفازات حريرية ؟».

ابتسمت وواصلت تدليك رقبته . قالت بصوت رقيق يذوب نعومة " استرخي ، لا يمكن مقاومة جاذبيتك ، فقط استلقي وأغلق عينيك . إنك ترأس الآخرين طوال اليوم . دعني أكون أنا الرئيسة الليلة . سأريك كيف أخلصك من هذا التوتر الذي يلازم الشخصيات المهمة . سترى ! "

قال وقد بدأ صوته يضعف فجأة " أعرف ، سأفعل ، أعرف ، ولكن مازلت أشعر بأصابعـ .... " أخذ تنفسه يضيق تدريجيا ، كان صدره يبذل مجهودا كبيرا ليتنفس ، ثم استغرق في نوم عميق ، مازال وجهه مدفونا في الوسادة .

شعرت المرأة بأن جسده قد ارتخي ، انتظرت اللحظة التي سيفقد فيها وعيه . أنه الآن لا حول له و لا قوة . رفعت ساقيها الحريريتين فوقه لتتمكن من النزول من على الفراش . أدارته على ظهره ووضعت يده اليمنى فوق عينيه ، ثم غطت جسده العاري بالملاءة .وضع مثالي ، شخص يبدو مستغرقا في النوم . وهو الأمر الحقيقي حتى هذه اللحظة على الأقل.

حان الآن الفصل الأخير . فتحت حقيبتها الصغيرة السوداء ونزعت بحرص بطانتها لتكشف عن جيب سري . داخله إبرة تعطى تحت الجلد بها كمية من الهيروين الصافي تكفي لقتل ثلاثة رجال . رفعت ذراع سورينسون الأيسر لتكشف عن إبطه . ثم ، وبحركة حادة سريعة أوغزت الإبرة مباشرة في الوريد المؤدي إلى قلب الضحية . سيقطع المخدر المميت أقصر رحلة ليقتل سورينسون في دقائق قليلة . أعادت الإبرة إلى حقيبتها . لن تترك خلفها أي أثر . سيكون لديهم الجثة . وهو ما يكفي . لندعهم يقومون بعملهم .

قامت بتثبيت مقياس للنبض يأخذ شكل الساعة الرقمية على سبيل التمويه في معصم سورينسون الأيمن . سيعطيها المقياس قراءة دقيقة للتغيرات التي ستطرأ على جسده بينما تغادر المنطقة .

تركت الفراش ارتدت ملابسها بعناية ، صففت شعرها القصير أمام المرآة . جالت بنظراتها في الحجرة وشعرت برباطة جأش مثلما دخلت قبل أقل من ساعة . ألقت بنظرة فاحصة أخيرة حولها .

همهمت قائلة بالفرنسية " يالها من مشويات فرنسية . لم تستطع مقاومة إغراء تذوق

واحدة من طبق البطارخ الفرنسية ، إنها باردة الآن ، فهى من بقايا عشاء لم يمس . وبقلق التقطت واحدة بمنديل حتى لا تلوث قفازها المخملى . قالت فى نفسها «أنه طبق الأحمق المسكين المفضل الذى يعتقد أنه يزيد من فحولته» .

فتحت جاكى ماركوفيتش بحذر الباب المؤدى إلى الممر . كانت لافتة - أرجو عدم الإزعاج - معلقة على مقبض حجرة النوم . كان السفير يتباهى أمامها بأنه طبق هذا النظام الفندقى فى كل منزل أمتلكه . أبلغها بزهو أن العاملين معه كانوا يعلمون أن الفصل الفورى من الخدمة هو مصيرهم إذا ما تجرأوا على إزعاجه . بعثت بقبلة للرجل الذى يحتضر وأطفأت أنوار الحجرة . خرجت إلى الممر وأغلقت الباب خلفها وبكل ثقة هبطت الدرج .

التقت بجيرارد فى قاعة الاستقبال عند نهاية الدرج ، كان مستغرقا فى مشاهدة التليفزيون وهو يقذف فى فمه بقطعة وراء الأخرى من شرائح البطاطس المقلية . كانت على أهبة الاستعداد وإصبعها على زناد مسدس صغير فى جيب معطفها الواقى من المطر.

وبإنجليزية بلكنة فرنسية متعمدة قالت له وهى تغمز بعينيها "يبدو أن السفير قد بذل مجهودا كبيرا الليلة . " وأضافت وهى تتجه إلى الباب الأمامي وقد أخذت تحكم من غطاء رأس معطفها حول وجهها كما لو كانت تخشى من البلل فى الخارج " من الأفضل تركه نائما لساعة متأخرة من الغد ، لا تزعج نفسك . "

ومنذ تقاعده من قوة الشرطة المحلية قبل خمس سنوات والتحاقه بالعمل مع السفير سورينسون ، شاهد جيرارد العشرات من النساء وهن يأتين ويذهبن من حجرة نوم سيده، لاحظت تقطيبه الدال على تبرمه واستهجانه .رافقها للباب الأمامي وفتحه دون أن ينبس ببنت شفة ، راقبها دون اهتمام وهى تخطو على الأرض المبللة وتنسل من البوابة الخارجية للمقر وتخرج للشارع الذى تلمع فيه فقاعات المطر تحت الأنوار المنبعثة من أعمدة الإضاءة وتستقل سيارة أجرة منتظرة .

قال لنفسه وقد استدار عائدا «عاهرة أخرى». أغلق البوابات الحديدية الثقيلة عندما ضغط على أحد الأزرار .

ألقت بنظرة خاطفة خلفها . كان قد عاد بالفعل إلى تليفزيونه .وكانت واثقة من أنه لم يلحظ قصاصة الصحيفة المجعدة التى ألقتها على الأحجار المبللة فى ممر حديقة المقر .

* * * *

كان بيتر مساعد جاكى ينتظر فى سيارة أجرة كان قد سرقها قبل دقائق . وبيتر ضخم البنية متوسط العمر يعمل مع جاكى منذ عشر سنوات تقريبا . هذه المهمة مختلفة ، لقد أدركت أنها ستحرم بيتر من النوم معظم ساعات هذه الليلة . قالت فى نفسها «لقد بذل مجهودا كبيرا فى إخفاء ما يعتريه من رعب .مثلما عليه الحال الآن وهو يكافح من أجل ألا تشى ملامح وجهه بما هو عليه من عصبية». غير أن وجه بيتر دل مع ذلك على مخاوفه مع

انسياب حبات العرق من جبهته . راقبت الطريق بعيون قطة ميتة . حاول إخفاء علامات قلقه بتحيتها بابتسامة وهى تتجه نحوه بثقة وبخطوات واسعة كأنها تقول , لقد فعلتها . لم تخدعها ابتسامته ، غير أنها لم تقل شيئا وصعدت إلى المقعد الخلفى . أبتعد بيتر بسيارة الأجرة عن الرصيف وقادها إلى نهاية الشارع الذى تحفه الأشجار وتوقف .

سلم رئيسته جهاز الاستقبال اللاسلكى المتصل بجهاز الإرسال المثبت على معصم السفير. أظهرت القراءة الرقمية أن نبض ضحيتها يهبط بصورة سريعة . ابتسمت جاكى. وبينما كان بيتر يقود السيارة مبتعدا ركزت نظرها على جهاز الاستقبال إلى أن خرجا من مجال الإرسال .

انعطفا إلى طريق جانبى ضيق قبالة شارع بولفار دو والترو الشارع التجارى الراقى فى بروكسل حيث تركا السيارة المسروقة . نزلت هى أولا ، تحركت كما لو كانت تدفع الأجرة ثم سارت مبتعدة . وتبعها بيتر . كانت سيارتهما المرسيدس فى الانتظار . فتحت المرأة بسرعة المظلة . كان مظهر الحياة الوحيد قطة شاردة انطلقت مسرعة عبر الطريق الضيق إلى مدخل مظلم حيث رقدت بلا حراك ترهف سمعها وتراقب الرجل والمرأة بعينيها الحادتين .

فتح بيتر باب السيارة المرسيدس ، أرتدى قبعة السائق وجلس خلف المقود ، صعدت جاكى إلى المقعد الخلفى . سلكا الطرق الخلفية للمدينة . كان هدفهما ماستريخت المدينة الهولندية ، الواقعة على الحدود البلجيكية الهولندية ، التى اشتهرت بفضل المعاهدة التى حولت المجموعة الأوربية إلى الاتحاد الأوربى فى التسعينيات .

فى الطريق عرج بيتر إلى ساحة انتظار بجوار الطريق السريع حيث بدل ملابسه ليرتدى بدلة فاخرة ، كما بدلت جاكى ثيابها قبل أن تنضم إليه فى المقعد الامامى فى هذا الجزء من الرحلة . كانت واثقة من أنهما عندما يصلان إلى مطار ماستريخت سيبدو بيتر مثل رجل أعمال ثرى يسافر مع صديقته .

كانت طائرتهما الصغيرة المستأجرة وطاقمها المؤلف من طيارين اثنين تقف فى انتظارهما . أنها طائرة أنيقة بلونيها الأحمر والبرتقالى وهى من طراز لير ٥٥ . على جناحيها وهيكلها رسم شريطان عريضان باللون الأبيض بينما حمل زيلها علما يتألف من صليب أبيض اللون . زودت الطائرة بالوقود وحصلت على تصريح بالإقلاع ومن ثم أصبحت مستعدة للتحليق .

وفجأة وضع بيتر يده على بطنه .

سألته جاكى " هل عاودتك آلام القرحة ؟ لا تبدو بحالة طيبة اليوم ."

رد قائلا " أريد فقط أن أصعد للطائرة وأهرب من هنا "، كانت لدى جاكى رغبة مغايرة تماما ، كانت تود لو بقيت فى بروكسل مدة أطول من أجل بعض أم الخلول والمزيد من المقليات الفرنسية ونبيذها الأبيض المفضل لديها بالقرب من جراند بلاس . أنها تحن دائما

إلى الوقوف فى بارها المفضل فى الشارع الخلفى سيىء السمعة رقيق الحال المكتظ دائما بشخصيات منحلة واتصالات سرية عظيمة . ومع ذلك ونظرا لأن جنيف هى مقصدهما المؤقت فإن الوقت كان هو الفيصل .

قبلت على الرغم من ترددها ، من انه سيتعين عليها أن ترجىء أم الخلول والنبيذ لزيارة تالية لمدينتها الاوربية المفضلة . وهو أمر كان يحلو لها حيث اعتادت على هذه التضحيات الصغيرة خلال عملها .

ومع ذلك كان بيتر مسألة أخرى . إذ أنه منذ اللحظة التى تم التعاقد معها على القيام بهذه المهمة لاحظت أنه يزداد قلقا وعصبية . لو أن عميلا آخر أحس بشعور بيتر نفسه تجاه هذه العميلة لكان على بعد أميال الآن . ولكن ليس بيتر فقد كان مخلصا لها لا يمكنه أن يتركها تفشل أو يدير ظهره لها . ولكنها الآن تشعر بالقلق من أن توتره يمكن أن يكشف سرهما . لقد تعلمت منذ طفولتها أن العميل السرى يجب أن يتمتع بهدوء الأعصاب ورباطة الجأش وان يحتفظ دائما بوجه خال من أى تعبير . سيتعين عليها – كما قالت لنفسها – أن تهتم بمسألة عصبيته وأن تعطى لها أولية قصوى .

بعد ساعة ونصف الساعة كان المتآمران يحدقان من نافذة طائراتهما التى بللتها مياه الأمطار . كانت الرياح والسحب التى استقبلتهما عند إقلاعهما مازالت معهما فوق جبال جوزا وفوق سويسرا . غير أن الطقس تحسن قليلا عندما هبطت الطائرة فى مطار كوينترين فى جنيف .

من نافذة الطائرة كان بوسع جاكى أن ترى بصعوبة من خلال الستائر الرمادية والسوداء . فهى تعلم أن هذا الطقس السيىء يعنى أن أمامها لحظات صعبة قبل الهبوط . وهى دائما تؤمن بالقضاء والقدر ولذا دهشت عندما شعرت بقطرات العرق فى كفيها .

"بيتر ، فى مثل هذا الطقس يمتلكنى شعور بالارتياح والخوف فى الوقت نفسه . هل يراودك الشعور نفسه ؟ "

رد بيتر مراوغا " تبدين متعبة ومتوترة ، جاكى ، من فضلك لا تبدئين فى توجيه الأسئلة لى . انتظري إلى أن نكون فى أمان فى السيارة ." كان صوته حادا وجادا .

قالت له ساخرة وقد اقتربت منه لتعبث بأصابعها فى شعره " آسفة ." واعتدلت لتواجهه " لقد نسيت أنك لا تحب الحديث عن الخطر بينما العملية لم تنته بعد ، ولكن يا عزيزى إنك تعلم أن هذا يرفع من معنوياتى ، انه لمن المثير أن نتحدث عن الخطر ، إنه يثيرنى ، ولقد قمت أنت أيضا بعمل جيد . لقد كان أمرا مثيرا أن تغرس الإبرة فى وريد سورينسون . "

تهدل فك بيتر الضخم وفقد وجهه لونه "اصمتى ، كفى عن أن تكونى عاهرة ، اصمتى لحين وصولنا إلى السيارة"، مرة أخرى أثارها سلوكه . سرحت بخيالها "لم يعد الشريك البارد كما كان دائما" .

"أوه ، آسفة لإزعاجك . ولكن تذكر دائما ، يا عزيزى بيتر ، إنك سددت ضربة

ناجحة ضد مسئول قوة عظمى . وهو أمر أبلغتنى بأنه خطير للغاية . على كل ، ماذا جرى لك هذه الأيام ؟ "

واصل بيتر تحديقه إلى الأمام ولم يرد . ولم تشأ جاكى أن تزيد من ضغطها عليه . قالت فى نفسها «إنه سيشعر بالاسترخاء حالما ينتهيان من إجراءات الوصول فى المطار ويدلفان إلى الخارج . إنها هى نفسها دائما ما انتابتها نوبات من الخوف والقلق عند هذه النقطة من مهمتها حتى على الرغم من أن هذه الإجراءات تتم فى ارض مألوفة بالنسبة لها، ومهما كان سبب عصبية بيتر فإنها قررت أنه يتعين عليه أن يتغلب عليه ليستمر فى العمل معها .

تبادل بيتر وجاكى نظرة خاطفة وهما يستعدان للهبوط فى سويسرا . وحالما يجتازان جوازات مطار جنيف سيكونان فى أمان . ومن المطار لن يستغرق الأمر سوى دقائق قليلة ليصلان إلى الحدود الفرنسية . لقد جرى توقيت وصولهما بعناية . إذ أن مطار جنيف يغلق فى منتصف الليل ما عدا حالات الطوارىء للسماح لمواطنى المدينة بأن يستغرقوا فى نوم هادئ .

هبطت الطائرة لير ٥٥ على المدرج الذى تغطيه مياه الأمطار . اندفعت المياه فى مقدمتها كما لو كانت قاربا يشق طريقه فى النهر .كانت الأضواء الزرقاء تحدد معالم ممر الهبوط .

التفت بيتر إلى رفيقته وابتسم قائلا بالعربية " حمد الله بالسلامة ." ردت بإرسال قبلة له . كانت هذه هى طريقتها ، توقيعها المميز .

جرت الطائرة إلى الطرف الغربى للمطار القريب من مبنى الركاب . كان الطاقم الأرضي فى الانتظار يتوق إلى إنهاء عمل اليوم . تقدم شابان يرتديان حللا أنيقة زرقاء اللون لمساعدتهما على النزول على سلم من أربع درجات امتد من باب الطائرة الأنيقة .

وقفت جاكى عند باب الخروج ، شعرت بالسعادة من أن ساقيها الطويلتين الجميلتين قد أسرت أنظار الجميع . هذان الساقان هما جواز مرورها إلى أماكن كثيرة .

شقا طريقهما عبر ساحة بللتها مياه الأمطار إلى حاجز الجوازات والهجرة فى صالة الرحلات العارضة الذى يديره رجل واحد . هذه هى آخر نقطة توتر . سيارة بيتر المستأجرة كانت فى الانتظار .بعد خروجهما من المطار سيختفيان عدة أيام فى الريفيرا الفرنسية ليزيدا من صعوبة تعقبهما . من هناك سيتوجهان إلى ملاذ آمن، هى إلى "بالما دى مايوركا" وهو إلى" أثينا " مسقط رأسه . سيخلدان للراحة أسبوعين وسيتأكدان من أنهما فى آمان قبل أن يلتقيا من جديد فى جنيف . وهناك ستتحقق من أن حساباتها المصرفية قد تلقت دفعة قوية من جانب إبراهيم همزة الاتصال الجديدة مع مقاولهما الشرق أوسطى الرئيسى للاغتيالات .

الفصل الرابع

واشنطن العاصمة
التاسع والعشرون من مايو

تجاهلت بريندا المصعد، اتجهت للسلم مباشرة ، درجتان فى الخطوة الواحدة حتى الطابق الخامس . فتحت باب مكتبها فى الوقت نفسه قذفت بحقيبتها فى الرف التالى لمكتبها . ألقت بنفسها على مقعدها وأخذت تعبث بجهاز الكمبيوتر أمامها . بعد ثانية طلب منها الكمبيوتر إدخال كلمة السر . ضغطت بريندا شتراوس العميلة الخاصة المسئولة عن وحدة الشرق الأوسط فى إدارة مكافحة الإرهاب فى مكتب التحقيقات الفيدرالى على لوحة المفاتيح بصبر نافد وكتبت واتسون وتاريخ ميلادها . انتظرت بامتعاض الثوانى التى استغرقها جهاز الكمبيوتر الرئيسى للتعرف على شفرتها . كانت بحاجة إلى كل ثانية هذا الصباح ، إذ يتعين عليها بعد تسعين دقيقة أن تواجه رئيسا غاضبا وعالما مصدوما . تتابعت البيانات على الشاشة أمامها ثم توقفت انتظارا لأمرها التالى . ضغطت على عدة أزرار جعلت الكمبيوتر يذهب فى رحلة إلى بنك ذاكرته . ألقت نظرة على ساعتها الرقمية - ٥:٤٥ .

قبل أربعين دقيقة أيقظها فى شقتها بجورج تاون الهاتف الذى حمل صراخ رئيس إدارتها بوب هوتشينز .

"بريندا ؟ أنا بوب . استيقظى حالا! وتوجهى على الفور إلى المكتب " !

"بوب ؟ ماذا حدث ؟ هل نشبت الحرب العالمية الثالثة ؟ "

"شىء قريب من هذا . قتل سورينسون ، من أجل المسيح .. "

"ماذا حدث ؟ أنك كنت فى بروكسل فى الأسبوع الماضى للحصول على معلومات منه . يا إلهى . لا تقل إن الليبيين قتلوه ؟ "

"ربما ، ولكن الله وحده يعلم . وليس لدينا أى دليل حتى الآن .صديقنا فى الشرطة البلجيكية " جاى " سيزودنا بالمعلومات فى وقت لاحق اليوم . سنتحدث باستفاضة فيما بعد . ولكن عليك الآن التوجه فحسب إلى المكتب .لقد أستدعى الآن العزيز بريز المدير إلى البيت الأبيض . من المقرر أن يلتقى القاضى بيكر مع الرجل فى الساعة ٨ر٣٠ تماما . إنك تعرفين مدى العلاقة الوثيقة التى تربط الرئيس بسورينسون . أنه يريد إجابات منا . أنا وأنت . القاضى بيكر يريد مذكرة موجزة عن سورينسون . سنلتقى معا فى السابعة . وهو وقت كاف قبل أن يغادر إلى البيت الأبيض . "

"حسنا لقد استيقظت ، وخمس دقائق سأكون فى الخارج . ولكن ماذا عن جاى فى بروكسل ؟ هل يجب .... ؟ "

"لقد اتصلت به بالفعل . عثرنا عليه فى حانته المفضلة ونحن على اتصال مستمر به . نحتاج إلى معرفة انطباعاته الأولية فى غضون ساعة . توقعى يوما طويلا يا بريندا .

والآن لا يبدد هدوء مكتبها سوى الأصوات الخافتة الصادرة عن الكمبيوتر وحده ، مازالت مضطربة من جراء اتصال هوتشينز ، دارت بريندا بمقعدها لتطل من النافذة على شارع بنسلفانيا . كانت أشعة الشمس قد بدأت فى إضاءة السماء فى الوقت الذى ألقى فيه سائق سيارة توزيع «الواشنطن بوست» بنسخة من الطبعة الصباحية للجريدة فى

صندوق بإحدى الزوايا . بدأت الحياة تدب فى عاصمة البلاد .

قتل سورينسون . لا ! لقد اغتيل ! لا شك فى ذلك . إحساسها الداخلى يقول ذلك . إنها مسألة وقت . وسرعان ما تجتاح الولايات المتحدة التكهنات حول موته . بل والعالم بأسره . أنه حدث خطير . كلمات تقريرها ستكون حاسمة فى التحقيق . يجب على التقرير أيضا أن يساعد على تهدئة مخاوف واضطراب جميع الدبلوماسيين الأمريكيين فى الخارج.

إن استدعاء المدير لها يعنى أن ثمة اشتباهاً فى وجود صلة للشرق الأوسط بالقضية . ولكن من هم فى الشرق الأوسط ؟ الليبيون ؟ جائز . جائز تماما ، ربما . ولكن لماذا سورينسون ؟ ولماذا الآن ؟

فى هذه الأيام ، كلما واجه المكتب قضية صعبة حتى ولو كان لها من بعيد نكهة شرق أوسطية يقوم المدير باسنادها إليها . لقد اكتسبت هذه السمعة . ولكن الآن الضغوط أكبر، إذ كان سورينسون واحدا من أوثق أصدقاء الرئيس . ولن يدع الرئيس هذه الضربة تمر دون رد .

التحقت بمكتب التحقيقات الفيدرالى وهى فى سن السادسة والعشرين .بعد وقت قصير من حصولها على الدكتوراه فى اللغات واللغويات من جامعة جورج تاون . فى البداية جرى التعاقد معها كمترجم لتفريغ شرائط الاتصالات الهاتفية وعمليات التنصت الاليكترونى . ولكن سرعان ما جرى ترقيتها إلى كبير محللين . وفى عام ١٩٨٦ التحقت ببرنامج العملاء الخاصين نظرا للدور الذى لعبه تحليلها فى التعرف على جوناثان بولارد الجاسوس الإسرائيلي فى وزارة الدفاع الأمريكية وإلقاء القبض عليه وإدانته . كانت بالفعل قضية بولارد هى التى أدت إلى سطوع نجم بريندا .

خلال السنوات العشر التى قضتها فى مكتب التحقيقات الفيدرالى كان يجرى دائما تذكير بريندا بأنها حطمت الأرقام القياسية فى ارتقاء السلم الوظيفى للمكتب . لقد أبلغتها إدارة المكتب صراحة بأنها محل اهتمام خاص يؤهلها إلى أعلى وبسرعة . غير أنها تعلم أنه بينما أداؤها غالبا ما يكون مثار ثناء من الإدارة فإنه أيضا يكون مثار حسد من جانب قلة من زملائها العملاء . وكان الامتعاض الذى أثاره نجاحها فى نفوس بعض زملائها من الرجال والنساء هو المشكلة الوحيدة التى تواجهها فى عملها . ويهمس العملاء الخاصون الهامشيون بأنه دائما ما يجرى الدفع بها لتسبقهم لأن المكتب يرغب فى تجميل نفسه بدفعه لسيدة إلى الأمام . ولكن بريندا كان واثقة من أن كبار العملاء يعرفون أنها واحدة من أفضل عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى .

وبينما حطمت أرقاما قياسية فى الترقى الوظيفى ، فإنه كان من الواضح أنها لم تحطم قلوب العديدين ـ وهو ما كانت قد خططت له . فقد أبقت على تسريحة شعرها المجعد بشكل تبدو معه وكأنها واحدة من الغوغاء ، ولم تتخل أبدا عن نظارتها ذات الإطار البنى . رفضت العدسات اللاصقة لتخفى عيونها الخضراء الجميلة . أنها ترغب فى أن يجرى

الحكم عليها من خلال إنجازاتها فقط ، ومن ثم لم تهتم بإظهار أى من ملامح حسنها . وفي الحقيقة فإن كونها امرأة جميلة لم يكن له أى تأثير على وظيفتها .

لم يضايقها مظهرها العادى .إذ أن التحديات العقلية والعاطفية التى تواجهها كل يوم تقريبا فى مكتب التحقيقات الفيدرالى هى أكثر أهمية بكثير ، كما أن وظيفتها كضابط مسئول عن فرض القانون هى كل شيء بالنسبة لها . لقد ولدت من أجل هذه الوظيفة . وهى تتمنى أن تكون أفضل عميل خاص شهده المكتب حتى الآن . بقدراتها العقلية واللغات التي تجيدها ومواهبها كانت واثقة من أن كل ما تحتاجه هو قليل من الحظ . ولن يكون بوسع أحد على الإطلاق أن يتهمها ، العميل الخاص شتراوس ، بأنها صعدت سريعا سلم الترقى دون استحقاق .

وعوضت بريندا أيضا افتقادها للجمال الطبيعى الأخاذ ببذل مجهود أكبر لإبراز قوتها البدنية . وخلال السنوات العديدة التى قضتها فى جورج تاون كانت تمارس السباحة بشكل يومي ، وشقت طريقها للحصول على الحزام الأسود فى الكاراتيه . وهذه البراعة البدنية ساعدتها على التفوق فى أكاديمية مكتب التحقيقات الفيدرالى فى كوانتيكو بفيرجينيا ، فضلا عن أنه أبقى على وزنها تحت السيطرة وعلى تمتعها بطاقة عالية .

كانت حياتها ستبدو رائعة في تلك المرحلة لو لم يقاطعها والدها بسبب قضية بولارد ، الجاسوس الاسرائيلى فى وزارة الدفاع ، فى هذا الخصوص أوضح سيدنى شتراوس، الصهيونى المخلص والعضو النشط فى الحزب الديمقراطى الذى كان يشغل فى السابق منصبا سياسيا والمحامى الآن، لابنته بريندا بأنه ليس بوسعه أن يستوعب الكشف العلنى لدورها فى إدانة بولارد . وبعد أن أدلت بشهادتها ضد بولارد أبلغها والدها بأنها خانت أصولها وعقيدتها اليهودية .رفض الاستماع إليها عندما توسلت إليه قائلة " لقد عرض الرجل أمننا القومى للخطر . "

كانت دوما معجبة ومحبة لوالدها على الرغم من أسلوبه الأبوي السلطوى .لقد حطم رد فعله غير المسئول لواجباتها الشرطية الفيدرالية قلبها ، بينما لم يؤد تفهم ومساندة والدتها سوى إلا زيادة الوضع تفجرا .

وعلى الرغم من تألمها للحزازات التى تفجرت فى منزل شتراوس بسبب وظيفتها فإن بريندا قررت عدم الاعتذار لوالدها لأنها فعلت ما كان سيفعله آى أمريكى وطنى فى مكانها حماية الولايات المتحدة من خائن . حتى ولو كانت هذه الدولة هى إسرائيل . خاصة الآن وقد أعترف الإسرائيليون بأن بولارد عميلهم .

هزت رأسها لتطرد هذه الأفكار التى صرفت انتباهها عن الأزمة التى تواجهها الآن ، وركزت نظرها بدلا من ذلك على الشاشة التى تومض أمامها . وها هى صورة سورينسون تحدق فيها .

رجل حسن الطلعة . أو ربما كان التعبير الأفضل : رجل يتمتع بطلعة بهية . أنيق يعتنى بملبسه . يتمتع ببنيان ينم عن مدى ثقافته ونفوذه . وقد أكدت قراءة المعلومات

الخاصة بسيرته الشخصية هذا التحليل .

ويضغطها على عدة مفاتيح ، تتابعت أمامها المعلومات عن علاقة سورينسون الوثيقة بالرئيس : زملاء دراسة في مدرسة ييل للحقوق . إشبين العريس في زفاف عضو الكونجرس دوجلاس . عراب إميليا أول مولود للسيناتور دوجلاس . الصديق الوفي الذي يشد من أزر الرئيس دوجلاس عند وفاة زوجته . مدير حملة انتخابات الرئاسة لدوجلاس . وصورة لسورينسون وهو يبتسم بسعادة غامرة متطلعا إلى دوجلاس وهو يؤدي اليمين القانونية رئيسا للولايات المتحدة تشي بالمشاعر العميقة التي يكنها لرئيسه .

بعد ذلك جاء منصب السفير لسورينسون في بروكسل المريحة . لقد منح دوجلاس هذا المنصب الذي تتطلع إليه الأنظار لسورينسون كمكافأة من جانب و لإبعاده من جانب آخر عن واشنطن وجحافلها من رجال الإعلام النهمين . فهم يتوقون للوقوع على فضيحة أخلاقية من الطراز القديم . وكان سورينسون صاحب شهية لا تقاوم للجميلات .

قالت في نفسها «لم يتخل الأحمق أبدا عن هذه الرذيلة . وعندما يتعلق الأمر بالنساء فإنه يعدو ديمقراطيا حقيقيا ! فهو يحبهن جميعا ، وهو متعدد الثقافات حقيقة ، فهو يهواهن من كل الأجناس» .

تتابعت البيانات على الشاشة ، وظهرت البيانات الخاصة باتصالات سورينسون مع الليبيين . كان مكتب التحقيقات الفيدرالي يشعر بالقلق حيال تلك الاتصالات وأرسل العميل الخاص روبرت هوتشينز إلى بروكسل من أجل هدفين إجراء مقابلة من سورينسون وتحذيره من إمكان تعرضه لمحاولات اغتيال . «كنت أتمنى لو أستوعب ما قيل له». ثم لمعت عيناها في الوقت الذي اتجهت فيها أفكارها إلى مسار مختلف . «حان وقت الاتصال بجاي يجب أن يكون جهازه مفتوحا الآن».

جاي فان دين هوفن ، مفوض شرطة قضائي بلجيكي يملك قدرة المفتش كلوسو على التصرف وفاعلية جيمس بوند أحد أشهر محققي الجريمة في أوربا .كانت بريندا معجبة دائما بتوهجه وبالنتائج التي يصل إليها . اتسعت ابتسامتها . تخيلت جاي في بروكسل يناور وسائل الإعلام بتلذذ ويستخدم بمهارة اتصالاته المؤثرة التي لا تحصى للتغطية على الحقائق التي تحيط بالسفير القتيل . تحمست لفكرة العمل معه مرة أخرى . سرا تعترف بأنه رجل وسيم . وتخيلت أنها ترفض موعدا غراميا معه . غير أنها كانت دائما ما تذكر نفسها «لا تخلطي بين الأشياء».

التقت بريندا مع فان دين هوفن قبل أشهر قليلة عندما قام بزيارة رسمية لواشنطن . شعره الأسود الممشط للخلف وشاربه وفكه المربع يمنحه جاذبية فجة . وهو الأمر الذي كان يدركه تماما ويستغله أحسن استغلال.كرجل مطلق في عاصمة أوربا . وإلى جانب تاريخه المهني مع مكتب التحقيقات الفيدرالي ، كانت هناك صلة شخصية وثيقة تربط جاي ببوب هوتشينز . تعود صداقتهما إلى أيام عمل بوب كملحق قضائي في السفارة الامريكية في بروكسل. لقد اقتسما العديد من زجاجات الخمر .

عمل جاى وبوب معا فى العديد من القضايا الجنائية والإرهابية الدولية خلال خدمة بوب خارج الولايات المتحدة . كان بوب يرى فى جاى محققا يتسم بحدة الملاحظة ويتمتع بروح عالية من الدعابة . قال مرة لبريندا " جاى يمتلك أفضل مواهب لأى مسئول شرطى فى العالم حتى عندما تشد نظراته النساء اللاتى يتبخترن حوله . "

ونادرا ما كان فان دين هوفن يدهش من النقائص والزلات الإنسانية . بل ويمكن القول بأن مصدر شغفه بهذه المهنة هو الضعف الإنساني . كان والده يأمل بأن يقتفى خطواته كعالم انثروبولجى يدرس أصل الإنسان وتطوره . غير أنه أدار ظهره للأنساب . وتعبيره المفضل " أبحث عن المرأة " يترجمه إلى أسلوب عملى فى البحث عن نقطة ضعف المشتبه فيه لمعرفة دوافعه . كانت نقطة ضعف جاى الوحيدة ـ التى كانت بريندا تعوزها إلى خلفيته وبيئته ـ هى غروره . " إنه نموذج للاوربى الكلاسيكى " هكذا وصفه هوتشينز لبريندا قبل أن يلتقوا جميعا فى واشنطن . وبدوره يقول جاى إن الامريكيين سذج للغاية ، بسطاء لدرجة كبيرة ، ولكن يتمتعون بروح عالية من المرح . وكان دائما ما يتأثر بالبساطة التى يمنح بها الامريكيون ثقتهم . بالنسبة له كان تلك هى موطن ضعف الامريكيين ، نزوعهم إلى تصديق الآخرين ـ وهو أمر غير أوربى بالمرة ، ولا يماثل بالمرة الطريقة التى تسير بها أية ثقافة أخرى . وهو أمر محبب للغاية . «لو كنت محتالا ، لاخترت بالتأكيد الولايات المتحدة موطنا لى . حيث من السهل للغاية العمل فيها». وكان جاى سيضيف مازحا وسيسلك جميع رجال الشرطة الطريق المعاكس !

كانت بريندا معجبة بجاذبية جاى ومواهبه المهنية الحادة .

بعد لحظة اتصلت بريندا بمكتب جاى فى بروكسل . ولكن حظها لم يكن أفضل من حظ بوب . فمازال جاى فى الخارج «ما الذى يشغله طوال هذا الوقت؟»

إنها فى حاجة إلى استنتاجاته الأولية على الرغم مما ستكون عليه من قصور . لقد وضع اغتيال سورينسون بريندا فى وضع حرج . مقتله بعد مقابلة هوتشينز له سيثير حتما تساؤلات حول كفاءة إدارة مكافحة الإرهاب فى مكتب التحقيقات الفيدرالى . أين إجراءات الحماية ؟ لابد سيسأل الرئيس .

ومن الممكن أن تتفجر أزمة سياسية ، فالقضية قابلة لأن تصبح كارثة إعلامية . تدرك بريندا عواقبها السياسية المحتملة . ستبدو قضية بولارد باهتة بالمقارنة معها .

ومع توارد هذه الأفكار الجامحة فقدت بريندا اتزانها للحظة . ولكنها ما لبثت أن استعادت اتزانها ورباطة جأشها وواصلت متابعة المعلومات من ملفات جهاز الكمبيوتر وأضافتها إلى تقريرها .

كانت الساعة تشير إلى السابعة صباحا تقريبا . إن عقد اجتماع فى مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح أمر غير عادى على الإطلاق . من الواضح أن العجوز يرغب فى مساعدته فى مواجهة الرئيس دوجلاس . روسيل مستشار الأمن القومى سيكون موجوداً وستكون لديه أيضا أسئلة .

راودها الأمل ، من أجل المكتب ، أن يكون القاضى بيكر قد أطلع الرئيس بالفعل ووزير الخارجية على اقتناع المكتب بأن سورينسون كان يقيم اتصالات على مستوى غير مقبول مع شخصيات أجنبية . اتصالات سورينسون كانت تشمل حامد بن فزانى السفير الليبى لدى بلجيكا . إنه ابن عم الزعيم الليبى ومعروف فى دوائر معينة بأنه رئيس عمليات الاستخبارات الليبية فى جميع أرجاء أوربا الغربية ، يستغل وضعه كسفير كذريعة للسفر دون عائق فى طائرته الفالكون الصغيرة . ألتقى به سورينسون فى العديد من المناسبات .

بعد أن وضع بوب هوتشينز سماعة الهاتف مع بريندا بدأ فى ارتداء ملابسه للاجتماع مع المدير . حمل فى يده جوربين واحداً أسود اللون والآخر أزرق داكناً فى الوقت الذى قال بصوت عال لنفسه «بريندا وجاى لا تخيبان أملى». ذهب إلى المطبخ ليعد لنفسه فنجانا من القهوة . بمقدور بوب باعتباره أعزبا راسخا أن يعد التوست والقهوة . بل بوسعه حتى أن يعصر البرتقال فى العصارة الكهربائية . بعد ذلك تنهار مهاراته فى الطبخ سريعا .

كان قد أدار لتوه جهاز إعداد القهوة عندما رن جرس الهاتف . اندفع إلى غرفة المعيشة ليلتقط السماعة . .

"أنا بوب هوتشينز ."

"بوب ! "

"جاى! "

"عزيزى ، كيف حالك ؟ لم نتحدث منذ فترة طويلة . سمعت أنك كنت فى بروكسل ولم تتصل بى ، كنت مشغولا للغاية كما افترضت . سنتحدث كثيرا هذه المرة . أعرف لماذا اتصلت بى . لماذا لا تأتى ، صديقى ، على عشاء رائع ؟ مونيك وأنا ـ تتذكر مونيك ، مساعدى ؟ لقد عثرنا على هذا المطعم الجديد «لويتى لابان» أنه رائع ! انه يفوق المطاعم التى أنا وأنت ذهبنا إليها كثيرا " !

"جاى ، أننى أشعر بالفعل بأننى أفضل حالا لمجرد سماع صوتك . " ألقى هوتشينز بثقله البالغ ٢١٠ أرطال على المقعد ذى الذراعين بالقرب من الباب ، وقد أرتدى جوربا والآخر فى يده ، وقد أولى اهتمامه كله لنظيره الأوربى .

تبادل الرجلان عبارات مزاح أخرى قليلة قبل أن يواصل جاى فى لهجة جادة .

"اتصلت بى بريندا أيضا . أشعر بالاسف لوفاة سفيركم سورينسون . لقد ذهبت إلى المنزل . ماذا تقولون أيها الأمريكيون فى مثل هذه الأحوال ؟ هل فتحت أبواب الجحيم جميعها ؟ أنه خبر مانشيت ، عزيزى ، وجاى فان دين هوفن هنا لإيجاد ردود سريعة . " أطلق جاى ضحكة خافتة فهو يعرف أن بوب يتهمه بالغرور . وقال بلهجة جدية أكثر " أعتقد ، بوب ، أنها ضربة ، ربما عملية شرق أوسطية . أيضا لا توجد أية بصمات غريبة ، كل الدلائل تشير إلى محترف . يجب عليك أن تأتى سريعا ، صديقى ، وهو ما يعنى اليوم أو غدا على أقصى تقدير . الملحق القضائى الامريكى الجديد غير كفء ، رجل ظريف ، لكن لا يتمتع بأى خبرة فى الجرائم الدولية وقد أستعد للإرهاب مثل بطوط ـ دونالد دك ـ

هو وضابط الأمن فى سفارتكم يقتتلان الآن من أجل أن تكون لهما سلطة على التحقيق . لذا أحضر بسرعة ، عزيزى ، وأنقذنى من هؤلاء الامريكيين التافهين وأحضر معك هذه الصغيرة الرائعة بريندا . لا تدعهم يجبرونك على أن تحضر معك عددا كبيرا كالمعتاد من المحققين . إننا لا نحتاج سوى إليك أنت وبريندا . "

قال بوب " لك هذا يا جاى ، إننى سعيد بأنك تعمل معنا فى هذه القضية . سنلتقى مع المدير هذا الصباح لاعداده لاجتماع الرئيس . أنت تعلم أن سورينسون من أوثق أصدقاء الرئيس .أننا قد نقضى الصباح فى المكتب البيضاوى ، لمساعدة العجوز على أن يشرح للرئيس كيف ، ولماذا قتل رفيقه . إذا لم تعثر على ، أبق على اتصال وثيق مع بريندا . سنذهب إلى بروكسل ربما غدا ، هل لديك شىء آخر ؟ "

"امنحنى ساعات قليلة ."

"إذا توصلت إلى أى شىء آخر أرسله عن طريق وسيلة الاتصال المؤمنة . سوف أتأكد كل ساعة من وصول أى شىء ."

"نعم ، نعم ، بوب ، تتذكر فرانسوا سكرتيرتى ؟ بوسعها العثور علىَّ أينما كنت . أرسل لى تفاصيل عن اتصالات سفيركم مع هؤلاء الليبيين . إننى أعرف أن هذا قد يثير لك مشكلة فى مكتب التحقيقات الفيدرالى . يجب أن نعمل معا ، صديقى ، مع ما لديك وما نعثر عليه هنا . اتفقنا ؟ "

"نعم ، سيدى ، هناك بريندا بالفعل فى المكتب تجمع المعلومات من الملف المركزى . سنرسلها لك اليوم من خلال مكتبنا فى بروكسل ." وعاد بوب إلى المطبخ ساحبا السلك الطويل للهاتف لتناول عصير البرتقال ولم يشأ أن يأخذ معه الهاتف اللاسلكى لأنه واثق من انه سينسى أين وضعه " فقط تجاهل هذه الألاعيب البيروقراطية فى سفارتنا . ادعاءاتهم ليست لها علاقة بالحقائق السياسية التى أنت وأنا سيتعين علينا مواجهتها . أوه ـ ما هذا الدليل الذى تعتقد أنه يدل على أنها عملية شرق أوسطية ؟ أنا فى حاجة إلى معرفة ذلك عندما ألتقى ببيكر هذا الصباح . "

"عزيزى روبرت أنها قصاصة صغيرة من صحيفة عربية . عثرنا عليها داخل البوابة مباشرة . لم يلحظها رجالى . شاهدتها عندما وصلت بعدهم . نقوم بفحصها لمعرفة أى جريدة قطعت منها . نعتقد أنها جريدة تصدر فى بغداد . ولكن من الصعب معرفة متى ألقيت هذه القصاصة ، أو ما إذا كان شخصا ما قد تركها هناك لغرض ما . ولذا فإننا لا نعرف مدى أهميتها . لا أرغب فى إثارة قادتنا حيال شىء لسنا متأكدين منه . أعتقد أنه ليست هناك حاجة لذكر هذا الأمر ، ولكن الأمر يعود إليك " . توقف جاى بضع ثوانى لإتاحة الوقت لبوب لكى يمحص الأمر " لا نعرف على سبيل الجزم ما الذى قتل السفير . لا توجد آى جروح ظاهرة . لقد أخذنا عينات من الدم وسنحصل على النتائج خلال ساعة . وسأطلعك عليها . حاول تهدئة قرودكم فى السفارة . لا أريد ان يحاول أحد أن يأخذ الجثة من مشرحتنا ."

"أترك هذه المسألة لى ، ولكن لن تكون أمامك سوى ٧٢ ساعة قبل ان نستسلم لرغبات الاسرة . تصرف فى ضوء ذلك ."

« 72 ساعة تكفى تماما ، عزيزى».

"حسنا . دعنى أعرف فور توصلك إلى أى شيء ملموس . بحلول منتصف الصباح سوف تصاب واشنطن بالذهول لدى سماعها هذه الأنباء ، سيطلبون إجابات وسيطلقون تخمينات سخيفة ، كل هذه الأوساخ سوف تصب فوق رأسى !لذا أحرص على تزويدى بالمعلومات سأتحدث معك فى غضون ساعات قليلة .حظ سعيد جاى . "

"إلى اللقاء ، تمسك بالشجاعة ! جاى فان دين هوفن سيساعدك على العثور على أولاد الزنا ! "

وضع سماعة الهاتف وهو يضحك من دعابات جاى الجريئة وحبه لصب اللعنات على الطريقة الامريكية . واندفع هوتشينز خارج شقته ، لن يلاحظ لونى فردتى جوربه المختلفتين.

مقر مكتب التحقيقات الفيدرالى

السادسة صباحا فى مقر المكتب فى شارع بنسلفانيا وبريندا شتراوس مازالت تحدق فى شاشة الكمبيوتر . جمعت كل شيء يمكنها العثور عليه حول الضحية . ضمت هذه المعلومات فى دوسيه كامل ثم ضمت إليه ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالى بشأن الليبى الذى أجتمع معه سورينسون فى بروكسل على مدى الأشهر الستة الماضية ، وهو ما سبب قدرا كبيرا من القلق لوزارة الخارجية ومكتب التحقيقات الفيدرالى ووكالة الاستخبارات المركزية / سى آى ايه / والحكومة الإسرائيلية .

معظم النصوص باللغة الإنجليزية ، غير أن بعض المعلومات عن البلجيكيين كانت بالفرنسية التى تجيدها بريندا إلى جانب مواهبها اللغوية الأخرى التى تشمل الألمانية والأسبانية والعبرية واليونانية فضلا عن إلمامها بالهولندية ومعرفتها بالقليل من اللغة العربية . ونظرا لوضعها كرئيسة لوحدة الشرق الأوسط فإنها تعمل جاهدة على معرفة العربية لكى تتقنها مثل لغاتها الرئيسية الأخرى .

وبتأمل المعلومات التى تترى على الشاشة وجدت انه من الغريب أنه بينما كان البيت الأبيض يزعم انه يشعر بقلق عميق تجاه جهود سورينسون الدبلوماسية الشخصية فإنه لم يأمره بوقف لقاءاته مع الليبيين . «يجب أن نقف على حقيقة ذلك حتى على الرغم من انه قد مات ، فهذا أحد الأسئلة الرئيسية».

كان هوتشينز باعتباره رئيس قسم إدارة مكافحة الإرهاب قد حث المدير على التحدث مع الرئيس فيما يتعلق بشريك الحوار الليبى مع سورينسون . وكانت بريندا قد كتبت أيضا مذكرة عاجلة للمدير أكدت فيها على توصيات هوتشينز ، وأعربت فيها عن أملها فى أن ينقل المدير قلقها للرئيس دوجلاس . أكدت مذكرتها دون لبس أن اجتماعات سورينسون مع الليبيين خطيرة ويجب وقفها ، فالسياسة الامريكية تحظر على أى ممثل

مباشر للرئيس الاجتماع مع شخصية إرهابية رئيسية . وهى بذلك لحسن الحظ غطت بريندا نفسها والمكتب .

ووفقا لمعلومات المكتب من البيت الأبيض ومن مسئولى وزارة الخارجية قام سورينسون بشرح طبيعة هذه الاتصالات . وزعم أنه حصل على موافقة للاستمرار فيها . كانت بريندا تفترض دائما أن سورينسون دافع عن موقفه بأن مثل هذه اللقاءات غير الرسمية والسرية ضرورية لإقناع الليبيين بالتخلى عن الإرهاب ولإقناعهم بأن هذا هو الأسلوب الوحيد لإقامة علاقات إيجابية مع الولايات المتحدة وهو أمر يسعى الليبيون بنشاط منذ سنوات لتحقيقه . ومع ذلك فإن وزارة الخارجية ومكتب التحقيقات الفيدرالى اتفقا على أن الليبيين سيكسبون أكثر من هذه اللقاءات من الولايات المتحدة . وعلاوة على ذلك حذرت بريندا نيابة عن مكتب التحقيقات الفيدرالى من أن الليبيين قد يستغلون هذه اللقاءات لرصد السفير كهدف ، وهو الجانب الذى كان يزعج أكثر بريندا ورئيسها .

كانت بريندا مستغرقة فى التعقيدات السياسية للقضية عندما وصل هوتشينز الذى بادرها " بريندا ، آمل أن تكونى قد أدركت أن هذه قضية حياتنا !كما قلت يرغب المدير فى رؤيتك هناك . كما أنه يرغب فى وجودى كما أعتقد ".

قالت بريندا بنبرة احتجاج وهى تعدل من وضع نظارتها " أنت المتخصص فى الإرهاب." أدارت مقعدها لتواجه رئيسها " ولكنى أتفق معك ، لقد تملكنى هذا الإحساس هذا الصباح وأنا فى الطريق إلى هنا ، إحساس يقول لى أن هذه القضية أكبر مما نعتقد . ولكن يجب علينا أولا أن نحدد هوية القاتل أو القتلة . " نقرت بأصابعها على لوحة مفاتيح جهاز الكمبيوتر كما لو أن الإجابة ستأتيها من داخل هذا الجهاز السحرى واصلت حديثها " على سبيل المثال ، لقد جمعت ملفا عن جميع حوادث الاغتيال فى بروكسل على مدى السنوات العشر الماضية . وقعت أربع حوادث . سورينسون هو الخامس . الضحية الاولى كانت دبلوماسى سورى . شيخان مسلمان كانا الضحيتين التاليتين ـ تورطا فى قضية سلمان رشدى . ربما استهدفهما الإيرانيون . الرابع كان الدكتور بول عالم الصواريخ الباليستية . " توقفت عضت على شفتيها ، نزعت نظارتها ، وفركت عينيها .

واصلت " لم تحرز التحقيقات فى حوادث القتل هذه أى تقدم ، ألا تعتقد ، بوب ، أن بروكسل هى مكان مثالى للتخلص من الأعداء ؟ " أعادت نظارتها على وجهها وفحصت من جديد المعلومات على شاشة الكمبيوتر .

"من الواضح أن القاتل ، محترف أستأجره الإيرانيون أو العراقيون أو الإسرائيليون ـ على الرغم من أننى اشك إلى حد ما ان يكون هم الإسرائيليون . "

قال لها بوب وهو يضحك مازحا " ربما لأنك متحيزة . " أومأت بريندا برأسها وهى تبتسم " ربما . المشكلة أننا لن نعرف هوية أولئك الذين يقفون وراء هذه الحوادث إذا لم نعثر على القتلة . ولذا فإنه بدلا من أن نتوه فى خضم تكهنات لا نهاية لها حول السبب الذى يجعل أى شخص يرغب فى قتل ريتشارد سورينسون ، يجب أن نركز على القاتل . "

كان بوسعها أن تدرك أن النبرة الساخرة فى صوتها فيما يتعلق بالبيت الابيض قد وجدت صدى لديه .

فرك وجهه بأصابعه فى محاولة منه على ما يبدو للتخفيف من حدة توتره .رد وهو ينظر فى ساعته " أنك على حق ، هذا واضح ولكن يجب علينا أولا أن نكف عن طرح النظريات وان نعد هذه المذكرة الملعونة لاجتماعنا مع بيكر . على أن تتضمن حقائق بقدر الإمكان وان تخلو من أية افتراضات أو استنتاجات ، تحليلات هادئة للغاية . اتفقنا ؟ " وأبلغها حينئذ بأن جاى تحدث عن قصاصة من صحيفة عربية .

"لقد انتهيت تقريبا من المسودة الاولى . كل ما أحتاجه هو تقرير جاى المبدئى ."

"ليباركك الله ، بريندا ، أيتها المنقذة . اطبعي نسخة مما حصلت عليه بينما سأبعث برسالة إلى بروكسل لحثهم على الإسراع ، هل تلقيت أى شىء من رجالنا هناك ؟ "

«نعم ، ولكن لا شىء ذا قيمة . معلومات جاى ما نحتاجه أكثر . "

بعد خمس عشرة دقيقة أتصل جاى مرة أخرى ، كما وعد ، قدم مزيدا من المعلومات . وبفضل معلوماته تأكدت بريندا إلى حد كبير من مصداقية مذكرتها إلى المدير وضمنتها "آخر المعلومات حتى هذه اللحظة " وهو التعبير المغرم بيكر باستخدامه . وبدأت بريندا فى طبع المسودة النهائية .

وفى الوقت الذى تخرج فيه الأوراق من الطابعة الليزر كان بوب يتخطفها لتصحيحها.

"أحب هذا العنوان ـ موت السفير ريتشارد اندرو سورينسون فى بروكسل ـ لم تحومى حول الموضوع ومع ذلك لم تستخدمى كلمة «اغتيال» فى وثيقة رسمية ، أنت محقة . فلا مكان هذا الصباح للافتراضات ."

فى الساعة ٤٥ر٦: وقع هوتشينز على المذكرة المختصرة ، ارتدى سترته وفتح باب المكتب " جهد عظيم ! هل أنت مستعدة ؟ "

"مستعدة تماما . " التقطت حقيبتها . أغلقت الأبواب الداخلية والخارجية . وانضمت إليه فى الممر .

استقلا المصعد إلى الطابق التاسع . وبينما كانت بريندا تقلب فى ذهنها النقاط المهمة التى سيجرى إثارتها خلال الاجتماع شرد بوب بنظراته وتمنت بريندا لو تعرف فيما يفكر .

لدى خروجهما من المصعد فى الطابق التاسع ، لمحا تشوك بورلاند المدير المساعد لقسم التحقيقات الجنائية واوستين فيليبس المدير المساعد لقسم مكافحة التجسس وكلاهما يرتدى قميصا فقط تحت حمالة البنطلون . كانا يتناقشان بصوت مسموع وهما يتجهان إلى مكتب المدير . فتح هوتشينز الباب بكياسة وأشار للمسئولين البارزين بالدخول أولا .

جازف قائلا " صباح الخير أيها السادة . "

رد بورلاند ووجهه النحيل قد ازداد احمرارا " صباح الخير ، عزيزى الابلة السيد

هوتشينز " وواصل " الكرة الآن في مرماك ، إذا لم تكن لديك اجابات طيبة هذا الصباح سيجرى ارسالنا جميعا إلى مستنقعات اوكيفينوكي ."

لم يقل فيليبس شيئا . واكتفى بابتسامة باهتة . تعرف بريندا هذه الابتسامة أنها تلقى الرعب في أوصال جميع عملاء مكتب التحقيقات . لقد علمت منذ فترة طويلة أن العملاء يخشون فيليبس الذى يتمتع ببنيان ضخم . فقد عززت عيونه السوداء الضيقة وشعره الأشعث الأسود اللامع وحواجبه وأنفه المعقوف من سمعته كنسر جارح لا يضع أى اعتبار للجوانب الإنسانية . وترى فيه بريندا مهنيا محترفا عديم الشفقة لا يمنح أبدا لخصم فرصة ثانية . ومثل النسر الجارح يحوم وينتظر فريسته لترتكب خطأ فادحا: ثم ينقض ناهشا اكبر قدر ممكن من دماء وأحشاء الفريسة . سمعت الكثير من الحكايات في الطرقات تؤكد على تقويمها له .

ضاقت عينا فيليبس وهو يراقب وجه هوتشينز الذى أحمر من المفاجأة ، غير أن بوب لم يقع في الشرك . سيتعين على فيليبس أن ينتظر فرصة أخرى ليشرب من دمه .

"صباح الخير سيداتي وسادتي ، من فضلكم لتجلسوا في غرفة الاجتماعات . " أنقذ الاستقبال الحار من جانب كاتي سومنر سكرتيرة المدير بوب وبريندا .

تعمل كاتي مع المدير منذ عمله في القضاء في ساوث كارولينا . ويتردد أن السيدة سومنر السكرتيرة التنفيذية البالغة من العمر ٥٦ عاما قد تكيفت مع بيروقراطية واشنطن بشكل افضل من القاضي . وسمعت بريندا أن نظيراتها في المدينة يعتبرونها " عاهرة صارمة " . امرأة لا يحب المرء أبدا أن يصادفها في طريقه .

توجه الأربعة إلى غرفة الاجتماعات ووقفوا إلى جوار مائدة فوقها أباريق قهوة وفطائر، صب هوتشينز على الفور لنفسه فنجانا من القهوة وأخذه معه إلى مائدة الاجتماعات وانتظر الآخرين لينضموا إليه .

وفي اللحظة التى كان يهم فيها الجميع بالجلوس أنقض فيليبس على هوتشينز قائلا " «قرأت التقرير عن مقابلتك مع ريتشارد سورينسون في وقت سابق من الشهر ، هوتشينز، خرجت بشعور ـ إحساس ، أو من الأفضل القول ـ بأن هناك شيئا ما مفقودا». وتوقف .

لم يعلق أحد .

واصل " هل ، لسبب أو آخر ـ ضيق الوقت ، الارتباك ، ربما ـ تركت شيئا في تقريرك ؟ حاول أن تتذكر ما هذا الشيء المفقود ، قد يفيدنا ."

رد هوتشينز في صوت بارد فخيم وهو يحدق في فيليبس بنظرة تقطر ازدراء " أوستين ، أتذكر جيدا . أنني كنت أول من أستشعر القلق حيال اتصالات سورينسون مع الليبيين في المقام الأول . " وأخذ بهدوء عدة رشفات من فنجانه قبل أن يستطرد " في الحقيقة لم تكن لدى في البداية الكثير من المعلومات التى تدفعني للتحرك ، بما في ذلك المعلومات الواردة من إدارتك . ثم عندما ظهر المزيد من الأدلة ، تولدت لدى القناعة بأن

هناك فى اتصالات سورينسون مع الليبيين أكثر مما أبلغه هو لوزارة الخارجية ، ربما أكثر مما أبلغه للبيت الأبيض . " تناول بضع رشفات أخرى قبل أن يواصل " ثم فوجئنا بتقرير تحريات بلجيكي فى الشهر الماضي يؤكد شكوكي . فى الحقيقة عندما تتبع البلجيكيون الليبيين علمنا بأن سورينسون كان له اتصال واحد على الأقل مع حامد بن فزاني لم يقدم عنه تقريرا لأى أحد . ومن ثم حصلت على إذن من خلال مذكرة للقاضي بيكر أعدتها بريندا الموجودة معنا ، وتوجهت إلى بروكسل لإجراء مقابلة مبدئية مع سورينسون .

"الأمر الرئيسي الذى كشفت عنه المقابلة والذى تعمدت إغفاله ، و هو ما انتهى بمرور الوقت هو انه كانت لدى شكوك جادة حول ظنوني الأولية . لم أعد متأكدا مما إذا كانت مشروعة . ليس لأن سورينسون قد أوضح أى نقاط حقيقية وإنما أسلوبه وليس أى شيء آخر . كان هادئا تماما وكان متعاونا أيضا وودودا . أى شيء آخر غير القلق .

"وهو ما تركني حائرا للغاية وغير متوازن من أنه ليس بمقدورى الثقة فى حدسى بالقضية . وقد اخترت أن أولى عناية كبيرة بأن يتضمن تقريرى عن المقابلة تعليقات واقعية لا استنتاجات ."

سأل فيليبس وقد ضايقه أن هوتشينز يشعر بثقة كبيرة " هل وضعنا أجهزة تسجيل فى مكتبه أو فى هواتف منزله ؟ لا يمكنني التذكر ، ولكني أعرف أننا بحثنا هذه المسألة ."

"نعم ، لقد بحثنا هذا الأمر ولكن ليست هناك أجهزة تسجيل ، لم نتنصت على هاتفه ، لقد رفض هذا الأمر . "

كانت بريندا متأكدة من أنه تعمد استخدام صيغة المبنى للمجهول ليذكر بورلاند وفيليبس برفضهما التوقيع على طلبه الخطي إلى المدير لتسجيل مكالمات سورينسون الهاتفية . وهو إجراء إحترازى من أجل حماية سورينسون نفسه وهو ما كان سيساعد أيضا على معرفة العاملين معه الذين قد يكونون على اتصال بالليبيين .

دخلت عليهم كاتي سومنر إلى غرفة الاجتماعات " المدير فى انتظاركم أيها السادة . "

انتقلوا إلى مكتب القاضي بيكر الفخم . سجادة سميكة ذات لون أزرق فاتح تفترش أرضية الحجرة الفسيحة . أرفف من خشب الماهوجاني تغطى حائطى أحد الأركان وقد رصت فوقها مجموعة من المجلدات القانونية . الحائط المواجه للباب عبارة عن نافذة تغطيها ستارة من الساتان الثقيل لونها بيج فاتح . وأمام النافذة انتصب مكتب عتيق من خشب الماهوجاني ومقعد ضخم من الجلد الأسود . بينما تحتل أريكة سوداء طويلة تضاهى مقعد المكتب ومائدة مستديرة باقى الحجرة . خلف الأريكة مجموعة رائعة من جوائز وشهادات تكريم القاضي المهنية والشخصية بينها صورة تاريخية له وكبير قضاة المحكمة العليا وهما يرتديان شورتات فضفاضة وقبعتين ويحيطان بسمكة مارلين بطول ستة أقدام.

بالنسبة لبريندا يبدو القاضي بيكر رجلا عطوفا ، متزنا ، معتدل المزاج وعادلا . ومن

الواضح لها أيضا انه مهذب وجذاب وذكى . وهذه التوليفة النادرة من السمات لرجل فى مثل هذا المنصب توازى تلك السمات الجارحة التى يتمتع بها اوستين فيليبس . لا شك أن القاضى قد حظى باحترام وإعجاب جميع من عملوا معه . وتعتقد بريندا أنه مدير مثالى . المدير النموذجى الذى يتمنى المرء العمل معه . ربما فى يوم ما ...

عندما دخلت المجموعة كان القاضى مازال مشتبكا فى مناقشة حامية مع بروس تالبوت مساعده السياسى المعين . وتالبوت متخصص فى العلاقات العامة يتحدث معه المدير دائما قبل أى شخص آخر فى أية قضية رأى عام . كان الجميع فى مكتب التحقيقات يعرفون أن وظيفته هى ضمان أن صورة القاضى العامة تماثل صورة السير لانسيلوت الذى يحمى التاج دائما من أى عدو غادر . وكان تالبوت يقول لمن يرغب فى الانصات إليه انه فى العلاقات العامة التى حقق فيها نجاحات مدوية يتبنى فلسفة نادرا ما توجد بين مستشارى العلاقات العامة الحاليين فى الحكومة .

حياهم المدير " أتمنى لكم جميعا يوما طيبا " وأشار إليهم ليتبعوه إلى الاريكة . أتخذ تالبوت سريعا جلسته بجوار رئيسه .

رد تشوك بورلاند " صباح الخير ، سيدى ، بينما صدر عن الآخرين رد مماثل بصوت خافت . واستمر بورلاند فى قيادة الاجتماع " يبدو أن يوما طويلا فى انتظارنا جميعا سيدى . "

أومأ المدير موافقا بصبر نافد .

وقال " السيد هوتشينز ، أريد ان تكون العميل المسئول عن قضية سورينسون ، وكما اتفقنا من قبل عبر الهاتف ، حصلت على موافقتى على تعيين العميل الخاص شتراوس فى هذه القضية . " وألتفت إلى بريندا قائلا " سمعت دائما تقارير طيبة عنك ، استمرى على ذلك ، شتراوس . "

ردت بريندا " أشكرك سيدى . "

غيَّر القاضى من وضعه وأعطى انتباهه كله لهوتشينز " لا أريد تكهنات حول الكيفية التى مات بها السفير ـ انتحار أم اغتيال . من الواضح انه مات فى فراشه . بدلا من ذلك من فضلكم ذكرونى فى المقام الأول ببعض التفاصيل عن اسباب إخضاعنا السفير للتحقيق . "

وبدأ هوتشينز يحكى " حسنا سيدى ، فى شهر يوليو من العام الماضى ، تلقيت نصيحة سرية من مصدر معلومات بارز فى الشرطة البلجيكية بأن سورينسون عقد سلسلة من الاتصالات الشخصية مع السفير الليبى لدى بلجيكا ، حامد بن فزانى . وكما تعلم سيدى فإن فزانى هو ابن عم الزعيم الليبى طارق فزانى وتحت غطاء منصبه كسفير يرأس جميع الاستخبارات الليبية فى اوربا ، بما فى ذلك عمليات الاغتيال والانشطة الارهابية الآخرى ، وقمت بعمل مراجعة مبدئية مع مساعد وزير الخارجية للشئون الاوربية لمعرفة ما

إذا كانت هذه الاتصالات يجرى إبلاغ واشنطن بها من خلال تقارير السفارة الروتينية نظرا لأن مكتب التحقيقات لا يملك أى معلومات مستقلة لتأييد هذا . وقد أكد مساعد الوزير لى أن سورينسون لم يقدم آيا من مثل هذه التقارير .

"ثم اتصلت برئيس هيئة العاملين فى البيت الأبيض من خلال القنوات الرسمية ، لمعرفة ما إذا كانت هناك تقارير من سورينسون لمكتب الرئيس عن اتصالاته الليبية . وقال رئيس هيئة العاملين إن تقارير سورينسون للرئيس دوجلاس كانت عبر الهاتف ولا توجد آية تسجيلات خطية ما عدا مذكرات البيت الابيض . وتصورنا أن الرئيس أقترح على سوريسنون أن يتخلى عن هذه الاتصالات على أساس انها لا تتفق مع السياسة الأمريكية وقد يساء فهمها من جانب أصدقائنا والكونجرس إذا ما كشف سترها . "

نظر هوتشينز إلى جميع الجالسين .

كانوا جميعا يُستمعون بإنصات إلى روايته . وكانت بريندا مستعدة للتدخل إذا ما نسى أى شىء .

واصل هوتشينز موجها حديثه إلى بيكر " إذا كنت تتذكر ، سيدى ، أفادت التقارير الواردة من ضابط اتصالنا بأن اتصالات سورينسون الليبية مستمرة . وقد أثار وزير الداخلية الإسرائيلي المسألة مع سفيرنا في إسرائيل وطلب توضيحا . وهذا يوضح أن الاجتماعات تحمل فى طياتها إمكان تفجرها سياسيا ، نظرا لأن الاسرائيليين أنفسهم يمكن أن يفشوا أمرها . راجعت الأمر مرة أخرى مع البيت الأبيض ، اقترحت أن نجرى تحقيقا .

"لخصت الأمر فى مذكرة قدمتها إليك . ووافقتم على التحقيق الذى أتاح إجراء مقابلة على الأقل مع سورينسون . ومع ذلك فإن توصيتى بالتنصت على هاتف سورينسون المنزلى رفضت من جانب المكتب . "

تدخل القاضى على الفور قائلا له " توقف ! أنا لا أتذكر طلبا بالتنصت على هاتف سورينسون . " واتجه إلى سكرتيرته قائلا بتجهم " هل رأيت شيئا مثل هذا ؟ "

نظرت السيدة سومنر إلى هوتشينز بنظرة ملؤها الشك مما أدهش بريندا " لا ، لم أر مطلقا مثل هذا الطلب ! " تتذكر بريندا هذه المذكرة جيدا ، فقد ساعدت بوب فى إعدادها ولكنها عضت شفتيها فى الوقت الذى واصل فيه هوتشينز حديثه بنبرته الهادئة نفسها .

"سيدى ، لقد قدمتها من خلال القنوات فى شهر نوفمبر الماضى ولكنها أعيدت إلى . " وتجنب هوتشينز النظر فى عيون الرجال الجالسين إلى يمينه .

تدخل بورلاند مسرعا " لقد أعدت الطلب إلى بوب نظرا لأنني لا أعرف كيف يمكن تنفيذ هذا بدون إشراك الشرطة البلجيكية . ولم أكن أرغب فى أن يشاركونا فى مشاكلنا أكثر من الضرورى ، على الاقل ليس فى هذه المرحلة ."

أشار المدير ، وقد نفد صبره لشعوره بالضيق من هذا القصور البيروقراطي الواضح ، إلى هوتشينز ليواصل حديثه .

قال هوتشينز وهو يشعر بالارتياح من أن القاضى بيكر قد أدرك الآن أن بورلاند هو الذى عرقل تسجيل المحادثات الهاتفية " ومن ثم يا سيدى كما ترى ما بدا مجرد وضع حرج محتمل تحول إلى شيء أكثر خطورة . "

قال المدير " حسنا ، هذا الأمر وأشياء أخرى قليلة هو الذى أدى إلى مقابلتك سورينسون . " وأومأ للسيدة سومنر التى سلمته ملفا .

"لقد قرأت تقريرك عن المقابلة ورأيت انه كان متعاونا ولم يبد أى إشارة على شعوره بالاستياء من جراء أسئلتك الموحية . " وأضاف وقد بدا عليه التفكير العميق " ومن ثم ولماذا بحق السماء يقتل نفسه بعد ذلك بأسبوع ؟ أو هل قتل ؟ ما هو تقديرك الآن ؟ هل هناك أية فرصة لأسباب طبيعية ؟ هذا ما سينقذنا جميعا . "

رد هوتشينز على الفور قائلا " سيدى ، سأترك الاجابة للعميل شتراوس .أنها هى التى أعدت البحث وقدمت التقرير . وسلم المذكرة للمدير بينما قامت شتراوس بإعطاء نسخة منه لكل من بورلاند وفيليبس . واتجهت كل الأعين إلى بريندا .

فتحت نسختها اختارت ان تتطرق مباشرة للسؤال الذى يحير القاضى بيكر " سيد، فى البداية يجب أن أؤكد استنادا إلى أحدث المعلومات التى وصلتنا من البلجيك ، أن وفاة سورينسون تبدو ناجمة عن عملية قتل ، فى الحقيقة عملية قتل يغلب عليها الطابع الاحترافى .

"أرفقت بهذا التقرير تحليلا لدم سورينسون . دمه يحمل مستوى عاليا غير طبيعى من الهيروين . يكفى لقتل رجلين . وهو ما ينفى إمكان تناوله جرعة زائدة دون قصد . وهو الأمر الذى لم نشتبه فيه إلى أية حال . فى البداية لم تتمكن السلطات البلجيكية من تتبع آثار طبيعية للحقن فى جسده لمعرفة إذا ما كان قد تناول المخدر عن طريق الحقن . غير أن فحصا أدق كشف عما يبدو انه جرح ناجم عن حقنه فى إبطه الأيسر . هذا يدل على عملية قتل متطورة . وأيا كان قاتل السفير فهو محترف مدرب على علم بالوسائل الفعالة للقتل . "

قلبت بريندا صفحات عدة وواصلت حديثها " هذه الصورة بثت من بروكسل قبل دقائق من اجتماعنا . إنها صورة لساعة عثر عليها فى معصم الجثة . ولكن أيها السادة ظهر فيما بعد أنها ليست ساعة عادية . إنها جهاز إرسال صغير . هذا الجهاز - ربما لمراقبة النبض - تم ارتداؤها لعدة ساعات . هذه الساعة لم يشاهدها حارسه الخاص وخدمه قبل ذلك مطلقا . قام القاتل بوضعها فى يد ضحيته ليتمكن من مغادرة المنزل بينما مازالت الضحية علي قيد الحياة وليتمكن من مراقبة ضحيته حتى النهاية . من الواضح انه قاتل غير عادى ."

قلبت مزيدا من الصفحات " فى الصفحة السادسة ، لفظ سورينسون أنفاسه قبل اثنتى عشرة ساعة من العثور عليه فى الساعة العاشرة صباحا بتوقيت بروكسل . لدينا ثلاث نظريات مبدئية حول كيفية قتله . الاولى ، القاتل هى امرأة زارته فى المساء السابق -

بالتأكيد كانت آخر شخص معروف انه زاره . ومن الواضح أنها رفيقته أو مومس . الثانية، ربما يكون شخص ما متواطيء معها دخل من خلال باب شرفة حجرة نومه الذى ترك مفتوحا ربما بواسطة المرأة . الاحتمال الثالث المطروح فى الوقت الحالى هو أن أحد العاملين فى مقر إقامته ترك الباب مفتوحا ليسمح للقاتل بالدخول بينما سورينسون نائما بعد مغادرة المرأة . "

"لخصت بريندا مذكرتها بقولها " استنادا إلى المعلومات الأولية المتاحة لنا ، يبدو لى أن قتل سورينسون كان مدبرا . وإلى الآن لا يبدو أن هناك دافعاً واضحاً لقتل سورينسون. وحتى الآن لم يزعم أحد مسئوليته عن قتله . كما لم تؤخذ أية أوراق أو أموال. إذ أن آلاف الدولارات والعديد من الوثائق الحساسة في منزله تركت كما هى فى مكانها فى دولاب ملابس السفير وأدراج مكتبه . مثلما حدث تماما فى عملية اغتيال الدكتور بول فى بروكسل أيضا . "

قاطعها القاضى بيكر " ولذا ، يبدو أننى كنت محقا فى تنبيه الرئيس بأن يقدم له مكتب التحقيقات تقريرا عن وفاة سورينسون . ولكن ماذا سأقول له بالضبط هو وروسيل؟ بوسعى أن أؤكد لكم أن الامر لن يكون هينا على الرئيس أن يسمع ذلك . "

تدخل تالبوت وقد بدأ يتحدث بجدية وبإخلاص " سيدى القاضى ، إننى أوصى بأن تخبر الرئيس بأننا بينما كنا نتعقب ارهابيا خطيرا أكتشف مكتب التحقيقات الفيدرالى أن سورينسون هو هدفه ، وانه من خلال مراقبتنا لليبى وعملائه اكتشفنا انهم يحومون حول سورينسون مستخدمين اغراءات جنسية للإيقاع به . ووفقا لهذه المعلومات أرسلنا العميل الخاص هوتشينز إلى بروكسل للقاء سورينسون وتحذيره ، لقد أستمع للنصيحة جيدا وكان ممتنا للغاية . وفي الوقت نفسه يجب التأكيد على أنه كان هدفا للارهابيين .طبيعى يجب أن نؤكد على أن يجرى فقط إبلاغ وسائل الإعلام بأن تحقيقا قد بدأ . لا شيء اكثر من ذلك . لا نرغب بحق السماء أن تندفع وسائل الإعلام فى إطلاق التكهنات إذا كان بوسعنا الحيلولة دون ذلك . "

التمعت عينا فيليبس وسمع بعدها صوتاً يهمس " يمكننى الموافقة على كل ما أوصى به السيد تالبوت . ولكن يجب أن أضيف مع ذلك انه يتعين علينا ان نتطرق إلى جوهر قضية سورينسون .بصرف النظر عن شخصية قاتله أشعر بأن هناك شيئا يتعلق بمكافحة التجسس ومهمتنا الرئيسية هى معرفة من الذى أستأجر القاتل . وإذا كان هذا صحيحا كما تعتقد العميلة شتراوس فإن القاتل هو شخص محترف . "

أومأ القاضى بيكر " أتفق معك . ولكنى أرغب فى أن يتحمل العميل هوتشينز المسئولية كاملة عن التحقيق بمساعدة العميلة شتراوس . أشكركم أيها السادة يجب على الآن أن أستعد لاجتماعي مع الرئيس . هوتشينز وشتراوس من فضلكما انتظرا فى مكتبى الخارجى . ستذهبان معى ومعكما مذكرتكما إلى البيت الأبيض فى غضون دقائق قليلة . "

وبينما غادر هوتشنيز وشتراوس والآخرون ظل بروس تالبوت فى لقاء منفرد مع القاضى بيكر .

فى المكتب الخارجى تنفس هوتشينز الصعداء ، ذكرته بريندا بأنهما نجيا من الجولة الاولى ، ولكنها أدركت انه الآن تحت ضغط أكبر مما قبل . سيسمعان عما قليل لما يجب على الرئيس قوله عن معلوماته عن صلة سورينسون بالليبيين . من المهم إيضاح ذلك مع الرئيس ، على الرغم من حساسية الامر بالنسبة له .

وفى اللحظة التى كان الجميع فيها يغادرون مكتب المدير ، دخلت سيدة شابة إلى قاعة الاستقبال وقد أمسكت بعصبية بورقة فاكس . بادرتها السيدة سومنر " حسنا ، جينيفر ، لا تقفى هكذا ، ما هذا ؟ "

"رسالة مؤمنة من وكالة الأمن القومى لبريندا شتراوس ، أعتقد أنها عاجلة ، وإلا ما كنت أزعجتكم . "

"حسنا ، بما أنك تعتقدين أنها مهمة ، لماذا تقفين هكذا والرسالة تكاد تتمزق بين يديك ، لماذا لا تسلمينها لها . " وأخذت الرسالة منها وسلمتها لبريندا التى كانت تراقب المشهد بدهشة .

قرأت بريندا الجزء السرى للغاية من الرسالة وناولتها وهى صامتة إلى بوب . همست له قائلة له وهما يخرجان من الحجرة " تطور مثير للاهتمام . "

"السفير الليبى فى بروكسل أبلغ طرابلس بوفاة سورينسون ، بواسطة الخط المشفر - وكان عصبيا للغاية - قائلا إنه يتعين عليهم معرفة من فعل ذلك وإلا سيلقى عليهم باللوم نظرا لاجتماعاتهم معه فى بروكسل . هذه مسألة معقدة . "

"بريندا الإجابة فى بروكسل ، ضيوف جاى على العشاء سيصلون من أجل الافطار ."

الفصل الخامس

واشنطن العاصمة
التاسع والعشرون
من مايو

حيا الحراس سيارة مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي الليموزين وهي تعبر البوابة الخلفية الغربية للبيت الابيض . وعند مدخل البيت الأبيض كان فى الانتظار شخص بدين قصير القامة يرتدى بدله نظيفة بدون أزرار ويحمل حقيبية يد جلدية . أشرأب الرجل ليرى السيارات التى تمر من البوابة .

غمغم القاضى بيكر " أيكون هذا المتعجرف هو روسيل ابن العاهرة ".

تبادل بوب وبريندا نظرات التعجب . وعلى الرغم من أنهما يتفقان مع تقويم القاضى لساعد الرئيس لشئون الأمن القومي ، فإنهما لم يعلقا ، وغادرا السيارة، انضما إلى رئيسهما الذي يسير بالفعل بهمة ناحية باب الجناح الغربى .

غير أن روسيل تحدث أولا مادا يده " صباح الخير القاضى بيكر "وأومأ فى اتجاه بوب وبريندا وهما يتبعان القاضى إلى داخل البيت الابيض .

كان روسيل وهو رجل بدين أصلع فى أوائل الستينيات يحمل شبها ملحوظا بالممثل تيلى سافالاس ، وخلفيته أكاديمية صرفة : فهو يحمل درجة الدكتوراه فى شئون الشرق الأوسط من جامعة جورج واشنطن وقبل تعيينه فى هيئة العاملين فى البيت الأبيض كان أستاذا للعلوم السياسية ورئيس دراسات الشرق الأوسط فى جامعة ميتشجان .كانت بريندا تعلم انه بطبيعته غير عملي بالمرة يميل للنظريات ، ولذا يجد أوقاتا صعبة فى البيت الأبيض فى التعامل مع أحداث دولية سريعة الحركة .

"لقد أرسلنى الرئيس قبل لقائه بكم لأخطركم بأنه طلب من السيناتور جورج جونسون رئيس لجنة القوات المسلحة فى مجلس الشيوخ وعضو الكونجرس بول اوينز رئيس العلاقات الخارجية فى مجلس النواب حضور اجتماعنا . " واصل روسيل الذى كان يتحدث كما لو كان يلقى بيانا صحفيا " وبالطبع سيكون معنا وزيرنا الجديد للخارجية . "

علق بيكر " هذا السناتور من نيوهامبشاير دائما هنا ، أليس كذلك ؟، أعتقد أنه يشعر بأن الرئيس سيؤيده فى مؤتمر الحزب الجمهورى . ستكون صلته بالرئيس أوثق الآن بعد وفاة سورينسون ".

التفت القاضى مدير مكتب التحقيقات إلى بوب وبريندا عندما دخلا البيت الابيض اتجها إلى القاعة الرئيسية " منذ أن فاز جونسون بأول انتخابات أولية فى يناير ، بات الرجل يستحق المتابعة ."

تجاهل روسيل هذه المقاطعة وتنحنح قائلا " طاردت جموع الصحفيين فى واشنطن عضوى الكونجرس فى وقت سابق من هذا الصباح للحصول على تعليقهما على وفاة سورينسون ولن يزداد الأمر إلا سوءا ، لقد وصلت الأخبار متأخرة عن الطبعات الصباحية «سى. إن. إن» تجرى تغطية حية على الهواء ، ووجودهما هنا سيجعل الحزبين مشتركين فى التحقيق ،جونسون جمهورى وأوينز ديمقراطى ـ وذلك دون أن يتوسع الاجتماع أكثر من اللازم ."

علق القاضى بيكر وهو يمط كلماته " هذا من حق الرئيس ، الحقائق، التى جمعها

مكتب التحقيقات الفيدرالى ، لن تتغير لتناسب من يستمع إليها بغض النظر عن عدد الأطراف المشاركة ."

قطب بيل روسيل جبينه . كان بوسع بريندا أن ترى أنه قد تضايق لأنه لم يتلق الاستحسان المناسب لأنه حاول نزع فتيل وضع حزبى قابل للتفجر . لم يقل روسيل أى شيء آخر وهو يقود المجموعة إلى الدرج الصاعد الذى سيقودهم إلى الجناح الشرقى ومنه مباشرة إلى المكتب البيضاوى .

كان الرئيس هوارد لى دوجلاس يقف خلف مكتبه وظهره للباب . كان متكئا للأمام ، إحدى يديه ممدودة لتستند على ستائر النافذة المواجهة له . ويده الأخرى أدخلها فى جيب بنطلونه البنى الداكن . كان قد تخفف من سترته كاشفا عن قميص ازرق فاتح محكم جول صدره .كان بوسع بريندا أن ترى ما عليه من حزن من وقفته ـ رأس مسدل وشعر أشهب مموج بدون نظام ومنكبان عريضان متهدلان . متوتر ربما غاضب وهو ما توحى به قبضة يده فى جيب بنطلونه التى تنقبض وتنبسط بصورة متكررة .

المرة الوحيدة التى شوهد فيها دوجلاس على هذه الحالة عندما فقد زوجته قبل سنوات قليلة . ولكن حينذاك كان سورينسون يقف إلى جواره يمنحه تعاطفه ويشد من أزره . والآن يعانى مرة أخرى من مشاعر من الصعوبة بمكان إخفاؤها تحت القناع السياسى . أدركت بريندا أنه لن يكون اجتماعا سهلا، شعرت بالقلق إزاء تلك الحقيقة وتجاهلت القوة التى تلعبها العواطف هنا .

كان وزير الخارجية الجديد جورج باتيس واقفا إلى جوار دوجلاس يتحدث معه بصوت خفيض ، وكان يبدو على الرئيس أنه فى عالم آخر ، لم ينتبه الرئيس إلا عندما فتح الباب وترامت إلى سمعه خطوات تقترب منه .

أعلن سكرتير الرئيس " القاضى بيكر ، العميلان هوتشينز وشتراوس والدكتور روسيل."

ابتعد دوجلاس عن النافذة ، أعتدل فى وقفته وشد قامته البالغة ستة أقدام والتفت ليواجه الرجال الثلاثة والمرأة الذين جاءوا ليحاولوا أن يفسروا له كيف عجزت الحكومة الأمريكية عن حماية أفضل أصدقائه .

أبدى ترحيبه الحار المعتاد لزائريه وأشار لهم ليجلسوا فى منتصف حجرة المكتب الضخمة . ثم أتجه إلى مقعده الضخم خلف مكتبه وجلس بينما أتجه الآخرون لمقاعدهم ، أحكم من رباط عنقه وجرى بيده على شعره وربت على وجهه غير الحليق .

بدأ بقوله محاولا أن تخرج كلماته بوضوح تام " القاضى بيكر ، أرجو أن يكون بيل روسيل قد أبلغكم بالفعل بأننى شعرت بأنه سيكون من الأفضل دعوة هذين الصديقين من الكونجرس لحضور هذا الاجتماع فضلا عن وزير الخارجية . وبهذه الوسيلة سيشارك الفرعان الرئيسيان للحكومة معلوماتك الأولية بخصوص ملابسات الوفاة المأساوية لصديقى ديك سورينسون . شخصيا ما زلت أجد صعوبة فى تصديق ما حدث . تفضل

أيها القاضى ."

فتح بيكر حقيبته السوداء وأخرج عددا من التقارير المطبوعة ، من بينها المذكرة الموجزة التى أعطتها له بريندا .

قال بيكر بسلاسة " سيدى الرئيس . أولا نيابة عن نفسى وعن مكتب التحقيقات الفيدرالى أقدم أصدق التعازى لفقدانك صديقك . نعلم جميعا انه كان قريبا للغاية منك . أعلم أن هذا الإيجاز سيكون صعبا . ولكن نظرا لمسئولياتنا الرسمية يجب القيام بذلك إذا ما أردنا التطرق إلى جوهر الأمر . "

أرتدى نظارته وفتح المذكرة وواصل فى نبرة قوية واضحة جازمة "لتوفير الوقت سيدى الرئيس سأتلو فقط بصوت مرتفع نقاط المذكرة الرئيسية التى سأترك نسخة منها لكم . بعد ذلك أحب أن يضيف العميلان الخاصان هوتشينز وشتراوس كلمات قليلة . بوب وبريندا هما أفضل المتخصصين لدينا فى الإرهاب . "

قاطعه الرئيس بحدة " الإرهاب ؟ "

أومأ القاضى موافقا وهو يعدل من وضع نظارته ويبدأ يقرأ من المذكرة ، يتوقف فقط من حين لآخر ليلقى نظرة عجلى على الرئيس . كانت بريندا معجبة دائما بهدوئه وأسلوبه المدروس فى السيطرة على الاجتماعات وخاصة مثل تلك الاجتماعات التى تحمل فى طياتها إمكان التفجر .

«فى نحو الساعة العاشرة صباحا بتوقيت بروكسل فى التاسع والعشرين من مايو عثر على ريتشارد سورينسون السفير الامريكى لدى الاتحاد الأوربى ميتا فى فراشه فى مقر إقامته الرسمى . ويعتقد انه مات قبل ذلك بحوالى اثنتى عشرة ساعة . وحتى وقتنا هذا ليس لدى مكتب التحقيقات معلومات مؤكدة تتعلق بالسبب الحقيقى للوفاة . ومع ذلك لدينا معلومات غير مؤكدة من الشرطة البلجيكية بأن سورينسون مات بسبب جرعة كبيرة غير عادية من الهيروين ...

بدا الذهول على عدد من الحاضرين.

"الاحتمال الأرجح انه تم حقنه بواسطة جانى مجهول الهوية حتى الآن ، فلا يوجد أى دليل على أن سورينسون كان مدمنا ، الدليل القوى الذى تؤيده الأحداث يشير إلى انه قتل.

"إننا نعمل مع وزارة الخارجية والشرطة البلجيكية لتقرير ما إذا كان قتله مسألة شخصية أم سياسية ، وفى حالة ما إذا كانت مسألة سياسية فإننا سنحاول معرفة ما إذا كان إرهاب دولة أم إرهاب منظمة . سنرجىء الحكم فى هاتين المسألتين لحين وقوعنا على حقائق كافية لترجيح كفة إحداهما . "

وتطلع من وراء أوراق المذكرة ليبدى هذه الملاحظة " العميل الخاص هوتشينز سيعقب على كلمتى ببعض الملاحظات غير الرسمية التى ليس بوسعنا حتى الآن إدراجها فى شكل تقرير رسمى ."

واصل بيكر الذى كانت أهمية بيانه واضحة على وجهه فهو يعرف أن الرئيس يتابع كل كلمة من كلماته " يمكننا مع ذلك أن نؤكد دون لبس أن السفير ريتشارد سورينسون كان خاضعا لمراقبة بغرض الحماية من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالى خلال الأسابيع الثلاثة الماضية . وتم إبلاغه فى الأسبوع الماضى فى بروكسل بهذه المراقبة من جانب العميل الخاص هوتشينز ."

وفى توقيتاته التى يختارها فى العادة بعناية توقف بيكر ليسمح باستيعاب تأثير كلماته.

"لقد أصبحت المراقبة من أجل الحماية للسفير سورينسون ضرورية نظرا لاتصاله بأحد الدبلوماسيين الليبيين فى بروكسل الذى نشتبه فى انه كان يستهدفه .وفى جوهر الأمر كان هذا الاتصال الليبى يحمل فى طياته إمكان استفادة الولايات المتحدة منه بينما فى الوقت ذاته يمثل تهديدا محتملا لمسئول أمريكى بارز .

"مازال من المتعين معرفة الغرض الأساسي من اهتمام المسئول الليبى بريتشارد سورينسون ، ولكن نظرا لأنه كانت هناك شكوك من أن هذا المسئول العربى يلعب دورا فى عمليات الإرهاب الدولية الليبية ، لم يكن لدينا بد من أن نظل على اتصال وثيق مع سورينسون ـ على الأقل لحين نقرر طبيعة التهديد الذى قد يتعرض له " .

أنزل القاضى أوراق التقرير فى إشارة إلى انتهاء النص الرسمى ونزع نظارته " يسرنى الآن أن اقدم العميل الخاص روبرت هوتشينز ، المسئول عن تغطيتنا للإرهاب الدولى وبهذه الصفة اختير لإجراء مقابلة مع السفير سورينسون .

تحدث بوب " أشكرك سيدى . "وتقدم إلى حافة الأريكة " أولا، بعض المعلومات الجديدة . قبل أن نغادر مكتب التحقيقات قبل قليل تلقت زميلتى العميلة الخاصة شتراوس مذكرة من وكالة الأمن القومى .ووفقا للمعلومات التى كتبت بالشفرة فى الرسالة ـ التى لم أتمكن من إبلاغها للقاضى بيكر ." وأومأ معتذرا للقاضى " يبدو أن السفير الليبى فى بروكسل لا يعلم مطلقا أى شىء عن وفاة سورينسون . فقد بعث برسالة غاضبة هذا الصباح لنقل هذه الأخبار وإبلاغ العقيد بأنه يجب على الليبيين أن يعرفوا من فعل ذلك أو سيلقى عليهم مسئولية هذا العمل نظرا لاتصالاته مع سورينسون .ولذا فإننا قد لا نملك أساسا صلبا للاشتباه فى تورط ليبى فى هذا الحادث . بالطبع سنعمل من أجل تأكيد هذه المعلومات الحساسة .

"فى الوقت نفسه ، وأنا واثق من موافقة القاضى بيكر .يجب علينا ان نلتزم جانب الحذر البالغ فى التعليق علنا على وفاة السفير . مازالت هناك فرصة ضئيلة من أن وفاته ربما كانت نتيجة لأسلوب حياته الشخصى . ولذا يجب علينا أن تظل المسألة بمثابة " وضع غير قابل للتعليق عليها " إلى أن نتأكد من الحقائق " .

علق القاضى " اتفق بكل قوة مع العميل هوتشينز ومع أن توصى ، سيدى الرئيس ، بأن تصدر كل البيانات من وزارة الخارجية لإبقاء الإعلام بعيدا عن البيت الأبيض . كما أوصى بأن يجرى تنسيق هذه البيانات مع مستشار الأمن القومى ومعى .

"خلاصة الأمر يجب أن يكون نص البيان العام الأول لوزارة الخارجية كالتالى تقريبا ، انطلاقا من حرصنا على التحقيقات ولاحترام خصوصية أسرة السفير الراحل فإنه لن تصدر بيانات لحين ورود تقارير الشرطة والمحققين لوزارة الخارجية . كما اقترح بأن يتعامل المتحدث باسم وزارة الخارجية وحده مع وسائل الإعلام .سيجد رجال الإعلام الكواسر متعة فى إثارتك فى هذه المسألة سيدى الرئيس .وهذا الإجراء يحول دون ذلك . "

وساد صمت طويل .

قال الرئيس " دعونى أتطرق للمسألة مباشرة . " وواصل مستخدما أصبح السبابة الأيسر فى العد على أصابع يده اليمنى . " علم مكتب التحقيقات أن ريتشارد فى خطر ." ضغط السبابة الأيسر على أحد أصابع يده اليمنى . " وضع مكتب التحقيقات ريتشارد تحت المراقبة بغرض الحماية . " ضغط على إصبع آخر " طار السيد هوتشينز حينذاك إلى بروكسل لإجراء مقابلة مع السفير لتحذيره من الخطر المزعوم ." ضغط على الإصبع الثالث " هل نسيت شيئا حتى الآن ؟ " توجه بالسؤال ووجهه يزداد احمرارا .

لم يكن هناك غير الصمت ، حيث أدرك الجميع أنه ليس هناك أفضل من عدم مقاطعة الرئيس عندما يكون فى مثل هذه الحالة .

"حسنا، حينئذ ، كان سفير الولايات المتحدة تحت حماية مكتب التحقيقات الفيدرالى . كما كان على وعى تام بأنه قد يتعرض لمحاولة اغتيال .وحارسه الشخصى البلجيكى تم تحذيره أيضا وكذلك جميع أفراد أمنه . وريتشارد لم يكن بالسياسى الطائش . فقد كان واحدا من أفضل الساسة .هذه الحقائق لا نزاع عليها ! " وواصل وقد ارتفعت نبرة صوته " أعرف الرجل لعمر من الزمن باعتبارنا أصدقاء وزملاء ." والتفت إلى بوب " الآن ، مستر هوتشينز .فسر لى كيف يمكن للقتلة أن ينسلوا إلى السفارة فى ظل الإجراءات الامنية لمكتب التحقيقات .من المسئول ؟ أريد إجابات وليس نظريات ! "

وعلى الرغم من انه يبدو أن الحجرة كانت تهتز من حدة غضب كلمات الرئيس ، إلا أن بريندا شعرت بأنه من الواضح للجميع أنه يحاول منع البركان فى داخله من الثوران .

وفى الصمت الذى أعقب ذلك ، جالت العينان المتوثبتان فى وجه الرئيس المحتقن احمرارا فى كل الجالسين واحدا وراء الآخر منتظرا الإجابة .

زحفت بريندا إلى مقدمة مقعدها الجلدى ورفعت يدها " أود الإجابة عن تلك المخاوف ، سيدى الرئيس ، إذا سمحت لى فأنا التى قامت بتحليل كل شئ يملكه مكتب التحقيقات عن السفير سورينسون . "

ما كانت على وشك قوله يتطلب الشجاعة . يجب عليها أن تختار كلماتها بعناية .فهذا الرئيس غير مستعد لسماع عبارات روتينية . ومن ثم مدت يدها إلى كأس المياه الذى ترك على المنضدة الصغيرة المجاورة . شربت ببطيء ، محاكية لمديرها ولتمنح لنفسها ثوانى قليلة قيمة تحتاجها لتهدئة أعصابها .

وبدأت " فى الحقيقة وضع مكتب التحقيقات السفير سورينسون تحت المراقبة . كنا نراقبه عن كثب ولكنه لم يكن تحت الحماية الكاملة . فلم يكن تقديرنا بأن الليبيين قد

رصدوه لاغتياله لم يكن حاسما . كان مجرد استنتاج . وهو ما يفسر اعتقاد العميل هوتشينز بأنه يجب علينا تحذير السفير من اتصالاته . وكان يمكن الاعتماد على جيرارد حارس السفير الشخصى . ومع ذلك وكأحد العاملين فى بعثة الولايات المتحدة لم يكن بوسعه قط تحدى أمرا مباشرا من سورينسون . كان بوسعه فحسب أن يشرح له الخطر المحتمل . ويقترح بدائل ."

أخذت بريندا نفسا عميقا قبل أن تتطرق إلى المسألة الحساسة التى توقع الجميع أنها قد تثار . تطلعت مباشرة إلى الرئيس وقالت "كان السفير سورينسون معروفا بولعه المفرط بالنساء ، إنني على يقين سيدى الرئيس ، من انك على علم بذلك . فقد كان هذا الأمر معروفا لسنوات طويلة قبل ذهابه إلى بروكسل ."

اكتفى الرئيس بالتحليق فى بريندا وقد بدت عليه علامات الغضب . غير أنه لم يدل بأى تعليق .

واصلت بريندا " عندما علم مكتب التحقيقات بعملية القتل قبل ساعات قليلة . قلصنا نظرياتنا حول أولئك الذين بوسعهم فعل مثل هذا الأمر . إنها مجرد نظريات ، بالطبع ، فى هذه المرحلة المبكرة . ومع ذلك فكلما كانت المعلومات التى نتلقاها أكثر اقتربنا من الإجابة التى نبحث عنها ... "

انخفض صوت بريندا وتوقفت عن الكلام تماما وهى ترى وجه الرئيس وقد أحتقن غضبا . فلم يكن بوسع العملاء الأكثر خبرة تحمل مثل هذا المزاج لدوجلاس .

علق مدير مكتب التحقيقات قائلا " سيدى الرئيس إنها بالطبع لخسارة عظيمة ... "

ثار الرئيس قائلا " إنها أكثر من ذلك ، سيدى القاضى ! أولئك القتلة قصدوا الاستهزاء والسخرية من القوة الأمريكية . مسئولو سفاراتنا فى كل بلد ملعون أصيبوا بالسعار - ضاعفوا إجراءاتهم الامنية، أعادوا تقويم العاملين فيها وطبقوا إجراءات جديدة لضمان سلامة مكاتب ومنازل العاملين وسياراتهم ، أسأل وزير خارجيتنا الجديد هنا الذى يتعامل الآن مع هذه الفوضى .العالم يسخر منا ، انهم يعتقدون - بل يرون - انه ليس بمقدرتنا حماية رعايانا ! "

رد القاضى سريعا " سنفعل كل ما فى وسعنا لمواجهة هذا الوضع بأسرع ما يمكن ، أؤكد لك سيدى الرئيس ، ولكن لا تنس انه على الرغم من أن الليبيين يزعمون انهم أبرياء فإننا لن نسقطهم من قائمتنا ويجب علينا أن نضع فى الاعتبار أن الإعلام فى يثير مسألة اجتماعات السفير مع الليبيين . من فضلك تذكر أن العديد من الاشخاص فى سفاراتنا وفى وزارة الخارجية يعلمون بهذه الاجتماعات مثل البلجيك والإسرائيليين . هذه المسألة قد لا يكون لها تأثير إيجابى على البيت الأبيض .... "

وفقد بيكر أيضا أعصابه عندما انتفض الرئيس على قدميه وبدأ فى السير أمام الحاضرين .

وبدأ الرئيس يقول فى صوت خافت متأثر يخشاه كل من فى البيت الأبيض " أنا لم ابن

حياتى السياسية من خلال تملك هؤلاء الأوغاد فى الإعلام الذين يعتقدون بأنهم يحكمون البلد . لقد وصلت بهم الغطرسة إلى أنهم يجرون أحاديث مع بعضهم البعض كما لو كانوا من النجوم . لا ، رئاستى بنيت على العرق والعمل الشاق وخدمة مواطنى هذا البلد ، إننى لم اعمل من أجل ترك انطباع لدى من يعتقدون بأن بوسعهم تحطيم الساسة . لقد تركت هذا لأقطاب التليفزيون . لقد كنت صادقا دائما مع الشعب . وما وعدت به هو ما أحاول إنجازه . وإذا فشلت سأصارحهم بذلك ، أنكم لا تقدرون الشعب الأمريكي ، ليسوا أغبياء. انهم يفهمون أية قضية إذا ما اهتممت بشكل كاف بشرحها لهم ".وسار الرئيس فى اتجاه القاضى ووقف أمامه " إذا كان لديك سؤال حول تعامل ريتشارد مع الليبيين ، ولماذا سمحت بهذا ، فلا تتردد فى طرحه ! "

رفع بيكر وجهه ليواجه رئيسه الغاضب . ورأت بريندا أن وقفة الرئيس هذه تضعه فى وضع افضل للدفاع عن نفسه . وبدا بيكر مثل طائر الكنارى الذى على وشك أن يفترسه قط . كانت بريندا معجبة بقدرته على التعامل مع هذه المواجهة العاطفية .

والآن وعيناه فى عينى الرئيس قال مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى " إننى لم أقصد آية إهانة سيدى الرئيس. إن ما أقصده هو لفت الانتباه إلى مسألة حساسة قد تضر بتحقيقاتنا ." وأنتظر حتى تهدأ حدة تعبيرات دوجلاس . ولكن السؤال الذى كان يود طرحه قد طرح بالفعل ، ومنحه الرئيس الفرصة " ومع ذلك ، وكما اقترحتم ، سيدى الرئيس ، إن واجبى بكل دقة ، بغض النظر عما يمكن أن يتجه هذا البحث لحل لغز الحادث .وخاصة لمعرفة ما إذا كان هناك تهديد أكبر لأمتنا . وبالتأكيد ، سيدى ، أود معرفة تفسير البيت الأبيض لتعاملات سورينسون مع الليبيين . "

رد دوجلاس " بالتأكيد سأكلف سكرتيرى بالاتصال بك لتحديد جلسة بشأن هذه النقطة . ولكن ليس الآن ." ودار دوجلاس بعقبيه عائدا إلى مكتبه وألقى بثقله على مقعده وجال بنظره فى الحاضرين .ثم واصل حديثه " أننى أتتوقع تقريرا يوميا عما تحرزه من تقدم ، أيها القاضى بيكر ، إننى أرغب فى أن يجند المكتب كل العملاء المتاحين من أجل هذا التحقيق ـ العميلان هنا وفى الخارج . لا أعذار واهية . إنها مسئوليتنا أن يستريح جميع الأمريكيين فى نهاية كل يوم وهم يشعرون بالأمان لأن هناك من يوفر الحماية لهم . ليس بوسعى أن أؤكد على هذا أكثر من ذلك ، هل كنت واضحا ؟"

"نعم سيدى الرئيس ! فى الحقيقة أن العميلين هوتشينز وشتراوس سيتوجهان إلى بروكسل الليلة لفك طلاسم هذا العمل الوحشى .ورجالنا فى بروكسل يعملون بصورة وثيقة بالفعل مع السلطات المحلية بشأن هذا الأمر ."

"حسنا ، وكما أقترح القاضى بيكر من قبل ، فإن جميع البيانات الصحفية ستكون مسئولية مشتركة لوزير الخارجية بالتنسيق مع القاضى بيكر وبيل روسيل . والآن إذا لم يكن هناك أى شىء آخر ، أتمنى لكم يوما طيبا ."

والتفت دوجلاس إلى السناتور جونسون قائلا " جورج من فضلك ، أنتظر أريد التحدث إليك فى بعض الأمور . "

وبعد أن غادر المسئولون المكتب وأغلقوا الباب خلفهم ، تقدم جونسون إلى مكتب الرئيس وجلس على الفور على أحد المقاعد المواجهة له " سيدى الرئيس إننى أشعر حقيقة بالأسف إزاء ديك . لقد كان صديقا لكلينا ، إننى سأفتقده . "

"شكرا ، إننى سأشعر بخسارتى له أكثر مع الانتخابات القادمة .وهذا ما أريد بحثه معك . فكما تعلم فإن ديك هو الذى أدار لى حملتى الانتخابية ، وكان سيقدم يد المساعدة لحملتك هذا العام , وكان سيكون مفيدا للغاية . "

"أننى آسف حقيقة "

"شكرا ، جورج ." وهز رأسه وتنهد قبل ان يمضى قائلا " إننا بحاجة الآن إلى التركيز على الانتخابات ، إننى سعيد للغاية من إثبات نفسك فى انتخابات نيوهامبشاير الأولية . إننى الآن على استعداد لمساندتك طيلة الطريق إلى الرئاسة ، يوم الجمعة القادم سأعلن أنه نظرا لظروفى الصحية لن أسعى لانتخابى فترة ثانية . ليس بوسعى الانتظار أكثر من ذلك لإصدار هذا الإعلان ، فالشائعات انتشرت منذ إحجامي عن خوض الانتخابات الأولية . إن قلقى الرئيسى ينصب على هيز . لا أريده أن يعلن ترشيح نفسه لهذه الانتخابات سواء أكان نائبا للرئيس أم لا . وهو يستعد بالفعل لذلك . لا ، أريده بدلا من ذلك أن يكون مرشحا لنائب الرئيس معك ." وتوقف دوجلاس، أمال رأسه للخلف وأغلق عينيه للحظة . فقد أرهقه توتر الساعات الاولى من الصباح ، وأخذ نفسا عميقا قبل أن يفتح عينيه ليتطلع إلى جونسون " هيز شخصية صلبة ولكنه يفتقد إلى المؤهلات التى تمكنه من أن يصبح رئيسا منتخبا . وأعتقد انه فى سريرة نفسه يعلم ذلك . وعلى الجانب الآخر فإنه نائب رئيس مخلص وكفء وأننى على ثقة من أننى بوسعى إقناعه بأن يقف إلى جانبك كنائب للرئيس على الأقل ، لن يخوض الانتخابات كمرشح مستقل ، مما يهدد قاعدة مؤيديك . وهو نائب محنك للرئيس ، وهو أمر له قيمته ." وسار جونسون إلى النافذة الواقعة خلف مكتبه ووقف يحدق فى الحديقة الخضراء الممتدة أمامه وظهره إلى جونسون ويده فى جيب بنطلونه .

وقال قبل أن يعود لينظر إلى جونسون " على الرغم من أن الآلة الحزبية قد تؤيد هيز ، على افتراض أننى سأساند ترشيحه ، فإننى أريدك أن تصبح المرشح الجمهورى ، سأساند هيز إذا ما كان ذلك ضروريا فقط . وهذا إذا ما قررت أنت فى مرحلة ما قبل انعقاد مؤتمر الحزب ألا تخوض الانتخابات ، ومن ثم فإننى أعتمد عليك ، جورج لتكن زعيمنا الجمهورى الجديد فى المعركة القادمة . "

«سأبذل كل ما فى وسعى سيدى الرئيس ، فالديمقراطيون معنوياتهم منهارة ويفتقدون للتنظيم ولديهم العديد من الشخصيات المهتزة التى تحوم حول قاعاتهم مثل السيناتور الأضحوكة ويستليك».

ولدى سماعه هذا الاسم لوح دوجلاس بقبضته غاضبا " بيه .. ابن الزانية هذا الإسرائيلي أكثر من الإسرائيليين . إنه نظرا لانتهاك الإسرائيليين الفاضح لاتفاقياتنا الأخيرة التى تحظر مبيعات صواريخ باترويت لدولة ثالثة ، ووقاحتهم فى مواجهتى مباشرة

فى مسألة تمويل بناء المساكن فى الضفة الغربية فإنهم لن يقفوا إلى جانبنا فى الانتخابات ! والله وحده يعلم أى تكنولوجيا يبيعونها للصين . على الأقل الشرق الأوسط إحدى المسائل التي يتفق فيها هيز معنا يا جورج ."

"حسنا ، ولكنك محق فى أن ويستليك سيحصل بالتأكيد على تأييد اللوبى الاسرائيلى، سيتعين علينا أن نأخذ ذلك فى الحسبان .ومازلت أعتقد بأن الاقتصاد سوف يكون مسألة رئيسية، وما دمنا نتحدث عن الإسرائيليين ، فإن عضو مجلس شيوخنا الجمهورى المرتد دان كرامر من ولاية نيويورك وحزبه الاصلاحى الجديد يملكان الكثير من المال اليهودى ورائهما ، ولا تنس أن زوجة كرامر يهودية ووالدها واحد من أكبر جامعى الأموال فى الجالية اليهودية فى هذه البلاد . وبقدرة حماه على جمع الأموال فإن كرامر يملك فرصة لأن يبلى بلاء حسنا نسبيا لمرشح حزب ثالث . وحسبما أرى فإن مشكلته الأساسية تكمن فى انه سوف يكون متقهقرا فى البداية نظرا لانه لن يحصل على أموال فيدرالية مثلما سأحصل أنا وويستليك .وهو ما سوف يزيد على عشرين مليون دولار لكل منا . وعلى آية حال فإن كرامر سيكون أصعب مراسا مما هو معتاد لمرشح حزب ثالث . أنصارى قالوا لى إنه يمكن ان يقترب من نسبة العشرين فى المائة حتى على الرغم من أن استطلاعات الرأى تتنبأ له بأقل من ذلك بكثير .الفائز سيكون رئيسا للأقلية وهو الأمر شبه المؤكد . لقد كان ديك محقا فى اعتقاده بأن الإسرائيليين هم أولئك الذين يتعين علينا أن نشعر بالقلق منهم ."

رد الرئيس " نعم ، سنراقب عن كثب كرامر ، ليس بوسعنا تحمل أية مفاجآت ، لا أريد لكل ما أنجزناه فى فترة ولايتى هذه يذهب سدى بواسطة الديمقراطيين أو أى شخص آخر . وهذا ما يفسر لماذا يجب عليك أن تخوض الانتخابات وان تفوز بها يا جورج . إننى لا أريد مجرد أن يخلفنى جمهورى ، ولكن جمهورياً اخترته أنا . يتعين علينا أن نواصل لثمانى سنوات أخرى . وحينذاك سوف يترسخ نهجى فى الروح القومية لعقدين من الزمان. وسينتهى بنا الأمر، والديمقراطيون يتحدثون مثل الجمهوريين .سيواصلون مساعدتنا فى موازنة الميزانية ويعيدون مسألة الرعاية الاجتماعية للولايات . لقد نقلنا البلاد إلى يمين الوسط ، ويتعين علينا أن نبقيها هناك ، نعم لقد تحرك الوسط إلى يمين الوسط، لا تنس ذلك لحظة . "

"لا يبرح هذا الأمر ذهنى أبدا ، سيدى الرئيس ، إننى أدين لك بالكثير لكل ما كنت عليه طيلة العشرين عاما الأخيرة . ولكن لا تدعنا نقلق حيال الانتخابات اكثر من ذلك اليوم . بوسعى أن أرى تأثير مقتل ديك عليك . من فضلك هون عليك الأمر . ولحين ورود أخبار من القاضى ، ليس بوسعنا أن نفعل الكثير ."

"على أية حال يا جورج ، اجعلنى على علم بما يجرى فى سباق الانتخابات . ولكنى لن أخلد للراحة قبل أن نعثر على قاتل سورينسون . أبق على اتصال بمكتب التحقيقات بهذا الخصوص من فضلك ." ولوح الرئيس للسناتور وهو يخرج من مكتبه ثم وضع رأسه بين يديه المضمومتين .

الفصل السادس

على مشارف موسكو

الثانى من يونيو

صفوف رائعة من أشجار الصنوبر التى تكسوها عناقيد كثيفة من الأشواك الخضراء تحيط بالداتشا " المقر الريفى " للرئيس الروسى فلاديمير ستيبانوفيتش بوبوف . كانت أضواء الداتشا التى تضم ٢٤ حجرة والمطلة على نهر موسكو تلمع فى هذه الليلة مثل عقد اللؤلؤ تحت الضوء الساطع .

بين الأشجار كانت هناك دون أن يلحظ أحد، البنادق الآلية ومعدات الرؤية تحت الحمراء الليلية للمدفعية ١٢٢ ملم فى الدبابات تى - ٧٢ لحرس الرئاسة الذى يراقب جميع مداخل السيارات .

داخل غرفة المعيشة التى تم تجليد جدرانها بالخشب فى الداتشا الفاخرة ، انضم رجلان إلى الرئيس ، وزير خارجيته اندريه جريجوريفيتش سترافينسكى وبوريس الكسندروفيتش روستوف رئيس " سى .فى . آر " جهاز الاستخبارات الخارجية الجديد أو المعروف بالأحرف الثلاث الاولى من اسمه باللغة الإنجليزية " أف . آى . أس "، تناول الثلاثة بعض الفودكا انتظارا لوصول الشخصية الرئيسية فى جلستهم المغلقة الجنرال يورى ايفانوفيتش بوروزوف كبير العملاء الروس ورئيس العمليات الأمريكية فى " أف . آى . أس . "

أستمع الرئيس بوبوف باهتمام للمعلومات التى قدمها روستوف عن يورى وإنجازاته وتناول كأسا آخر كاملا من الفودكا . وعلى المائدة بجواره كان هناك ملف متضخم بإنجازات بوروزوف خلال عمله الرائع ككبير لعملاء الكى جى بى الذى أصبح الآن " أف . أى . أس " .

كان هذا بمثابة الأمر الدائم للرئيس الروسى أن يعد له معاونوه قبل أن يلتقى بوجه جديد تقريرا مفصلا عن خلفيات هذه الشخصية . وكان بوبوف يعتبر التقرير الخطى بمثابة خلفية - تؤكد المعلومات التى سوف يستمع إليها . وكان معاونوه يعلمون أن رئيسهم هو فى واقع الأمر أكثر ميلا للمعلومات الشفهية من تلك الخطية وانه يقوم فقط بإلقاء نظرة عجلى على التقارير الخطية التى يطلبها . ومع ذلك كانوا يدققون فى بحثهم وفى التفاصيل التى يزودونه بها .وكان أحيانا يقرأ تلك التقارير . وهو فى حالتنا هذه كان قد قرأ التقرير بالفعل .

قال روستوف وهو يشير إلى الملف " ما لن تجده فى هذا الملف ، فلاديمير ستيبانوفيتش ، هو تفاصيل عن سنوات شباب يورى ايفانوفيتش ."

رد الرئيس وهو يحدق أمامه وقد بدا عليه التركيز كما لو كان قد قرأ توا صفحة غير مكتوبة فى ذاكرته " لقد لاحظت ذلك ، ولكنى أعتقد أننى أعرف جيدا بطلنا ، ألم يكن نجما اوليمبيا فى سباق المائة متر , وهو أمر مهم بالنسبة لجاسوس عظيم ،أليس كذلك ؟ أن يعدو بسرعة ؟ "

صب الرئيس لنفسه كأسا آخر من الفودكا .

"صحيح يا سيدى ، لقد كان يورى ايفانوفيتش رياضيا عظيما . إن المؤهلات التى تجعل من الرياضى بطلا هى نفسها الضرورية لأى شخص يختار التجسس مهنة له . لابد أن يتمتع بمؤهلات مثل التصميم والاحتراف والجسارة والطموح . "

قاطعه سترافينسكى قائلا " مواصفات ، مثل تلك التى تنص عليها كراسة الشروط عند الالتحاق بالكليات العسكرية . "

رفع الرئيس حاجبيه الكثيفين قائلا " إننى على ثقة من أن هذا الرجل يتمتع بذكاء كبير فضلا عن السرعة وحس المغامرة ؟ "

رد روستوف " سوف ترى على الطبيعة ، سيدى الرئيس ، أن يورى ايفانوفيتش يتمتع بذكاء عالٍ وقدرة مدهشة على التجسس . وخلال مهامه شحذ مواهبه الطبيعية لتجنيد عملاء بارزين إلى جانب مواهبه فى التأقلم مع كل وضع دولى . وفضلا عن ذلك فإن لديه قدرة على التفكير الاستراتيجى ."

"ماذا عن أسرته ؟ "

"والده هو ايفان فيدروفيتش بوروزوف أحد الأعضاء البارزين فى اللجنة الدولية للجنة المركزية . إن النشأة فى مثل هذا المناخ ، يورى ايفانوفتيش ، تؤدى إلى الصعود سريعا فى جهاز استخباراتنا . إذ كون ايفان فيدروفيتش والده كان أمرا كافيا ليضمن له وظيفة طيبة فى الجهاز ."

قاطعه الرئيس وقد علت نبرة صوته " مثل هذا التعليق أثار قلقى الآن ، كنت أريد أن أسمع أن رجلنا وصل إلى ما وصل إليه من خلال جهده وموهبته ليس لأنه شاب مدلل من حقبتنا الشيوعية . لا تنس أن لدى فكرة طيبة عن حجم المبالغ التى يكلفنا إياها . " وضرب الملف بيده السمينة " كل ذلك مسجل هنا ، أنه يحب العيش على النمط الغربى خاصة الفتيات الجميلات ، ودائما ما تطلب منا ، بوريس الكسندروفيتش ، تخصيص المزيد من الاموال . "

رد روستوف فى الوقت الذى اتجه فيه إلى المائدة ليصب لنفسه مزيدا من الفودكا " ليس بمقدورى إنكار أنه جاسوس مكلف ، ولكن هذا يساهم فى نجاحه , أؤكد لك .كما ليس بوسعى أن أنكر أن هذه الظروف الشخصية تعطى لمهنته دفعة . ولكنى أؤكد لك أن يورى ايفانوفيتش قد وصل إلى ما وصل إليه الآن من خلال مواهبه وبراعته وتفوقه فى عمله . وهناك عامل آخر فى مصلحته فهو متزوج من جالينا ديميتريفا زوكينسكايا الباليرينا السابقة فى البولشوى أبنه ديميترى فيدروفيتش الوزير السابق للتخطيط الاقتصادى وعضو اللجنة المركزية السابق . وهى ليست جذابة ومثقفة فحسب وإنما هى أيضا مضيفة رائعة . وقد أصبح هذا الاتجاه مهما على نحو متزايد منذ السبعينيات فى

المجتمع السوفييتى ـ أعذرنى الروسى وفى الخارج ".

وهز روستوف وهو رجل نحيف يعانى من انحناءة طفيفة كتفيه وهو يكشف عن هذه المعلومة الأخيرة .

"ومع ذلك فإنه على الجانب السلبى ، عندما كانت شابة كانت مغرمة بالثرثرة مع ميل للمبالغة .ولكن فى هذه الأيام تمضى وقتا أقل فى الرقص ووقتا أطول فى تعليم الباليه . وأصبح لديها الوقت لمساعدة زوجها فى متطلبات وظيفته . وهذه الزيجة هى شراكة تستند على المصالح أكثر من كونها أى شىء آخر على الرغم من أنه وفقا لمصادرنا يبدى الجنرال بوروزوف حرصا شديدا على تغطية مغامراته مع النساء الأخريات ."

أطلق بوبوف صيحة تدل على استهجانه .

ابتسم روستوف ابتسامة خفيفة قبل أن يواصل " كما أكدت ، حتى زملاء يورى ايفانوفيتش فى " أف . آى . أس " يعتبرونه أستاذا فى فن التجسس . فنظراؤه يخشون جانبه وخاصة أعداءه ."

تدخل بوبوف " هذا ما كنت أود سماعه ، ولكن ماذا عن سجله ؟ أعلم أنه هنا ." دق من جديد بأصابعه القصيرة الممتلئة على الوثيقة بصبر نافد " ولكن دعنا نسمع منك بوريس الكسندروفيتش ." وللمرة الرابعة ملأ الرئيس كأسه من الفودكا .

"كنت على وشك الحديث عن ذلك . فقد درس يورى ايفانوفتيش بوروزوف فى معهد وزارة الخارجية باللغتين الفرنسية والإنجليزية وحصل على درجة الماجستير فى الإنجليزية فى الولايات المتحدة ، فى بالى وهى واحدة من أفضل جامعاتهم ، وهى الجامعة التى درس فيها الرئيس دوجلاس . وبعد عودته من العديد من الجولات الناجحة فى مقر الـ«كى جى بى» فى واشنطن عين رئيسا للمكتب الأمريكي فى موسكو فى أوائل عام ١٩٩٨ وهو المنصب الذى مازال يشغله فى " أف . آى . أس " .

ولكن الأكثر أهمية أنه خلال وجوده فى الولايات المتحدة نجح فى إدارة أكثر عمليتى استخبارات أهمية للكى جى بى هناك . فقد نجح فى الدخول على الشفرات العسكرية الأمريكية من خلال شبكة من المتقاعدين والعاملين الذين مازالوا فى الخدمة فى البحرية الأمريكية .وكان المسئول عن تجنيد شتاردست عميلنا الرئيسى فى وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية / السى آى أيه / وقد تم إحاطتك بصورة كاملة عن هذه العملية . وهاتان أفضل عمليتين داخل أمريكا منذ حصولنا على أسرار القنبلة النووية ."

وأخيرا تحدث سترافينسكى وصوته الحاد الرفيع لا ينم عن وجهه المستدير الضارب إلى الحمرة " ها قد علمنا الآن أن يورى ايفانوفيتش كان نجما منذ مولده ـ! بالتأكيد أنت لم تطلب هذا الاجتماع العاجل لإضاعة وقتنا فى التغنى بمحاسنه ، لماذا نحن هنا بوريس الكسندروفيتش ؟ "

"اندريه جريجورفيتش . أنت دائما ما تشكك فى رجال استخباراتنا .مع الأسف ليس لديك فى وزارتك من يضاهى يورى ايفانوفيتش ؟ "

وتطلع روستوف مرة أخرى إلى الرئيس قائلا " على أية حال خلال وجوده فى واشنطن، بعث باقتراح غير عادى لموسكو . اقتراح يستند على القوة الهائلة للوبى الإسرائيلي فى الولايات المتحدة وقدراته وجهوده غير العادية لمساندة الأهداف الإسرائيلية هناك، وأكد فى تحليله على أن هذه الشبكة تعطى لإسرائيل بصورة دائمة أفضل معلومات استخبارية يمكن لأى دولة الحصول عليها عن القرارات والخطط الأمريكية على المستوى السياسى ، كما أشار إلى أن هذا اللوبى يعطى إسرائيل أفضل مستوى من النفوذ على عملية صنع القرار فى الولايات المتحدة سواء فى السلطة التنفيذية أو الكونجرس على وجه الخصوص."

سأل بوبوف " لماذا تقول اقتراحاً غير عادى ؟ "

"فى السابق كان جهاز استخباراتنا - وفى الحقيقة زعماء حزبنا السابقون ، يعتبرون فقط النفوذ الإسرائيلي واليهودى فى الولايات المتحدة بمثابة تهديد لأهدافنا القومية هناك . ولم نفكر قط فى إمكان استغلال مثل هذا النفوذ والمعلومات الاستخبارية فى أمريكا لمصلحتنا ."

تساءل الرئيس الروسي " ماذا تقصد من وراء ذلك ؟ كيف يمكننا ذلك ؟ "

"أقترح الجنرال بوروزوف أنه بدلا من اعتبار الإسرائيليين بمثابة مشكلة استخبارات مناوئة لنا ، يجب علينا أن نعيد توجيه عملياتنا لنتسلل فى الدوائر الإسرائيلية والصهيونية فى أمريكا بهدف أساسي هو إعطاء زعمائنا المعلومات الاستخبارية نفسها عن الولايات المتحدة التي تتمتع بها إسرائيل . بعبارة أخرى يجب علينا أن نسطو على المعلومات التي تحصل عليها إسرائيل من اختراقها الفعال للنظام السياسي الأمريكي ."

زاد اهتمام بوبوف بصورة ملحوظة ووضع كأسه على المائدة وحدق بتركيز فى روستوف .

"أشار الاقتراح إلى أنه منذ إنشاء إسرائيل والأمريكيون الموالون لإسرائيل من اليهود ومن غير اليهود يتمتعون تقريبا بحصانة من أنشطة مكافحة التجسس الأمريكية التي يمكن أن تعيق وصولهم للمعلومات أو ممارستهم للنفوذ .هناك عدم رغبة أو ربما عدم قدرة داخل دوائر الأمن الأمريكي لعمل أى شئ أو حتى قول أى شىء ضد الأمريكيين الذين يعملون نيابة عن إسرائيل . حتى ولو كانت هذه الأعمال تضر بأمريكا فلا أحد يوقفها .وبولارد هو الاستثناء الوحيد الذى يثبت القاعدة . "

صاح سترافينسكى " ليس هذا باكتشاف عظيم ، فنحن جميعا نعرف ذلك ، بل والعالم كله يعرف ."

رد مدير " أف . آى . أس " بهدوء " هذا صحيح ، اندريه جريجوريفيتش ، إن كل ما فعله يورى ايفانوفيتش هو أنه حوّل هذه الحقائق المعروفة منذ سنوات إلى منجم ذهب من المعلومات الاستخبارية لنا . أننا نسطو على عملياتهم فى الولايات المتحدة من خلال اختراقنا للحكومة فى القدس .على سبيل المثال فى قضية الجاسوس بولارد ، بينما كان بولارد يعطى الإسرائيليين حمولة شاحنات من الوثائق حصلنا عليها جميعا عن طريق عميلنا فولجا فى القدس . فى الحقيقة كانت حصيلة بولارد هائلة وحساسة لدرجة أننا اضطررنا إلى إرسال رحلات طيران دبلوماسية خاصة إلى القدس لجلب الوثائق التى سرقها بولارد لحساب سادته الإسرائيليين ، وما عدا تكلفة نقل هذه الوثائق ، كانت جميعها مجانية ، وهى تكفى لملء ملعب كرة سلة من الأرضية إلى السقف .

"ومنذ إلقاء مكتب التحقيقات الفيدرالى القبض على بولارد ، فإن عمليات بوروزوف فى إسرائيل تواصلت لتغطية أكثر العمليات سرية لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل ، كما أوضحت تقاريرنا الحديثة إليك .

"إن مصادرنا غير المباشرة الجديدة فى واشنطن عن طريق الإسرائيليين يتمتعون بشبه حصانة من التحقيق والاعتقال وهو أمر لا مثيل له فى عمليات الاستخبارات العالمية ضد الأمريكيين ، وهو الأمر الذى أدى إلى وجودنا هنا الليلة . لقد اكتشفنا أكثر الأعمال جراءة التى بدأتها إسرائيل ،وصدقوا أو لا تصدقوا ، يستهدف هذا العمل الولايات المتحدة . يورى ايفانوفيتش سيطلعنا على هذا الأمر بالتفصيل ، إنه أمر غير قابل للتصديق سواء فى حجمه أو جنوحه . الإسرائيليون وحدهم والموساد وحده من يملك جسارة الإقدام عليه ."

صاح الرئيس كفى ودعنا نلتقى مع هذا البطل ! ومد يده لكأس الفودكا الذى أعيد ملؤه على المائدة بجواره .

وعندما غادر روستوف لإحضار يورى بوروزوف ، لاحظ أن وزير الخارجية قد أقترب من الرئيس ليتحدث معه دون أن يسمعهما أحد . كان سترافينسكى أقرب مستشاري بوبوف خلال العديد من زياراته إلى واشنطن ومن ثم فإن آراءه بشأن هذا العرض من جانب الاستخبارات الروسية سيصغى لها الرئيس باهتمام .

اقتربت سيارة بوروزوف الرسمية من حجرة البوابة الحجرية التى تحرس المدخل الرئيسى للداتشا والحدائق التى تحيط بها . برقت الأضواء الصادرة من البوابة وغمرت السيارة اللادا الصالون المسدلة ستائرها مما أجبرها على الوقوف . وكان المدفع الضخم المتوارى بين الأشجار قد تم توجيهه بواسطة الكمبيوتر إلى السيارة وهو على أهبة الاستعداد للانطلاق .

اقترب أحد ضباط الحراسة من نافذة السائق . وعلى الرغم من أنه يعرف السائق ومن

يفترض أن يكون الراكب فإنه طلب أوراق هويتهما . كان بوروزوف متفهما تماما من أنه لا يجب ترك أى شىء كأمر مسلم به عندما يتعلق الأمر بأمن أول رئيس منتخب لروسيا الفيدرالية الذى نجا من محاولتى انقلاب . وكان وقوع محاولة ثالثة أمراً متوقعاً دائما ، على الرغم من أن خصوم الرئيس كانوا ينتظرون ببساطة انهياره من جراء صحته المعتلة .

رد بوروزوف بجفاء " رقمى هو ١٩٣٧٦٤ وتم تجديده هذا العام فى التاسع والعشرين من يناير ."

تحقق ضابط الحراسة من أرقام بطاقة هوية ضيفه وأبدى ارتياحه ثم تراجع إلى الوراء وأدى تحية صارمة . فى الوقت نفسه ضغط الضابط الجالس خلف الزجاج المضاد للرصاص على زر البوابة الحديدية الضخمة .

كانت قطرات المطر تتساقط عندما شقت اللادا السوداء طريقها داخل حدائق الداتشا . أشتاق بوروزوف فجأة للسماء الصافية التى تركها خلفه فى رحلته السرية الأخيرة للشرق الأوسط . سيعود إلى هناك يوما ما . إنه يأمل فى أن يعود كممثل مقيم للاستخبارات الروسية فى إسرائيل . ولكن يمكن كما قال فى نفسه أن ينتظر هذا الأمر .

كان بوروزوف مستغرقا فى تفكيره عندما اقتربت السيارة من البوابة الداخلية ، حيث كانت بانتظاره هناك سيارة فولجا وثلاثة من ضباط الحرس الذين يرتدون ملابس مدنية لمرافقة سيارة الزائر إلى الاستراحة الداخلية للداتشا .

وبعد فحص آخر لأوراق الهوية وتفتيش اليكترونى للسيارة توجهوا إلى المنزل الرئيسى . ولدى سماعهم صدى جرس الباب فتح ضابط الحرس فى الداخل الباب المزدوج الضخم - وذلك فى الوقت كان يسوى فيه يورى من شعره الأشقر المموج .

فى اللحظة التالية كان روستوف يجتاز المدخل الكبير " يورى ايفانوفيتش ، جئت فى وقتك تماما ! " وربت روستوف على ظهر يورى وقاده إلى غرفة انتظار صغيرة .

"أسمع ! لقد انتهيت لتوى من إخبار الرئيس بما تتمتع به من ذكاء . وبالمناسبة ، هو يرغب فى معرفة ما وراء اغتيال السفير الأمريكي فى بروكسل ."

رد يورى بجدية وهو يضع يده على حقيبه أوراقه " حسنا ، بوسعى أن أعطى الرئيس بعض التفاصيل الإضافية حول ذلك استنادا إلى إشارة سرية تلقيتها من فولجا فى تل أبيب ."

"عظيم ، اتبعني ، انه مع وزير الخارجية ." وعاد روستوف سريعا إلى الغرفة الرئيسية وإلى جانبه بوروزوف . ولدى دخولهما نظر إليهما بوبوف بترقب .

تطلع الرئيس إلى ساعته " أنه هنا أخيرا ، الرجل الشهير، إنه يحترم مواعيده ، وهو أمر طيب ، لقد كان يوما طويلا ." وتثاءب الرئيس فى الوقت الذى استمرت فيه الفودكا فى إظهار سحرها " حسنا ، أستمر بوريس الكسندروفيتش . لقد استوعبت ما قلته . بصرف

النظر عن النشاط الإسرائيلي الذى ذكرته لتوك، كان يتعين عليّ أن التقى بالرجل الذى جند شتاردست ."

شعر بوروزوف بقلبه يخفق وهو يهم بدخول صالون الرئيس ، ولكنه كان يتحكم تماما فى أعصابه - نتيجة سنوات طويلة من التدريب . اتجه مباشرة إلى حيث يجلس الرئيس وأدى التحية لزعيمه .

حياه الرئيس بعفوية دون أن ينهض من مكانه . " حسنا ، حسنا ، أنت البطل الذى جند شتاردست . لقد سمعت أن لديك أسرارا جديدة لنا ".

أدى يورى التحية مرة أخرى ردا على تحية الرئيس له .واتجه إلى المقعد الذى أشار إليه روستوف . وقدم له النادل على الفور صينية عليها أكواب من الفودكا وعصير البرتقال . أخذ العصير متمنيا أن يعينه فى هذه اللحظات المهمة .

ولكن قبل أن يغادر النادل الحجرة ، جذبه الرئيس من معطفه ، أعاده " الجنرال بوروزوف بحاجة إلى شراب قوى ، أعطيه فودكا ." وقدم النادل الذى مازال الرئيس ممسكا بردائه كأسا من الفودكا إلى بوروزوف الذى نهض بدبلوماسية لقبوله .

وفى الوقت الذى ترك فيه معطف النادل ، رفع بوبوف كأس نخبه وصاح بصوت مرتفع " يورى ايفانوفيتش قبل آى شىء آخر أريد أن أحييك على شتاردست ، لقد نجحت فى منع عمليات تسلل أمريكية خطيرة إلى حكومتنا ومنحتنا العديد من الفرص الرائعة لنمرر معلومات مغلوطة للبيت الأبيض . لقد كان الأمر مكلفا نعم ، يا إلهى ، أكثر من خمسة ملايين دولار ، أننى أتفهم ، ولكن الأمر كان يستحق كل ذلك ، لقد تمنيت أن ألتقى بك شخصيا منذ فترة طويلة . وهو ما حدث ، فهمت أن لديك معلومات جديدة عن أمريكا من مصادرك فى إسرائيل . عملية رائعة أخرى لك . ولذا أجلس وأحكى لنا ، يورى ايفانوفيتش ." وتجرع الرئيس كأسا أخرى من الفودكا .

ولدى صدور هذا الأمر تناول بوروزوف كأس الفودكا الإجباري وأخذ نفسا عميقا ليشرع فى الإدلاء بأهم بيان سياسى فى حياته .

"شكرا لك ، سيدى . كما تعلم فإنه على مدى السنوات الطويلة الماضية دخلنا فى برنامج جديد رئيسى للحصول على المعلومات عن حكومة الولايات المتحدة على أعلى المستويات .لقد فعلنا ذلك عن طريق عملاء فى الدوائر الصهيونية الإسرائيلية والأمريكية . انهم لا يتمتعون فقط بحرية حركة ونفوذ كبيرين فى القدس وواشنطن وانما لا تقترب منهم تقريبا أجهزة مكافحة التجسس الأمريكية .

"قبل أيام قليلة ، أطلعكم بوريس اليكسندروفيتش على مقتل السفير الأمريكي فى بروكسل - سفيرهم لدى الاتحاد الاوربى ." توقف ليفتح حقيبة أوراقه ويلتقط مذكرة قصيرة بها تواريخ واشارات سرية بالشفرة . " حسنا ، بوسعنا الآن أن نؤكد أن

الإسرائيليين يقفون وراء هذه العملية .ولكنها ليست عملية حكومية رسمية ، إنها عملية خارجة عن المألوف وافق عليها وحده وبصورة خاصة رئيس الوزراء بناء على توصية من الموساد ."

طرفت عينا بوبوف .

وواصل يورى " لم يسع إيشيل للحصول على موافقة رسمية من لجنته الوزارية المعروفة بلجنة الخمسة لهذه العملية السرية نظرا لأنه يعلم أنها لن توافق على ذلك .وتحمل المخاطرة بنفسه لانه استشاط غضبا من سماح الرئيس الامريكى لسفيره فى بروكسل بالاستمرار في مقابلة ابن الزعيم الليبى فزانى .وافق ايشيل على اقتراح الموساد بأن قتله سيعود بفائدة مزدوجة على إسرائيل ـ سيضع نهاية لأى تقارب أمريكى مع الليبيين وفى الوقت نفسه سيحطم دوجلاس شخصيا ، نظرا لأن سورينسون هو أقرب أصدقائه . وكما تعلمون فإن ايشيل يرى أن الرئيس دوجلاس لا يكن أى صداقة لإسرائيل. وعلاوة على ذلك فإن الموساد زعمت أنه سيكون من السهل إلقاء اللوم على الإيرانيين ، وهو ما يرددونه الآن وهو الأمر الذى يلقى قبولا حتى هذه اللحظة ."

تساءل بوبوف " يورى ايفانوفيتش ، كيف قام الموساد بهذه العملية ليجعل الامر يبدو كما لو كان الإيرانيون هم الذين فعلوه ؟ "

"أتصل رئيس الموساد فى واشنطن بعميل مزدوج لهم ، يدعى إبراهيم وطلب منه أن يستأجر نيابة عن الإيرانيين فى ظاهر الأمر قاتلاً دوليا يدعى بيتر ديمتربوليس ليقتل السفير الامريكى . فى حقيقة الامر إبراهيم هذا عميل ثلاثى . فهو يعمل أيضا لحسابنا ولذا فإنه أخطرنا بالأمر ."

"حسنا يورى ايفانوفتيش . الآن هل تتعلق هذه العملية الاسرائيلية السرية بأمريكا وانتخاباتها ؟ "

"أقل ما يقال هو أن الرئيس الأمريكى غير متعاطف مع القضية الإسرائيلية . أنهم لا ينفعونه فى شئ على الرغم من أنه يخفى ذلك . فى الحقيقة كان سورينسون هو المصدر الرئيسى لمشاعر الرئيس تجاه إسرائيل . كان ذلك هو ما يدور فى خاطر رئيس الوزراء الإسرائيلي عندما وافق على اغتيال سورينسون .

واصل بوروزوف " منذ بضعة أيام أبلغتنا مصادرنا الاستخبارية بأن الدوائر الحاكمة فى إسرائيل تفكر فى عمل سرى لعملية طموحة غير مسبوقة تتعلق بالانتخابات الأمريكية لهذا العام ."

توقف يورى لثانية قبل أن يواصل فى صوت خفيض ومحسـ ـب " أولا يجب أن أؤكد أن حفنة فقط من صناع السياسة الإسرائيليين هم الذين على علم بهذه العملية . هؤلاء الرجال الخمسة اجتمعوا سرا فى شهر أبريل الماضى لمنح الموساد التفويض للشروع فى

تلك العملية ، وسيجتمعون مجددا خلال الأيام القادمة لإعطاء الموافقة النهائية . إنها عملية جريئة بصورة لا تصدق . أننا بالتأكيد نعلم أن الموساد هو واحد من أفضل أجهزة الاستخبارات في العالم ، ولكن هذه العملية تتخطى كل ما فكروا فيه من قبل من ناحية عائدها المحتمل على إسرائيل على الأقل . وهي كلها فكرة رئيس الوزراء . والاسم الكودى الذى أطلقه الموساد على العملية والعميل المشارك فيها هو هيبرون ".

تطلع يورى فى جمهوره الصغير . لقد شد انتباههم الكامل ، أخذ نفسا عميقا قبل أن يضيف " هدف هذه العملية التى تفوق كل التصورات هو جعل هذا العميل وهو عضو مجلس شيوخ أمريكي يحظى بترشيح حزبه وانتخابه هذا العام رئيسا للولايات المتحدة . الثغرة الوحيدة الخطيرة فى معلوماتنا هو أننا لا نعرف حتى الآن هوية هيبرون . رئيس وزراء إسرائيل ورئيس الموساد فى واشنطن، وهيبرون نفسه هم وحدهم الذين يعرفون . بالطبع هناك ، كما نعلم ، ثلاثة مرشحين محتملين . والثلاثة أعضاء فى مجلس الشيوخ ويستليك وجونسون وكرامر . واحد من هؤلاء الثلاثة هو العميل الإسرائيلي هيبرون ."

هز الرئيس الروسى رأسه غير مصدق ، ضحك ، ثم سعل وضرب كأس الفودكا فى جانب المائدة القريب منه . " هذا ليس من قبيل أعمال الاستخبارات ، يورى ايفانوفيتش ! هذا هراء ـ حلم حشاشين لأحد مصادرك فى الشرق الأوسط ، أو هو من قبيل الاستخفاف الإسرائيلي بالسياسات الأمريكية من خلال أصدقائهم الصهاينة . " ولوح بوبوف بيده فى الهواء لينفى هذا الاحتمال " هل تحاول إقناعنا بأن ما تقوله حقيقى ؟ هل سيتعين علينا التعامل مع رئيس أمريكى هو فى حقيقة الامر عميل إسرائيلي ؟ " وشهق غير مصدق وصاح فى رئيس " أف آى أس " "أعطنى كأسا آخر من الفودكا . "

قفز روستوف وأمسك بزجاجة قريبة منه وصب لرئيسه كأسا جديدة .

توقف بوروزوف احتراما ، ولكنه سرعان ما رد بكل ثقة " سيدى ، ستشعر بالفخر ، مرة أخرى من جهاز الاستخبارات فى بلادك . كبير عملائنا فى إسرائيل تمكن من تسجيل جزء صغير من اجتماع حساس للخمسة ، أحضرت معى نصا مطبوعا من الشريط فضلا عن نسخة من الشريط الأصلي نفسه ."

قال الرئيس " أرغب فى الاستماع إليه ، أعنى إقرأه ، بوريس الكسندروفيتش ، أين هذا النادل اللعين ليأتينا بفودكا جديدة ، أين ذهب ؟ هذا الخادم الثمل ؟ "

غادر روستوف الغرفة ليحضر النادل ومزيدا من الفودكا .

أستأنف بوروزوف حديثه " معى الشريط والنسخة الروسية ، ولكن اسمحوا لى أن أقول بإيجاز ، إن مشروع هيبرون ، على الرغم من انه مازال فى مرحلة التخطيط ، هو أكثر العمليات الإسرائيلية تهورا حتى الآن " .

أنفجر سترافينسكى قائلا " لقد قلت ذلك بالفعل ، دعنا نقول إن معلوماتك الاستخبارية

تستحق التفكير ، ماذا تقترح علينا فعله ؟ "

حدق يورى فى سترافينسكى وقال " فى الماضى كان الإسرائيليون يزجون بأنفسهم ويتدخلون بصورة سافرة فى مشهد السياسة الأمريكية . إننا الآن بصدد أمر يتجاوز ذلك. شيء على نطاق غير مسبوق . ويجب علينا أن نفكر فى كيفية استغلال عملية هيبرون لصالحنا . الوقت فى صالحنا ونملك إمكان اختراق الإسرائيليين والأمريكيين على أعلى مستوى ، بالطبع لدينا عملاء آخرون فى إسرائيل ولكن واحدا فقط هو الذى بوسعه الوصول مباشرة إلى التفاصيل الخاصة بهيبرون .ولدينا شتاردست فى السى آى أيه .لقد عرض عليه أخيراً وظيفة مؤقتة فى هيئة مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض فى مكتب الدكتور روسيل .لقد أصدرنا بالفعل تعليمات لشتاردست بقبول هذا المنصب ."

سأله سترافينسكى بسخرية متعمدة " قل لى يورى ايفانوفيتش ، كيف تأتى لنا أن نبنى هذه الشبكة فى إسرائيل فى الوقت الذى ظللنا فيه عقودا لا نعرف عنهم أى شيء تقريبا ؟ "

تطلع الرئيس مترقبا رده واختار يورى أن يخاطب بوبوف .

"كما قلت فى تقاريرنا من قبل ، فى أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات رسخت واحدة من عصابات المافيا الرئيسية فى روسيا من أقدامها فى إسرائيل . مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكي يطلق عليها منظمة راكميل براندوين ، ونحن نطلق عليها كوشير دش «طبق الطعام الذى تبيحه الشريعة اليهودية»، هذه المافيا الروسية ـ اليهودية تسيطر على شبكات تعمل أساسا من خلال موسكو وتل ابيب وشاطيء بريتون فى نيويورك وانتورب . ونظرا لعدم وجود قوانين فى إسرائيل تحظر غسيل الأموال وسهولة الهجرة بالنسبة لليهود ، فقد أمرت بداية مع عام ١٩٨٩ بالقيام بعملية كبرى لزرع عميل لنا داخل شبكة المافيا اليهودية فى كل مدينة تمارس فيها نشاطها . وهو ما تم إنجازه ."

تململ سترافينسكى فى مقعده وتطلع إلى بوبوف، كان من الواضح أن يورى قد سيطر على اهتمام الرئيس . ولم يشعر سترافينسكى بالارتياح .

"كان النجاح فوريا . حيث تمكنا من أن يتفوق عملاؤنا على منافسيهم . وعلاوة على ذلك فإن بعض المهاجرين من المافيا لم يكن يهوديا حقيقيا . اشتروا وثائق مزيفة للخروج من روسيا والدخول إلى إسرائيل . نعرفهم جميعا ، وقد ابتززنا بعضا من أفضلهم للعمل معنا ".

وأخرج ورقة أخرى من حقيبة أوراقه " كل شيء مسجل هنا ، سيدى ، من المعروف أنكم تفضلون التقارير المكتوبة . " أومأ الرئيس موافقا ليواصل يورى " مع دعمنا السرى ارتقى عملاؤنا مناصب رئيسية فى هذه الشبكة التى تتخذ من تل أبيب مركزا لها . أنهم يشترون المسئولين الإسرائيليين حتى الوزراء . فى هذه العملية التقطنا عددا من

الشخصيات البارزة ، فى البداية اعتقدوا انهم يعملون لحساب زعماء عصابات . بعضهم شعر بالارتياح لما أبلغناهم بأنهم يعملون لحساب الاستخبارات الروسية . فقد افترضوا أننا سوف نوفر لهم حماية أفضل . فى الحقيقة عميلنا الرئيسى فى إسرائيل واسمه الشفرى فولجا هو المصدر الرئيسى لعملية هيبرون . الضابط الذى يتولى السيطرة عليه هو عضو فى «أف أى اس» يتظاهر بأنه زعيم لمافيا يهودية فى إسرائيل . ومع ذلك فإن مركز فولجا فى إسرائيل يجعل منه شخصية لا تمس كما أن اتصالاته معنا مؤمنة تماما".

نظر يورى إلى سترافينسكي بتحدى المنتصر " ومن ثم – اندريه جريجوريفيتش – فى واقع الامر اخترقنا الإسرائيليين على كل المستويات وقد توج هذا الجهد بالكشف عن عملية هيبرون ."

صك بوبوف ركبتيه ونهض على قدميه ، وقد انتعشت معنوياته من هذه المعلومات وقال " يورى ايفانوفيتش ، إذا كنت محقا فيما قلته الليلة ، واصل بنجاح تتبع عملية هيبرون ، فإنه سيكون أمامك مستقبل عظيم . الآن دعنى اقرأ نص الشريط الإسرائيلي . "

وبينما كان الرئيس يقرأ النص قال روستوف متهكما " سنعرف الحقيقة وستمنحنا الحقيقة النصر ! " مقتبسا عبارة من الإنجيل قيل له إنها محفورة على لوح رخامى فى مدخل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية .

وخارج الداتشا كان الرعد يدوى والبرق يضوى ، بعدهما هطلت الامطار .

قال يورى لنفسه «عملية أخرى ـ ها هو الدب الروسى ـ على وشك الانضمام إلى الأحداث الدرامية التى تنسج حول عميلة هيبرون ، لقد فعلتها».

الفصل السابع

بروكسل
الثالث من يونيو

جاء صوت ودود وعميق عبر مكبرات الصوت في رحلة شركة سابينا رقم ٤٠٧ " سيداتي سادتي هذا هو قائد رحلتكم ، سنهبط في مطار بروكسل في سافينتيم في غضون ثماني عشرة دقيقة تقريبا ، تنتظرنا سماء صافية وطقس دافيء جميل تبلغ درجة حرارته ٢٣ درجة مئوية . أتمنى أن تكونوا قد استمتعتم برحلتكم معنا اليوم . "

ابتسمت بريندا لبوب وهي تثبت حزام مقعدها " مرحبا بك مرة أخرى في بروكسل . "

رد بوب " لا أعرف كم بحق الجحيم مر من الوقت لنعبر تلك البركة ! "

قالت بريندا وعيناها تلمعان "هذا هو الجزء اليسير يا بوبي ، اتخيل عندما نهبط لن نجد وقتا للنوم والاستمتاع بالزيارة مثلما تمنى لنا قائد طائرتنا ."

تنهد بوب قائلا " حقا ، ولكن كفى عن مناداتي بوبي ، لقد سبق وأن طلبت ذلك منك مليون مرة !"

قالت بريندا ضاحكة " حقا ولكن كانت تلك هي الخدعة ، أليس كذلك ؟ فقد صحوت الآن تماما ! "

تثاءب بوب طويلا في وجه بريندا قبل أن يستدير بوجهه إلى النافذة الصغيرة على يمينه ليرى معالم مدرج المطار تتضح شيئا فشيئا لاستقبال الطائرة . نهض الركاب وهم يتثاءبون وجمعوا أمتعتهم وانتظروا ليغادروا الطائرة . بدا مبنى المطار الدائرى القديم الصغير مألوفا لهما وهما يغادران صالة الوصول في طريقهما لبوابة الخروج .

قالت بريندا وهي تتجه إلى أحد أكشاك الصحف قبل بوابة الخروج "لحظة من فضلك." كانت صورة سورينسون تتصدر الصفحة الأولى لكل الصحف والمجلات . اشترت بريندا صحيفتين واحدة ناطقة بالفرنسية / لا ليبر بلجيك / والأخرى بالفلمنكية / دى ستاندرد ./وبدأت في ترجمة الصحيفة الفرنسية لبوب .

"أنهم يصورونه كمثال للجاذبية والكياسة ووقار السفير - يا للهراء ، أنظر! عمودان كاملان يتحدثان عن إنجازاته خلال حياته وخدماته الدبلوماسية التي لا يشوبها شائبة . وبالطبع افاضوا في صداقته الوثيقة مع الرئيس دوجلاس ."

ونبهت لا ليبر بلجيك قراءها إلى المزيد على الصفحة الثالثة حيث وجدت بريندا نفسها تحدق في صورة ضخمة لسورينسون ووجه يشي بابتسامته المنتصرة .

قرأت بريندا التقرير ولكنه لم يكشف شيئا عن كيفية مقتله .ليست هناك أية تكهنات عن هوية الذين يقفون وراء مقتله .طوت الصحيفة وبسطت الأخرى دى ستاندرد . التغطية نفسها تقريبا . كان من الواضح أن الحكومة الأمريكية قد أثرت على وسائل الإعلام.

قالت " التعليق الرسمي الوحيد الذى أراه هو أن تحقيقا دقيقا يجرى الآن برئاسة مكتب التحقيقات الفيدرالي ." ثم أطلقت صيحة استهجان جعلت بوب يرفع حاجبيه

استغرابا . " ما الأمر ؟"

"فقرتان من التشنيع من جانب البرت ثورنتون ، أنت تعرفه الرجل الثانى بعد سورينسون. القائم بالأعمال ."

"أعرف ، يمكننى أن أتصور انه يقوم بألاعيب من أجل الحصول على ترقية . إننا نعرف جميعا رأيه فى سورينسون وكيف حاول أن يطعنه فى ظهره لدى وزارة الخارجية . مثلما فعلوا مع سفيرنا فى برن . هل تتذكرين ؟"

تحول انتباه بريندا فجأة لخبر آخر فى الصفحة الثالثة . لم يكن به شئ غير عادى عدا التزامن : حادث قتل آخر فى نفس التاريخ . هذه المرة عاهرة عثر عليها مخنوقة بعد أن جرى التخلص منها فى أحد الطرق الجانبية فى ستوكيل ببروكسل .

أخرجت ورقة من حافظة أوراقها وسجلت ملحوظة لتطلب من جاى أن يتحدث إلى شرطة ستوكيل حول هذه القضية .

* * * *

مطعم اورامى دى بروكسيل الواقع بالقرب من جراند - بلاس هو واحد من أشهر المطاعم فى المدينة . يشتهر بجوه العتيق وبأطباقه البلجيكية الغنية . ويعتبر المطعم جاى فان ديك هوفن من بين رواده الدائمى التردد عليه سواء لتناول الغذاء أو العشاء . وقد حجز المطعم المائدة المعتادة الواقعة فى إحدى زواياه لمفوض الشرطة .

وصل جاى مبكرا . ولمعرفته بأنها هى المرة الاولى التى تزور فيها بريندا بروكسل ، فإنه كان شغوفا بأن يطلعها على مدينته ، مثلما هو شغوف لرؤية صديقه القديم بوب .

أنتهز جاى الدقائق التى جلس فيها وحده وأخذ وكأس بوردو فى يده فى مراجعة ما دونه من ملاحظات . إلى الآن لم تثمر تحقيقاته عن تقدم كبير . ولم يسفر تفتيش مقر السفير عن شئ .وسيحتاج جاى إلى استجواب العاملين مع سورينسون . غير ان يده ستغل من قبل الأبله القائم بالأعمال الأمريكى ثورنتون الذى سيلوح فى وجهه بحصانتهم الدبلوماسية . ولكن ألا يعرف هذا البيروقراطى المغرور أننى أقف إلى جانبهم ؟ وأن جاى فان دين هوفن هو أفضل من يتتبع هذه القصة عن أى شخص آخر ! لقد دبر القاتل جريمته ونجح فى محو آثاره .ولكن ليس جاى من يعتقد بأن هناك شيئاً اسمه جريمة كاملة . ذلك نظرا لأن الانسان الكامل لا وجود له . هناك دائما هفوة ، خيط ما ، ربما لا تكتشفه الشرطة ولكنه هناك على أية حال .

لمح بوب وبريندا وهما يشقان طريقهما إليه بين الموائد الضخمة المصنوعة من خشب البلوط .

قال بوب وقد أنفرج وجهه عن ابتسامة عريضة وهو يشد على يد جاى " شئ جميل أن أراك مرة أخرى بعد كل هذا الوقت . "

وقف جاى وهو يبتسم أيضا ابتسامة واسعة "بوب ، عزيزى ، والرائعة بريندا أيضا . كما طلبت . إننا فى حاجة إلى تجميع العقول لكى يكون بوسعنا فك لغز هذه الجريمة ! وأخيرا سأريكم بروكسل ."

شعرت بريندا بالخجل من إطراء جاى . وابتسمت ابتسامة خفيفة وجلست بين الرجلين ثم أخرجت دفترها لتدوين الملاحظات من حقيبة أوراقها ، ووضعته أمامها على المائدة .

- ل جاى وهو يضحك " لا . لا ! عزيزتى بريندا . " وأغلق الدفتر وأعاده إليها . وأضاف " هنا فى بروكسل ، نشرب أولا ، ثم نعمل ، أتفقنا ؟ هذا البوردو رائع ." ورفع كأسه ثم أخذ رشفات صغيرة مستطعما لثوانٍ قليلة قبل أن يتجرع كأسه مرة واحدة .

قالت بريندا " مياه معدنية من أجلى من فضلك ." غير أنها حافظت على ابتسامتها . لقد كان الرجل فاتنا ومتيما بنفسه إلى أقصى درجة .

قال بوب " سأخذ ويسكى وماء ،لقد كانت رحلة طويلة ومرهقة ، مازلت ألتقط أنفاسى. ولكن شيئاً عظيماً أن أعود لبروكسل مرة أخرى ، فهى تذكرنى بالأيام الخوالى الجميلة ." وقال فى نفسه «لا أعرف ماذا رأى جاى في بريندا ولكنه متأكد من أنها سحرته».

قال جاى بتعبير ينم عن إحباط مغالى فيه جعل ضيفيه ينفجران فى الضحك " أنه لأمر رائع أن أراك هنا مرة أخرى ، صديقى ، فإنه لأمر سيىء للغاية أنني لا أعمل جيدا مع ملحقكم القانونى ،' على كل أنت وبريندا هنا الان ، يجب علينا أن نبدأ العمل الحقيقى .ولكن سنشرع فى ذلك لاحقا ، فقد وصلتما للتو ، على كل مات السيد سورينسون وليس بوسعنا تغيير هذه الحقيقة ." واكتسب صوت جاى قوة وهو يأمرهما ببشاشة " لنأكل أولا!"

عندما اختارت بريندا ما ستأكله لم تكن تتوقع هذه الخدمة السخية وثراء الأطباق البلجيكية الوطنية . «لا بد أن البلجيك يستمتعون بالطعام» وبدءوا بالمشهيات - قطع كبيرة من البط وأم الخلول فى صلصة الكريمة .بالنسبة للطبق الرئيسى طلبت بريندا لحم العجل فى صلصة مرق اللحم مع قطع عش الغراب . وطلب بوب سرطان البحر " أبو جلمبو " مغموسا فى صلصة الكريمة والزبد . فيما طلب جاى طبقه المفضل مكرونة باللحم والجبن مع سرطان البحر . وبعد الحلو وجولة ثانية من الشراب حان وقت الحديث عن سورينسون.

وبدت الجدية على جاى عندما سأله بوب " ماذا وجدت حتى الآن ؟"

"القليل، الأمر نفسه عندما تحدثت إليك هاتفيا ."

"ماذا ؟ لا جديد ؟ . تساءل بوب مندهشا وهو يلقى بنظرة جانبية إلى بريندا التى ظلت صامتة .

"حسنا ، قبل كل شئ فإن عملية القتل هذه على وجه التأكيد عمل من أعمال المحترفين وهى أيضا ماذا تقولون أيها الأمريكيون ؟ "

"عملية تمت بأعصاب هادئة تماما وبدقة بالغة وبخبرة متمكنة ...."

"تماما كما تقولين ، بريندا "

"قلت فى الهاتف إنك واثق من أن الليبيين لا دخل لهم بهذا الأمر ؟ " تساءلت بريندا وواصلت وهى تتطلع إلى هوتشينز مرة وجاى مرة أخرى " ما قلته أنت والبرقية التى اعترضتها وكالة الأمن القومى جاءا كمفاجأة . صلة سورينسون الوثيقة بفزانى لم تكن سرا . لقد أثارت أسئلة كثيرة وجعلتنا نشعر بالارتباك ."

"بريندا لقد تلقيت ردا محددا من مصدرنا فى السفارة الليبية . أنه يؤكد ما جاء فى برقية وكالتكم . ومن ثم استبعدت مؤقتا الليبيين .أيضا عزيزتى بريندا ، لا تنس انه لم تعلن أية منظمة إرهابية مسئوليتها حتى الآن . جاى فان دين هوفن له نظريته الخاصة! " قال جملته الاخيرة وهو يبتسم .

رد بوب " دعنا نسمعها "

"بالتأكيد ، مدون هنا الامر كما أراه . " و أخرج جاى دفتر ملاحظاته " رقم واحد ، سفيركم كان مغرما بالنساء إلى أقصى حد ." ورمق بريندا بنظرة اعتذار ، وظل وجهه خالياً من أى تعبير . ورغم ذلك شعرت بريندا بنفسها وقد أحمر وجهها من الارتباك ، فقد بدا الأمر كما لو أن جاى قد اكتشف بطريقة ما حسنها المؤكد الذى حاولت جاهدة إخفاءه.

غمغمت قائلة " نعم ، لقد كان رجلا أخرق ."

تساءل بوب " ماذا يعنى ذلك ؟ "

"الأمر فى غاية البساطة عزيزى روبرت . نعرف بالفعل إنه كانت هناك سيدة برفقته فى تلك الليلة التى مات فيها . نظريتى تستند على هذه الحقيقة التى لا نزاع عليها ."

تساءلت بريندا " أتعتقد أنها هى القاتلة ؟ ولكنك قلت إنها جريمة من فعل محترفين ؟ "

"أو ماذا ... ؟ " تساءل بوب

"أو أن هذه المرأة نفسها هى القاتل . إننى أميل إلى هذه النظرية الأخيرة - إن قاتلنا هو هذه السيدة التى كان آخر من شوهد مع سورينسون ."

"حسنا ، عزيزتى بريندا . إننى أتفق معك فى نقطة واحدة.."

رمقته بريندا بنظرة متسائلة .

"لابد أن الدافع سياسى . ليس هناك تفسير آخر . مازالت لدينا تلك القصاصة الصغيرة من الصحيفة العراقية ، صحيفة يومية تصدر فى بغداد التى عثرت عليها فى ممر

الحديقة ." واتجه جاى ناحية بوب قبل أن يواصل حديثه " آمل ألا تكون قد أثرت هذه المسألة مع رئيسك ، بوب ، فى الوقت الراهن على الأقل .ربما يكون هذا خيطا مضللا خلفه القاتل عن قصد . ولكن سواء أكان هذا بمثابة خيط حقيقى أو مضلل فإنه يشير إلى الطبيعة السياسية لأى من كان وراء مقتل السفير ."

قال بوب " لا بد أن يكون هناك أشياء أخرى غير قصاصة الصحيفة ."

توقف جاى بضع ثوانى ليسمح للنادل بأخذ الأطباق ويعرف طلباتهم من القهوة .

رد " لا يمكننى أن أكون متأكدا ، صديقى " وتطلع مباشرة إلى بوب " هل هذا يورط العراق ؟ "

تساءلت بريندا غير مصدقة " هل يمكن ان يكون هناك عراقيا إلى هذه الدرجة من عدم الاحتراف ليترك قصاصة من صحيفته اليومية ؟ أنه أمر مستبعد بالنسبة لى ."

قال جاى " حسنا ، أنك تطلقين السهام فى الظلام كما تقولون أيها الأمريكيون .من المحتمل أن يكون المشتبه فيه عراقيا يعمل لحساب رئيسه لينتقم من دور أمريكا فى حرب الخليج . كما من المحتمل أيضا أن تكون مجموعة جديدة ـ واحدة لا نعرف عنها شيئا ـ قد فعلت ذلك وقررت أن تظل صامتة . إننا لا نفهم جميع الناس كما تعلمان ."

وبدورها تكهنت بريندا قائلة " أو من الممكن أن تكون إيران وراء كل ذلك ." وتوقفت وتطلعت إلى جاى " من الممكن أن تكون قصاصة الصحيفة قد أسقطت عمدا ، كما خمنت. بواسطة الإيرانيين لتوريط العراقيين . ومع ذلك هناك فقط تكهنات لا تقودنا إلى أى شىء محدد .وتظل حقيقة واحدة بدون تغيير ـ بالنسبة لنا على الأقل . لم يتحدد بعد ما إذا كان القاتل يعمل وحده أو لحساب آخرين . غير أنه على أية حال فإن اغتيال دبلوماسى أمريكى يشكل عملا إرهابيا ."

قال بوب " يوه .. يوه هونى عليك الأمر ! "

"بوب أتتذكر اجتماعنا مع الرئيس ؟ لقد كان محقا . انه يشعر بقلق حقيقى على الأمريكيين فى الخارج .ولقد زودته ببعض النفايات البيروقراطية ! لقد فكرت كثيرا فى هذا الأمر خلال رحلتنا إلى هنا . حدسى يقول إن ما نشتبه فيه هو امرأة .امرأة تظاهرت بأنها عاهرة وهى من قامت بعملية القتل بنفسها . هذا ما تمليه الصورة التى كان عليها سورينسون لأى محترف يحقق فى هذه القضية ." والتفتت لتواجه جاى " والمرأة فى نظريتى هى شخص محترف . إنها مفتاح هذه الجريمة . ليست شريكاً فحسب ، كما تكهنت جاى , وإنما هى القاتل ."

قال بوب " أنك تتحدثين بيقين تام ، كما لو كان هناك مشتبه فيه فى ذهنك . وعلى الرغم من أننا سايرنا إحساسك من قبل ووجدنا إنك على حق ، ولكنى غير متأكد هذه المرة .هناك العديد من الأمور المتغيرة . عدد هائل من الدوافع ، مازال الوقت مبكرا للغاية للاستقرار على سيناريو واحد ."

قال جاى " أعتقد عزيزتى بريندا ، أنه على الرغم من أنه من الجائز تماما أن امرأة متورطة فى هذه الجريمة ، فإن تورطها كان غير مباشر بصورة كبيرة ." وابتسم لها معتذرا قبل أن يواصل " ربما تبعها قاتلنا أو ربما تركت له أبواب الشرفة مفتوحة لكى يدخل منها بينما قامت بتشتيت انتباه الهدف ."

أصرت بريندا على رأيها قائلة " حتى الآن ، اعرف أن امرأة هى خيطنا الرئيسى هنا ، رجالك لا يهضمون هذا الأمر . ولكن ليس هناك حتى الآن ببساطة أى دليل أو خيط على أن رجلا متورطا . أنها فقط طريقة تفكيركم الرجالية التى يبدو أنها تتطلب أنه يجب أن يكون دائما هناك رجل ."

تثاءب جاى وهو يقول " أعتقد أن الوقت قد حان للاتصال بالرجال فى الانتربول ومخابرات الناتو لمعرفة ما إذا كانوا قد توصلوا لشيء ، أليس كذلك بوبى ؟ "

حملق بوب مغتاظا فى جاى الذى كان يهتز من الضحك .رد وهو يحاول التحكم فى صوته " تماما ."

قالت بريندا وهى تضع بطاقة الائتمان الخاصة بها على المائدة وهى تشير للنادل " حسنا سادتى ، دعونا نخرج من هنا ونحصل على قسط من الراحة ."

قال جاى معترضا " من فضلكم أصدقائي ، أنكم ضيوف الشرطة القضائية البلجيكية هذه الليلة . لا بطاقات ائتمان . فقط فرنكات بلجيكية قديمة - يصعب تتبع أثرها ."

بعد دقائق كان ضباط التحقيق الثلاثة يغادرون المطعم وهم يشعرون بالسعادة من أن ساعات الطعام الثلاث قد تحولت إلى عشاء عمل. واتفقوا على الالتقاء صباحا .

* * * *

عندما وصل بوب وبريندا إلى فندقهما كانت سكرتيرة مكتب التحقيقات الفيدرالى فى السفارة فى انتظارهما فى البهو . وضعت كتابها وأسرعت تجاه بوب وسلمته مظروفا مختوما .

"السيد هوتشينز ، لقد وصل هذا المظروف اليوم مع رسول من واشنطن - أنه من القاضى بيكر .لقد أبلغنى الملحق القضائى أن أسلمه لك شخصيا ."

"شكرا ليندا " وأنتحى بوب جانبا ليقرأ الرسالة ثم قال " بريندا لنذهب إلى حجرتى لبحث هذا الأمر .لقد فحص الفنيون التابعون لنا غرفنا اليوم . ومن ثم فهى آمنة للحديث هناك ."

وعندما أغلقا الباب وراءهما قال بوب " انه أمر لى بأن أعود إلى واشنطن على الفور ، يبدو أن البيت الأبيض مصر على تشكيل فريق عمل بين الإدارات الحكومية لمعالجة مسألة رهائننا فى بيرو . سأقوم برئاسة هذا الفريق . القاضى يرغب فى أن تتولى أنت المسئولية كاملة عن التحقيق فى قضية سورينسون ." وسلمها الرسالة لتقرأها بنفسها .

"هذا شيء عظيم بالنسبة لك . ولكنني لم أتعامل مطلقا من قبل وحدى مع قضية ضخمة كتلك ." ألقت بنفسها فى أول مقعد وقد اتسعت عيناها غير مصدقة " كل هذا فوق أكتافى ؟ بوب ، أشعر بالزهو ولكنى لا أتطلع إلى ذلك ."

أبتسم بوب بود " سوف تتعلمين سريعا .هكذا تمضى الأمور .مثل الحرب . يمضى القائد فجأة ويتولى الضابط التالى فى الأقدمية المسئولية .بريندا - هل تعتقدين للحظة واحدة أن القاضى سيعهد إليك بمهمة يعتقد أنك لا تستطيعين القيام بها ؟ أنه أذكى من ذلك بكثير ."

قالت بريندا وقد شعرت بالإجهاد فجأة " إن هذا لكثير جدا ، كما جاء سريعا للغاية ، فضلا عن أننا لا نعرف ماذا حدث فى اتصالات سورينسون وفزانى . معرفة ذلك سيقربنا من حل القضية . اوه .. رباه! إننى متعبة للغاية ويأتى القاضى الآن ليلقى بكل هذا فوق رأسى !"

"فقط أغمضى جفنيك بضع ساعات . بريندا لقد كان اليومان الماضيان جحيما من التعب . لديك كل ما تحتاجينه . تتحدثين الفرنسية مثل أهلها ، والأكثر أهمية لديك هذه الأحاسيس الداخلية التى تعمل فى كل الأوقات لصالحك . إلى جانب أن جاى هو أفضل رجل شرطة فى أوربا . وسيمنحك كل مساعدة تطلبينها . يالك من مسكين يا جاى! " وضحك بصوت خافت قبل أن يواصل " أشعر بالأسف من أجله . لقد خلبت لبه تقريبا ."

"أمزح كما تشاء ، هوتشينز ، سأذهب لحجرتى لمراجعة ملاحظاتى وأفكر فى الأمر مليا . أراك فيما بعد . "

"سأقول إلى اللقاء الآن . غدا سوف أعود إلى جانبنا على الاطلنطى لأركز اهتمامي على حيوان اللاما ."

أيقظت قطرات المطر المتساقطة على زجاج النافذة بريندا من نوم مضطرب . فتحت عينيها وتطلعت حولها قبل ان تدرك أين هى الآن .كانت الساعة الرقمية المضيئة تشير إلى الرابعة وخمس وأربعين دقيقة صباحا . ومن خلال النافذة المبتلة شاهدت سماء رمادية، وضعت الوسادة فوق رأسها وقررت أن تستيقظ فى وقت اكثر تحضرا .

المرة الثانية التى فتحت فيها بريندا عينيها كانت السابعة والنصف .تغير لون السماء الداكن ورفعت الشرائط الوردية التى افترشت الأفق من روحها المعنوية بدرجة كبيرة .

أخذت حماما ارتدت ملابسها وأصبحت مستعدة لمواجهة يومها ، اتصلت بخدمة النزلاء فى الفندق لإحضار الإفطار إلى حجرتها . وخلال التهامها لقطعة من الفطائر اللذيذة والقهوة البلجيكية ذات النكهة القوية فتحت بريندا مفكرتها ، وسجلت أن بوب قد استدعى إلى واشنطن .

وبدأت يومها .

رفعت سماعة الهاتف اتصلت " المفوض جاى فان دين هوفن . هذه العميل الخاص بريندا شتراوس ."

بعد ثوانٍ قليلة جاء صوت جاى عبر الأسلاك " صباح الخير ، بريندا ، ماذا يمكننى عمله من أجلك ؟ "

"هاى ، الوقت مبكر ولكنى أريد رؤيتك الآن . لقد تم استدعاء بوب إلى الوطن .وقد غادر بالفعل، وهو ما يجعلنى أنا وأنت نتصدى لهذه القضية ."

"نعم ، نعم عزيزتى بريندا ، سأكون فى فندقك فى غضون ثلاثين دقيقة . ولكن لماذا تم استدعاء بوب للوطن ؟ لماذا ؟ "

"تعال مباشرة إلى حجرتى - ٩٦٥ وسأحكى لك كل شىء ."

وخلال انتظارها تصفحت صحيفة الأمس قرأت الصفحة الثالثة مرة أخرى وصبت لنفسها مزيدا من القهوة .وبالضبط بعد ثلاثين دقيقة سمعت طرقة على الباب .

"صباح الخير عزيزتى بريندا ، جاى فان دين هوفن فى خدمتك ! طبع على وجنتها دفعة من القبلات السريعة ، تلك القبلات المستخدمة على سبيل التحية فى العالم الذى يتحدث الفرنسية . قالت فى نفسها «يبدو رائعا بعد الحلاقة».

"صباح الخير ، تأكل أم ترغب فى بعض القهوة ."

"قهوة ، من فضلك ." لاحظت بريندا أنه مازال يستخدم صيغة رسمية .

وهما جالسان فى حجرتها أطلعته بريندا على خبر مقتل العاهرة .

قالت " عثرت عليه فى صحيفة الأمس ، أعتقد أن وراءه المزيد ، أشعر بفضول تجاهه . لسبب ما أشعر بأن هناك خيطا هنا . ماذا تعرف عن الكيفية التى كان يلتقط بها سورينسون فتياته ؟"

وعلى الفور حل جاى مفوض الشرطة الكفء محل جاى المتكلف . فجأة ، لا تكاد بريندا تتعرف على الجالس أمامها .

"ليس كثيرا . كان يأمر سائقه بأن يأخذه إلى مكان ما وينتظر فى السيارة . كان ينزل إلى أحد البارات أو ناصية أحد الشوارع ، وإما أن يعود بسيدة أو يرتب مع واحدة لليلة التالية .هذا كل ما فى الامر . بحثنا عن خيط لدى كل من لهم صلة بفتيات الليل . عندما يتعلق الأمر بالنساء لم يكن السفير يشعر بأي تعال ."

قرأ الخبر مرة أخرى .أنزل الصحيفة وحلق فى سقف الحجرة . بعد ثوانٍ قليلة قال " ستوكل ، أحد أحياء بروكسل . أنه قريب جدا من هنا .ربما عشر دقائق ، سيرا على الأقدام ، عاهرة يجرى خنقها وإلقاء جثتها فى قناة ضحلة بإحدى الحدائق ." تطلع من النافذة " دعينى نفكر فى الأمر . أولا أننى أسأل نفسى من يرغب فى قتل عاهرة ؟ هذا لا

يحدث هنا ، قوادها ، تاجر المخدرات الذى تتعامل معه أم شخص ما يرغب فى إسكاتها ؟

"السؤال الثانى - ماذا سنفعل بعد ذلك ؟ أجابة واحدة فقط ، صديقتى - نذهب لمركز شرطة «ستوكل» ونطرح الأسئلة ، إذا ما رغبت فى ذلك ."

"أنه مجرد تخمين ، ولكن فى هذه المرحلة من التحقيق ، كل ما نطرحه هو مجرد تخمينات . إذا ما كان بوسعنا استبعاد قوادها أو تاجر المخدرات فإنه قد يكون بوسعنا الربط بينها والمرأة التى كانت برفقة سورينسون فى تلك الليلة التى مات فيها . إذا كان الأمر كذلك ، فإنه من الممكن أن يضع نهاية لبحثنا عن تلك السيدة ذات العيون الخضراء التي وصفها جيرارد. "

أسرع جاى إلى الباب آخذا معه الصحيفة " سأذهب الآن للتحدث مع شرطة ستوكل . سأحصل على صورة للعاهرة ثم سألتقى بك فى مقر السفير ؟ " توقف عند الباب ويده على مقبضه " أمنحينى ساعة واحدة ، سألقاك هناك بعد ساعة ." ثم أغلق الباب وراءه .

وبعد نصف ساعة أتصل جاى ببريندا ليبلغها ثلاثة أشياء ، قوادها أثبت بما لا يدع مجالا للشك وجوده فى مكان آخر وقت وقوع الجريمة ، العاهرة لم تتعاط المخدرات وانها قتلت فى مكان ما آخر : ثم تم نقل جثتها والتخلص منها فى ستوكل ! يبدو هذا غير مهم . ولكن نعم ، استطاع الحصول على صورها وسيحضرها معه إلى مقر سورينسون.

* * * *

ظلت بريندا فى سيارة الأجرة التى أقلتها من الفندق بينما كان حارس المقر يفحص أوراقها . ثوانٍ و فتحت البوابة الخارجية السوداء لتتجه السيارة الأجرة إلى المدخل الرئيسى . نزلت بريندا من السيارة ووقفت بضع دقائق مأخوذة بالمنظر الساحر حولها - منزل فخم يمتد عمره لأكثر من قرن. فناؤه الأمامي مكسو على اتساعه بالنخيل المشذب . وتنساب مياه جدول من أعلى لأسفل وتكتمل الصورة بشلال تتساقط مياهه بنعومة يقع فى أقصى طرف الحديقة . استنشقت رائحة الياسمين .قالت فى نفسها «ياله من جمال مؤثر ، مؤثر للغاية ، ومثير للإغواء».

لسوء الحظ لم تكن هناك للإعجاب بهذا البناء المترف أو بمنظره الفتان . ولكنها تخيلت ما يمكن الشعور به بالنسبة لامرأة وجدت نفسها هنا بصحبة سفير أمريكى .

ذهبت تبحث عن جيرارد .

كان يجلس على مكتب صغير قبالة البهو مباشرة ، وقد تناثرت أكياس فارغة من العديد من الوجبات السريعة على المكتب وفى سلة القمامة . عندما دخلت وقف سريعا . ثم تطلع فوق كتفها إلى الرجل الذى كان يقف خلفها . كان جاى .

قال جاى " إنها هنا ." ومد يده إلى جيب سترته . كانت صورة ملونة لفتاة فى مطلع العشرينات .ترتدى ملابس بسيطة . كانت تقف على ما يبدو أمام طاولة بار .

قالت بريندا وهي تبرز بطاقتها " لا بد أنك جيرارد ، إنني العميل الخاص بريندا شتراوس من مكتب التحقيقات الفيدارلي وأنت تعرف المفوض جاي دين هوفن . أننا هنا لنطرح عليك بعض الأسئلة ."

هز جيرارد رأسه ليمطره جاي بسيل من الأسئلة باللغة الفرنسية .

قال جيرارد " لا أرغب في شئ اكثر من مساعدتكما على حل هذه الجريمة المرعبة ومعاقبة المسئول عنها أيا كان ، تعرفان كم كنت اكره رؤية هذا الرجل وهو يضيع وقته في الشوارع القذرة لمدينتنا ؟ كيف بوسعك حماية رجل يستغل سلطته لمنعك من حمايته ؟ "

قالت بريندا وهي تشعر بالتعاطف مع رجل الشرطة المتقاعد المعتز بنفسه " أننا نتفهم ذلك ، جيرارد لم يكن خطأك ."

وفي غضون دقائق قليلة أتضح كيف أن جيرارد المتحمس لم يكن موافقا على ولع السفير بالعاهرات . وشرح كيف كان من الصعب عليه في العديد من المرات حماية مثل هذا الرجل .

مضى قائلا وقد بدا أنه أخذ الامر على أنه بمثابة فشل شخصي له "لقد أثرت حياته الخاصة على قدرتي على حماية حياته العامة ."

تساءلت بريندا " ماذا عن الليلة التي لقي فيها حتفه ، هل هناك ما يمكنك أن تضيفه إلى معلوماتنا عن تلك الفتاة ؟ هل هناك أي شيء بارز عنها ؟ من أين جاءت ؟ "

أجاب جيرارد بأن المرأة التي كانت بصحبة سورينسون هذه الليلة كانت فائقة الجمال . وعلى الرغم من أنها كانت ترتدي معطفا طويلا واقياً من المطر مزوداً بغطاء للرأس إلا أنه أختلس نظرة لشعرها الأسود القصير وعيونها الخضراء البراقة . كانت تبدو حذرة وخرساء مثل غيرها . ما عدا شيئاً واحداً وهو أن هذه الفتاة لم تبد تأثرها بهذا المكان مثل الفتيات الأخريات .

"كانت تخطو بخطوات واسعة متأبطة ذراع السفير لا تنظر حولها كما تتوقع منها . أعني أن هؤلاء الفتيات عادة ما يذهلن . فليس بوسع أحد أن يتجاهل هذا . انظر حولك الأثاث من طراز لويس الرابع عشر ، الشمعدان تم شراؤه من صالة سوثبي للمزادات والأرضيات من رخام كرارة . حتى أن الأشجار والزهور جلبت من الخارج وأصصها تعتبر من الأنتيكات . وهذا من أسرة مينج . وجميع اللوحات أحضرها السفير من شقته في بارك افينو . هذه لرينوار . من الصعب ألا يلفت نظرك كل هذا . ولكن هذه المرأة سارت إلى الأمام لا تلوى على شئ .بدا الأمر كما لو كانت هنا من قبل ، هذا مجرد استنتاج . " وراح جيرارد في تفكير عميق .

قالت بريندا وهي تنظر حولها " أو ما يعني أنها جاءت ولديها مهمة محددة ، وكانت مشغولة بدرجة تلهيها عن ملاحظة كل هذا ."

قال جاى " حسنا ، والآن تطلع جيدا إلى هذه الصورة من فضلك جيرارد . هل رأيت هذه الفتاة من قبل ؟ "

"حسنا ، لم تكن هنا ليلة وفاة السفير . ولكنها تبدو مألوفة لى . ولكن أين ؟ دعنى أحتفظ بهذه الصورة بعض الوقت ؟ سأعيدها إليك ."

قالت بريندا " سنكون على اتصال بعد يوم أو يومين ، شكرا على تعاونك . وسنحب أن نعرف المزيد عن الكيفية التى كان يرتب بها السفير للقاءاته مع النساء ."

"هذا سهل ، أنه يعثر عليهن فى البارات وعلى نواصى الشوارع . غير أن السيد سورينسون لم يكن يدع أحداً منا يعرف من سيقضى معهن أمسياته أو كيف رتب لمواعيده الغرامية . كنت أقوده إلى ناصية شارع ما وبعد وقت قصير تظهر فتاة ."

تركت بريندا وجاى وراءهما جيرارد فى المنزل واتجها إلى سيارة جاى البيجو . سارا وقد التزما الصمت ، فقد أستغرق كل منهما فى تفكير عميق . أدار جاى المحرك وغير ذراع نقل الحركة وضغط على بدال البنزين . انطلقت السيارة محدثة دويا كبيرا . حملقت بريندا فيه «إذا كان هناك شئ لا أستطيع أن افهمه عن الأوربيين فهو بلا شك طريقتهم فى القيادة . لماذا يهوى الرجال الأوربيون قيادة سياراتهم بتلك الطريقة».

بعد دقائق التفت جاى متسائلا " عزيزتى بريندا ، ما هى خطوتك التالية ؟"

"أنزلني عند الرصيف المخصص لسيارات الأجرة . سأذهب إلى السفارة . وفى الوقت نفسه من فضلك واصل الاهتمام بقضية مقتل العاهرة . أو أى جريمة قتل مماثلة تكون قد وقعت خلال تلك الفترة الزمنية . سأتصل بك إذا ما وجدت أى شىء ."

نزلت من السيارة ولوحت له مودعة ، اتجهت إلى أول سيارة أجرة واقفة عند الرصيف، قالت للسائق المغربى الذى كان يقرأ من صحيفة عربية " سفارة الولايات المتحدة لدى الاتحاد الأوربى من فضلك ."

* * * *

وفى سفارة الولايات المتحدة لدى الاتحاد الاوروبى جلست بريندا قبالة مكتب سكرتيرة السفير سورينسون الخاصة ، تفحصتها بريندا جيدا : سيدة بابتسامة دائمة مثبتة على وجهها المستدير ، فستانها الازرق محكم تماما حول جسمها ، شعرها مصفف بعناية ، تبدو سو بارى كأفضل نموذج لكفاءة السلك الدبلوماسى .

"منذ متى تعملين مع السفير ؟ "

"سأكمل ثلاث سنوات فى شهر أغسطس ."

"كيف يمكنك وصف السفير سورينسون ؟ "

"كرئيس ؟ حسنا ،كان يصرف أمور البعثة بنزاهة كبيرة كما أعتقد . ولكنه كان

صارما كثير الطلبات . وفي بعض الأحيان فظا ، كان يريد كل شيء على أكمل وجه .كان يجعلنا نعمل ساعات طويلة ، ولكن يجب أن أقول إنه كان يعوضنا جيدا . فقد كان كريما في منح الإجازات . ولكنه كان قاسيا ، بل كان مدمرا في تأنيبه ."

"ماذا عن حياته الخاصة ؟ هل سمعت أو كنت على علم بالكيفية التي كان يقضي بها وقته؟ "

ردت بوجه يخلو من أية مشاعر " إذا كنت تتساءلين عما إذا كنت أعرف شيئا عن جانبه المتقلب ،فالإجابة نعم . فإن كل شخص في هذا المبنى يعرف انه كان يجرى وراء النساء . وليس بوسعي أن أصف معظمهن بأنهن سيدات . أشعر بالدهشة من أن واشنطن لم تتحدث معه مطلقا حيال هذا الأمر ."

"ولذا فإنه لم يحتفظ بامرأة ؟"

"لا ، لم يكن هناك شيء من هذا القبيل وإلا كنت عرفت . "

"حسنا ، هل على سبيل المثال كان يفضل أية واحدة ؟ أعني واحدة كان دائما يدعوها لمنزله ؟ "

"لا أعتقد ذلك .ربما جيرارد سائقه الخاص هو الذي يعرف ذلك ."

أخرجت بريندا نسخة من صورة العاهرة القتيلة من حقيبة أوراقها ووضعتها على المكتب بينهما ." هل رأيت هذه الفتاه من قبل ؟ معه أو في أي من البارات في هذه المنطقة؟"

"لا ، بالتأكيد لا ! أنا لا أتردد على البارات كما كان يفعل سفيرنا الراحل ، كما لم أذهب لمقره في أوقات متأخرة من الليل ." ثم فكرت لثوانٍ وتساءلت " لماذا لا تلقين نظرة على مفكرة مواعيده الشخصية ؟ انه يحتفظ بها في درج مكتبه المغلق . ولدى مفتاحه ."

"شكرا لاقتراحك ."

توجها إلى حجرة مكتب السفير الخاصة ، الرفاهية التي شاهدتها بريندا في مقره كانت واضحة هنا أيضا على الرغم من أنها كانت على نطاق اصغر وبصورة اكثر محافظة. أنه لم يكن يبخل بشيء لإحاطة نفسه بالمقتنيات الفاخرة العتيقة من مائدة توسكان المرصعة إلى سجاد اصفهان .قالت بينها وبين نفسها «كان له ذوق رائع».

فتحت سو باري الدرج الواقع على يمين مكتب السفير وسلمت بريندا مفكرة جلدية .

قالت بريندا وقد جلست على مقعد بجوار المدفأة " إذا كان الأمر سيان عندك ، فإنني سأجلس هنا لفترة لألقى نظرة جيدة على هذه المفكرة وأي شيء آخر في مكتبه. "

"بالطبع ، هل لك في فنجان من القهوة ؟ "

"نعم شكرا "

تمهلت في تصفح المفكرة وقررت أخذها معها لإلقاء نظرة فاحصة أخرى عليها . ربما ترسلها لمعمل مكتب التحقيقات الفيدرالي إذ ربما يكتشف خبراؤه الأكفاء شيئا لم يلحظه أحد .

أستغرق الأمر منها عدة دقائق لفك طلاسم خط السفير . معظم الأيام تتضمن الروتين اليومي نفسه، اجتماعات ، دعوات على الغذاء ، مهام رسمية .ولكنها لاحظت موعدا تكرر في الأسابيع الأخيرة .فزاني السفير الليبي .العديد من هذه الاجتماعات كانت تعقد في مقر سورينسون . هل كان فزاني يدرس المكان جيدا ؟ على الرغم من المعلومات بأن الليبيين غير متورطين ، لم تكن متأكدة تماما . لقد لاحظ جيرارد أن المرأة بدت غير مهتمة بالمقر ، كما لو كانت تعرف معالم المكان . ربما أخبرها فزاني .أو ربما كانت هناك قبل ذلك ؟

عندما عادت سو بالقهوة ، تساءلت بريندا إذا كانت تعلم بعلاقة سورينسون الوثيقة مع الليبيين .

"أوه نعم بالتأكيد كنت أعلم ." جاء ردها وهي تضع الفنجان أمام بريندا . " كريمة وسكر ؟ "

"سادة، شكرا ، كلميني عن هذا الأمر ."

"كانا في الغالب يعقدان اجتماعات . حتى سرعان ما أصبحا أصدقاء كما أعتقد . فزاني نفسه مولع بالنساء إلى حد ما ، كما تعلمين . أراهن على أنه كان يقدم للسفير بعض النساء . لقد سمعت مصادفة السفير سورينسون ذات مرة في الهاتف يلمح بأمر كهذا له . هل يمكن أن يكون لهذا الأمر علاقة بالقضية ؟ "

ردت بريندا " ليست لدى أية فكرة ، ولكنه مجرد ظن ، سألقى نظرة على المكان إذا لم تمانعي .سأوقع على أي شيء آخذه معي "

"بالطبع ." وتركت السكرتيرة بريندا تفعل ما يعن لها .

بعد نصف ساعة خرجت بريندا من مكتب سورينسون الخاص وهي تحمل مفكرة مواعيده وقليلاً من الملفات وشريطي كاسيت . سلمت سو باري إيصالا موقعا منها على هذه الأشياء ، شكرتها على تعاونها وأعطتها رقم هاتف الفندق للاتصال بها إذا ما تذكرت شيئا ربما يساعد في التحقيق .

قضت بريندا الساعتين التاليتين في الحديث مع عدد من المسئولين البارزين في البعثة ، من بينهم القائم بالأعمال ، المستشار السياسي ، رئيس محطة السي آي أيه وضابط الأمن وكانوا جميعا على علم باتصال سورينسون مع حامد بن فزاني .

أكد مايكل هاوثورن المستشار السياسي انه كان معروفا جيدا للولايات المتحدة أن فزاني هو الذي يرأس العمليات الإرهابية الليبية في الغرب .

تساءلت بريندا " ما التبرير الذى قدمه سورينسون لاتصالاته مع الليبيين ؟ "

رد هاوثورن بسخرية " كان يصر على أن هذه الاتصالات تحظى بموافقة الرئيس ، ومن ثم لم يكن هناك الكثير الذى يمكننا عمله لإثنائه عن ذلك على الرغم من أننا حاولنا. "

نصحته بريندا قائلة " انه سوف يكون من المجدى كثيرا أن يجمع كل ما لديه من وثائق بشأن تلك المحاولات ."

فى الساعة ١٢ر٤٥ قبل مغادرتها مقر البعثة ، أتصلت بجاى لتطلب منه أن يلقاها فى مطعم أرم دى بروكسل . «أننى فى حاجة إلى جلسة أخرى معه . ربما تتضح الأمور أمامى ويلهمنى بفكرة رائعة» .

* * * *

على الرغم من أن المطعم كان مزدحما ، فإن مائدة جاى فى أحد أركانه كانت محجوزة، كان يوما دافئا ورطبا ، ولذا فإنه خلال انتظاره لبريندا طلب كأسا من البيرة لترطيب حلقه.

بعد عشر دقائق وصلت بريندا .

سأل جاى بلهفة " ماذا أكتشفت زميلتى الرائعة ؟ "

أشارت إلى كأس البيرة قائلة " أريد واحدا من هذا ، شكرا " ثم ردت عليه " بصفة أساسية كل ما توصلنا إليه فى وقت سابق فيما يتعلق بصلات السفير الليبية قد تأكد . أعرف أن لديك مصدرا بين الليبيين فى تلك المسألة ، ومع ذلك حصلت على مفكرة سورينسون التى تضم كل لقاءاته مع فزانى . يجب علينا أن نتحقق من ذلك مما يقوله مصدرك ."

"حسنا ـ وأنا أيضا لدى شيء هنا لك .قائمة وصور فوتوغرافية لقتلة محترفين . ولكن بريندا لدى مفاجأة أكبر لك ! أتصل جيرارد قبل أن أغادر المكتب مباشرة ."

"حقيقة ؟ ماذا قال ؟ "

"لقد تعرف على القتيلة ويعتقد أنه شاهدها مع السفير : سنراه مرة أخرى غدا . "

"لماذ ا غدا ؟ لماذا لا نذهب الآن على الفور ؟ "

"الآن ؟ " قالها متنهدا وهو يقف ببطء متطلعا بحسرة إلى كأس البيرة الذى كان مازال فى منتصفه .

كان جيرارد ينتظر عند بوابة المقر الحديدية يلتهم فطيرة ويلقى بالفتات على طريق السيارات الذى يشق الحديقة . كانت عيناه المستديرتان الصغيرتان تدوران بسرعة تارة ناحية اليسار وتارة ناحية اليمين . كان من حين لآخر يتوقف عن المضغ ليمسح جبهته التى تتفصد عرقا .

لدى رؤيته سيارة المفوض البيجو تقترب ، أعتدل جيرارد فى وقفته وألقى بما تبقى من الفطيرة داخل علبتها ثم مسح فمه تاركا بعض الفتات وقد تعلق بشاربه الكث .

قال جاى وهو يغلق باب السيارة فى الوقت الذى كانت فيه بريندا قد غادرتها واتجهت للمقر السكنى " دعنا نتحدث معك يا سيد جيرارد ."

وعندما وصل للمقر أخرج جاى صورة أكبر حجما للعاهرة القتيلة وناولها لجيرارد " أنظر أنها صورة أوضح هل رأيتها من قبل ؟ "

"نعم ، انها هى تماما ."

ألحت بريندا قائلة " هل أنت متأكد مائة فى المائة أن هذه هى الفتاة التى رأيتها ؟ "

أومأ قائلا " كما لو كان هذا وقع بالأمس . لقد أعادت الصورة إلى ذهنى كل شئ بوضوح . كانت هنا قبل عدة أيام من مقتل السفير .كانوا أربعة ..."

"أربع سيدات ؟ " أشار جاى لجيرارد كى يتوقف . بحث فى جيبه عن جهاز تسجيل صغير أداره ثم أشار للرجل لكى يكمل حديثه .

أدرك جيرارد بوضوح أنه أصبح محل اهتمام . كان قد أعتاد أن يوجه الأسئلة خلال عمله فى قوة الشرطة ، وهو الآن يقف فى الجانب الآخر، شعر بالسعادة لمروره بهذه التجربة .

"كان هناك أربعة منهم ، السفير والرجل الآخر الذى يدعى بيتر . والفتاتان . كان يبدو أن الرجلين قد شربا حتى الثمالة . وكانت الفتاتان تترنحان , ولكن ليس بدرجة سيئة، " كان جيرارد حريصا على إضفاء اكبر قدر من الإثارة على روايته " كانت الفتاة الأخرى ـ ليست العاهرة القتيلة ـ ذات شعر أسود قصير . وأتذكر ، تماما مثل الليلة التى قتل فيها السفير . لم تكن الفتاة مهتمة بالمكان ، مثل رئيسها ." وتوقف لثوانٍ وأغلق عينيه ومر بيده على جبهته كما لو كان يستجمع شتات ذاكرته . حثته بريندا قائلة " ثم ماذا ؟ "

"الرجل الآخر ، هذا الذى يدعى بيتر . أراد أن يجرى اتصالا هاتفيا وطلب منى السفير أن أدله على حجرة المكتبة ."

قال جاى هذا يعنى أن «بيتر» كان لديه فرصة للحصول على فكرة طيبة عن طبيعة الطابق كله ؟ "

ردت بريندا " يبدو ذلك ، سيتعين علينا أن نتعقب خطواته بالضبط . هل يمكن الذهاب من حجرة المكتبة إلى جناح السفير عبر الحديقة ؟ "

"نعم ، سيدتى. "

التفت جاى إلى جيرارد " تماما ! هل بوسعك وصف بيتر لنا ؟ "

فكر جيرارد بضع ثوانٍ قبل أن يقول " داكن البشرة ، له شارب كث ، انت تعرف جنس

البحر المتوسط . يتحدث الفرنسية بلكنة ثقيلة . يبدو أنه تركى أو ربما يونانى أو ايطالى وربما من منطقة البلقان ."

"حسنا يجب أن تأخذنا للمكتب ـ الطريق نفسه كما فعلت مع بيتر . "

"بالتأكيد . ولكن هناك المزيد ، النقطة الرئيسية هى .... " صرخ جاى فيه قائلا " توقف الآن جيرارد ، لو لم تكن شرطيا سابقا لكنت سددت لك لكمة مؤلمة ! تعال ولا تضيع وقتنا ."

"أسف . الفتاة ذات الشعر الأسود ، كانت هى الفتاة نفسها التى كانت مع السفير فى آخر ليلة ، أعتقد ذلك ."

"تعتقد ذلك ؟ "

"أننى متأكد تماما . كانت ذات عيون خضراء ،كثيرا ما عادت للظهور لى فى منامى .وكما قلت لم تكن مهتمة بالمنزل . حدث ذلك فى كل من ليلة الجريمة وتلك الليلة قبلها عندما كانوا أربعة . تعودت الاستمتاع بمشاهدة ردود فعل هؤلاء المومسات اللاتى يجلبهن إلى هنا .ولكن هذه الفتاة لم تمنحنى أية سعادة على الإطلاق ."

قال جاى وهو يربت على كتف الرجل " شكرا ، لقد كنت مفيدا للغاية . والآن دلنا على حجرة المكتب ."

بعد الجولة ، تساءلت بريندا " ما هو تصورك لهذا الرجل بيتر ؟ قواد أم قاتل محترف ؟ بالطبع ، بيتر ، هو اسم مستعار ـ من الحماقة أن تستخدم الفتاتان اسم هذا الرجل أمام حارس السفير الخاص ."

"الأمر الوحيد الذى نحن متأكدون منه تقريبا هو ، عزيزتى بريندا ، هو أن المرأة ذات العيون الخضراء كانت آخر شخص يشاهد مع السفير . ومن ثم فإنها وصديقها صاحب البشرة الداكنة هما المشتبه فيهما الوحيدان بالنسبة لنا . والان ، سأخمن أن بيتر قام بهذا العمل القذر . سهلت له المرأة الوصول إلى الهدف . ثم كان الامر سهلا بعد ذلك . عندما كان سورينسون فى المنزل كان جرس الإنذار متوقفا ، أمن فى حالة يرثى لها إذا ما طلبت رأيى . دعينا نذهب " واتجه جاى إلى جيرارد .

"جيرارد هل تأتى معى إلى المقر لترى بعض الصور ؟ نحتاج إلى معرفة هوية بيتر على الأقل لدينا أسم لا نعرف إذا ما كان حقيقيا أم لا ."

* * * *

وفى وقت لاحق بعد ظهر ذلك اليوم طرق جاى باب غرفة بريندا فى الفندق . كانت جالسة أمام جهاز الكمبيوتر المحمول تدون ملاحظاتها .

"عزيزتى بريندا .. "

"نعم ، أنا قادمة ."

قال جاى وهو يضغط على مخارج كلماته " ليست لدى أية أنباء خطيرة ." أبتسم وهو ينظر خلف عدسات نظارتها فى عيونها الجادة .

"أخفق جيرارد فى التعرف على أية صورة من سجلاتنا للقتلة والإرهابيين المعروفين . يتعين عليّ الاعتراف بأنه كان يحدونى بعض الامل . ولكنه متأكد من أن أيا منهم ليس هو بيتر الذى نبحث عنه "

"يااللاسف .ثم ، ماذا بعد ذلك ؟ "

"سأطلب من رجالى أن يبحثوا فى أرشيفنا عن كل حادث إرهابي أو اغتيال . سيستغرق الأمر بعض الوقت وسيحتاج إلى بعض الحظ .كما سأقوم بالتحرى مع بعض الأجهزة الصديقة فى اوربا ، سأعطيهم وصف جيرارد لصديق ذات العيون الخضراء وسنرى النتيجة . " وتطلع مرة أخرى إليها بصورة أكثر ودية ، وابتسم قبل ان يضيف " بقدر ما سأفتقدك ،فإنه قد يكون من الأفضل لك أن تعودى إلى واشنطن ."

قطبت جبينها .

"ولكن يا عزيزتى بريندا ، لا تقلقى ، سأجد عذرا لتعودى إلى هنا وقريبا للغاية ."

قالت " لقد بدأت أحب بروكسل . " ثم عادت لتركز على بيتر ." أتفق معك على أنه الشخص الذى يجب البحث عنه . إذا عثرنا عليه سنعثر على الفتاة . مازلت لا أستطيع مقاومة الشعور بأنه نظرا لأنها كانت آخر من شاهدت سورينسون على قيد الحياة فإن احتمالات أنها هى التى قتلته قوية ، فقد كانت تعرف نقطة ضعفه . وعلى أية حال إذا عثرنا على أحدهما سنعثر على الآخر ."

"عزيزتى بريندا ، سوف نبحث ونبحث مرة أخرى . انه كما تقولون أيها الأمريكيون- لم ينته الأمر بعد ... "

"سأغادر فى الصباح ..أنتظر نتائج تحرياتك . المشتبه فيهم أوربيون وربما مازالوا يحومون حول أوربا .لذا سارع بالقبض عليهم ، سيدى المفوض ، من فضلك ."

"ليس هناك ما سيسرنى أكثر من أن أقدم إليك ذات العيون الخضراء وبيتر على طبق من الفضة ."

الفصل الثامن

جنيـــف
السادس من يونيو

لم يشعر بعجلات طائرة الخطوط السويسرية الايرباص ٣٢٠ البيضاء القادمة من لندن وهي تلامس المدرج الذي يشبه سجادة داكنة اللون في مطار كوينترين . كان وليام راسيل مستشار الأمن القومي الأمريكي في رحلة « عمل خاصة » دون حاشية . يكن روسيل إعجابا كبيرا بالسويسريين لما يتمتعون به من مواهب عديدة وخاصة إدارتهم لأفضل خطوط جوية ومطارات في العالم .

ومنذ تعيينه أخيراً في البيت الأبيض وتلك الاجتماعات التي لا تنتهي ، لم يعد روسيل يجد وقتا للسفر وهو أكثر ما يفتقده منذ أيام أن كان يعمل أستاذا في الجامعة . وباعتباره متخصصا في شئون الشرق الأوسط ، كان بوسعه القيام برحلات متعددة ، وعلى الرغم من أن معظمها كان لمنطقة الخليج فإنهُ دائما ما كان ينجح في أن ينتزع لنفسه يومين في أوربا . وكان يجد التباين بين جنيف والقاهرة أمرا يبعث على الإثارة .

ما أجمل العودة . ابتسم بود للمضيفة الشقراء وهو يغادر الطائرة وعندما ضربه هواء بارد مباغت في مثل هذا الوقت من يونيو وهو مازال على سلم الطائرة تمنى لو كان معه معطف خفيف ليضعه فوق أكتافه وهو يصعد للحافلة التي ستقله إلى مبنى المطار .

أستغرق الأمر ست دقائق لمغادرة الطائرة والمرور عبر الجوازات واجتياز الأبواب الخضراء للجمارك السويسرية . وقال في نفسه بإعجاب «تقريبا نفس الوقت الطبيعي» نظر في ساعته الأوميجا واتجه إلى بوابة الخروج الرئيسية ، شعر بارتياح لدى رؤيته الفريدو واقفا بجوار السيارة المرسيدس ٦٠٠ الفضية التي تنطلق برشاقة من هذا المطار بالعديد من ضيوف منصور شريف الحميمين .

اختفت أمتعة روسيل داخل الحقيبة الضخمة لهذه السيارة القوية . بعد ثوانٍ كان الفريدو قد أنطلق بالسيارة . اجتازت المرسيدس منطقة باليكسبو واتجهت يمينا إلى طريق فيرن ومضت إلى وسط المدينة .

تساءل روسيل « فيزينيز اليوم ، الفريدو؟» .

«لا ، سيدى إننا سنتجه مباشرة إلى ميجيف » .

« آه ، صاحبنا باشا مراكش أنتقل إلى مقره فوق جبال الألب ، أليس كذلك ؟ حسنا ، لدى وقت لشراء سيجار فاخر بعد هذه الرحلة اللعينة . أنهم لا يسمحون بالتدخين» .

جفل الفريدو . وعرف روسيل على الفور أن الفريدو يخشى من أن تعبق السيارة بدخان التبغ لفترة طويلة بعد انتهاء هذه الرحلة التي تستغرق الساعة . شاهد روسيل مرات عديدة منصور وهو يمنع التدخين في حضوره ويوبخ أى فرد من أفراد عائلته أو العاملين معه يتجاسر على تلويث منزله أو مكاتبه أو سياراته بهذه الرائحة الكريهة .

يحتفظ بالعبوات المعطرة للجو فى كل مكان . وفى حالته فإن الفريدو سيرى حتما أنه من غير المناسب أن يقول أى شئ لراكبه الذى يعرف جيدا من خلال الزيارات السابقة مدى علاقته الوثيقة برئيسه .

لدى اقتراب السيارة من فندق انتركونتيننتال مقر العديد من مؤتمرات الأوبك طلب روسيل من الفريدو أن يتوقف ليشترى صندوق مونت كريستو من محل السيجار الشهير جيرارد اند فيلس . خلال وجوده في الفندق قام بقص شعره بسرعة على يد جان كلود حلاقه المفضل على وجه الأرض .

منصور يبدو دائما أنيقا وإلى جانب ذلك يعرف روسيل أنه لن يتاح له الوقت ليقص شعره عند عودته لواشنطن .

وفى غضون دقائق كان يجلس مرفها فى المقعد الخلفى مع واحد من أفضل السيجار الكوبى الذى من المستحيل العثور عليه فى الولايات المتحدة . وصلا إلى بونت دو مونت بلانك الذى يربط ضفتى لاك ليمان .

اخترقت السيارة الفضية وسط المدينة إلى طريق دو مالاجنو فى دقائق قليلة ليصلا إلى نقطة الحدود الفرنسية السويسرية قبل طريق بلانش السريع وهو الطريق الفرنسى السريع إلى جبل بلانك أعلى جبل فى أوربا . لوح ضابط الجمارك للسيارة لتعبر الحدود . حدس روسيل بأن ضابط الجمارك قد رأى لوحات جنيف ، وضمن بأن أثرياء سينفقون فرنكات سويسرية فى لابيل فرانس . ولكن يا للأسف عزيزى الضابط فإن موظفاً حكومياً أمريكياً هو الجالس فى هذه السيارة . وضحك بينه وبين نفسه .

بعد ثلاثين دقيقة من القيادة بسرعة ١٦٠ كيلو متـرا ، أتجه الفريدو يمينا إلى قرية سالانشيز الصغيرة الصناعية مقر بعض من أفضل مصانع أدوات التزحلق على الجليد فى فرنسا . ثم بدأ فى اجتياز الطريق الجبلى الملتوى إلى كومبلو ثم إلى ميجيف منتجع التزحلق الذى طورته أسرة روتشيلد.

وبعد أن طوت سيارتهما الطريق الجبلى لمدة عشرين دقيقة وصلا إلى شاليه رائع على قمة جبل داربو الذى يطل على ميجيف . نزل روسيل من السيارة ليستقبل الجو الجبلى المنعش المعبق بعطر اللافندر، لاحظ بالقرب منه الجدول الصغير الذى يقطع منطقة جبل داربو الذى يتذكره من الزيارات السابقة، يطلق عليه السكان المحليون «نهر الأردن» كناية عن الوجود الملحوظ لليهود والعرب هناك.

فتح أحد الخدم الباب ورحب ببروسيل باللغة الفرنسية، يحب بروسيل التحيات بالفرنسية والعربية اللتين تعلمهما منذ طفولته فى شمال افريقيا وفى الخليج، وعلى الرغم من أنه يتحدث العربية أفضل إلا أن فرنسيته كانت كافية للتأثير فى النساء حول العالم

والتفاهم مع القائمين على الخدمة فى المطاعم الباريسية الذين يتسمون بحساسية مفرطة.

فى حجرة الاستقبال صب له رئيس الخدم كأسا من النبيذ «كير المخلوط المنعش» وعلى الرغم من أنه نادرا ما كان يفكر فيه وهو بعيدا عن أوربا فإن روسيل استمتع بالنبيذ الأبيض المخلوط بقطرات من شراب الكسيس.

واسترخى فى مواجهة المدفأة سعيدا بعودته مرة أخرى إلى ميجيف.

على الرغم من أن هذا المكان هو الآن واحد من أحب الأماكن إلى نفسه فإنه جاء إلى هنا للمرة الأولى فى عام ١٩٧٨ بالمصادفة بعد أن فشل فى العثور على غرفة له فى أحد فنادق جنيف القريبة لقضاء إحدى عطلاته.

وجاء الإنقاذ على يد صديقه المغربى الثرى منصور شريف الذى اقترح عليه ميجيف وحجز شاليها لروسيل ورفيقته السمراء الجميلة من لويزيانا.. كان روسيل قد انتهى لتوه من دراسته التاريخية عن طرد العثمانيين من العالم العربى وكان المكان رائعا للتفكير فى صياغة أطروحته وكتابة هوامشها خلال النهار والإرتماء بين أحضان ساندرا خلال الليل.

وقطع خيط ذكرياته دخول منصور طويل القامة، مهيب الطلعة بشعره الأشهب ولحيته الصغيرة المشذبة، كان روسيل يعتقد دائما بأنه لابد من أصل بربرى وليس عربى وهذا مايمنح منصور وسامته المهيبة التى قد تثير أعصاب أولئك الذين يلتقون به للمرة الأولى، بعض الأشياء لاتتغير أبدا، قالها منصور فى نفسه وهو يرى منصور يتفقد الغرفة ويتأكد من الحالة العامة لصحة ضيفه وما إذا كانت أخشاب المدفأة كافية أم لا.

«صديقى العزيز، أتمنى أن تكون قضيت رحلة مريحة من جنيف إلى هنا؟».

«بالطبع، منصور، كل شيء كان على مايرام، كالمعتاد الفريدو، السيارة، منصور، المناظر الطبيعية، الشاليه، حتى النبيذ، وكلها تذكرنى بزيارتى الأولى إلى ميجيف، ماذا عساى أن أطلب أكثر من ذلك؟».

ذ حك مضيفه وقال فى ظرف «يجب أن تطلب شيئا صعبا لتتملقنى ولكن مازال عليك أن تستمتع بالعشاء وبقسط وافر من الراحة، وستشعر بعد ذلك بالسعادة لكونك بعيدا عن هؤلاء الصحفيين والساسة والمسئولين الحكوميين الذين دمروا حياتك».

كان فى وسع روسيل فى حقيقة الأمر أن يتذكر الكثير من هذه الأمور، ومن ثم هز رأسه بأسى قائلا: «إيه. نعم».

جاء جان ـ بيير إلى الغرفة ليعيد ملء كأس روسيل من الإبريق المصنوع من الكريستال والفضة وليسأل سيد البيت إذا ما كان يرغب فى شراب.

قال منصور «مياه»، وأضاف «يجب على المرء ألا ينسى أبدا جذوره وباعتبارى بدويا،

يجب أن أكون مستعدا للعودة إلى الصحراء إذا دعت الضرورة وهناك ليس أمامي سوى مياه الواحة»، وابتسم قبل أن يسترسل قائلا «وهو مايبقيني مستعدا دائما لكل الاحتمالات».

قال روسيل «دائما أنت فيلسوف، صديقي، إنني أفتقد حكمتك الكونية عندما أعود إلى الوطن».

«قل لي، بيل ماهي المسألة الفظيعة التى توشك قوتكم العظمى على أن تطلق شرارتها فى العالم خلال موسم الصيف؟ هل أنتم بصدد تدمير الهند وباكستان الآن لأنهما اختبرتا قنابلهما النووية مرة أخرى؟ ومن ثم هل يتعين على أن ألجأ للصحراء؟».

ابتسم روسيل «مثلما يعرف العالم جيدا، يستعدون فى بلادى لحملة انتخابية حامية، سباق متقارب للغاية بين ثلاثة من أعضاء مجلس الشيوخ، فى الحقيقة قد نواجه مشكلات سياسية، يصعب تصورها، فيما يتعلق بالشرق الأوسط خاصة إذا ماجرى انتخاب هذا السناتور ويستليك»، ونطق اسم ويستليك بازدراء»، كما يتنافس أيضا كرامر وأنت تعرف من أين جاء بأمواله!».

هز منصور رأسه قائلا: «الله يهدينا يوميا بالمشكلات لاختبارنا، وبدونها سنصاب بالدعة وسيهزمنا العدو، قل بدقة أكثر، ماهى المشكلة لكى أتمكن من حلها!».

«ويستليك هذا هو مدعاة قلقى، أنه بسبيله للفوز بسهولة بترشيح الديمقراطيين فى الشهر القادم، وكما تعلم فإنه واحد من أكثر أعضاء مجلس الشيوخ موالاة لإسرائيل، أمر واحد مؤكد أنه......» وتردد روسيل قبل أن يضيف «إنه خطير... ماذا بوسعنا أن نفعل لوقفه؟».

ابتسم منصور قائلا «بصراحة.. صديقي العزيز أنه من الصعب بالنسبة لى أن أرى ماذا سيكون عليه الفارق، فطوال التاريخ المعاصر يتنافس معظم مرشحى الرئاسة الأمريكيين ليتفوق كل منهم على الآخر فى الخضوع والخنوع للوبى الصهيونى في الولايات المتحدة ـ أنت تعلم اللوبى الذى ليس له وجود فى حقيقة الأمر!»، وضحك وأخذ شربة طويلة من المياه «تذكر هذا المشهد فى عام ١٩٨٤ عندما ظهر مونديل وهارت وجاكسون أمام مجموعة يهودية فى نيويورك وحاول كل منهم أن يثبت أنه قدم لإسرائيل أكثر من الآخر، أو جينجريتش»، وابتسم في سخرية «أنه ليخيل لى أنهم يتنافسون على رئاسة إسرائيل»، وابتسم روسيل بدوره «ولكنهم جميعا الآن فى ذمة التاريخ».

أومأ روسيل موافقا «بالطبع».

واصل منصور حديثه «إلى جانب هذا ياصديقى، الصهاينة فى الولايات المتحدة

جعلونى أكسب أموالا أكثر من أى شخص آخر، إذ بفضل عرقلتهم لموافقة الكونجرس على مزيد من مبيعات مقاتلات أف ـ ١٥ للمملكة العربية السعودية، تسنى لى ولشركائى السعوديين أن نمضى قدما فى صفقة التورنادو وقد بلغت تكلفة هذا المشروع حتى الآن أكثر من عشرين مليار دولار مع عمولات لن تصدقها أبدا!، عمولات ستجعلنى مكتفيا طوال حياتى، والآن هل فهمت لماذا أحب صهاينة بلادك «وضحك من قلبه» لقد صمموا بتهور على أن يسيطروا على سياستكم الحقيرة فى الشرق الأوسط والتضحية بأكثر مبيعاتكم الخارجية ربحا، ناهيك عن الوظائف فى بلادهم، وفى كل مرة يصلنى بيان بحساباتى المصرفية فى جنيف أشرب نخب الصهيونية، فليبارك الله فيهم!»، ثم طلب من صديقه أن يذهب معه إلى قاعة الطعام قائلا «لقد حان الآن وقت تناول وجبة خفيفة».

* * * *

كان روسيل معتادا على وجبات منصور «الخفيفة». متع ناظريه بمشاهدة أطباق السلطات الشرقية الشهية وعشرة صفوف من الضلمة والفلفل المحشو والأسماك القشرية وشرائح من جبن الأغنام.

لم يكن منصور يطيق صبرا ولو لثوانٍ قبل أن يقدم له الطعام، ولذا فقد اتجها مباشرة إلى المائدة وقضم روسيل قطعة من الخبز وانتظر كى يتناول منصور شريحة من طبقه قبل أن يدير المناقشة ليعود بها إلى الغرض الذى جاء إلى هنا من أجله.

«سلطة رائعة». كان منصور يعلم أن هذه مقدمة لما سيأتى بعدها».

«أبلغنى مستشارى المالى عن العديد من إمكانات الاستثمار الطيبة التى قد تثير اهتمامنا معا»، وتوقف روسيل وتطلع بثبات فى مضيفه، أومأ منصور برأسه، كان حديث روسيل محملا بالدلالات واستمع بعناية.

«شراء حفنة ممتازة من الشركات الأمريكية، مشروع للتنمية العقارية مربح فى كاليفورنيا وشركة صغيرة للبترول عبر البحار كلها معروضة للبيع، ولكن الأكثر أهمية من كل ذلك هو قلقى من فوز ويستليك بالانتخابات، فذلك قد يضرنا».

«بيل، يجب على شعبكم كله أن يعرف أن كل سياسى ماهو إلا بغى، أنت هناك فى الوسط منهم، والبغايا وحدهن هن الأكثر جدارة بالاحترام، على الأقل هن يقدمن مايعدن به، الوصول للسلطة والبقاء هناك لعبتان مختلفتان، لماذا أنتم تصرون دائما على إضاعة وقتكم فى محاولة للتودد إلى مجموعة أو استبعاد أخرى؟»، قطع منصور قطعة من الخبز وغمرها فى بوريه الحمص الموضوعة أمامه «جرب الحمص، أنه رائع».

ظل روسيل صامتا.

«خلاصة الأمر أنهم يلتفون حول مواطنيهم أو يعملون من ورائهم، للإبقاء على رفاهية الأمة على الرغم منهم، لأنه ليس بوسعهم أبدا جلب الأموال لمواطنيهم بل ينفقون أموالهم أو يخفضون من قيمتها، كما فعل واحد من وزراء خزانتكم فى أواخر الثمانينات».

«منصور، أتمنى ألا تكون للسياسة سوى تأثير ضئيل على بلدك.كما تتظاهر أحيانا، الحقيقة أنت تعرفها جيدا، لذا دعنا نتحدث بجدية، اتفقنا؟»، بدا أن رده الحاد قد عكر صفو الابتسامة على وجه منصور الوسيم البرونزى، تحدث المغربى «اتفقنا، ضيفى العزيز، السياسة هى كذلك، ولكن هل السناتور ويستليك حقيقة بمثل هذا السوء؟، حقيقة أنه أكثر موالاة لإسرائيل من بقية أعضاء مجلس الشيوخ، حتى أكثر من كرامر، ولكن بالنسبة لهذه النقطة فإنه لايبدو أنه فى مثل كفاءة الآخرين، وهذا يعنى أنه ربما يتعامل مع قضية الشرق الأوسط بصورة أكثر سهولة من رجل أكثر ذكاء الذى قد يكون فى بداية الأمر أكثر - إنصافا - إذا كانت هذه العبارة قابلة للتطبيق على أى تقدير أمريكى للشرق الأوسط».

رد روسيل بكلمات سريعة «يبدو أنك لم تستوعب بعد ما قلته، ابن العاهرة هذا الموالى لإسرائيل، أكتسح الانتخابات الأولية فى الولايات الغربية فى مارس وهو فى سبيله الآن للفوز بهذا الترشيح اللعين، من أجل المسيح نريد منك أن تفعل شيئا حيال ذلك، والآن! الإسرائيليون يفوزون دائما لأنكم تجلسون بلا حراك تأكلون الحمص».

«بيل! أهدأ، كنت أستفزك فقط! لأعرف إلى أى مدى يعتبر ويستليك سيئا بالنسبة لنا».

دخل رئيس الخدم فجأة إلى غرفة الطعام وهمس بكلمات بالفرنسية إلى منصور مما دفعه إلى الابتسام بخبث، غير أنه رد بصوت مسموع «حسنا، دعهم يدخلون ولاتجعلهم ينتظرون هناك مثل البلهاء».

كان بوسع روسيل أن يخمن من يكون هؤلاء.

وقال بصوت هامس عنيد «من فضلك، منصور. لا فتيات! أعتقد أنه بوسعنا أن نقضى أمسية جادة».

«أهدأ صديقى، هذه مجرد استراحة لوقفك عن الحديث فى السياسة. وإلا كيف بوسعنا أن نحصل على أية راحة؟ يجب أن أجبرك على الخلود للراحة. على الأقل عندما تكون هنا فوق جبال الألب!».

استسلم روسيل عندما دخلت قاعة الطعام شقراواتان أنيقتان ترتديان ثوبين فاتنين من الحرير الأبيض، ابتسمت إحداهما من الواضح أنها سويسرية بحرارة لمنصور وقدمت صديقتها النمساوية له، ثم التفتت إلى الضيف الأمريكى وقدمت نفسها «أسمى أورسولا، وهذه صديقتى أندريا».

رد روسيل بصوت مستسلم «سعيد بالتعرف عليكما، سيداتى»، واتجه ناحية منصور «تذكر غدا نتحدث عن أعمالنا».

«سنفعل ـ ولكن إذا ما أبليت بلاء حسنا الليلة، سأطلب من الفتاتان أن يختبراك، لنرى ما إذا كنت مازلت الشخص الذى يستحق التعامل معه. وكما تعرف فإننى لا أثق فى رجل لايبلى بلاء حسنا مع النساء»، وأشار منصور للفتاة النمساوية تجاه روسيل وبخطوة رشيقة كانت خلف مقعده، تحيطه بذراعيها وبدأت فى فك رباط عنقه.

وضع الشوكة، فمن الواضح أن العشاء قد انتهى.

ـنصور ودعا ضيفه للتوجه إلى غرفة المعيشة لتناول القهوة التركى جلس ـاء هو وأورسولا على الوسائد المخملية لإحدى الآرائك وجلس بيل روسيل واندريا على الأخرى، بدأ منصور يلعب بجهاز التحكم عن بُعد لتشغيل التليفزيون الخمس والخمسين بوصة وأخذ يتنقل بين قنوات العالم عبر الأقمار الصناعية، وأمسك بالهاتف وطلب من رئيس الخدم أن يحضر له أفلام الفيديو الجديدة التى قال إنه نقلها لتوه إلى جناح نومه، لمنصور شغف واضح بالأفلام خاصة الأفلام الكوميدية الأمريكية فيما بعد الحرب.

ثوانٍ قليلة ودخل النادل ومعه القهوة وطبق شيكولاتة المارون جلاس البيضاء، وضعهما فى صينية مطعمة بالفضة يصل قطرها إلى ستة أقدام وضعت على أرجل قصيرة بين الأريكتين.

سألت أندريا «سيد منصور، لديك فيلم جنسى يمكننا مشاهدته؟ شىء ما يبعث فينا الحماس»، هذه هى أول مرة تأتى فيها أندريا إلى منزل منصور ولم ترغب فى أن تبدو خجولة، كانت أورسولا تعرف أن هذا ليس بالمدخل الطيب وحاولت تحذير أندريا بعينيها ولكن كان قد فات الوقت.

«لا. يا آنسة فيينا، إذا كنت ترغبين فى بعض الأفلام الجنسية، أقترح عليك أن تعودى إلى ماخورك فى بلدك، هذا منزل محترم، وأنت هنا للترحيب بصديقى الدكتور روسيل ولتناول فنجان مجانى من القهوة، توقفى عن طلب الأشياء»، وتوقف منصور فجأة، ورشف من فنجانه العربى بصوت مسموع، بما يليق بشرق أوسطى مخلص ـ بينما كان يحاول استعادة سيطرته على أعصابه.

قرر روسيل انتهاز هذا الجو المتوتر للعودة إلى الهدف من زيارته «أنظرا، لماذا لاتصعدان أيتها السيدتان وتستريحان بينما أنتهى أنا والسيد منصور من قهوتنا، وسنلحق بكما قبل أن تنتهيا من العد إلى ....».

وقبل أن تتمكن أندريا من استيعاب ماحدث، وثبت أورسولا من على الأريكة قائلة «فكرة رائعة، لم يكن لدينا وقتا لتصفيف شعرنا منذ وصولنا نراكما لاحقا، أيها السيدان».

أخذت المفاجأة أندريا وقفزت مثل القط المذعور للانضمام إلى صديقتها واختفت الفتاتان، حاول روسيل أن يغض نظره عن الأرداف المتمايلة الجميلة تحت الحرير الأبيض.

أضاف «لن نستغرق وقتا طويلا» فهو يشعر الآن بوطأة رحلته عبر الأطلنطي.

بعد أن تركتهما الفتاتان، وصل كبير الخدم ومعه شرائط الفيديو، طلب منصور من جان بيير إدارة شريط دين مارتين وجيرى لويس الكوميدى «أنس الفتاتين، دعنا نشاهد الفيلم، أنه فيلم جيد».

بدأ سلوك منصور يثير أعصاب الأمريكي: «إنه يبدو غريب الأطوار على غير العادة، يغريني بالفتيات الجميلات، ثم يصر على فيلم كوميدى غبى، لنقل أنه يحب الأفلام ولكنه يبالغ فى ذلك»، أخذت جفون روسيل فى التثاقل وعاد بخياله إلى الشقراواتين الرائعتى الجمال، شعر فى سره بارتياح لأن منصور تخلص منهما، لم يكن واثقا من قدرته على فعل شىء الليلة.

بعد عشرين دقيقة كان منصور يقهقه وروسيل يشعر بالإجهاد يسرى فى جسده وعقله، قرر أن يتجه رأسا إلى الفراش الذى يشعر بأشد الاحتياج إليه «رفيقى القديم، سأترك لك كلتا الفتاتين الجميلتين ودين وجيرى، لتعرف كم أنى كريم، أشعر بأننى أخبو سريعا ومن الأفضل أن أعثر على الفراش المخصص لى قبل أن ينتهى بى الأمر وأنا أغط فى النوم على هذه الأريكة وأشوه هذا المنظر الكلاسيكى».

«بيل أنت دائما تقلل من شأنى، رغم تلك السنوات التى مضت؟، كم يبلغ عددها الآن؟ لدى شىء لك لتأخذه معك إلى الفراش ، شىء خفيف لتقرأه فى حالة استيقاظك فى الساعة الثالثة فى منطقة زمنية مختلفة، صديقتى من زيورخ سوف تحضره لك فى حجرة نومك، إنه قطعة صغيرة من الذهب الخالص ـ واحدة من أفضل جهودى، وسيذكرك بأن صديقك القديم منصور لم يفقد بعد لمسته مع عالم الجاسوسية الدولى، عمت مساء صديقى».

نهض روسيل وهو يحاول الوقوف متماسكا.

* * * *

شعر روسيل بسعادة لرؤية جيمس خادم الدور العلوى الذى كان ينتظر بالفعل، من الواضح أنه تم استدعاؤه بواسطة الزر الموجود بالقرب من مقعد سيده، جيمس هو الخادم الانجليزى الوحيد فى حاشية منصور الذى تعاقد معه ليعمل معه بدلا من قصر باكينجهام خلال زيارة رسمية للعاهل المغربى للندن، قاد روسيل عبر الدرج المغطى بكثافة بالسجاد

إلى ممر حجرات النوم المرصع بلوحات حديثة تتناقض مع الأثاث العتيق المصنوع من جذوع الأشجار.

فى نهاية الممر وفى مواجهة جناح رب المنزل، فتح جيم بابا وقاد روسيل إلى جناح سرى فيه الدفء من مدفأة مفتوحة، وعلى غرار مايجرى فى فنادق الخمسة نجوم الفاخرة، طاف الخادم بالضيف الكبير فى الحجرتين وأوضح له طريقة تشغيل الراديو والتليفزيون والفيديو، ودله جيمس على غرفة الحمام وارتداء الملابس حيث تم بالفعل ترتيب وتعليق ملابس روسيل وأخيرا الفراش الذى طال انتظاره له حيث كانت بيجامة روسيل موضوعة بجانب روب الحمام الذى طرز عليه حرف الميم، فى الحمام كان هناك العديد من زجاجات العطور والشامبوهات والكريمات من ماركات مختلفة فضلا عن الصابون ووقعت عيناه على زجاجة من العطر الصافى المسمى «بوس» وضحك فى نفسه.

«فقط أطلبنى على رقم ١٧ إذا ما احتجت إلى أى شىء خلال الليل، سيدى، نوما هادئا»، وخرج جيمس من الجناح الضخم مغلقا الباب خلفه.

نزع روسيل الذى حل عليه التعب سريعا ملابسه ودلف تحت الدش حيث أخذ بتبديله مابين الساخن والبارد ليبقى نفسه متيقظا، وعاد بخطوات متثاقلة وقد سرى فيه شعور طفيف باليقظة إلى الفراش وقد تشرب الروب القطنى رطوبة جسده، تسمر فى مكانه عندما شاهد الجمال السويسرى ملفوفا فى قميص من الستان الأبيض مضطجعا على الأريكة الصغيرة، كانت ترشف كأسا من الشمبانيا صبته لنفسها من الزجاجة التى تركها لتبرد فى البار الملحق بالجناح.

«معذرة لتطفلى، دكتور روسيل، ولكن سعادته السيد منصور يرغب فى تسليمك هذا الملف لتقرأه فى حالة إذا ما استعصى عليك النوم أو صحوت مبكرا، إذا ماكنت ترغب فى تدليك جسدك أو أى شىء آخر قبل أن تذهب إلى الفراش فإنه من دواعى سرورى أن أكون فى خدمتك»، وأضافت: فى صوت أكثر إثارة «إن أى صديق للسيد منصور هو فى الحقيقة صديق خاص جدا لى».

«شكرا، سيدتى العزيزة، ولكن من سوء حظى أننى لن أفعل شيئا سوى ارتداء بيجامتى وسأدع كل شىء آخر، نلتقى على الإفطار». ابتسم وهو يشعر بالسعادة من موقفه الحاسم من أن يفوت مثل هذه الفرصة. «لم يكن من المتصور أن أدع مثل هذه الفرصة قبل عشرين عاما، بل قبل عشر سنوات».

«فى هذه الحالة سأترك لك هذا الملف». ومدت أورسولا يدها خلف إحدى وسائد الأريكة لتكشف عن مظروف مغلق تفوح منه رائحة عطر خفيفة. تركت المظروف على المائدة المجاورة اتجهت ناحية الباب».

«أتصل بى على الرقم ٣٢ إذا ما رغبت فى مناقشة الملف - أو إذا غيرت رأيك - فى أية ساعة. أننى فخورة بهذا الملف، أنه أفضل ماقمت به من أجل السيد منصور منذ وقت طويل». وغادرت الغرفة وهى تستعرض جسدها المشوق. وهو ربما أسهل شىء تفعله طوال يومها.

قبل أن يطفىء الأنوار تناول المظروف، بجفون مرتخية قرأ بصعوبة العنوان «حياة السناتور الأمريكى ويس ويستليك الخاصة وغرامياته» ياإلهى، اللعنة، فعلها منصور مرة أخرى . هل كان يتقدمنى! اللعنة على جيرى لويس. كشر عن أسنانه وتدلى رأسه على صدره وسار متثاقلا إلى الفراش وقد تشبثت يده بالمظروف.

واشنطن العاصمة، السابع من يونيو

جلس السناتور ويس ويستليك على مكتبه فى الساعة العاشرة مساء يكتب تعليمات صريحة بتحويل عدة آلاف من الدولارات من حساب توفير فى جزر كايمان إلى مصرفه المحلى فى واشنطن. كان يشعر بالسعادة إزاء صورته فى وسائل الإعلام أخيراً قبل خمسة أشهر من الانتخابات. خطط بعناية لكى تحظى زياراته أخيراً لضحايا الايدز فى مستشفيات المدينة بهذه الحماسة من جانب وسائل الإعلام كما أراد. ومن حسن الحظ أنه يملك المال ليضمن أنه يحظى بالمساندة من جانب فريق من المساعدين الذين يتسمون بالذكاء والقدرة على العمل الشاق. وقد ظهر هذا بالفعل على غلاف مجلة التايم رمز النجاح فى أمريكا. كما حرص على أن يتزامن مؤتمر صحفى له عن فرض قيود على قطع الأشجار من جانب شركات الأخشاب مع مؤتمر بيئة رئيسى عقد فى البرازيل. ونظرا لأن والده كان يملك واحدا من أكبر مصانع الأخشاب فى ولاية واشنطن فإنه لم يضطر أبدا إلى العمل لكسب قوته. ومع ذلك فإنه ورث حسا ذكيا بالأعمال التجارية، كان يستغله عندما يتعلق الأمر بالحصول على مكاسب شخصية كبيرة. وهو يعرف الكثير عن الأخشاب.

من على الجانب الجمهورى يأتى تهديده المباشر من جورج جونسون زميله عضو مجلس الشيوخ عن ولاية نيوهامبشاير. وعلى غرار ويستليك حقق جونسون مكاسب فى الانتخابات الأولية وهو يتمتع بشخصية كاريزمية «ساحرة» مما يجعل ويستليك لا يشعر بالارتياح. وهو مرشح قوى للفوز بترشيح الحزب الجمهورى فى أغسطس خاصة مع تأييد الرئيس له. لم يكن ويستليك يشعر بالقلق حيال زميله الآخر عضو مجلس الشيوخ عن نيويورك مرشح الحزب الثالث على الرغم من الدعم المالى الكبير الذي يتمتع به. فالحزب الثالث هو حزب ثالث فى أمريكا.

ويقامته التى تبلغ ستة أقدام وثلاث بوصات يعتبر ويستليك وسيما وإن كانت تبدو على

قسماته شيء من الخشونة وهو الأمر الذى كان يدركه ويستليك. يصفف شعره الخليط بين الأسود والأبيض والكثيف إلى الوراء دائما فى إيحاء للشخصيات الكارتونية السياسية التى تحب لفت الأنظار .

ومنحه وجهه المتورد إلى حد ما تعبيرا طفوليا. وهذا التعبير الذى ينم عن الطيبة مصحوبا بالمال والسلطة السياسية والجسارة منحه جاذبية ساعدته على حصد أصوات النساء. ونظرا لأن زواجه فقد ما يصفه «بالحيوية» وجد العزاء فى الصحبة النسائية وخاصة فتاته المفضلة منذ فترة طويلة جيرى ذات الشعر الأحمر المسترسل والشخصية الفاتنة. نظر إلى ساعته كانت تشير إلى ١٠ر٣٠ لابد أنها فى فراشها الآن مد يده إلى سماعة الهاتف.

سمع صوتا يغالبه النعاس «هاى. عزيزى، أفتقدك – خاصة الآن».

«أوه. نعم، أننى مشتاق لجمالك الرائع» سمع ويستليك صرير باب فى الدور الأعلى.

«أسمعى وداعا الآن، سنكون على اتصال فى أقرب وقت، أتفقنا»؟

«أخر مرة قلت فيها ذلك كان قبل أسبوعين، تذكر لن أطيق من الآن وصاعدا هذا الوضع».

وضع سماعة الهاتف وجلس ويستليك يحملق أمامه مثل صبى وجد نفسه فى حيرة. «ما الذى تفكر فيه هذه اللعوب بحق الجحيم؟ إنها لن تجرؤ. يتعين علىّ أن أخذ حذرى. اللعنة».

الفصل التاسع

واشنطن العاصمة

الحادى عشر من يونيو

فور عودتها وجدت بريندا على جهاز الكمبيوتر الخاص بها رسالة عاجلة من القاضى بيكر «أتصلى بى الآن .الرئيس ينتظر» . توقعت بأن دوجلاس بات على استعداد لبحث صلة سورينسون بالليبين. «يبدو أن تحدى القاضى الحساس للرئيس قد أثمر ، الأمر فى سبيله لأن يصبح ممتعا».

قادت مارى مالونى سكرتيرة الرئيس ، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى وبريندا إلى المكتب البيضاوى . كان دوجلاس يدون آخر ملاحظة على وثيقة قدمها له بيل روسيل الواقف بجوار المكتب المصنوع من خشب البلوط .

وبدون أن ينظر إليهما قال الرئيس لضيفيه بعد أن أحس بوجودهما «من فضلك أجلس أيها القاضى . سأكون معكما حالا» ، وضع قلمه ورفع رأسه وقال لروسيل " أعد صياغته، وأراه مرة أخرى فى الساعة التاسعة صباح الغد ." ثم أنضم دوجلاس إلى القاضى وروسيل وبريندا فى الصالون .

"القاضى بيكر لدينا عمل لم يتم إنجازه بعد ، أليس كذلك ؟ دعنا نبدأ ."

قال بيكر " سيدى الرئيس ، أسمح لى فى البداية أن أشرح كيف بدأت أهمية هذا الاستفسار .أنه ليس من السهل على أى منا أن يخوض فى مثل هذه المسألة الحساسة..."

رد الرئيس " أوه ، دعك من ذلك أيها القاضى لسنا أطفالا ."

"لا يا سيدى الرئيس ، بالطبع لا . حسنا ، فإن مبعث قلقى الرئيسى يتعلق بالاستفهام عن الأسباب التى دعت السفير سورينسون إلى عقد لقاءات مع السفير الليبى فى بروكسل . لقد أبلغ وزارة الخارجية والدكتور روسيل بأنك وافقت على هذه الاتصالات ." وتوقف القاضى قبل أن يستطرد " لم نجد بعد أى موافقة خطية . ومن الطبيعى أنه إذا كنت قد أعطيت السفير موافقتك الشفهية فإن هذا يكفى تماما بالنسبة لنا . ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك ، فإننا سنحتاج إلى البحث أكثر عن سبب رؤية الليبيين ." وتوقف مرة أخرى . وظل الرئيس على صمته أنه يرغب فى سماع المزيد .

بدا أن مستوى التوتر فى المكتب البيضاوى قد أرتفع . قالت بريندا فى نفسها «لماذا يبدو الرئيس حساسا هكذا عندما يذكر أن شخص سورينسون واتصالاته الليبية ، وهو سبب وجودنا هنا . لماذا لا يتفهم هذا الأمر؟».

حاولت بريندا جذب غضب الرئيس بعيدا عن القاضى ، ربما تتجاوز حدودها , فهنا مكان حساس لا يتحدث فيه أحد بشكل عام إلا إذا طلب منه ذلك .وبعد تردد قررت انتهاز الفرصة .

"سيدى الرئيس ، أعذرني لتدخلى ولكن بصفتى العميل الخاص المسئول عن هذا التحقيق ، يجب أن أبلغك بأن حل لغز جريمة القتل هذه ليس بالأمر السهل . فإن أتفه

وأصغر التفاصيل قد تغير من الأمر . ليس أمامنا إلا تتبع كل الخيوط حتى ولو كان بعضها يبدو واهيا للغاية . صلة سورينسون بالليبيين هى بمثابة لغز لكل من تحدثنا معه، لقد ضغطت على القاضى بيكر لعقد هذه الجلسة معك . يبدو أنك الوحيد الذى بوسعه الكشف عن أى معلومة بهذا الخصوص . إننا فى حاجة إلى مساعدتك سيدى ."

"حسنا ، دعونى أخبركم بالقصة كلها لنضع نهاية لكل هذه التكهنات ."

«أوه ـ لقد عاد إلى مزاجه المتحفظ مرة أخرى». ولكنها زحفت إلى مقدمة مقعدها يحدوها الأمل بأن الإجابة قد تأتى أخيرا .

قال دوجلاس وهو يصك أسنانه " اللعنة ، أيها القاضى إذا قال ديك إنه حصل على موافقتى ، فيجب ألا تتشكك فى ذلك ، فإنه كان فى غاية الإخلاص لى ، لقد وافقت على اتصالاته مع الليبيين . لقد أقنعنى ووافقت . السؤال ليس هو ما إذا كان ديك قد حصل على موافقتى وإنما يجب أن يدور التساؤل حول لماذا أعطيته الموافقة ."

أخذ دوجلاس يطيل نظره فى حجرة مكتبه .فهذه الصورة التى يظهر فيها مع رئيس سابق فى رحلة صيد فى كييز تميل على أحد جانبيها . كان فى حاجة إلى جمع شتات نفسه . وظل صامتا لعدة دقائق . ثم فجأة حول نظره وتفرس فيهم وبدأ يتحدث .

"كان قد مر أكثر من عامين على اختفاء مواطنينا فى لبنان . ومرة أخرى كما تعلمون، كانت مطالب الخاطفين كالعادة ليست محل بحث على الإطلاق . فلم يكن بمقدور الولايات المتحدة ولن يكون بمقدورها الاستجابة لتلك المطالب . فقد كنا نلعب بالوقت فى ذلك الحين"، ووقف فجأة واتجه إلى النافذة . أنه لا يحدق فى شيء محدد . فى الطرف الأقصى من شارع بنلسفانيا ظهرت شاحنة وطائرة فى الأفق . استدار الرئيس وتطلع بحدة إلى بيكر " لم يكن بوسع أية وكالة فى هذه المدينة إبلاغى عن مكان احتجاز الأمريكيين المختطفين .لا وكالة السى آى أيه و لا وزارة الدفاع و لا وزارة الخارجية ولا حتى رجالك . لا أحد على الإطلاق!، وكان كل واحد فى هذه المدينة له ألف سبب وسبب لتفسير عدم معرفته . واجهت الإحباط نفسه الذى واجهه رونالد ريجان فى الثمانينات ." واستدار مرة أخرى ليتطلع إلى الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض .

قال بيكر " سيدى الرئيس ، أتذكر جيدا إحساسك وقتها بالإحباط ".

"نعم ، حسنا ، كنت أزداد غضبا مع كل يوم يمر من جراء عجزنا عن القيام بأى عمل، وكذلك الشعب الأمريكي . كنا جميعا نبحث دون جدوى عن إجابات . " عاد ثانية إلى مقعده وقد بدا الإنهاك واضحا على ملامحه . " وذات يوم أتصل صديق مغربى لبيل " وأشار ناحية روسيل "ليقترح عليه بأن الليبيين تواقون لتطوير علاقات أفضل معنا وأنهم قد يقدمون معلومات حول الأمريكيين المختطفين . المغاربة يعرفون الليبيين جيدا ـ لهم

أعمال كثيرة معهم كما يبدو ، وكنا على استعداد لنجرب أى شيء . "

سألت بريندا " وكيف يمكن لنا أن نعرف أنه بوسعنا الثقة بهذا الرجل ؟"

تدخل روسيل قائلا " سأرد أنا على ذلك سيدى ، أننى أعرف منصور منذ فترة طويلة .لقد زودنى بالعديد من المعلومات المهمة على مدى سنوات طويلة . إذا كنت مهتمة فإنه بوسعى تقديم ملف كامل لمكتبك . أنه محل ثقة . "

هزت بريندا رأسها مبدية استعدادها لتلقى ملفه . وأومأ لها روسيل موافقا وواصل " يحاول الليبيون تحسين علاقاتهم معنا منذ أن أرسل ريجان البى ـ ١١١ التى قصفت طرابلس بالقنابل الذكية وألقت بالرعب فى قلوبهم . غير أن الإدارات المتعاقبة رفضت مواقفهم ، فى الغالب بسبب لوكيربى ، حتى بعد أن استلمنا أولئك السفاحين لمحاكمتهم فى لاهاى ."

وأخذ الرئيس من جديد خيط الحديث " وأكد بيل أنه من تعاملات سابقة يستحق هذا الرجل الثقة . وأخذا فى الاعتبار انه ليس لدى أية خيارات واضحة غير المخاطرة مع الليبيين ، أثرت المسألة مع وزير الخارجية دون الكشف عن مصدر هذه الفكرة . سخر من الفكرة وقال إنها ستتسبب فى إحراجنا سياسيا إذا ما أفتضح أمرها . إذ أن سؤال دولة إرهابية أن تزودنا بمعلومات عن دولة إرهابية أخرى أمر لا يستسيغه العقل ." ونهض دوجلاس الذى بدا عليه الضجر وذهب إلى مائدة المشروبات والمرطبات وصب لنفسه كوبا من المياه وأخذه معه إلى النافذة ليستمد فيما يبدو الطاقة من منظر الخضرة الممتد أمامه.

"ولما لا ؟ سألت وزير الخارجية ، مذكرا إياه بأن اللصوص يشوون بعضهم البعض طيلة الوقت . وهذا هو الخيط الذى وراء أفضل عمليات شرطتنا . حسنا ، اختصارا لقصة طويلة فإن الوزير رفض حتى التفكير فى هذا الأمر . الأمر نفسه حدث مع السى آى أيه . لذا فقد تخلينا عن الفكرة ." وهز دوجلاس رأسه ورفع يديه وكوب الماء فى الهواء .

"ثم حدث فى يوم ما أن كان ديك فى واشنطن وتناولنا العشاء فى جناحى الخاص ، طرحت عليه الفكرة وأنا متأكد من أنه سيستغرق فى الضحك . ولكنه لم يضحك. «كان خير صديق ديك». لن يطق أن يرانى وأنا على هذه الصورة من الإحباط تجاه أى شيء." أصيب صوت الرئيس بحشرجة خفيفة وعكست عيناه مدى ما يستشعر به من أسف .

"وكما تعلمون فإنه كان محامياً دولياً قبل أن يعين فى الحكومة . وكان معتادا على الحصول على نتائج وبأسرع وقت .ونظرا لأنه لم يكن أحمق فقد أخذ يقلب النظر فى الفكرة لمدة عشر دقائق ، ثم قال إنها تستحق المحاولة . وأقترح أن أفضل طريقة لبدء علاقات مع الليبيين قد تكون من خلال سفيرهم فى بروكسل الذى تذكر أنه التقى به خلال حفل استقبال فى السفارة المصرية . كانت هناك تلميحات حيال تحسين العلاقات إذا ما

عدل الأمريكيون من موقفهم . غير آن نائب رئيس البعثة والمستشار السياسى فى البعثة أقنعا ديك بأن صورته ستسوء فى وزارة الخارجية حتى وإن كتب لهم بأن الفكرة تستحق التفكير - درس عظيم آخر من موظفينا الكبار الذين يحاولون التستر على خطاياهم . إذ أنه من الأفضل دائما ألا تفعل شيئا من أن تخاطر بأى شىء . أليس هذا صحيحا ؟

"لذا تطوع ديك . لقد دهشت من انه يرغب فى أن يتورط فى هذا المشروع - آن يخاطر باسمه الكبير من خلال محاولة تجربة هذه الفكرة .أراد أن ينجز لى ما لم تستطع عمله كل هذه البيروقراطية اللعينة . أعتقد أنه خاطر إلى أبعد مدى باسمه الكبير ." أمتد الألم من عينى الرئيس إلى وجهه . خلع بعصبية نظارته وفرك يديه ثم وقف ووضع يديه فى جيبى بنطلونه واتجه إلى مكتبه وظهره لضيوفه . مكث الرئيس بعض الوقت وعاد وقد تمالك نفسه وواصل حديثه

"تم الاتصال . وأبلغ سفيرهم فى بروكسل الذى يمتد بصلة قرابة لفزانى نفسه ، أبلغ ديك بأنه متأكد من أنهم بوسعهم العثور على الأمريكيين فى لبنان ، ومضى الرجل إلى ما هو أبعد . أقترح على ديك انه ربما كان بوسع ليبيا إخراجهم من هناك دون أن نتكلف شيئا . أتذكر عندما أخرج السادات أثنين من السجناء الأمريكيين من عدن من أجل نيكسون فى أواخر السبعينيات . لذا وافقت على طلب ديك بأن ندعه يحاول . وقبل كل شىء فإن ديك لم يكن طفلا . كان محاميا دوليا يتمتع ببعض الصيت . أبلغته بأن يفعل ما يترآى له ولكن على ألا يعدهم بأى شىء فى المقابل . وأنا متأكد انه تصرف على هذا الأساس ." ودار الرئيس حول مكتبه وسحب مقعده الجلدى وجلس عليه وشد نفسه كما لو كان على وشك مخاطبة الأمة " بالطبع لم يهضموا هذا الأمر فى قرارة أنفسهم . فليس بوسع أولئك الذين فى وزارة الخارجية سوى التفكير فى البروتوكول وقيود السياسة . ومثل معظم الرؤساء قبلى شعرت بالسعادة من أن شيئا ما يتحقق فى واقع الأمر بعيدا عنهم . ولكننى أقسمت اليمين أن أحمى أمريكا ومواطنيها وأعطيت ديك الموافقة التى طلبها . وإذا ما كان قد دفع حياته ثمنا للحديث مع الليبيين فإنها كانت من أجل هذا السبب وليس لأى سبب آخر ."

قالت بريندا بين نفسها «يا إلهى ، أنه يلوم نفسه . يا للعجب أنه يتحول لحمل وديع كلما ذكر أحد سورينسون». استعدت للكلام ، فقد يكون بوسعها التخفيف من وطأة ما يعانيه . وتحولت جميع الأنظار إليها غير أن بيكر سبقها فى الحديث:

"سيدى الرئيس ، مثل الدكتور روسيل ، كنت أعرف الإحباط والإحساس بالعجز الذى كنت تشعر به . لا يمكننى أن أقول إننى ألومك . وكما تعرف ، الدكتور روسيل وأنا شخصيا جربنا قناتين خاصتين أمريكيتين على أمل تحرير الرهائن . أعتقد أن هذا كان قبل أن توافق على اقتراح سورينسون . "

أضافت بريندا " سيدى الرئيس ، إننا لم نعرف بعد لماذا قتل السفير سورينسون ، ولذا فإنه ليس بوسعنا أن نخوض فى الاستنتاج بأن اتصالاته مع الليبيين هى التى أدت إلى موته . فى الحقيقة ، كما تعرفون ، لقد حصلنا على معلومات سرية تفيد بأن الليبيين هم أيضا يشعرون بالحيرة حول أسباب قتله . الآن بوسعى أن أعرف أنهم شعروا بالغضب نظرا لأن هذه القناة المؤدية للبيت الأبيض قد أغلقت ."

قال دوجلاس " حسنا ، إنها أغلقت بالتأكيد إلى أن تتأكدوا ما إذا كان الليبيون متورطين في موت ديك ، القاضى بيكر ، أريد منك أن تعطى الآنسة شتراوس كل ما تحتاجه لحل هذه القضية ، وأنت يا آنسة شتراوس إذا ما رأيت ضرورة للحديث معى مباشرة فارفعي سماعة الهاتف واتصلي بى . أنه لم يكن فقط سفيرا أمريكيا . لقد كان ريتشارد سورينسون أفضل أصدقائى وأريد أن أعرف من فعل ذلك - سواء إذا ما تمكنا من إثبات هذا الأمر أمام المحكمة أم لا . عندما تكونين قوة عظمى ، لا تكونى مجبرة على إثبات الأشياء في المحكمة . هذه المرة سنمحو طرابلس بمعنى الكلمة من على الخريطة إذا ما ثبت أنهم فعلوا ذلك. هذا وعد! "

الفصل العاشر

بالما دى مايوركا

الرابع عشر من يونيو

جاكي ماركوفيتش على بعد آلاف الأميال فى مايوركا . هناك كانت جاكي تجد دائما ما تتمناه . إنها تقول لأصدقائها عن مايوركا إنها جنتها على الأرض .

كانت السماء صافية والشمس تنشر الدفء ولم تستطع جاكى مقاومة إغرا المياه . غادرت غرفتها وهى تلتف بفوطة كبيرة واتجهت إلى حمام السباحة الذى يتخذ شكل حبة الفاصوليا . وبجوار حافة الحمام تمدد جسدها النحيل وهى ترتدى قبعة من القش ونظارة شمسية كبيرة الحجم و "مايوه بكينى بدون حمالة للصدر " . رقدت على بطنها وخدها الأيمن فوق ذراعيها المثنيتين ، وقد أختفى صدرها الناهد تحت ثقل جسمها وتركت الشمس تفعل سحرها فى ظهرها البرونزى .

وبعد ربع ساعة تقريبا تحت أشعة الشمس الحانية تقلبت جاكى .وبرز صدرها فى اتجاه السماء . أعجب الكثير من الرجال الذين كانوا يتسكعون حول حمام السباحة بثدييها المستديرين الرائعين خاصة الحلمتين السوداوين البارزتين . وبابتسامة عابثة وضعت جاكى يدها فوق نهديها المنتصبين ثم سحبتهما لتضعهما مرة أخرى لتعيد الكرة مرة وراء الأخرى مستمتعة بتأوهات الرجال المكبوتة .

مر شهران تقريبا منذ أن رأت حبيبها الروسى ، اتسعت ابتسامتها «أنها لفترة طويلة لفتاة مثلى دون أن تلتقى برجل». ومع ذلك فإن الإثارة الناجمة عن آخر نجاح حققته كان بمثابة عزاء لعواطفها المتعطشة . رفعت رأسها وحدقت بعينين نصف مغلقتين فى الزرقة اللانهائية ، وبدأت تفكر فى كيفية إنفاق الفرنكات التى كسبتها لتوها من عملية بروكسل . «يجب أن تكون قد وصلت البنك الأن» .

تعتزم التوجه إلى سويسرا لتطمئن على أن المبلغ قد وصل كله إلى هناك ثم تتصل ببيتر . بعد منحه نصيبه سوف تأخذ إجازة تأخرت كثيرا . ربما تتصل بحبيبها وتطلب منه الانضمام إليها . كانت لديهما دائما لقاءات حميمة ، ولذا فإنه كثيرا ما كان يعثر على وسيلة ليراها بغض النظر عن أية ارتباطات له . ولكن فى البداية سوف تتأكد من أن الإيرانيين قد ضخوا المزيد فى حسابها المصرفى. «يا للجحيم لقد قتلت سفيرا». لقد تأخر الإيدا ع وكانت تزداد عصبية . لقد كان الإيرانيون يدفعون على الفور ويمكن الوثوق بهم .

كانت قد حجزت بالفعل لرحلتها إلى جنيف فى الصباح التالى على رحلة ايبريا رقم ٩٨٤ . وعند وصولها إلى هناك سوف تتوجه مباشرة إلى بنك فيلهيلم فريدريش . ستسحب ما قيمته ٥٠ ألف دولار بالفرنكات السويسرية وستطلق العنان لنفسها لشراء ما تشتهيه من شارع رو دى روهون . هناك متجر باتريك فيليب الذى تتوق لزيارته منذ أشهر . ستمتع نفسها بشراء كل ما يغريها من محل اللعب المشهور . أغلقت جاكى عينيها ، وغطت ابتسامة تشى بالسعادة وجهها . وبإدراكها لنظرات الإعجاب للرجل الأسمر على يسارها تظاهرت بالنوم . «ليحلم كما يحلو له» .

جنيف ، الخامس عشر من شهر يونيو

غادرت جاكى مطار جنيف ، اتجهت يمينا بحكم التعود على الرغم من أنها تعرف من التدريب الشاق أن السلوك النمطى دائما ما ينطوى على خطورة ، خطت بضع خطوات إلى ساحة انتظار سيارات الأجرة المغطاة وأخذت أول سيارة أجرة مرسيدس إلى مصرفها الخاص بجوار شارع رودى رهون مباشرة . أنها لن تدع سيارة الأجرة تتوقف أمام باب المصرف البسيط غير اللافت للنظر فهى تنزل دائما قبل عدة مبانٍ . سرحت بخيالها إلى الرصيد الذى ينتظرها والذى يصل إلى سبعة أرقام ، انتشت من فكرة رؤيتها للمبلغ وهو يبرق على شاشة كمبيوتر المصرف . كان هذا أكبر مبلغ تحصل عليه خلال ممارستها لهذه المهنة . حقيقة أنها أصبحت غنية منذ سنوات ، ولكن هذا المبلغ إلى جانب مدخراتها والشقق الصغيرة التى ادخرتها للحظة تقاعدها دفع بها للانضمام لرابطة الأغنياء السفلة . لقد اكتسبت هذه الصفة . أنها الأفضل فى مجال عملها وأتعابها تعكس هذه الحقيقة . إذ أنه بعد مهمة ماكاو قبل عام لحساب تلك الجماعة فى هونج كونج أرتفع سعرها .

هذه المرة أيضا هناك الكثير من المال ولكن كانت المهمة تستحق .العديدون كانوا سيرفضون ، فهى مهمة ضخمة للغاية وتنطوى على قدر كبير من المخاطرة ، كما أنها مهمة ذات صبغة سياسية بحتة .

ونظرا لأهمية وجنسية الهدف ، أصرت هى وبيتر على مضاعفة أتعابهما العادية ثلاث مرات . إذ من المحتمل أن تختفى هى وبيتر عن الأنظار لمدة عام أو أكثر وقد وضعت عامل تكلفة فترة «شبه التقاعد» فى تحديد الأتعاب .

وبعد كل ذلك فإن المخاطرة هائلة فى حقيقة الأمر ، أن تقتل سفيرا خاصة سفيرا أمريكيا نظرا لما يحيط بهم فى العادة من حواجز أمنية ذات تكنولوجيا متطورة وعناصر بشرية مدربة فضلا عن التصميم على مطاردة مثل هذا القاتل . وبلا شك أن أكثر رجال الشرطة كفاءة وتصميما فى كل بلد سوف يبحثون فى أنحاء العالم عن القتله .وهو ما أثار مشاعرها أكثر من عملية القتل نفسها . وعلى الرغم من أن حاسة الاحتراف داخلها لن تسمح لها بالتهوين من الخطر الذى وضعت نفسها فيه هذه المرة فإن مراوغة الأمريكيين يمثل تحديا مثيرا آخر .

توقفت سيارة الأجرة أمام أحد المباني الإدارية الأسمنتية الكئيبة . نزلت جاكى ودفعت الأجرة وبعثت فى الهواء بقبلة للسائق الذى يشبه لون بشرته القهوة ، وهو ما أثار امتعاض امرأتين سويسريتين تصادف مرورهما بجوارها . مثل هذا التهور من جانب سيدة شابة أمر ليس بالصواب . تجهمت جاكى وهى تسير على قدميها متجهة إلى مصرفها . حبيبها يحب دائما أن يناديها بالكلمة الفرنسية " جارس " التى تعنى ، عاهرة ، ولكن كان ينطقها بنغمة خاصة .

لقد اختارت هذا المصرف الصغير المملوك لأسرة نظرا لأنه يتوفر به قدر أكبر من

الكتمان والحذر عن المصارف السويسرية الكبيرة . كانت لوحة نحاسية باسم المصرف فى حجم بطاقة البريد هى المؤشر الوحيد على أن البناية تضم مصرفا .

ضغطت جاكى التى كانت ترتدى فستانا جديدا من اللونين الأسود والأبيض من تصميم تشانيل على زر الجرس الصغير بجوار الباب الخشبى البنى . أنزلق المزلاج الكهربائى وأنفتح الباب ببطء . اقتربت من موظفة الاستقبال الشقراء التي منحت جاكى ابتسامة باهتة ودون أن تتفوه بكلمة واحدة قدمت لها نموذج بيانات صغيراً . دونت جاكى اسم الموظف المختص بمتابعة حسابها والرقم الخاص الذى يمنحه المصرف لكل عميل ، ثم خطت بسرعة حرف " ج" فى السطر الأخير من النموذج . أمسكت موظفة الاستقبال بالنموذج وتأكدت من وضوح الخط ومن صحة التوقيع وقالت لها " أجلسى من فضلك ."

لم يجر ذكر أي أسماء ، على الرغم من أنه لم يكن هناك أى عملاء آخرين فى غرفة الانتظار . فتلك هى السياسة المتبعة، لا يجرى التلفظ بأية أسماء بصوت مرتفع . فالأمور المصرفية الخاصة بك هى مسألة شخصية بحتة . وهو ما يجعل جاكى تشعر بالأمان ذهبت موظفة الاستقبال إلى حجرة أخرى لتنادى السيد لوك بونيير .

وبينما كانت جاكى جالسة على المقعد الخشبى الضخم أبدت مرة أخرى إعجابها بديكور أقدم المصارف الخاصة فى جنيف . سجاجيد باريسية فرشت على الأرضية الرخامية البيضاء ، مقاعد خشبية ذات مساند مرتفعة للظهر وضعت بجوار الحوائط التى تصور ستائرها المخملية الحمراء مناظر صيد ألمانية ، وثريا متواضعة ولكن من الكريستال عالى الجودة مدلاة من السقف المرسوم باليد .

عادت موظفة الاستقبال " اتبعيني من فضلك _ ! دخلتا إحدى الغرف الصغيرة حيث يستقبلها بونيير دائما . كانت الغرفة مفروشة بموائد اجتماعات صغيرة وأربعة مقاعد ومكتبة . كانت صلة الغرفة الوحيدة بالخارج هو الهاتف البسيط على أحد الأرفف . لا يوجد حتى هاتف محمول .

قال بونيير وهو يمد يده " صباح الخير ، مدموزيل ماركوفيتش ، أمر طيب أن أراك مرة أخرى ."

لمعت عينا جاكى الخضراء ترقبا وهى ترد عليه قائلة " أننى أتوقع بعض الأنباء الطيبة منك ."

"ما هى طبيعة هذه الأنباء ، مدموزيل ؟ "

ابتسمت بشعور من الارتياح " إيداع ضخم للغاية . أكبر من المعتاد ." غير أن ابتسامتها بدأت تخبو وهى تستمع إلى كلمات بونيير " أسف ، مدموزيل ." وواصل بحذر " ليست هناك أية ايداعات جديدة فى حسابك . كان بوسعك الاتصال بى للسؤال عن ... ." ثم أمسك عن الكلام . أنه يعلم أن مدموزيل ماركوفيتش لا تفضل أية اتصالات هاتفية " ما هو المبلغ الذى كنت تتوقعينه ؟ "

"مليون وثمانمائة ألف دولار .كان يجب إيداع هذا المبلغ فى الحسابات الثلاثة ، ربما

بعملات مختلفة ، ماركات ألمانية ، فرنكات سويسرية ، دولارات أمريكية ... . " وأخذ صوتها يزداد حدة تدريجيا . وفجأة أخذت كلماتها تخرج بصعوبة وعكس وجهها شعورا هائلا بالصدمة .

ساد الهدوء الغرفة الصغيرة . وهبط حاجز من الترقب والإحباط ليحتل المسافة الصغيرة التى تفصل بين الموجودين الوحيدين فى الغرفة. قال المصرفى بصعوبة " مرة أخرى ، مدموزيل لم أتلق شيئا بمثل هذه الحجم من أجلك . ووفقا لمعلوماتى هنا ، فإن آخر إيداع هو مائتا ألف دولار فى شهر يناير من العام الحالى . وعندما أبلغتنى موظفة الاستقبال بوجودك افترضت أنك حضرت لمراجعة ما تحقق من تقدم فى حافظة استثماراتك . ولقد أحضرتها معى ."

انطفأت ابتسامة جاكى التى كانت تسحر دائما المصرفى الشاب وبدت فى لون السمكة التى وقعت فى الشباك . زاغت عيناها ، همست قائلة " لابد أن ثمة خطأ ، لا ، لا أعنيك ، سيد بونيير . إننى أعرف أنك دائما لا تخطىء فى التفاصيل ، ولكن هل يمكنك أن تراجع مع زملائك لتعرف ما إذا كان المصرف قد وصله أية إيداعات من شهر مايو ، ربما لم يتمكنوا من التعرف عليها ؟ ربما حدث خطأ فى أرقام حسابى ؟ لا أعرف . وإنما لابد أن هناك خطأ ما ."

كان توترها قد بلغ مداه ، ولم يعد الهدوء والحذر الملازمان لطبيعة هذا المكان كافيين لكبح عصبيتها :

ولتهدئتها وافق بونيير على الفور على القيام بمراجعة أخرى . فى الوقت نفسه طلب لها فنجانا من القهوة المخفوقة . وقادها إلى خارج الغرفة فقد كان حريصا على أن تكون هناك مسافة بينه وبين هذه السيدة . إذ عرف أنه من الصعب تهدئة غضبها وشئ آخر لم يستطع تعريفه . أنقبض صدره وأخذ يتنفس بصعوبة . بعض الناس ينقلون الإحساس بالخطر ، وكانت هى واحدة من هؤلاء . ذات مرة عندما جلسا لتناول الغذاء فى مقهى جميل بجوار البحيرة فى جنيف ، تساءلت المرأة بشيء من الغموض وهى ترتشف قهوتها عما إذا كان قد زل لسانه أو همس بأرقام حسابها لأى سلطة مصرفية فضولية أو وكالة حكومية ! انه لأمر غير ضرورى أن تنبه مصرفى فى سويسرا . ولكنها كانت جديدة فى اللعبة ولم تأخذ أية فرصة . انه يتفهم الأمر وعلى الرغم من أن كسب عميل جديد بأول إيداع ضخم أمر يسره فإن الحديث قد أفسد غذاءه . وقد حاولت التخفيف من التهديد بأن عرضت عليه أيضا استخدام سلسلة من الشقق المؤثثة جيدا فى منتجعات ومدن رئيسية وهى رفاهية سمح بها لنفسه أخيرا وجاءت بمثابة جائزة له . فالأسبوع الذى قضاه فى قبرص كان رائعا .

عاد بونيير ليؤكد أن البنك لم يتلق أية إيداعات لم تعرف الطريق لحساباتها من هذا النوع خلال الأشهر القليلة الماضية " ولكن تأكدى مدموزيل ماركوفيتش سأضاعف من يقظتى نيابة عنك .بوسعك الاتصال بى ـ اسألي عن ليمان ـ للاستعلام عما إذا كانت هناك

أخبار طيبة . وإذا تلقينا هذه الأموال ، سأقول " نعم دعينا نحدد موعدا ، هل هذا مناسب لك مدموزيل ؟ "

لم يخفف اقتراح بونيير من روع جاكى . كان عقلها يصرخ . «أين تلك الأموال اللعينة». هزت رأسها بجفاء ونهضت .

غادرت جاكى البنك تنتابها مشاعر من الحيرة والصدمة ، كان عقلها يغلى . ماذا حدث هل هناك شئ خطأ ؟ ماذا حدث ؟

فى الأسبوع التالى تخلت جاكى عن طبيعتها المعتادة فى الحذر المبالغ فيه وكانت ـفة يومية ببونيير . ولكنها كانت الردود نفسها التى تفيد بأنها لم تحصل بعد عمليتها فى بروكسل .

ـد تأكدت وفاة سورينسون وانتشرت أخبارها فى جميع أنحاء العالم فى اليوم التالى من قتلها له . فلماذا إذن لم يجر دفع أتعابها ؟ وتحولت حدتها تدريجيا إلى غضب من الصعب التحكم فيه .

يجب عليها أن تخبر بيتر بالموقف . سيصاب بالصدمة . ثم تتحول الصدمة سريعا إلى عدم ثقة . عدم ثقة بها . هل اختلست الأتعاب لنفسها ؟ تعرف جاكى أن هذا لابد أن يمر بخاطره . لذا يجب أن تتحلى بالحذر .

الذعر الذى بدا على بيتر أول وهلة أثارها أكثر . فقد كانت دائما تعتمد عليه لما يتمتع به من ثقة ودهاء . هو ذراعها اليمنى منذ سنوات طويلة ، كان يتصف فى وقت ما بالوضاعة والقسوة . طفولته المضطربة التى عانى فيها من الحرمان علمته بعض الأشياء . وتدريبه مع هنرى كوريل المؤسس الشهير للحزب الشيوعى المصرى هذب بعض الشيء من قسوته وحول مواهبه إلى العمليات السرية حيث أستغل الدروس التى تعلمها استغلالا أفضل . ولكن أخيراً طرأ تغيير على بيتر . تبددت الحكمة وذهب الشريك الماكر . حل محلهما رجل عجوز غير واثق من نفسه مكتئب ، عصبى المزاج . وترددت جاكى فى معرفة الأسباب التى أدت إلى تحوله . كان التغيير يلتهم ببطء جوهره .

راقبته وهو يحاول إخفاء عصبيته ولكن كان بوسعها أن تحس بالتغيير . يبدو الآن فى حالة غير طيبة بدنيا ، مجهدا للغاية . بوسعها التعامل مع ما يعانيه من إجهاد ولكن شكوكه تجاهها لم تكن محتملة «أين الأتعاب الملوثة بالدماء ؟».

يا له من أحمق ، ليس هناك أى سبب على الإطلاق يدعوه للارتياب فيها . لقد جعلت الأمر محل ثقة من خلال منحه سلطة التفاوض حول كل عقودهما . وبهذه الطريقة كان بيتر أول من علم بجميع المبالغ المتوقع تحصيلها ونصيبه المتوقع منها . وهما نفسهما اللذان صمما نظام المراقبة المالي الخاص بهما . هو يشرف على العقد وهى تشرف على الفواتير. وهذا لمصلحة كليهما ، لكى لا يغش أحدهما أو يلعب من وراء ظهر الآخر .

أقترب شهر يونيو من نهايته واستفساراتها لدى البنك كانت دائمة تتلقى ردودا محبطة،

الآن لم يعد بوسع جاكى الانتظار . قررت إثارة المسألة مباشرة مع العميل .

وذات صباح وهما يتناولان القهوة فى مطعم صغير فى شارع رو دى الب بالقرب من كوى دى مونت بلانك ، قالت جاكى بإصرار " هناك خطأ فادح ما . يجب علينا أن نتوجه إلى باريس ونراجع الأمر مع قوير . ليس أمامنا من سبيل آخر ."

شهق بيتر " يا إلهى ." وبلع نصف قرص آخر من الفاليوم المهدىء وكبسولتين من الماجنزيوم ، بينما كانت جاكى تحدق بلا هدف فى الحديقة أمامهما . كان تمثال الدوق برونسويك مازال منتصبا هناك .

التفتت إليه وهو يبتلع أقراصه " أسمع . أعلم أنك متعب ، وأعلم أنك تشعر بالغضب . وكذلك أنا . ولكن أعدك عندما ينتهى كل هذا الأمر أن نأخذ إجازة طويلة . لذا دعنا نقوم بهذا العمل ، نذهب لباريس لنعرف لماذا لم يدفع هؤلاء الملاعين لنا . أنهم لم يتقاعسوا أبدا من قبل عن الدفع ، ولذا فربما الأمر مجرد ... " أرادت أن تقول " خطأ غير مقصود " ولكنها توقفت . إن مليون وثمانمائة ألف دولار مبلغ من الصعب نسيانه . " ربما هناك أزمة سيولة ـ الصحف تزعم أن إيران تمر بأزمة سيولة . على أية حالة ، يجب أن نعرف السبب ."

"نعم.. نعم ، أننى أشعر بالسأم من هذا الهراء . متعب للغاية . بعد باريس ، إجازة طويلة . لقد وعدتينى . "

"اتفقنا عزيزى بيتر ، فلنذهب ."

أشارت فى اتجاه المحطة المركزية . القطار السريع " تى . جى . فى " يغادر فى غضون أقل من ساعة .

باريس الرابع عشر من يونيو

فى الصباح التالى فى مدينة النور وقفت جاكى فى نافذة حجرتها بالطابق الثالث من الفندق . كان فندق «كاتر تريفل» متواضعا وعاديا للغاية ، وهو ما يعد مثاليا لمثل هذه المهمة . وضعت مقعدا بحيث يمكنها مراقبة مقهى لاتيراس فى الجهة المقابلة من الشارع دون أن يلحظها أحد فى الخارج .

وهى جالسة باسترخاء بالقرب من النافذة المفتوحة ارتدت جاكى سماعة رأس صغيرة لجهاز يشبه " الووكمان " بواسطته يمكن الاتصال ببيتر وهو يعقد اجتماعه الحاسم فى المقهى على الناحية المقابلة من الشارع . كانت جاكى قد تعاقدت مع خبير سويسرى لكى يطور من هذه اللعبة الصغيرة المفيدة . أنه يقيم فى قرية على الجانب الأقصى من مطار زيورخ يطلق عليها باخن ـ بلاخ . ويتردد أن هذا الخبير الذى يدعى ببساطة " أتش أس " هو أعظم مطور فى العالم لأساليب الاتصال السرية والأدوات الأمنية . معظم زبائنه من المنظمات السرية ولكن هناك من يعملون لحسابهم مثل جاكى . وهى تدفع بسخاء من أجل هذه الخبرة وكانت واثقة من أن " أتش أس " يستحق كل سنت . وبفضل جهازه السحرى كانت تتساوى مع محاربى أية قوة عظمى . فالتكنولوجيا أثبتت أيضا فوائدها

الديمقراطية، فهى الآن ذات طابع دولى ولم تعد مقصورة على قوة واحدة .

* * * *

فى الساعة العاشرة والنصف صباحا قبل ثلاث ساعات من الآن أتصل بيتر مستخدما هاتف أحد الأكشاك للاتصال بالسفارة الإيرانية . رد عليه صوت يتحدث الفرنسية بلكنة ثقيلة وسأل بيتر عن شادر قوير المسئول عن الشئون الدينية . كانت وظيفة قوير الحقيقية هي الممثل المحلى للحرس الثورى . كان همزة الاتصال بين منظمته وبيتر فى العديد من المهام الحساسة التى تتطلب القيام بعمليات اغتيال والتى نفذتها جاكى . وكان من بين أولئك الذين جرى التخلص منهم اثنان من المشايخ المسلمين فى مسجد بروكسل احتجا على فتوى قتل سلمان رشدى ودبلوماسى عربى فى بروكسل عمل لحساب الإيرانيين كعميل سرى وفى وقت لاحق حول ولاءه وزود الإيرانيين بمعلومات كاذبة . ولم يدم ذلك طويلا .

كانت لقوير صلات قوية بنظام طهران .كان ينقل إحساسا بالسلطة والخطر على الرغم من ملابسه المتواضعة ولحيته الشعثة .كان يحب فكرة أن الناس تهابه وتعرف مدى سلطته، غير أنه كان دائما دقيقا فى تعاقداته وعندما يتعلق الأمر بالدفع فإنه كان يحترم كلمته . ودائما ما كان يردد للصحفيين الغربيين " لدينا مبادئنا الخاصة وهو ما يمكنكم فهمه ."

ولذا عندما أتصل بيتر ذلك الصباح لطلب مقابلة عاجلة، أبدى قوير قلقا واضحا . ليست لديه أية مهمة كبيرة لبيتر ، كما ليست هناك أية متأخرات مالية . غير أن بيتر أوضح من خلال نبرة صوته أن هذه المقابلة مهمة للغاية .

تبادلا الإشارة المعتادة ، بعدها جاء رد قوير " سأعيد إليك رسالتك فى غضون ثلاثة أيام على العنوان نفسه المدون على المظروف ." وهو ما يعنى أنهما سيلتقيان فى غضون ثلاث ساعات وفى نفس المكان الذى التقيا فيه آخر مرة ، وهو مقهى صغير فى المنطقة السابعة فى شارع بوسكيه بالقرب من المدرسة العسكرية .

وصل قوير مع أثنين من رجاله . كانت مهمتهما هى التأكد من الظروف الامنية للاجتماع الخارجي - وهو إجراء احترازي ضد أية خدعة محتملة من جانب بيتر أو فخ من جانب الشرطة ، وهو احتمال أقل ترجيحا . إذ أنه نظرا لأن بيتر يتمتع بالحصانة الدبلوماسية فإنه لم يكن قلقا حيال إلقاء القبض عليه وذلك على النقيض من أولئك المحترفين الذين يتعاقد معهم . لقد أثار هذا الاجتماع دهشته ، وهو لا يحب المفاجآت . غير أن بيتر كان مهما لدرجة انه ليس بوسعه رفض مقابلته ، إذ أن بيتر هو " مقاول " العمليات السرية لحساب بلاده .فالتجسس قائم أساسا على المعرفة .

رصدت جاكى عملية الاستطلاع المناوئة من شرفة فندقها .قال بيتر" مرحبا ، سيدى، ونهض على قدميه مادا يده فى الوقت الذى كان فيه قوير يقترب منه وجلس على المائدة نفسها . وبدون أن يصافح اليد المدودة إليه ، هز قوير رأسه بجفاء وتطلع حوله بارتياب

محاولا أن يستكشف ما يدور حوله وقال بهمس غاضب " ماذا تريد ؟

رد بيتر وقد بدت عليه الدهشة " هون عليك ، يا صديقى ، أنا فقط أريد أن أحصل على أتعاب أخر مهمة ، ماذا تعتقد أنني أريد - هل تعلم كم مضى من الوقت ؟ ثقتنا فيك عالية ولكننا لم نعتد على الانتظار مثل هذه الفترة الطويلة ."

رد الإيراني بصوت عال غاضب " مستحقات ؟ نحن لا ندين لك بشيء ، لقد سددنا حساب المشروع الأخير بالكامل ، لماذا أتيت إلى هنا ؟ إذا كانت فى جعبتك أية ألاعيب لنا ، فإنك رجل ميت . هل تفهم ؟ "

"عن ماذا تتحدث ؟ أنا أتحدث عن بروكسل - أنت تعلم ، السفير ؟ أستخدم إبراهيم شفرتك وقمنا بما أمر به . كانت تعليماته دقيقة للغاية . لقد ذكر حتى العملية الأخيرة التى قمنا بها من أجلك، الدبلوماسى العربى فى بروكسل ."

"لا أحد بهذا الاسم يعمل معى . ولم آمر بأى شيء . بأى شيء على الإطلاق .يا إلهى - هل تتحدث عن السفير الأمريكي فى بروكسل ؟ هل جننت لدرجة أن تفكر ولو لدقيقة واحدة أنه من الممكن أن تفعل مثل هذا الشيء ؟ ألا تعلم ، أيها المعتوه أن قتل سفير يعامل فى القانون الدولى كعمل من أعمال الحرب ؟ هل جننت ؟ هل أصابك الخبل لأن تقوم بمثل هذه المهمة لحساب أى شخص ؟ لقد خدعت . ولكن بالتأكيد لسنا الذين خدعناك ، ولا تحلم مطلقا بأى صلة لنا بهذه الجريمة . وإلا أعتبر أن حياتك قد انتهت . هل فهمت ؟ "

وبسماعها لهذه المناقشة من خلال جهاز الاستقبال ، انتابت جاكى حالة من الغيظ والغضب الشديدين .وما خفى كان أعظم ، أنها تصدق الايرانى . وعلى الفور عرفت أنها وبيتر ارتكبا خطأ - خطأ فادحا ، «يا للجحيم». غمغمت وهى تتنهد بحسرة وتصك أسنانها وتضغط على سماعات الجهاز فوق أذنيها .

قال بيتر وهو يلملم شتات نفسه " و- و لكن كيف حدث هذا ؟ كيف أمكن لهذا الرجل أن يعرف شفرتنا وترتيباتنا السابقة ؟ ، ودفع مقعده الحديدى إلى الوراء ، واندفع قائلا بدون روية " لقد تم اختراقكم . رجالكم ليس لديهم أية ضوابط أمنية - الكثير من الدوافع ، الكثير من الأموال ، الكثير من الكراهية - ولكن أين هى الاحتياطات الأمنية ؟! "

قرر قوير بسرعة أن ينهى هذا اللقاء خوفا من أن يكون مجرد وسيلة لإثارة نوع من المواجهة . تفكيره الشرق أوسطى يقوده دائما إلى توقع الشيء ونقيضه . ودائما ما كانت الايام تثبت صحة شكوكه .

"بيتر ، اسمعنى جيدا . بالنسبة لنا ما كان يجب عليك أبدا أن تأخذ أوامر من أى شخص غيرى . هذا إجراء غبى من جانبك . انتهاك الأمن ربما يكون من جانب واحد من أفراد فريقك . لا أعرف، ولكن لم يكن من جانبنا . لقد استغلك شخص ما . أقترح عليك أن تعثر على هذا الذى يدعى إبراهيم وتحطم كل عظمة من عظامه واحدة إثر الأخرى إلى أن يخبرك عن الذى أستغلك ، أنك تعلم ، كما أعلم أن جانبنا دائما ما يدفع لك ما تم

الاتفاق عليه عندما تنفذ المتفق عليه . لن نكسب شيئا من عدم الدفع لك .إنني أعتبر أن هذه المناقشة قد انتهت ولا أرغب مطلقا فى مناقشة هذه المسألة مرة أخرى معك . مطلقا!"

وجاء صوت امرأة تهمس فى الجهاز الذى تم إخفاؤه فى أذن بيتر " أننى أصدقه . أشكره على هذا التوضيح وأبلغه بأنك تعتبر المسألة قد انتهت وأنك تنتظر أى عمل آخر قد يرى تكليفنا به مستقبلا ."

كرر بيتر هذه الرسالة كما لو كان هذا التعبير قد خطر له بصورة عفوية . هز قوير رأسه موافقا فى أسلوب ينم عن التعالى ، ونهض وغادر المائدة دون أن يلمس قهوته - وهو إجراء أمنى احترازى آخر .

وغاصت جاكى أكثر فى مقعدها وهى تحدق من نافذة الفندق . اللعنة ، اللعنة ، اللعنة لقد غرر بنا للمرة الاولى منذ احترافى لهذه المهنة . الآن سوف أبحث عن المسئول عن ذلك، سيدفع أولا الحرام الثمن . كيف سيدفعون الثمن ؟ أننى مشهورة بأننى قوية الشكيمة ولن أسمح لنفسى بأن يستغلنى أى رجل . لن يتكرر هذا الأمر أبدا ! ليس بعد والدى ... وبرقت صورة والدها على شاشة عقلها وعلامة أكس على وجهه على غرار العلامة السوداء التى تومض على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها عندما يفشل فى العثور على أحد الملفات.

قررت جاكى أن تفعل ما اعتادت عليه دائما عندما تشعر بإحباط شديد : تنفق بإسراف وتدلل نفسها . كان هذا هو دفاعها المفضل . اختارت أن تبدأ بصالون كارتيه للجمال . فإن الاسترخاء سيريح أعصابها وسيعمل على صفاء ذهنها قبل أن تلتقى ببيتر بعد عدة ساعات . أنهما دائما ما يحتفظان بمسافة أمنية بعد اللقاءات المهمة .

وبعد الشامبو وتصفيف الشعر وطلاء الأظافر لاحقا شعرت بأنها فى حالة أفضل ، صفا ذهنها وتبلورت أفكارها . ستكتشف هذه الخديعة وتنتقم لنفسها . مثل المافيا ، شعرت انه ليس بمقدورها تحمل أن يمس لها أحد على طرف أو يفاخر بأنه خدعها . وإذا نحينا المال جانبا فإنها مسألة تتعلق بالكرامة . وعلاوة على ذلك فإنها كانت تكره فكرة أن تقوم بعمل قذر لزبون مجهول ولسبب غير واضح . لا ، لقد وعدت نفسها سيجرى فى نهاية الأمر دفع الثمن النهائى لاستعادة مصداقيتها . ولكن من سيدفع الثمن ؟

* * * *

فى الساعة الرابعة من بعد الظهر وقد شعرت بأنها فى حالة أفضل التقت بيتر فى أحد محلات الملابس الداخلية للنساء فى فابور سان اونور . لو كان يتتبعه أحد فإن الأمر سيبدو كما لو أنه يلتقى بخليلته اللعوب بعد يوم عمل . وفى كل الاوقات كانت جاكى تعمل على ضمان انها فى مأمن من أى تصور من أنها هى القاتلة النهائية ، حتى أن بيتر نفسه كان يتشكك فى هذه الحقيقة .

ولكن الأكثر أهمية من الحرص هو أن لديها ثأراً يجب تسويته . اشترت حمالة صدر وردية اللون وجورباً بحمالة من اللون نفسه ودفعت خمسمائة فرنك وخرجت مندفعة وصدرها يعتمل بمشاعر الانتقام والثأر.

الفصل الحادى عشر

القــــدس
التاسع من يوليو

ازدادت سرعة الرياح الجافة الآتية من الصحراء وأخذت تنتقى حبات الرمل الصغيرة وتحملها بعيدا، وفى أعقابها تتعذر الرؤية، والحرس الخاص القائمون على حراسة هذا المنزل الريفى الواقع فى مشارف القدس يحدقون بعيون نصف مغلقة فى هذه الغمامة محاولين أن ينفذوا بنظراتهم من خلال الغلالة الكثيفة من الرمال الناعمة، وكانوا من حين لآخر يدخلون مناديلهم فى فتحات أنوفهم أو يمسحون بها الرمال من على وجوههم، جعلهم الطقس أكثر حذرا وضاعفوا من حراستهم.

كان الرجال الستة الذين تجمعوا فى حجرة المكتب الصغيرة للمنزل الريفى فى مأمن تماما من لسعات الريح، كما كانوا فى حماية من العيون الفضولية بفضل الستائر الثقيلة المحكمة حول النوافذ، وقد أغلق باب الحجرة بالمفتاح، فالتاريخ حجز صفحات لفصل جديد من الإثارة انتظارا للحلقة الأخيرة التى كان هؤلاء الرجال على وشك كتابتها.

رئيس الوزراء ايشيل يترأس اجتماع الخمسة، الرجل السادس والعضو الذى يشارك على نحو استثنائي فى هذه الجلسة هو رجل الموساد ديفيد تيرون الذى جاء من واشنطن.

وإلى الآن تجلس هذه المجموعة فى استرخاء تتمتع بالنبيذ والسيجار، وحجرة المكتب المجتمعون فيها كانت غرفة الحياكة، وقد وضعت مكتبة متواضعة على يسار الباب، وثلاث أرائك ومقعد يشبهها ومائدة قهوة فى الوسط وفى أقصى طرف الحجرة فى مواجهة الباب يقف مكتب خشبى متواضع ومقعد ظهره من الخيزران وقد غطت الأرضية سجادة يدوية من الصوف، أثاث متواضع لمثل هذه النخبة، ولكن بساطة هذه الغرفة وتواضعها لم يضايق أيا منهم، فهم هنا لغرض ما.

كان ديفيد تيرون واقفا بجوار المكتبة يطلع بنيامين شتيرن على أحدث التطورات فى انتخابات الرئاسة الأمريكية، كالعادة فإن وقفة الجنرال شتيرن العسكرية كانت واضحة على الرغم مما يبدو عليه من استرخاء، كان يومىء برأسه مع كل وقفة خلال حديث تيرون وقد خففت الابتسامة الباهتة من نحافته، وكانت ملامح وجهه تعكس استحسانه لما يسمعه .

اتجه وزير الدفاع مينتز وهو يرتدى ملابسه «الكاوبوى» المعتادة إلى مائدة المشروبات بجوار الحائط، وبعد أن أعاد ملء كأسه عاد إلى الأريكة وألقى بجسده الذى يشبه الثور بجوار وزير الخارجية روثبيرج.

جلس على المقعد المواجه للأريكة وزير المالية ياهاف، كان يحس أنه واقع تحت ضغط كبير وظل يحدق أمامه شاعرا بأنه لاينتمى أبدا لهذا المكان وسط هذا المناخ السياسى الحاد وهو ما يختلف تماما عن عالم المال الذى يجد نفسه فيه.

كان ايشيل يرتدى بدلته المعتادة ويجلس خلف المكتب والقلم فى يده، حملق فى الفراغ كما لو كان يبحث عن الإلهام قبل أن يخط ملاحظاته، أعاد قراءة ما كتبه لتوه، شطب على بعض الكلمات وصحح كلمات أخرى، فى النهاية جمع أوراقه وقام بتطبيقها ووضعها فى جيب سترته ورفع عينيه، كانت تلك إشارة على أن الاجتماع على وشك أن يبدأ، كان ايشيل جالسا أمام المكتب فى مواجهة الأريكة وقد انضم إليه شتيرن على يمينه وتيرون على يساره، جلسا على مقاعد المزرعة البسيطة، وظل مينتز وروثبريج وياهاف جميعا كما

كانوا، عدلوا فقط من وضعهم ليكونوا فى مواجهة الثلاثة.

بدأ ايشيل بقوله «نحن هنا الليلة لنتخذ قرارا نهائيا فيما يتعلق بعملية هيبرون، وكما شرحت فى شهر ابريل فإنه ينبغى علينا هذا الصيف أن نقرر ما إذا كنا سنمنح الموساد الموافقة النهائية، لذا فقد حان الوقت»، وتوقف لينتقى كلماته لإحداث أقصى تأثير، «إن قرارا بعدم المضى قدما مثله تماما مثل قرار المضى قدما سيقرر مصير أمتنا خلال السنوات القادمة، ومن ثم فإن امتناعنا عن العمل لن يقلل من مسئوليتنا إزاء هذه المسألة الحساسة».

أدركوا جميعا ما وراء ملاحظته ـ عدم اتخاذ قرار أو الامتناع عن اتخاذ موقف لن يعفيهم سواء بشكل فردى أو جماعى من عواقب جلسة هذا المساء، مد ياهاف يده إلى كوب الماء، وحملق تيرون فى حذائه.

واصل ايشيل «أننى أرغب ـ لا، يجب أن أتحدث بكل صراحة، أنه لا مفر من أن تعطونى رأيكم، استنادا إلى خبرتكم وإخلاصكم لإسرائيل».

وبإدراكه إلى اضطراره لتحمل عبء سر جديد من أسرار الدولة تململ جيرشون ياهاف فى مقعده، تمنى لو كان الآن جالسا فى منزله يقرأ بحثا اقتصاديا أو يلعب على جهاز الكمبيوتر الماكنتوش الذى اشتراه حديثا.

قال ايشيل «لقد طلبت من الجنرال شتيرن»، والتفت وهو يومىء برأسه إلى مدير الموساد «أن يطلعكم على الاقتراح الذى نحن بصدده الليلة، سوف نسمعه ثم سيمنح كل واحد منكم الفرصة للتعليق، تذكروا جيدا أن الاقتراح والتصويت يجب أن يذهبا معنا إلى قبورنا، لن تكون هناك أية سجلات خطية لجلسة الليلة لكى أمنح نفسى وأمتنا فرصة النفى الظاهرى، لن تكون هناك أية ملفات يمكن الكشف عنها أو تسريبها»، وتوقف ليؤكد على قوة عباراته الإنشائية قبل أن يستطرد «أبدا، بنيامين».

وقف شتيرن، الذى يرتدى قميصا نصف كم كاكى اللون وسروالا ميدانيا من اللون نفسه، وخطا خطوات قليلة للأمام وبدأ حيث حمل صوته الخشن السريع القوى أسلوبه الشخصى ومدى مايتمتع به من سلطة.

«قبل كل شيء، وكما لاحظتم، فإن ديفيد تيرون هنا ليطلعنا لآخر مرة على عملية هيبرون والعملية الانتخابية فى الولايات المتحدة قبل أن ننظر فى الاقتراحات المعروضة أمامنا اليوم، لسنوات طويلة ظل ديفيد يطلعنا أولا بأول على التغيرات السياسية فى واشنطن، وهو يعرف بصورة مباشرة النكسات التى لحقت بنا أخيرا في الولايات المتحدة، وأماكن أخرى وكيف أنها تؤثر على مستقبل إسرائيل، وكما يجب أن تعلموا فإن بعض تلك النكسات من الصعب التغلب عليها، إننا الآن نعانى من عزلة سياسية على الساحة العالمية»، وتوقف وهو يطوف بعينيه فى الحجرة وكان الجميع معه.

«لبنان، على سبل المثال، حرب الخليج، التغيرات الحادة ـ الفوضى ـ حتى ـ فى موسكو بعد الحرب الباردة والقلاقل المدنية، الوضع الصعب الذى يواجهه حلفاؤنا فى جنوب افريقيا الجديدة، الرفض الأمريكى الواضح غير المسبوق لطلبنا الحصول على قروض عاجلة للمستوطنات فى الضفة الغربية، مشكلاتنا مع عرفات فى الدولة الفلسطينية

الجديدة، تصميم صدام على محونا من على الوجود بأسلحة الدمار الشامل، قادة الدول الأصغر عديمى التجربة فى العالم العربى من المغرب إلى الأردن.. هلم جرا ...».

سادت الغرفة همهمات تدل على تفهم لكل مايقوله.

«خلال العام الماضى دفعنا وضعنا الاقتصادى الحرج إلى مشكلة خطيرة مع الولايات المتحدة، لقد تضررت صورتنا فى واشنطن، ومن الواضح أن نفوذنا على الأقل فى البيت الأبيض، يتآكل بوضوح».

وارتفعت نبرة صوت شتيرن «يجب علينا أن نتوقف الآن ونقوِّم وضعنا الاستراتيجى، لقد حان الوقت للقيام ببعض التحركات الرئيسية لإنقاذ نفوذنا المنهار، الحقيقة الواضحة هى....»، وتوقف ليبتلع ريقه قبل أن يواصل «بدون تصميم الولايات المتحدة على ضمان بقائنا، سوف نتلاشى، هو أمر مؤكد مثل اجتماعنا هنا اليوم» ونطق الجملة الأخيرة بأسلوب درامى غرقت الغرفة على أثره فى صمت مطبق.

«ولكن أولا لندع ديفيد يطلعنا على آخر التطورات، ديفيد؟».

نهض تيرون، كانت بشرته تبدو الليلة فى لون داكن أكثر من أى وقت مضى كما لو كانت الضغوط لها تأثيرها على بشرة الإنسان، دخل فى الموضوع مباشرة وبنظرة سريعة إلى رئيس الموساد واصل انتهاج الخط نفسه.

«رئيس الوزراء والوزراء، أعمل فى سفارتنا فى واشنطن منذ عشر سنوات، ومن ثم فإننى مطلع على أدق الاختلافات فى معاملة أمريكا لإسرائيل، إن التغييرات الرقيقة لم تعد كذلك، وإذا نظرنا للأمر من أية زاوية فإننا نعرف إنه فى النهاية أن الولايات المتحدة هى التى تصنع الاختلافات، فالمساعدات العسكرية الأمريكية الطارئة فى عام ١٩٧٣ هى التى أنقذتنا من أن تجتاحنا القوات المصرية السورية الموحدة، على الرغم من أنه ليس بوسعنا على الإطلاق أن نعترف بذلك علنا، غير أن الأمريكيين يعرفون ذلك، كذلك العرب، لقد كانت ذخيرتنا على وشك النفاد عندما هرع الأمريكيون لمساعدتنا، وحان الوقت ليدخل تيرون فى الموضوع مباشرة».

«نعرف جميعا أن بقاء إسرائيل يتوقف على مدى الفاعلية التى يمكننا بها التأثير على القرارات التى تتخذ فى البيت الأبيض، وفى النظام الأمريكى، يمكن للكونجرس أن يتحدث لصالحنا، يمكنه تخصيص مساعدات لنا، ولكن الفرع التنفيذى لحكومتهم هو الذى ينبغى أن يعمل، خلال العقد التالى سوف نتنافس مع القوة المالية المتبقية للسعودية الغنية بالنفط والفصائل المناوئة لإسرائيل فى إيران والنفوذ المتنامى للعالم الإسلامى ونحن نجازف بالتوغل فى هذه الألفية الجديدة».

والتفت تيرون تجاه الجنرال الذى أومأ له موافقا، وقال شتيرن وهو يتطلع فى أرجاء الغرفة «حسنا ديفيد»، وخرجت كلماته التالية فى نعومة ولكن تأثيرها كان هادرا «وضعنا كئيب ويزداد سوءا، عوامل كثيرة أدت إلى هذا الواقع، أحدها العرب ونفطهم، النفط وسعره يؤثران على الطريقة التى يتعامل بها العالم معنا، كلنا نعلم هذا، ودعونا لانخدع أنفسنا حيال التأثير طويل الأمد للبترودولار، لمجرد أن الأوبك عانت من أسعار عالمية منخفضة نسبيا خلال السنوات القليلة الماضية، فهذا لايعنى أنه بوسعنا أن نعتمد على أن

الدول المنتجة للنفط سوف تصاب بحالة ضعف طويلة الأمد، إذ بوسعها أن تعتمد على ماحققته فى أوائل الثمانينات لتتمتع بثراء طويل الأمد، وثقوا بى عندما أؤكد أنه ستمر سنوات لاتحصى قبل أن تنجح الطاقة البديلة فى القضاء بجدية على تأثير أصدقائنا المنتجين للنفط»، وفهم الجميع السخرية فى جملته الأخيرة.

«وبخصوص هذه النقطة فإن خبراءنا الاقتصاديين يتفقون مع الشيخ حمدانى سكرتير عام الأوبك من أنه خلال السنوات القليلة القادمة، فى الوقت الذى ستصبح فيه الصين قوة عظمى، سينشأ نقص عالمى فى إمدادات الطاقة، مما يعطى الأوبك الفرصة لرفع أسعار النفط مرة أخرى لمستوى الأربعين دولارا، كما أن الضغوط البيئية للحد من استخدام الطاقة الذرية سوف تساعد على رفع الأسعار».

توقف ليأخذ رشفة ماء قبل أن يواصل «على المستوى العالمى، هناك قليل من الانتكاسات التى ستؤثر علينا بالتأكيد، أولها جنوب افريقيا حيث أصدقاؤنا الأوفياء سلموا السلطة لواقع جديد، ولا أجدنى مضطرا لإخباركم بأن هذا يعنى أن روابطنا العسكرية الوثيقة مع بريتوريا قد انهارت وخاصة تعاوننا فى تطوير واختبار الأسلحة النووية».

قاطعه نات مينتز «آسف بن ولكن من فضلك لماذا ترسم مثل هذه الصورة المقبضة؟ أنت وأنا مررنا ببعض الأوقات المضطربة للغاية؟ أليس كذلك؟ وبوسعنا اجتياز هذه اللعبة السياسية ، وهو ما يجعلنا الدولة المرنة التى نحن عليها».

وتدخل روثبيرج «كلام جيد أنا أتفق مع تعليق نات».

رد شتيرن «إذا كان الأمر يتعلق بى فأنا أيضا أتفق معك، نات ولكن يجب علينا أن نقدم صورة لوضعنا العالمى كما نراه، لا كما يجب أن يكون عليه ديفيد استمر».

«أشكرك جنرال شتيرن، إننا هنا لنقرر إذا ما كانت عملية هيبرون تستحق المخاطرة وتكلفة محاولة تغيير وضعنا المحفوف بالمخاطر الحقيقية، الصورة ستكون أكثر قتامة مما رسمناها، عدا الفرصة التى تمنحها لنا هذه العملية.

«الآن، من المهم بالنسبة لنا أن ندرك عاملين آخرين، الأول أنه على الرغم من أن أكبر عدد من اليهود يعيشون فى الولايات المتحدة ـ حوالى سبعة ملايين اعتبارا من أواخر التسعينيات ـ يجب أن نفترض أن النفوذ الصهيونى على السياسات الخارجية والدفاعية الأمريكية يتناسب مع التوزيع السكانى، ثانيا ليس بوسعنا أن نسلم بالتأييد التلقائى لليهود الأمريكيين لليهود»، وضغط بإصبع السبابة على صفحة فى مفكرته وقرأ «لايشكل اليهود سوى ٢,٥ فى المائة من إجمالى سكان الولايات المتحدة، وتوضح الإحصائيات أيضا أنه خلال الانتخابات الرئاسية الثلاثة الأخيرة صوت اليهود الأمريكيون لصالح الحزب الديمقراطى، ولكن على الرغم من التأييد اليهودى فإن الحزب عانى من أسوأ هزائمه فى تاريخه، فقد خسر الأغلبية فى الكونجرس عام ١٩٩٤ للمرة الأولى منذ أربعين عاما.

«فى عام ١٩٨٤ خلصت دراسة لجامعة برانديس إلى أن أصوات الجماعات العرقية لاتشكل عاملا فى النتائج الإجمالية للانتخابات، ومن الواضح أن كلا من أصوات اليهود والأمريكيين الأفارقة غير مهمة، ربما كانت مهمة بصورة طفيفة فى انتخابات الكونجرس

لعام ١٩٩٨، لقد عملنا بجدية مع زملائنا الصهاينة فى الولايات المتحدة لدفن نتائج هذه الدراسة، ولكن نتائج الانتخابات قضت على أسطورة (الصوت اليهودى) وهى أسطورة عملنا بقوة للإبقاء عليها لعشرات السنوات، وهو مايفسر لماذا تجرأ الرئيس دوجلاس ليرفض مطلبنا بالحصول على ضمانات قروض ومزيد من الأموال لتطوير التكنولوجيا توقف تيرون ومرر أصابعه خلال شعره الأسود وأخرج منديلا ليمسح جبينه، إنه يعلم أن مستقبل إسرائيل يتوقف على قدرته على إقناعهم.

«قانون الانتخابات لعام ١٩٧١ وجميع التعديلات التى أدخلت عليه منذ ذلك الحين قد حدت من تأثيرنا على الانتخابات الأمريكية، هذا مؤكد: أولا، التبرعات أصبحت الآن مقيدة ألف دولار للفرد خلال الحملة الانتخابية.

ثانيا، وضع القانون سقفا لإجمالى المبالغ التى يمكن للفرد أن يتبرع بها لأى تجمع من المرشحين خلال العام الواحد، الآن فإن مايسمى (بالأموال السهلة) فى طريقها للخروج من السياسة الأمريكية.

«ومع هذه التعديلات على كيفية تمويل الحملات السياسية الأمريكية جاء ميلاد جماعات الضغط اليهودية (بى إيه سى) فى الولايات المتحدة، وهو ماسمح لنا بأن نقوم ببعض التغيرات الماكرة فى الكيفية التى يمكن أن نعمل بها من خلال المنظمات الصهيونية، ولكن فى النهاية لقد تفتت نفوذنا، يجب علينا أن نعترف بأن نفوذنا فى النظام السياسى الأمريكى قد منى بخسارة فادحة، الأنباء الطيبة أن هذا الأمر ليس واضحا للكافة، حتى ولو كانوا يعرفون ذلك فى البيت الأبيض ـ وهو ما يجعلنا نواجه لحظة الحقيقة، أعتقد أن ذلك يلخص الأمر»، وانسحب تيرون ليفسح المجال لشتيرن.

«شكرا لك ديفيد، لقد غطيت النقاط ذات الصلة بموضوعنا».

واختصارا أيها السادة، لتلبية أهدافنا الوطنية، لم يعد كافيا التأثير على أعضاء الكونجرس ووسائل الإعلام فى الولايات المتحدة، يجب علينا أن نبحث عن وسيلة أو وسائل أكثر تطرفا للحفاظ على مكاسب الأعوام الماضية، اسمحوا لى أن أكون أكثر شجاعة للقول بأننا يجب من الآن فصاعدا أن نناضل أينما يتاح لنا لنضمن السيطرة المطلقة على الفاعلين الرئيسيين فى الحكومة الأمريكية».

أنطلقت همهمة لا إرادية.

التفت شتيرن وقال «ياهاف، إننى أرى وجهك أنك تعتقد أننى أصبت بلوثة، ولكن هذه هى الحقيقة، أننا نملك إمكانية لفعل ذلك وهذا هو سبب تجمعنا هنا الليلة».

قاطعه مينتز وقد أثاره الانفعال ونغمة الغرور التى عبقت جو الغرفة «بن، أنتظر، إذا كنت مصمما على مواصلة مثل هذا الاقتراح المتهور، فإننى أطلب فترة توقف لنملأ كئوسنا مرة أخرى».

استجاب رئيس الموساد «لما لا؟» وأغلق ملفه ودعا المجموعة إلى الانضمام إليه، إلى بار شقيقه، صب شتيرن لنفسه كأسا من الويسكى، انضم إليه اثنان آخران، وظل الآخرون هناك مكتفين بالنبيذ الإسرائيلى.

استأنف شتيرن حديثه «لكى ننتشل أنفسنا من وضعنا الراهن ومن شفا الكارثة المالية

فضلا عن قوتنا العسكرية والسياسية التى تضاءلت فإنه يجب علينا أن نفكر فى مغامرة جريئة، مغامرة تستحقها سمعتنا الوطنية من أجل المخاطرة بتحقيق المستحيل وإحراز النجاح، لقد خولنى رئيس الوزراء بأن أطرح عليكم الليلة التفاصيل النهائية لهذه العملية»، وتوقف ليأخذ أول رشفة من الويسكى.

«على مدى أكثر من عشرين عاما وجهازنا يسيطر على سيناتور أمريكى بارز، إنه ليس ـ أكرر ـ إنه ليس يهوديا، لقد تم تجنيده كعميل خلال أيامه الأولى فى مجلس الشيوخ، وفى الأيام الأخيرة ونظرا لمناوراته السياسية أصبح يتمتع بنفوذ متزايد ونستخدمه بصورة انتقائية كعميل صاحب نفوذ، كما نقول فى مهنتنا، وعلى الرغم من أن قيمته الرئيسية هى فى كونه عميل تجسس يغطى قرارات السياسة العليا فى واشنطن، وكما تعرف هذه اللجنة فإنه ليس عميلنا الوحيد فى أمريكا ولكنه إلى حد بعيد هو أكثر أرصدتنا السياسية سرية وأعلاها منزلة هناك.

وأضاف شتيرن فى صوت منخفض وإصبع سبابته اليمنى يشير ببطء حول الغرفة «أؤكد أن هذا الرجل ليس مجرد متعاطف آخر، وإنما عميل يخضع لسيطرتنا ويحصل على أتعاب مثل بولارد، ولاؤه الأول لنا ـ لقد اختبرنا ذلك تحت ضغوط العديد من المرات على مدى العقدين الماضيين، الآن نشأ وضع سياسى يوفر لهذا الشخص فرصة خوض انتخابات رئاسة الولايات المتحدة، المؤكد أن حزبه سيختاره كمرشح له لمنصب الرئيس».

كان من الصعب سماع صوت أى نفس يتردد فى الغرفة فى هذه اللحظات.

«الفائدة التى ستعود على إسرائيل لو انتخب هذا الرجل ليست محل تساؤل، ونظرا للمشكلات التى نواجهها فى أمريكا سيكون عميلنا الأساسى رئيسا للقوة العظمى الباقية، وهو ما سيمنحنا ما بين أربع إلى ثمانى سنوات لكى نعيد تجميع وبناء نفوذنا طويل المدى هناك وفى كل مكان آخر.

«هذه هى الحقائق، وقد حان الوقت لكل من يرغب فى الإعراب عن وجهة نظره ثم نجرى تصويتا مع أو ضد مساندة هيبرون فى انتخابات الرئاسة»، ومد شتيرن يده إلى حقيبة أوراقه بجوار مقعده وأخرج ملفا «هذا الملف سوف ـ وللمرة الأولى على الإطلاق ـ يكشف عن هوية هذا العميل لكم ولرئيس الوزراء أيضا، حتى أن عميلنا نفسه لم يخطر باسمه الكودى، هيبرون الذى هو معروف فقط لجهازنا ولمن فى هذه الغرفة، الملف الذى يلخص عملية هيبرون لايتضمن أية إشارة لأية عمليات قد تشى بصاحبها تحسبا لفقد أية نسخة.

«بعد ذلك يجب عليكم أن تعطوا رئيس الوزراء انطباعاتكم المبدئية، هو فى حقيقة الأمر صاحب هذه الفكرة، نحن فى الموساد مجرد المنفذين، ننفذ تعليماته».

قاطعه ايشيل «لقد ذكرتنى أريد أن أتحدث مع ديفيد تيرون فى هذه النقطة بالذات».

رد شتيرن «بالتأكيد، سيدى» «وواصل» «فى النهاية، فإننا سنستخدم فقط الاسم الكودى هيبرون فى الحديث مع بعضنا البعض عن هذه القضية».

وتم تمرير الملف الوحيد الذى يحدد هوية أهم عميل سرى إسرائيلى منذ تأسيسها إلى روثبيرج الذى تدفق الدم فى وجهه ترقبا، وعندما فتح الصفحة الأولى وشاهد الصورة

انفرجت شفتاه واندفع لسانه ليصطك بأسنانه، وبدون أن ينطق بحرف واحد سلم روثبيرج الملف إلى مينتز الذى فتحه بابتسامة سعيدة وسلمه لرئيس الأركان الذى بدوره أطال النظر فى الصورة ثم سلمه بوجه خال من أى تعبير إلى جيرشون ياهاف.

تسلم ياهاف الملف بيد مرتعشة وأخذ يتطلع إلى غلافه لعدة توانٍ. وأعاده إلى شتيرن دون أن يفتحه قائلا: زملائى، لى الشرف أن أكون من بين الخمسة، ومع ذلك فإن عملى هو السياسة المالية، هذا هو واجبى وأنا أقبل ذلك. لست فى حاجة إلى معرفة شخصية عملائنا أو تفاصيل عملياتهم، سوف أنام بعمق خلال الليل وأنا لا أحمل على عاتقى مسئولية هذه المعرفة، ومن ثم أعفونى من ذلك».

رد ايشيل «أنك دائما تأخذ جانب الحذر، ياهاف ـ أنت عصبى ولكنك حصيف، أننى أقبل طلبك، الآن أنا فى انتظار أصواتكم، هل تصوتون لصالح إعطاء الموساد الضوء الأخضر للشروع فى المرحلة الأخيرة من عملية هيبرون؟ روثبيرج؟».

«نعم».

«ياهاف؟».

«نعم».

«مينتز؟».

«نعم».

«شتيرن؟».

«نعم».

«وأنا أهارون ايشيل أصوت بنعم أيضا، وهذا إجماع من الخمسة الجنرال شتيرن، تولى مرة أخرى قيادة الاجتماع».

«حسنا، لقد حسم الأمر، سأقوم بتمرير بيان ياهاف المالى الذى يتطلب توقيع الجميع، إنه يقدر التمويل السرى الذى تتطلبه عملية انتخاب هيبرون بعشرين مليون دولار».

قام الخمسة بالتوقيع على الورقة بدون تعليق.

وقف شتيرن وقد ضم ملف الموافقة على عملية هيبرون إلى صدره، وبدأ الجزء الثانى من حديثه.

«لقد علمنا فى العام الماضى أن الرئيس دوجلاس، بناء على نصيحة طبيبه لن يسعى إلى الترشيح لفترة رئاسة ثانية، قد يحتاج إلى عملية فى القلب بحلول أواخر الصيف أو أوائل الخريف، وقد تردد أن أطباءه قد نصحوه بالحفاظ على قوته تحسبا للجراحة المنتظرة، من الواضح أن الحملة الانتخابية ستخلو منه.

«وحتى بداية هذا الصيف لم يطلع الرئيس على هذا الأمر سوى أفراد قليلين من عائلته وأصدقائه المقربين ـ وبالطبع رئيس اللجنة الوطنية للجمهوريين ورئيس لجنة إعادة انتخابه، ولكن هذه المعلومات تسربت للديمقراطيين، عندما سمعنا بها للمرة الأولى قررنا أن عميلنا ربما يملك الفرصة للفوز فى الانتخابات الرئاسية خاصة مع تأييدنا ومساندتنا المالية.

«لقد سمعنا شائعات حيال الرئيس ولكنه مثل كل شخص آخر تقريبا كان يفترض أن دوجلاس سوف يخوض الانتخابات ويفوز بها، ولذا فإنه ذهل من اقتراحنا بوضعه فى

البيت الأبيض، لم يكن يدرك أبدا أن دوره كعميل قد يتجاوز إمدادنا بالمعلومات، ولكن بعد أن عالج ديفيد الموجود معنا، الأمر بحساسية وفطنة وافق هيبرون على سيناريو نعتقد أن النجاح سيكتب له، لقد راجعنا اقتراحه وعدلناه مستغلين خبرتنا فى النظام الانتخابى الأمريكى، وقد استكملنا الخطة العملية بكل تفاصيلها ـ مستغلين كل قدراتنا فى الولايات المتحدة ـ التى ستعطى هيبرون فرصة طيبة لانتخابه، ديفيد هل ترغب فى إضافة شيء؟».

رد تيرون وهو يشعر بالاعتزاز بنفسه «بالتأكيد»، تطلع فى أوراقه ثم راح فى حديث طويل ومسهب عن الوضع السياسى في الولايات المتحدة وتناول فيه الأحزاب الثلاثة الجمهورى والديمقراطى والإصلاحى نقاط قوتها ونقاط ضعفها الحالية ومختلف الشخصيات التى تخوض الانتخابات الأولية فى الولايات المتحدة، ثم انتهى بتقديم صورة للعديد من المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة التى يمكن لإسرائيل أن تعتمد عليها للتأثير فى سباق الرئاسة، وعرض للأسباب التى يجب معها أن يظل هيبرون فى طى السرية بينما يجرى الاستمرار فى النشاط العلنى للجماعات الصهيونية فى الولايات المتحدة.

وخلص إلى القول:

«إننا نصنع التاريخ اليوم بتوجيه عميل سرى لدولتنا للفوز برئاسة الولايات المتحدة يجب أن نظل على تصميمنا بالنجاح، أن نرى هذا الإنجاز يستحق أية مخاطرة حتى ولو كان قطع العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة».

وتحدث روثبيرج «ولكن كيف يمكننا العمل مع عميل كرئيس؟، إذا هو عمل كل شيء بشكل واضح للغاية لصالحنا، فإنه بذلك سوف يتعرض لانتقادات لاتنتهى».

رد تيرون «لقد بحثت هذا معه، وأقترح هيبرون أنه يتعين علينا أن نحدد الحد الأدنى من موقفنا بوضوح معه مقدما ثم نطالب علنا بما هو أكثر من ذلك بكثير بشكل مبالغ فيه، كرئيس يمكنه حينئذ رفض موقفنا المعلن وأن يقترح بدلا من ذلك خطة أمريكية هى فى واقع الأمر ما نتطلع إليه، فى العلن سوف نتذمر ونشكو من ذلك بل قد نرفضه.. سنقول للعالم بأن الأمريكان يعاملوننا بقسوة، ولكن لاحقا سنقبل بحل الوسط ـ الأمريكى ـ الذى هو فى حقيقة الأمر النتيجة النهائية التى كنا نسعى إليها من البداية».

قال رئيس الوزراء بنبرة تدل على بلوغ الاجتماع نهايته «الأمور تبدو إلى درجة كبيرة معقولة وعملية»، لقد حصل على التصويت الذى يريده وسيختتم الآن هذا الاجتماع التاريخى قال «أقترح عليكم سادتى أن نشرب نخب»، ورفع يده وتبعه الآخرون «نخب عملية هيبرون وعملية صنع رئيسنا الأمريكى»، وابتسم الجميع لهذه الجرأة الفظة، «ليباركنا الله ويبارك أمتنا وأطفالنا وأطفال أطفالنا».

أنهى الاجتماع شاكرا الجميع لثقتهم وطلب من شتيرن وتيرون الانضمام إليه بصفة خاصة فى الغرفة المجاورة، وتوجه الآخرون إلى سياراتهم المنتظرة.

* * * *

عندما جلس الرجال الثلاثة، مال رئيس الوزراء إلى الأمام ليؤكد على ما سيقوله وطرق بمفاصل أصابع يده اليسرى على المائدة الخشبية أمامه قائلا: «أسمعا، كليكما، الآن بدأت

عملية هيبرون، يجب وقف عملياتكم السخيفة، إنها تنطوى على مخاطر بالغة»، والتفت ايشيل إلى شتيرن الجالس إلى يساره، ثم إلى تيرون الجالس فى الجانب الآخر من المائدة، ولكن لم يظهر أى تعبير على وجه الرجلين.

«إننى أعنى ما أقوله . بن.. أريد تدمير جميع الملفات، جميع المراسلات، أى مراسلات، أى بيانات على الكمبيوتر، أى شيء له علاقة بعملياتكم السخيفة يجب التخلص منه أو إحراقه، لايهمنى كيف تفعل ذلك، فقط تأكد من تنفيذ ذلك بكل دقة وعلى الفور، دون أن يتسرب شيء».

«إننى أتفهم ذلك، سيدى، ولكن مازلت أعتقد بأن الاغتيال كان ضروريا، الرجل كان يشكل تهديدا رئيسيا لنا باتصالاته مع فزانى، لا أحد يدرى ماذا كان يمكن أن تؤدى إليه هذه الاتصالات؟».

وأضاف «الأمريكيون مازالوا يحملون المسئولية على العراق أو إيران، وهو ما يخدمنا».

وسأل ايشيل وقد بدا عليه الارتياح قليلا «هل دفعنا للقاتل أى أموال من خلال هذا الذى يدعى إبراهيم؟».

«نعم، مائتا ألف دولار نقدا تم إيداعها فى أحد المصارف بطريقة لا يمكن اقتفاء أثرها، كدفعة مقدمة، وندين بمليون وثمانمائة ألف دولار أخرى. ولكن نظرا لأننا استخدمنا إبراهيم كلافتة إيرانية مزيفة، سوف يلام أولئك الإيرانيون إذا لم ندفع ـ ولن ندفع، ومن ثم فإنك كما ترى سيدى رئيس الوزراء على الرغم مما تقوله حصلنا على الكثير ولم نفقد شيئا».

قال ايشيل وعروق رقبته تنبض بصورة ملحوظة «أنظر ياتيرون، إنك تقول بثقة ليست فى محلها إننا لم نخسر شيئا، رغم كل سنوات خبرتك فى الاستخبارات، بالتأكيد تدرك أن هناك دائما خطر افتضاح العملية».

استمع تيرون ولكن مسحة من العجرفة عبرت وجهه وهو ينتظر اللحظة التى سينفجر فيها «سيدى، لقد قضينا على جميع مخاطر افتضاح العملية نظرا لأن القاتل لايعرف من هو الذى يعمل لحسابه، أليس هذا رائعا؟».

«أننى فقط ممتن لأن باقى أعضاء الجلسة ليس لديهم علم بهذه الأحداث، ولذا فإنه بوسعنا التوقف الآن على الفور، هل هذا مفهوم؟»، وسدد نظرات طويلة وقوية لكل منهما، لقد كان جادا فيما يقول.

كان شتيرن أول من رد «بالتأكيد، سيدى، سننفذ تعليماتك على الفور».

وما أن ترك ضابطا الموساد رئيس الوزراء وتوجها إلى الخارج، حتى التفت تيرون إلى رئيسه «يجب تدبير حادث لإبراهيم، إنه الوحيد الذى بوسعه أن يربط بيننا وبين مقتل سورينسون».

وبدون أن يطرف له عين رد شتيرن وهو يتطلع أمامه «سوف نرسله للقديس بطرس».

وابتسم الرجلان.

الفصل الثانى عشر

باريس

العاشر من يوليو

وصل يورى بوروزوف إلى مطار شارل ديجول فى الصباح الباكر على متن رحلة «اير فرانس» القادمة من مطار كيندى بنيويورك . كان يستخدم اسمه الحقيقى فى جواز سفر دبلوماسى يعرفه على أنه مستشار فى وزارة الخارجية الروسية . بعد اجتياز الجوازات ومعه حقيبته الخفيفة، عبر الأبواب المنزلقة وتقدم إلى أول كشك للصحف على يساره حيث كانت ضابط جهاز الاستخبارات الروسية الخارجية «أف. آى. أس» فى مقر باريس تنتظر. كانت تتصفح مجلة «تنس»، كما تم الترتيب له مسبقا، وهى تضع حقيبة مشتريات بين ساقيها.

توقف يورى بجوار الروسية الحسناء وأختار عدد يوليو من مجلة «موتوكروس». ترك المجلة تنزلق من يديه همس لنفسه معاتبا بالإنجليزية «أنك لأحمق». عقب هذا التبادل القصير من إشارات التعارف غير المباشر حركت ضابط «أف. آى. أس» ساقها اليمنى كى تدفع برفق حقيبة المشتريات الورقية لتصل إلى قدم يورى اليسرى. وقامت بإعادة المجلة التى تصفحتها وتركت المكان دون أن تتطلع إلى يورى. لقد أنجزت مهمتها.

وبينما كان يلتقط المجلة التى أسقطها أمسك يورى بحقيبة المشتريات الورقية. ذهب لتسديد ثمن المجلة ثم غادر صالة المطار ودخل دورة مياه للرجال . وداخل حمام مغلق أخرج من الحقيبة بذلة رمادية اللون. وداخل جيب السترة مقاس ٥٤ كان هناك مظروف يضم ثلاثة آلاف فرنك فرنسى وجواز سفر أمريكى ورخصة قيادة . ومظروف آخر يضم مفاتيح سيارة مستأجرة من شركة يورب كار، وإيصال انتظار لسيارة مدون عليه مكان الانتظار فى المستوى الثانى تحت الأرض.

تطلع إلى بطاقة هويته الجديدة. أنه الآن جورج كافيناو رجل أعمال أمريكى يدير وكالة للاستيراد والتصدير فى لندن. غيّر ملابسه وأخرج نظارة غير طبية من غلاف سميك من أحد جيوب بدلته الجديدة. عندما ارتدى النظارة بدا مثل الصورة فى جواز السفر الجديد. فحص البذلة الروسية التى كان يرتديها بحثا عن أى شىء يربطه بيورى بوروزوف. وضع جواز سفره الروسى فى المظروف البنى الذي كان يحتوى على الجواز الأمريكى ووضعه فى الحقيبة. والأهم من كل ذلك أنه قام بتطبيق البذلة التى كان يرتديها وهو قادم من نيويورك ووضعها أيضا فى الحقيبة.

وغادر دورة المياه وفى يده مفتاح السيارة المستأجرة والإيصال الخاص بانتظار السيارة وأستقل المصعد إلى منطقة انتظار السيارات المستوى الثانى تحت الأرض. كان بمفرده. وجد سيارة بيجو ٣٠٦ خضراء ميتالك جديدة . فتح حقيبة السيارة الهاتشباك الصغيرة ووضع حقيبة المشتريات. أغلق حقيبة السيارة ثم أدخل المفتاح فى فتحة باب السائق. التفت كما لو كان قد نسى شيئا. وترك السيارة وعاد مسرعا إلى صالة الوصول. اتجه مباشرة إلى موظفى شركة «يورب كار» طلب السيارة التى فى انتظار جورج كافيناو. أظهر لهم جواز سفره ورخصة القيادة الصادرة عن ولاية نيويورك. وفى غضون دقائق كان

يقود سيارة رينو ٢١ زرقاء على الطريق السريع أيه ١ فى اتجاه بروكسل . وبعد ساعة وعشر دقائق كان فى الجانب البلجيكى من الحدود المفتوحة فى طريقه إلى العاصمة الأوربية، حيث من المقرر أن يستقل طائرة سابينا إلى برشلونه ومن هناك سيستقل طائرة ايبريا إلى وجهته النهائية مايوركا.

لم يجد يورى بوروزوف أية مشكلة فى التحرك بحرية حول أوربا. كان يبدو تماما مثل رجل الأعمال الأمريكى البالغ من العمر ٤٨ عاما الذى يتقمص شخصيته. ولم يكن مظهره بالبذلة الداكنة ذات الصفين من الأزرار وبنيانه الرياضى البالغ ستة أقدام يثير الشكوك. وكان تنكره فى هذه الشخصية لا يشوبه شائبة. فقد كان يتصرف بشكل طبيعى بل وأحيانا ما كان يشعر كما لو أنه فى حقيقة الأمر أحد أبناء نيويورك الأصليين.

ولدى وصوله إلى بروكسل لم يجد صعوبة فى الاتصال بضابط «أف. آى. أس» الذى يقدم المعاونة للجواسيس المتخفين الذين يحتاجون لتغطية كبيرة. وفى زاوية أحد الشوارع تسلم وجبة هامبورجر من ماكدونالدز. وخرج من المدينة فى اتجاه المطار. وفى ساندويتش الهامبورجر بيج ماك كانت هناك حافظة بها تذكرة سابينا إلى برشلونة وتذكرة ايبريا من هناك إلى مايوركا فضلا عن ٥٠ ألف فرنك بلجيكى وعشرة آلاف دولار و٢٠٠ ألف بيزيتا ومفتاح عبارة عن بطاقة بلاستيكية لغرفة فى أحد فنادق مايوركا.

بالما دى مايوركا، الحادى عشر من يوليو

كانت الشقة صغيرة ولكن مجهزة جيدا مثل قمرة فى يخت. تقع الشقة فى منطقة الميناء وتضم غرفة نوم صغيرة ومطبخا صغيرا ومائدة طعام بيضاوية من الخشب تتسع لشخصين بجوارها مقعدان وأريكة صفراء مطرزة وضعتها جاكى أسفل النافذة لتتمكن من رؤية الميناء. إنها تبدو شقة متواضعة فى نظر العديد من الذين يعرفون ثراءها ولكنها بالنسبة لجاكى كانت تشع بالدفء والراحة وعش حيث تتعايش معا المتعة والاستراتيجية. ومن بين الشقق السبع التى تملكها حول العالم كانت تلك هى المفضلة لها حتى من منزلها الأكبر حجما الواقع على بعد عدة أميال.

وهنا فى مايوركا حيث تعرف بجاكى بيرجن كانت تتمتع بخصوصيتها المطلقة. قررت عدم إقامة أية صلة بجيرانها الذين ينظرون إليها على أنها متعالية. ورقم هاتفها المحمول غير معروف سوى لمكتب العقارات الذي تملكه ومديرة منزلها ماريا والرجلين الوحيدين فى حياتها. أحدهما بيتر والآخر حبيبها الذي تأخر بالفعل عشرين دقيقة عن موعد العشاء. وحرصت على أن تظل مهنتها على سبيل التغطية كصاحبة مكتب عقارات منفصلة عن هذه الشقة المؤمنة.

نقرت جاكى بأظافرها القرمزية على سطح مائدة الطعام المعد لشخصين وفى الوسط منها وضعت زهور السوسن البيضاء وقد طفت فى مياه إناء كريستالى تنبعث منه أيضا رائحة عطر رحيق السوسن الفواحة. وهو ما يطلق دائما العنان لعواطف يورى. وكانت

هناك أيضا شمعتان عطريتان فى حاملين من الفضة الخالصة ترسلان ضوءهما الخافت وزجاجة من النبيذ يحيط بها الثلج.

بذلت مجهودا كبيرا لتبدو فى أبهى صورة. صففت شعرها الأسود الفاحم إلى الوراء ليكشف عن وجهها الجميل حقيقة. اختارت الرمادى الخفيف لظلال جفون عينيها الخضراوين التى تشبه اللوز وأصبحت رموشها أكثر كثافة وطولا وصبغت شفتيها باللون القرمزى ليتماشى مع لون أظافرها. ارتدت صديريا قصيرا من الشيفون الأسود يظهر فيه ظهرها عاريا حتى خصرها ومن الأمام يأخذ شكل الرقم ٧ ليبرز صدرا مثيرا. وبين نهديها تدلى بصورة لافتة للنظر فص من الماس. وانسابت الجونلة بنعومة لتنتهى فجأة قبل الركبتين تماما. لقد ارتدت هذه الملابس لتثير رغبته.

أنها تبدو جميلة ومتألقة فى هذه الملابس المثيرة وهو ما تدركه تماما.

كانت فى طريقها إلى المطبخ لتطمئن على السالمون عندما سمعت طرقات ثلاثاً خفيفة على الانتركوم. توقفت ضغطت بيدها على صدرها، شعرت بالدماء تتدفق إلى خديها.

حاولت استعادة هدوئها وفتحت الباب.

كان هناك يملأ الفراغ وعلى وجهه ابتسامته التى لا تقاوم مادا يده بباقة من الورود الحمراء إنه حبيبها الرائع، يورى بوروزوف. حاولت أن تتجهم فى وجهه لتظهر تذمرها لجعلها تنتظر. ولكنها انهارت أمام تلك الابتسامة الواسعة التى كشفت عن أسنان عاجية رائعة لامعة. قالت وقد فتحت ذراعيها «أهلا حبيبى، مرحبا بك الليلة فى عشنا المتواضع».

رد يورى بدفعها بين ذراعيه، ذراع تضمها بقوة إلى صدره والأخرى خلفها مازالت ممسكة بالورود المنسية.

احتجت قائلة وهى تسحبه إلى داخل الشقة «لقد تأخرت» !

«أين زهرية الورد» ؟

«يجب أن أفترض أن الزهور قد جعلت كل شىء على مايرام حتى انتظارى لك، هه»!

أخذت الزهور وذهبت تبحث عن الزهوية الذهبية التى كان قد أحضرها لها ذات مرة من أحد متاجر السوق الحرة.

قال مازحا «لنعلن الهدنة، جاكى،. تعال وامنحى هذا الدب قبلة».

ضحكت جاكى. «أنه يصبح أمريكيا أكثر كل يوم. أنه حقيقة دب، يبدو أكثر مثل الدب الأشهب». عاتبته ووضعت الزهور على مائدة الطعام وعادت لتلقى بنفسها بين ذراعيه. «يورى أين كنت؟ إننى فى حاجة للحديث معك. انه أمر مهم للغاية».

«أعرف عزيزتى . وإلا ما كنت قد خاطرتى بالاتصال بى بمثل هذه الطريقة. القيادة ترغب فى معرفة من تكونين. ولذا فقد أتيت فى مهمة».

«وهل دفعوا لك»؟

سدد لها واحدة من نظراته الفاتنة «إننى مقتنع ولكن لن تعرفى أبدا ماذا سيعتقدون أو ماذا سيفعلون للتحقق من شكوكهم. مازالوا يعتقدون بأن بيتر هو القاتل. أنهم لا يعرفون

صلتك به. أنهم يعرفون فقط أنك أحد المصادر الخاصة فى الإرهاب. وهو أفضل شيء لك ولى».

سار معها يوري إلى الأريكة «ولكن تلك هى مشكلتى. سأتولى هذه الأمر حتى لا يفتضح أمرك لموسكو». وأطل من النافذة. القوارب واليخوت ترصع بألوانها الزاهية الأفق الذى كان يومض بغلالة شفافة فى ظل سماء اكتست باللونين الأحمر والبرتقالى.

قال يورى قبل أن يجلس على الأريكة «تتمتعين بمنظر رائع هنا، جاكى ثم ما الذي يثير قلقك؟ تعال هنا وأخبريني». ومد ذراعيه وجلست ممتنة على ركبتيه. أراحت رأسها على كتفه، استكانت دون حركة لفترة وجيزة قبل أن تقفز على قدميها» دعنى أصب لك كأسا من الشمبانيا بينما أسكب لك همومى». وللمرة الأولى منذ أن ألتقى بها بدا تعبير وجه جاكى منطلقا بلا قيود يعبر بلا مداراة عن عذاباتها الداخلية. ورأى يورى قناعها من الهدوء الفولاذى وقد تلاشى.

«أولا، هناك شيء يجب أن تعلمه».

داعبها قائلا «من قتلتى هذه المرة؟»

«ليس هناك ما يدعو للمزاح».

«إذن الأمر جد خطير ؟ أسف جاكى، أستمرى كلى أذان صاغية. لماذا يحب الأمريكيون أن يقولوا ذلك؟»

أخذت نفسا عميقا وقالت كلمة واحدة.

«سورينسون».

قفز يورى من مكانه. «أنت؟»

«لقد سمعتنى. وعلى أية حال، من غيري يملك الشجاعة؟ هل تعتقد أن بيتر كان يجرؤ على ذلك؟».

صرخ يورى «ولا الغباء ذاته يجرؤ على ذلك! هل فقدت صوابك، جاكى؟ لا تتورعين عن عمل أى شيء؟ ماذا يمكن عمله لردك إلى صوابك وجعلك تشعرين ببعض الخوف»؟

ردت ببساطة وهى تدير ظهرها له «لا شيء. كفاك يورى، أنا لم أطلب منك المغفرة، لقد تم الأمر، أنتهى! وعلى أكمل وجه».

مشى يورى بضع خطوات ثم توقف صامتا، وأخذ يرقب هالة الكبرياء التى تحيط بوجهها ونظرة التحدي التي تطل من عينيها الخضراوين الرائعتين. وضع يده على كتفيها وأدارها لتواجهه حيث قوبل بوميض عينيها الذى كان يتوقعه. لم يكن بوسعه مقاومة الجمال والجسارة عندما يجتمعان معا. سألها برقة «إذن، لماذا طلبت رؤيتى، جاكى»؟

بالنسبة لجاكى كان من الصعب عليها أحيانا أن تكون امرأة. أنها تكره الدموع . معظم النساء يستخدمنها كسلاح. أنها تفعل ذلك، أحيانا. ولكن أمام ابتسامة يورى الرقيقة ونظرته الحانية تغلب الجانب الأنثوى وانسابت دموع حقيقية. ألقت بنفسها بين

ذراعيه، ضايقها اعتمادها الزائد على نفسها. ولثوانٍ قليلة تركت نفسها تستمع بأن رجلا أستوعب لحظة ضعفها. لحظة ضعفها النادرة جدا. ولكنها لحظة لعينة. كلنا نستحق لحظة ضعف عارضة، نستحق السلوى والتفهم وهو ما يجب أن يكون الحبيب قادرا على منحه. حتى ولو كان الحب بالنسبة لهذا الثنائي هو رحلة رياضية أكثر من كونه رحلة عاطفية.

سحبت نفسها، تراجعت، ذهبت لتحضر النبيذ، صبت كأسين وأخذت رشفة من أحدهما.

«لقد خدعت هذه المرة وجعلوا منى أضحكوكة». قالتها وهى تضرب كأسها بقوة فى المائدة لدرجة أن عنقه الصغير تطاير شظايا وتناثر على سطح المائدة. «اللعنة».

«ماذا حدث بحق الجحيم؟ قلت إن العملية كانت متقنة. والمعلومات السرية لدينا تقول إنه ليس لديهم أى مشتبه فيه حتى الآن». لم يذكر أن الروس يعرفون من رتب لهذه العملية. وهو ما يعرفه على وجه الدقة بحكم تخصصه. والآن فإن هذا الوحش العاشق المتأنق هو قاتل متورط بعمق .

«هذا حقيقى، لقد كانت عملية متقنة وسهلة للغاية».

«ومن ثم كيف جعلوا منك أضحوكة، أين وجه الخديعة»؟

«لم يدفع لنا أحد شيئا على الإطلاق!، أعنى، عدا المقدم. والأسوأ من ذلك أننا خدعنا. أنت تعرف كم أكره ذلك. لم يكن الإيرانيون وراء تلك العملية. ولا نعرف حتى الآن من الذي أصدر الأمر بها». صبت كأسا أخرى ، ألقت فى جوفها بكمية كبيرة من الخمرة الفوارة «لا يعنينى من أمر بهذه العملية. هذا ليس له علاقة بالأمر. أنا لا أنحاز لأحد. أنا أقوم فقط بأداء المهمة. ثم أحصل على أتعابى. أنا لا أهتم بالأسباب التى تدعو أى شخص إلى قتل آخر. ولكن دائما أهتم بالذى يتعاقد معى. ومن ثم أكون متأكدة من أنه سيدفع لى وأعرف من أين سأحصل على مستحقاتى». كان يورى يعلم أن الغضب قد تسلل إلى هرموناتها وأنها ستحاول أن تطفئه بمزيد من الخمر.

«هذه المرة لم أكن حريصة بما فيه الكفاية. ارتكبت أخطاء فادحة. أعمانا الجشع . لم نتأكد من همزة الاتصال إبراهيم. افترضنا أنه يعمل لصالح الإيرانيين، تماما مثلما قال. ولذا دفعنا الثمن. خدعنا بتظاهره بأنه من الإيرانيين. الآن أنا لا أعرف حتى أين أجده. كيف فعلت ذلك بنفسى»؟

تنهد يورى ، عاد إلى الأريكة وجلس على حافتها. مال إلى الأمام، وضع يديه فوق ركبتيه، ألقى برأسه إلى أسفل وبدا وكأنه يتأمل التصميم الهندسي للسجادة الصفراء . وقفت جاكى تتأمله وهو يرفع كأسه إلى شفتيه تطلع أمامه ليلتقى بعينيها المعذبتين.

قال كاذبا «هناك قدر كبير من التكهنات حول شخصية قاتل سورينسون . عديد من النظريات ولكن ليس هناك أى دليل قاطع. ونحن فى روسيا لسنا استثناء من ذلك، ولو كنت أعرف أنك متورطة لكنت بحثت هذا الأمر بصورة أوفى». انحنى ليضع كأسه على

المائدة «سأبحث هذا الأمر من أجلك، جاكي وسوف أصل إلى شيء ما، أعدك بذلك».
وأغلق يورى عينيه برهة ثم حك جبهته قبل أن يواصل قائلا «لقد كان أسبوعا من الجحيم ، أما الآن فإن الشيء الوحيد الذي أريده هو هنا»! وربت على ركبتيه بإغراء وهمس «يمكن للمشاكل والعشاء الانتظار».

وعلى الرغم من أن جاكي كانت تواقة للوقوف على ما يعرفه فإنها استسلمت لحقيقة أن رجلا أشبع رغباته هو رجل بلغ حالة من الاسترخاء أصبح معها مستعدا للتعاون. وليس هناك شيء أفضل من المزاوجة بين الجنس والطعام لدفع يوري لأن يبوح لها بكل شيء.

قالت «لدى فكرة جيدة». وجذبته من يده ليقف على قدميه، تطلعت مباشرة إلى عينيه وبدأت فى فك أزرار قميصه الأسود الحريري. وعندما انتهت من فك الأزرار مالت برأسها وأمطرت صدره العريض العاري بقبلات سريعة. تأوه وجذبها إليه بعنف.

«هيا قطتى الصغيرة أنا فى حاجة إليك»! رفعت رأسها قائلة «هذا رائع ، رائع للغاية». وأمسكت ذقنه بيدها وقبلته في شفتيه، ثم طبعت مازحة مزيدا من القبلات السريعة على رقبته وحول أذنيه.

أبعد رأسها قائلا «توقفى، أنك تقودينني إلى الجنون». ثم ضمها إليه بقوة وذابا معا.

أشعل يورى سيجارة وقال لها كما أعتاد أن يقول فى كل مرة «إننى لا أدخن إلا بعد ممارستى الحب». تركت الفراش واختفت داخل المطبخ لتعود ومعها زجاجة من النبيذ ممتلئة إلى النصف وكوبان نظيفان. جلست على حافة الفراش وظهرها إليه وسألته «هل تدخن أيضا سيجارة بعد ممارسة الحب مع زوجتك»؟

«أنا لا أمارس الحب مع زوجتى. أننى أحافظ على أمنى المحلى. «لينا» ليس لها علاقة بنا. أنت تعرفين جاكى، إنه زواج مصلحة. إنها تساعدنى فى مهنتى وأنا أضفى عليها بعض المكانة، والأمور تسير على مايرام».

«أهدأ ، يورى، حقيقة، ليس بوسعى أن أبدى عدم اكتراث».

«اسمعى ، جاكى. هل تذكرين ما قلتيه لى؟ لا أسرار بيننا».

«وهل تعتقد حقيقة أننى أصدق انك صدقت ذلك؟ أنت ضابط فى جهاز «أف. آى. أس» وكم من الأسرار التى تعد بالآلاف التى تعرفها وأنا لا أعرفها؟ لا تنس، أيها الوغد، أن والدي كان عميلا للـ«كى. جى. بى». وقفت جاكى ارتدت الروب الحريرى الأحمر الذي تحتفظ به دائما على سريرها وأحكمته حول جسدها، استدارت لتواجه حبيبها، صرخت فى وجهه «لنواجه الأمر، عزيزى، إننا الاثنان نجد أنفسنا فى الخطر والقوة، وبالنسبة لى أنا على الأقل المال هو السبب فى الحالة المزرية التى أنا عليها الآن. من الذي غرر بى ولم يدفع لي»؟

جلس يورى على الوسادة وأطلق سحابة من الدخان «بالنسبة لي الأمر يصبح مفهوما أكثر، لدى دافع سياسى وآخر شخصى – ليست لديك فكرة عن كيفية الحياة فى موسكو

الآن». وارتفع صوته ولم يعد ينظر إليها الآن «الحياة بالنسبة لمعظم الروس أصبحت صعبة للغاية، أنا في حاجة للتحرك في دوائر مختلفة، من أجل أن أشعر بالإثارة والتحدي. ولكي تشقين طريقا خاصا يجب عليك أن تخاطري. بالنسبة لي لم يكن أمامي خيار».

وخفض من صوته وتطلع إليها بنظرة رقيقة حائرة «ولكن أنت؟ لماذا فعلت ذلك؟ أنا لا أفهم. بملامحك الجميلة وفطنتك وكل اللغات التي تجيدينها بوسعك أن تفعلين أي شيء تقريبا. لماذا هذه العملية»؟

قالت بنبرة درامية «لأنني الأفضل!، وفضلا عن حبي للمغامرة والخطر والتحدي، وبالطبع ـ كما قلت لك ـ المال. عندما أحصل على مهمة، أبدو مثل الحيوان الذي يطارد فريسته. أتتبع هدفي في كل تحركاته – لا أهدأ لحظة . أنني أتسلل داخل جلد الهدف. أشعر بنبضه ثم أقبض على القوة التي توقف هذا النبض! إذا كنت تعتقد بأن الجنس يرفع من معنوياتك فإنه يجب عليك أن تجرب القتل». وألقت برأسها إلى الوراء واستغرقت في الضحك بصوت عال.

تنهد يوري شاعرا بخيبة الأمل. فقد كان يأمل في أن تأتمنه جاكي على أسرار ماضيها. يعرف أن هناك بعض الأسرار المؤلمة، بعض الآثام التي أجبرت نفسها على التعايش معها. وحاول مرة أخرى.

«ولكن كيف بمقدورك فرض مثل هذا النطاق من السرية على مهنتك؟ ماذا عن أسرتك؟ أصدقائك المقربين»؟

«أسرتي؟ لقد أضحكتني!! مات والدي وهو أمر طيب على أية حال . عليه اللعنة. وليس لدي أصدقاء مقربون». وسرحت بخيالها وهي تشعر بمرارة في عبارتها الأخيرة قبل أن تواصل «ولكن لماذا أحتاج إلى أي شخص؟ عندما أملك كل من أنا في حاجة إليهم في العالم في رجل واحد»! وبحركة رشيقة تخلصت من الروب انزلقت لتلتصق به في الفراش «أنت سوف تساعدني الآن، يوري؟ كصديق وفي. ساعدني على أولئك الذين خدعوني في بروكسل؟ إنني جادة الآن، صديقي العزيز». والتفت يد جاكي حول رقبة يوري وأخذت تدغدغ كتفيه بأنفها. «سوف نعثر عليهم، أليس كذلك؟ وسريعاً، «عزيزي؟»».

كان بوسع يوري أن يشعر بعينيها الخضراوين وهما تحدقان فيه بحدة وإصرار تنتظران الرد. واجه نظراتها بثبات وقال في جدية «نعم، أعتقد أنه بوسعي مساعدتك، جاكي. ولكن يجب عليك أن تمنحيني بعض الوقت. لكي أفكر ولكي أستريح. دعيني أنام ولو لنصف ساعة، اتفقنا؟ وبوسعنا أن نواصل حديثنا بعد ذلك».

قالت بغضب «حسنا، ليس أمامي خيار آخر». ثم احتضنته وهي تمطره بقبلاتها، تخلص منها وأخذ يحملق في سقف الحجرة وهو يقو ل لنفسه «ما الذي بحق الجحيم جاء بي إلى هنا؟». واستغرق في النوم ولكنه نوم مضطرب.

قالت جاكي وهي تتشاغل بوضع الطعام في طبقها وتعيد ملء كأسها ببعض النبيذ

الأبيض «أرأيت ما حدث عندما جاشت بك العواطف». ابتسم يوري وقطع لقمة من الخبز وتناولها مع شريحة من جبن المانتشيجو.

«السالمون رائع».

ضحكت قائلة وهي تدفع مقعدها للخلف «ولكن تأثيره هائل. اسمع أيها النمر - دع كل ذلك سأعود إليه لاحقا. فمازال أمامنا حديث لم ينته».

«أرجو ألا يقتصر الأمر على مجرد الحديث فإنك تبدين فاتنة بشعرك الأشعث»!

هزت كتفيها في لا مبالاة ولكن بدلال قبل أن تستدير لتواجهه، وقالت له فجأة بجدية «يورى ، لقد وعدت».

ولم تكن هذه هى المرة الأولى هذا المساء التي يلاحظ فيها كيف يمكن أن تتحول جاكي من امرأة دافئة متوقدة العواطف إلى محترفة باردة فولاذية الملامح.

وكأنها تقرأ أفكاره، سحبت مقعدا إلى الأريكة وجلست عليه وقد بدت على ملامحها الصرامة وهو ما أعاد إلى ذاكرته بصورة عابرة مدرسه فى المدرسة الابتدائية.

«حسنا » ؟

رد يورى وهو يضع نظارته على المائدة الجانبية وقد واجه نظراتها بثبات «أنت لم تمنحينى وقتا كافيا».

قالت له وهي تنظر فى عينيه دون أن يطرف لها جفن «لم يفلت أحد ممن غشوني، هذه مهنتى . لقد ساعدتك طويلا. حان الوقت لمساعدتى. أنت تعرف أن نمط حياتى يحتاج إلى حصولى على مبالغ بصفة منتظمة».

يمكنه تصور ذلك على الرغم من أن تلك هى المرة الأولى التي يزورها فى شقة ميناء بالما. لقد زارها مرة في مقرها الرئيسى فى الجزيرة وهو فيللا أنيقة بها أربع حجرات للنوم ويحيط بها سور بارتفاع ستة أقدام وبها حمام جاكوزى لم ير مثله من قبل.

إن مزاج ولهجة يورى يماثلان الآن الحالة التي عليها جاكى «الإيرانيون، كما قلت، ليست لهم علاقة بالمسألة. فى الحقيقة هم لا يعرفون شيئا عنها».

«يورى ، أنا أعرف ذلك. بيتر تحقق من ذلك. وكنت هناك. ولكن من خدعنى؟ ماذا يحدث بحق الجحيم»؟

زادت حدة صوت جاكى بينما كانت عيناها تتقدان غضبا.

لزم يوري الصمت. فهو يعرف أنه بصدد عمل ما لا يجب عليه عمله. تطلع إلى نهديها الثالين. كيف بوسعه أن يخبرها دون أن يخبرها. يتعين عليه أن يحافظ على سرية مصدره الرئيسى.

قال فجأة وهى تسدد له نظرات قوية وتهتز غضبا «حسنا»؟ كانت قد وصلت من الغضب إلى درجة أنه بوسعها أن تقضم رأس ثعبان. وقفت واتجهت للنافذة ألقت عليها نظرة كلها غيظ على الميناء، ثم أخذت نفسا عميقا وجلست مرة أخرى «أستمر - ولا تخش

شيئا. أنا لا أسجل ما تقوله، أيها الأبله».

شعر يوري بارتياح لرؤية ابتسامة باهتة وقد عادت إلى شفتيها.

«حسنا، لك ما تريدينه، لقد سألت عن ذلك. ولكن احترسي أيتها الفتاة. لقد اتفقنا لا أسرار. ولكن هذا ينطوى على ماهو أكثر من الأسرار».

ومثل فتاة صغيرة على وشك الحصول على قطعة من الحلوى جلست معتدلة القامة «الإسرائيليون كانوا يشعرون بالقلق حيال قناة سرية بين الولايات المتحدة وليبيا عن طريق سورينسون». وتوقف وقد لاحت إلى خاطره صورة مزعجة لهذه المرأة وهي تغتال السفير الأمريكى.

لمعت عيناها «الإسرائيليون؟ الموساد»؟

أومأ قائلا «لفترة طويلة ندير مصدرا يحتل مركزا مرموقا فى إسرائيل».

وعبث يورى بأصبعه فى شعره ليجمع أفكاره. ماذا بوسعه أن يخبرها أكثر من ذلك؟ كان يدفعه إغراء جعلها تدرك مدى أهمية دوره.

همهمت جاكى وعقلها يعمل بسرعة بالغة لاستيعاب السيناريو «رائع». وكما لو كانت تقرأ أفكاره «أنتم أيها الروس بارعين، بارعين وأنت يورى بوروزوف أنت أفضلهم. وهذا ما يفسر وجودك معى».

عكست عيناها ملامح الفهم، وشعر يوري للحظة بالسعادة لأنه هو الذي أوصلها إلى هذه الحالة.

«جاكى، انه الموساد، عملية احتيال للموساد خرجت عن نطاق السيطرة».

قالت وهى تضحك من الفكرة التي روادت خلدها «بعبارة أخرى أنت لا تريدنى أن أسعى وراء رئيس وزراء إسرائيل لأنتقم منه»!

«لا تمزحى جاكى، إذا تجاسرتى على ارتكاب أية حماقة أخرى، فإننا سننتهى . سأنتهى وستموتين». وقف يوري وهو يحاول ألا يحيد نظره ولو ثانية واحدة عن وجهها. فقد كان من الجوهرى بالنسبة له أن يقدر كل ردود فعلها على كلماته «لم يحصلوا على الموافقة من أعلى مجموعة سياسة لديهم. لقد خرجوا على القواعد».

«ومن ثم لقد خدعت من قبل الاستخبارات الإسرائيلية؟ أولاد الزنا ! بحق السماء لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل»؟

وللحظة شاهد يورى هدوءها وتماسكها، وقد بدت قلة حيلتها وهى تدرك أنها هى وشريكها قد أستغفلهما الإسرائيليون. الآن يورى، أنه يعرف.

ربت على المقعد الذى بجواره وأشار إليها لتنضم إليه «مثلما قلت لك، هذه المعلومة السرية لأسباب واضحة حساسة جدا. هذا كل ما أعرفه». والتفت ليواجهها «إننى خائف. هل تدركين بحق السماء المأزق الذى وضعك فيه جشعك»؟

«حسنا، حسنا – ولكن ماذا بعد ؟ قل يايورى أريد حقائق وأسماء، أريد ذلك الآن».

«أصمتي، أيتها الآنسة القاتلة، لا أعرف ما إذا كانت الثقة بك نوعا من الجنون». كان يوري يرغب في صرف اهتمامها عن عميله في تل أبيب. سيكون خطأً فادحاً لو جعلتها تقترب من فولجا. لا يمكن أن يشركها في هذا الأمر.

احتجت قائلة «الثقة أي ثقة تلك، فأنت الرجل الوحيد على وجه الأرض الذي أمارس معه الحب دون واقٍ، ألا تسمي ذلك ثقة؟ لاحظ أننا نتحدث هنا عن مبلغ كبير من المال». اقتربت جاكي منه ووضعت رأسها على كتف حبيبها للحظة قبل أن تهمس في أذنه «مبلغ كبير من المال يمكننا استغلاله حبيبي، تخيل ذلك، ننطلق إلى مكان ما غريب، حيث يمكننا ممارسة الحب على الشاطيء والنوم تحت النجوم». لقد قررت أن تغير من أساليبها.

رد يوري وقد خلت ملامح وجهه من أي تعبير «أسف ، جاكي – ليس هناك أي مبلغ من المال يستحق أن تخاطري بتعقب الموساد. سيكون وضعاً ميئوساً منه، بالنسبة لك وبالنسبة لي. يكفي أن الأمريكيين يبحثون عن القاتل – الذي هو أنت كما أعلم مع الأسف».

قالت بصوت هامس ساحر وقد مالت عليه، وقد أخذت تجرى بلسانها بنعومة على يده اليسرى.

«ولكن لم تقل حتى الآن اسم الذى خدعني».

«كفى عن ذلك. كوني جادة للحظة واحدة، أيتها القطة».

«لا أريد سوى الاسم ، يوري، الاسم فقط لن أقدم على أية حماقة، أريد فقط أن اعرف أين أبحث عن أموالي».

«لا أسماء، جاكي، ولكن إذا استخدمت عقلك فلابد أنك ستعرفين أن رئيس الموساد في واشنطن هو الذى تولى إدارة هذه العملية».

«الاسم ، يوري».

«جاكي، لقد أعطيتك كل شيء تحتاجينه. انك لفتاة حمقاء، ماذا تريدين غير ذلك؟ لا يمكنني أن أكتب لك شيكا على بياض».

كان على وشك أن يقول تيرون «ولكنه أمسك عن الكلام. كان من المهم له أن يكون بوسعه أن يقول إنه لم يحدد أية اسماء. استغرقت جاكي في تفكير عميق. «يا للغباء، كيف استبد بهم الغباء ليعتقدوا بأنهم بوسعهم خداعي مرتين. كان الأمر سيبدو أكثر ذكاء لو تركوني أعتقد أن الإيرانيين قد دفعوا لي».

ربت يوري بلطف على يدها «لقد قلت لك ذلك لأنني أثق بأنك لن تفعلي أي شيء يضر بي، يضر بنا». وأخذ يدها بين يديه. «لقد اعتدت على خوض المخاطر . ولكن عندما أفكر فيما قمت به». «وشعر بقشعريرة من الرعب عندما تخيل دورها في قتل سورينسون». «لقد كنت واثقة من نفسك» من اللازم، جاكي، وقمت بهذا العمل ضد الحكومة الأمريكية – حسنا، لقد كان ضربا من الجنون».

نظرت إليه بدهشة وقد رفع صوته غاضبا. رفعت بدورها صوتها قائلة « وماذا تنوى

عمله بالفعل إذن؟ أنتم الروس تعملون ضد الأمريكيين والإسرائيليين، اللعنة أنتم تعملون ضد كل دولة. دعنا نواجه الأمر ، الروس والصرب ، إننا متشابهون. حتى أننا نتجادل جيدا مع بعضنا البعض. وهو ما يفسر انسجامنا بهذه الصورة الرائعة».

لم يفت هذا التلميح على يورى الذى رفع حاجبيه وهو يتذكر لقاءهما العاطفى. قال وقد أخذ صوته يلين بعض الشيء. «حسنا ، هذا حقيقى بالتأكيد. ولكن مازلت تلعبين بالنار، كيف تعرفين أن الأمريكيين لن يكشفوا هويتك ويحرقوا وجهك الجميل»؟ وتحسس وجهها بيده.

«لماذا؟ هل ستخبرهم؟ وإذا لم تخبرهم أنت. فمن تعتقد الذى سيخبرهم»؟

«كونى جادة ! نصيحتى هى أن تتوارى عن الأنظار فترة من الوقت. وتذكرى دائما إذا عثر الأمريكيون على بيتر، فما هو الضمان ألا يخبرهم عنك؟ مقابل صفقة ؟ لا تخدعى نفسك»؟

«حسنا ، حسنا، لن أفعل شيئا لأشهر قليلة أو سنوات، ربما هذا الأمر يلهمنى شيئا لعمله عند تقاعدى.. أطارد فى أرجاء العالم رجل الموساد وأحاول إقناعه بأن يدفع لى. أعنى أن يدفع لبيتر». ضحكت من هذه الفكرة الطارئة التى خطرت ببالها وأحس يورى بشعور حذر من الارتياح.

زحفت لتكون أكثر قربا من حبيبها الروسى، مستمتعة بالقرب منه. ولكن مازال عقلها يعمل بلا كلل. كانت جاكى التى تعتمل غضبا فى داخلها تعمل على تغيير مسار الحديث. فمنذ أن كانت طفلة صغيرة لم يستطع أى رجل أن يغرر بها. ولن تسمح لنفسها الآن بأن تتوارى بعد أن تم التلاعب بها. أنها تحب الرجال الأقوياء ، ولكن الأكثر أهمية أنها لن تسمح لأحد سواء كان رجلاً أو امرأة أن يسىء إليها أو يسيطر عليها. ليس منذ أن قام والدها.....

لقد كان يوما طويلا ويورى يحاول جاهدا أن يقاوم موجة من الإرهاق. ولكن جاكى أبعد مما تكون عن الرغبة فى النوم، فقد كان عقلها مشغولا برسم الخطط .

همست له قائلة «بوسعى أن أتصور المخاطر التى تتجسم عناء إبلاغى بها ، يورى، وأود أن أعرب لك عن امتنانى».

«لم أخبرك بأى شىء، عزيزتى، أنت تخمنين». ولم يعد يستطيع مقاومة رغبته فى النوم، اتجه إلى الفراش ألقى بنفسه عليه، بعد دقيقة شعر بها تنسل إلى جواره وقد تجردت من ملابسها.

التفت ليواجهها «جاكى لقد وعدتنى لن ترتكبى أي حماقة»؟

قالت هامسة وهى تضع إصبعها فى شفتيه «ولكنى أرغب الآن فى ارتكاب حماقة من نوع خاص». ولم يجد بدا من الاستسلام لها.

* * * *

مرت لحظات لم يدرك خلالها أين هو الآن، فقد استيقظ يورى على رائحة قوية لقهوة طازجة. مايوركا! سمع جاكى وهى فى المطبخ تنظف بقايا السالمون من أطباق العشاء.

وعلى الرغم من كمية الخمر التى تناولها، كان ذهنه صافيا للغاية. أغلق عينيه مرة أخرى، وسرح بخياله فى الحوار الذى دار بينهما فى الليلة السابقة . تساءل بينه وبين نفسه عما إذا كان كشفه عن تيرون يعد خطأ مهنياً فادحاً. بدون شك هو كذلك.

وعندما ربتت جاكى على كتفه، فتح عينيه متظاهرا بأنها أيقظته من نوم عميق.

«أنا مضطرة للخروج ، عزيزى. لقد وعدت بأن يكون اتصالى ببيتر هو أول شيء افعله هذا الصباح. إنه ينتظر. وبعد ذلك سأكون فى الخارج طيلة النهار. هناك أشياء كثيرة يجب أن أنتهى منها. لقد أعددت بعض القهوة وهناك خبز فى المطبخ. سأراك الليلة»؟

استدار يورى ونظر بعينين نصف مغلقتين فى ساعته الروليكس على المائدة بجوار الفراش ، إنها الثامنة والنصف. طريق عودته لموسكو سيمر عبر بروكسل وباريس وسيستقل رحلة سابينا فى الرابعة من بعد الظهر.

«آسف قطتى الصغيرة ، أنت تعرفين كم أود أن أبقى إلى جانبك ولكن».

كانت جاكى فى حقيقة الأمر سعيدة لذهابه ولكنها هزت رأسها آسفة. متظاهرة بأنها حزينة لرحيله . أمامها عمل يجب انجازه وليس هناك وقت لإضاعته . وبعد قبلة طويلة وبعد أن غمزت له بعينيها غمزتها المألوفة. «لا عليك سوى أن ترد الباب وراءك إنه سيغلق نفسه بنفسه». وانطلقت بخطوات سريعة تحت ظلال شمس الصباح المشرقة . توقفت للحظة لتبدى إعجابها بهذا المنظر الذى لا تمله أبداً.

صاح يورى وراءها «لاحماقات ، ستتدبر الأمر».

تلفتت حولها بسرعة وهى عادة لاسبيل إلى مقاومتها،ودلفت إلى حانة صغيرة لم يكن بها أحد سوى رجلين عجوزين حملقا فيها بإصرار لعدة ثوانٍ قبل أن يعودا إلى قوتهما. وبعد أن شعرت بارتياح للوضع الأمنى اتجهت مباشرة إلى الهاتف الموضوع فى أحد أركان الحجرة المظلمة. وبلهفة ضغطت على إثنى عشر رقما.

«هالو. سبارتاكوس إنه أنا» وكانت تلك هى الإشارة الامنية بين الشريكين، لو كانت قد استخدمت اسم بيتر فى مخاطبته فى بداية المحادثة لكان قد افترض أنها أجرت الاتصال تحت تهديد أو إشراف الشرطة. والأمر نفسه كانت هى ستفترض الشيء نفسه لو أنه خاطبها باسمها إذا كان هو الذى بدأ المحادثة الهاتفية . وفى هذه الحالة كانا سيكملان المحادثة على أنهما حبيبان.

واصلت ، «أسمع ، يجب أن نلتقى وسريعاً . سأستقل الرحلة المتجهة إلى جنيف غدا عند الظهر. هل بوسعك انتظارى فى المطار ؟ لدى بعض الأخبار المهمة جداً بشأن فاتورتنا الأخيرة».

«سأنتظرك بالطبع. ولكن لا تعتمدى علىّ فى أى شيء آخر إلى أن نتحدث معاً، اتفقنا؟».

ردت جاكى بجفاء «بالطبع، أراك غداً». وضعت السماعة وطلبت زجاجة كولا ، أخذت

ترتشف منها ببطء وهى تفكر بعمق. كانت ساعة الحائط فى الحانة تشير إلى التاسعة وعشرين دقيقة. لابد أن يورى مازال فى الشقة.

إنها الآن تدير فى ذهنها خطة على النقيض مما وعدت به يورى . قررت جاكى الانتظار بعض الوقت قبل أن تعود إلى الشقة. حتى على الرغم من أن الشعور بالذنب ليس من بين أحاسيسها المميزة، فإنها لم تكن تثق فى صدق مشاعرها تجاه الروسى. ولكن تبعد نفسها تماماً عن كل ذلك ، قررت أن تتمشى، أن تسير على قدميها ذلك الطريق الطويل الملتف حول الخليج.

وعندما اقتربت من الشاطىء ، حملقت فى الأفق، تمكنت بصعوبة من تمييز الصورة التى يعكسها الظل للبر الأسبانى. بدأت فى السير على حافة مياه الشاطىء وهى تحمل حذاءها فى يدها.

وبشعرها الأسود الذى يتطاير من جراء هواء البحر الخفيف، بدت جاكى غير مبالية بالسائر الوحيد الذى يمارس رياضة المشى الذى كاد يلامس ذراعه كتفها، وقد أخطأ الغريب التحول فى تعبيرات جاكى حينما انفجر وجهها عن ابتسامة مشرقة. جلست على الرمال واضعة ساقا على ساق وقد مالت برأسها إلى الوراء وأغلقت عينيها ، كانت تتنفس بعمق وبإيقاع منتظم.

وكالعادة فإن تحليلها الهادىء قد أثمر على الخطة الكاملة. ملأت رئتيها بهواء البحر المنعش وأسندت رأسها على يديها وهى تشاهد الذيل الأبيض لطائرة تشق طريقها فى السماء. وللحظة خاطفة تذكرت يورى الرومانسى الميئوس منه.

ولكن الآن مع معرفتها لاسم رئيس الموساد فى واشنطن أصبح لديها للقيام به ماهو أكثر إثارة من ممارسة الحب . يجب عليها أن تتحرك بسرعة . أى شىء آخر يمكن تأجيله. غطس طائر نورس وراء سمكة تسبح بالقرب من سطح المياه. أحست بالسعادة وهى ترى سمكة صغيرة ترفرف فى منقاره القوى.

الفصل الثالث عشر

موســـــكو
فى الثالث عشر من يوليو

تحول جورج كافيناو وهو فى طريق عودته إلى موسكو مرة أخرى إلى يورى يوروزوف. شقت الايروفلوت أل – ٨٦ طريقها وسط سماوات ملبدة بالسحب قاطعة مئات الأميال لتقرب ضابط التجسس أكثر من وطنه. كانت هواجسه تتزايد كل دقيقة. لقد طلبت منه البرقية التى تلقاها وهو ينتظر فى الترانزيت فى بروكسل العودة فى الحال. أكد مساعده فى جهاز أف آى أس أن المسألة فى غاية الإلحاح.

طوال خدمته فى الاستخبارات فإن المسائل الملحة كانت تعد على الأصابع وكان يجرى فى العادة حلها عبر القارات من خلال برقية مشفرة عاجلة أو من خلال الحقيبة الدبلوماسية ونادرا ما صدرت الأوامر ليورى بالعودة إلى موسكو على هذا النحو المباغت.

رجع بظهره إلى الوراء وراقب ركاب الدرجة الأولى الآخرين الذين يشاركونه فى رحلته ولكن ليس فيما هو عليه من عجلة. لاحظ أنه فى كل رحلات هذه الأيام مزيدا من رجال الأعمال الشبان الأغنياء فى روسيا الجديدة القادمين من صفقاتهم المشروعة وغير المشروعة فى مختلف أرجاء الغرب. قال فى نفسه «رأس المال يطير بسرعة تفوق سرعة الصوت! مثل التغيرات التى أراها».

رفع قدمه اليسرى أراحها على ركبته اليمنى. بقعة المياه على حذائه الجديد اللامع ضايقته، أزالها بمنديله قبل أن تمتد إلى العدد الأخير من البرافدا الذى يقرأ فيه.

بعد ساعات فى موسكو، أدار يورى المفتاح فى باب شقته الواقعة فى الطابق الخامس وتفادى بحركة رشيقة كومة الرسائل على ممسحة الأرجل. كان الجو خانقا داخل الشقة فتح الستائر والنوافذ، جو موسكو مائل للبرودة فى يوليو، جمع بريده وتوجه إلى غرفة المعيشة ليجد جهازه لتسجيل الرسائل «التوشيبا» يومض بإصرار ضغط على زر التشغيل وذهب ليجلس على الأريكة وألقى بكومة الرسائل إلى جانبه، مد ساقيه واضعا قدميه على مائدة القهوة وأستمع إلى الرسائل التى كان من بينها رسالتان من زوجته تطلب منه أن يتوجه إلى منزلهما الريفى فى عطلة نهاية الأسبوع كما وعد.

حملق يورى فى الفضاء لقد مضى وقتنا منذ أن كانا معا. لقد أشتريا الداتشا قبل عامين، تفهمت لينا وخضعت لحاجة زوجها إلى الاحتفاظ بشقة العزوبية فى موسكو، والتى كانت تتميز بوقوعها بالقرب من مكتبه كانت الداتشا تقع على بعد ساعتين من السيارة من العاصمة وغالبا ما كان يورى يذهب إلى هناك متأخرا أو وهو الأسوأ لا يتمكن من الذهاب للمشاركة فى المناسبات الاجتماعية لزوجته.

كانت لينا صعبة المراس ومدللة، لا تتسامح فى إصرارها على أن يرافقها يورى فى ارتباطاتها الاجتماعية فى عطلات نهاية الأسبوع التى تصيبه بالضجر من حب المشاركين فيها للنميمة التافهة. لقد مل الادعاء والتظاهر. فلا شئ يجمعه بأصدقائها من الأثرياء الجدد. ويرى يورى أن كلتا المجموعتين من المؤسستين القديمة والجديدة تتسمان بالخواء والبلادة ولكن لكى تمضى الحياة الزوجية سيفى بوعده وسيحضر عشاء زوجته الموسع يوم السبت وكان فى أعماقه داع آخر ليكون وسط هؤلاء القوم.

جاكي. تقريبا في كل مرة يضطر فيها إلى التفكير في زوجته كانت حبيبته تطوف بخياله يعود بذاكرته إلى أسبانيا المشمسة، لقد بدأ يشعر بالقلق من أنها لن تتوانى عن فعل أي شئ للدفاع عن سمعتها أو استعادة غنيمتها - بصرف النظر عما ينطوى عليه الأمر من خطر عليها هي نفسها أو على أولئك المحيطين بها. صربية حقيقية شعر بوخز حاد في معدته أدرك مدى ما كان عليه من غباء عندما أفصح لها عن أدق أسراره. شعر بالقلق من أن يكون قد ذهب بعيدا. الزمن وحده هو الذى سيكشف عن ذلك. وبإصرار تخلص يورى من جميع أفكاره عن جاكي ووجه جل انتباه للرسائل المسجلة.

كان صوت سكرتيره سريعا ومقتضبا ولكن الرسالة كانت واضحة بخصوص هذه النقطة - في تمام الساعة العاشرة من الصباح التالي سيأخذك سائق إلى اجتماع في المقر حيث لن يحضر أحد سوى الرئيس بوبوف ووزير الخارجية. ولدى سماعه ذلك أحس يورى بشعور مفاجئ من الفخر. فإن حقيقة أن بوبوف يرغب في الالتقاء به مرة أخرى لهو دليل على الاعتراف بإنجازاته وخبرته في عالم التجسس الدولي.

توقع أن التسجيلات السرية من تل أبيب التى قدمها للرئيس لابد أنها تركت انطباعا قويا لديه، لابد أن الإشارات الواضحة في التسجيلات لهيرون وآمال إسرائيل في وضع عميل في المكتب البيضاوى قد قضت على شكوك بوبوف.

وبعد كأسين كبيرين من الفودكا أنهار يورى على فراشه مجهدا ولكن سعيدا.

في تمام العاشرة خرج من البوابة الرئيسية للمبنى الذى يضم إدارته كانت السيارة اللادا السوداء المميزة التابعة لجهاز «أف آى أس» في انتظاره أومأ بجفاء للسائق وقفز للمقعد الخلفى وغرق على الفور في أفكاره وتخميناته التى لازمته طوال الطريق حتى مقر قيادة الاستخبارات الخارجية. صعد يورى درجات السلم وهو يقفز حتى وصل إلى قاعة الاستقبال حيث كان في انتظاره أحد مساعدى المدير. وضع المساعد بحرارة يده على كتف زميله وهما يسيران إلى المصعد «كيف كانت رحلتك؟ يجب أن تخبرنى بكل شئ لاحقا» وضغط على الزر المؤدى للدور الثالث و«لكن الآن ليس أمامنا وقت طويل - لدينا وضع خطير هنا».

قال له يورى متوسلا «أخبرنى دون لف أو دوران، ايفان نيكولافيتش»!

«لقد طرأت فكرة مجنونة للرئيس يجب أن نمنعها، المدير يريد منك أن تتمسك بموقفك وأن تسانده، لدى شعور بأنه بوسعك أن تحدث تغييرا قبل كل شئ يجب أن نبعد وزير الخارجية عن دس أنفه في كل أمر لعين يحدث هذه الأيام».

* * * *

انفتح باب المصعد وخرج الرجلان، انطفأ تلهف يورى من جراء هذا التطور الأخير تصافحا ثم اتجه ايفان شمالا ليذهب إلى مكتبه واتجه يورى بخطوات سريعة واثقة إلى جناح المدير في نهاية الممر.

نهض بوريس روستوف من وراء مكتبه «تعال، يورى ايفانوفيتش تعال. دائما تأتى في موعدك، سعيد لوجودك هنا، وهذه المرة بالذات» كانت جملته القصيرة السريعة بمثابة مؤشر على أنه يشعر بالقلق حيال نتائج الاجتماع المرتقب مع الرئيس.

انتظر روستوف حتى جلس يورى على المقعد المواجه لمكتبه «الرئيس سيصل فى أية لحظة إلى هنا، السبب الذى دعانى لاستدعائك، يورى ايفانوفيتش هو إبلاغى أن زعيمنا العظيم خطرت له فكرة مجنونة وهى إعطاء الأمريكان معلوماتنا السرية حول هيبرون. ربما كانت فكرة سترافينسكى، وإذا كان الأمر كذلك يجب علينا إقناع الرئيس بأن يعدل عن ذلك إنها فكرة خرقاء أولا، الأمريكيون لن يصدقوننا أبدا، وثانيا سنضر بشدة بمصادرنا فى إسرائيل».

أومأ يورى موافقا. ليس لديه أية مشكلة لوقف مثل هذه الفكرة الخطيرة. فإنه من أولى أولوياته حماية مصادره فى إسرائيل. ماذا يفعل هؤلاء الساسة الحمقى، يقوضون الاستخبارات الروسية الحساسة بهذه الطريقة، تنفس بعمق وحاول أن يجرب فى ذهنه جميع الحجج لإبطال مثل هذه الحماقة.

بعد لحظة قفز الرجلان من مقعديهما عندما فتح السكرتير الباب ليسمح للزعيم الروسى بالدخول وفى أثره وزير خارجيته.

بصبر نافد، لوح فلاديمير بوبوف بيده اليمنى فى الهواء ليحثهما على الجلوس قائلا دعونا ندخل فى الموضوع مباشرة نظرا لعلاقاتنا التى تحسنت مؤخرا مع الرئيس الأمريكى وحاجتنا لمساعدة الأمريكان فى الحصول على مزيد من الأموال من مجموعة السبع وصندوق النقد الدولى، قررت إبلاغ الرئيس دوجلاس بهذه العملية الإسرائيلية المجنونة التى يطلقون عليها «هيبرون» والتفت بوبوف إلى وزير الخارجية سترافينسكى الذى ابتسم مشجعا، «يوافق سترافينسكى بحرارة على هذا القرار ويشعر بأن هذه الخطوة ستفيدنا كثيرا على المدى الطويل مع الأمريكيين، كما ترون؟ أننا رأسماليون أذكياء نبيع معلوماتنا مادامت تجلب لنا المليارات» وابتسم الرئيس.

رد روستوف وقد بدأ وجهه فى الاحمرار «أرى ذلك وبالطبع يتعين على أن أحترم رأيك» وتوقف محاولا إخفاء امتعاضه من السهولة التى تمكن بها سترافينسكى من التأثير على الرئيس «ومع ذلك، وأنا متأكد من أننى أتحدث نيابة عن الجنرال بوروزوف الموجود معنا أيضا، نشعر بأن إبلاغ الولايات المتحدة بعملية هيبرون فى الوقت الحاضر سيكون أمرا لا يتصف بالحكمة، ليس فقط لأنه سيعرض للخطر عملاء لا يمكن تعويضهم وإنما لأنه يجب علينا أن نعرف أن الحملة الانتخابية الأمريكية قد بدأت بالفعل، مؤتمر الديمقراطيين بدأ اليوم وبالطبع فإن معرفتهم بعملية هيبرون ستثير الذعر والفوضى بين صناع سياستهم وأضاف بسرعة وقد لاحظ تعبير بوبوف الذى ينم على الشك «وربما هذا هو الذى دعاك إلى هذا الاجتماع العاجل».

وتحدث يورى الذى جاء صوته خفيضا وممتلئا ثقة «سيدى، بالكشف عن هذه المعلومات سنعرض للخطر بصورة جسيمة مصادرنا التى تحتل مراكز سياسية عليا فى إسرائيل وكما تعرف فإن عملاءنا فى إسرائيل هم أيضا أفضل مصادر لنا فى السياسة الأمريكية» لقد أثبتت الأيام صحة معلوماتهم السرية التى لا تقدر بثمن. وهذا ما مكننا من معرفة خطة هيبرون، ومع وجود مصادرنا هناك سيكون لدينا دائما قناة معلومات بين الولايات

المتحدة وإسرائيل وداخل الولايات المتحدة نفسها. أنه من المشكوك فيه أن يكون بوسعنا حماية مصادرنا إذا ما تم الكشف عن هذه المعلومات الحساسة للأمريكان أنه من المؤكد أن تسريبها للإسرائيليين سيكون فوريا، وسيعرفون أنهم مخترقون وسيتعين علنيا أن نبدأ من الصفر».

استمر بوبوف في النظر مباشرة إلى يورى وبإدراكه أنه حاز على اهتمام الزعيم شعر يورى بقدر أكبر من الثقة إلى حد ما «ثانيا، من واقع خبرتي الشخصية في أمريكا، أشك في أن يصدق الأمريكيون قصتنا عن عملية هيبرون، كما أن أجهزة الاستخبارات والأمن الأمريكية لا تصدق عادة ما لا تتوصل إليه بنفسها وسيأخذون هذا الأمر على أنه استفزاز من جانبنا، وسيرتابون في أن وراءه شيئا ما، وعلاوة على ذلك فإننا لا نعرف على سبيل الجزم شخصية هيبرون، وفي الحقيقة وإلى انتهاء مؤتمر الجمهوريين في العشرين من أغسطس لن نعرف على وجه اليقين هويات المرشحين».. وتوقف يورى.

التفت الزعيم الروسي ونظر إلى وزير خارجيته متسائلا قرر يورى أن يمنح سترافينسكي شيئا ليفكر فيه أيضا، «في الحقيقة إن تمرير معلومات عملية هيبرون يمكن في واقع الأمر أن يضر بالعلاقات الأمريكية الروسية».

اندفع وزير الخارجية مقاطعا «وكيف أمكنك الوصل إلى هذا الاستنتاج»؟

استدار يورى ليواجه سترافينسكي «بعض المسئولين الأمريكيين سوف يزعمون بالفطرة أن أى معلومات من موسكو تضع السياسة الإسرائيلية في موقف سيئ هي مجرد محاولة لتسميم علاقات واشنطن مع القدس». قال روستوف وهو يميل على مكتبه ليؤكد على كلامه وبعيدا عن كل ذلك فإنني أشك في أن عملية هيبرون ستظل طي الكتمان لفترة طويلة على أية حال. من الواضح أنها عمل سياسي أكثر جرأة من ووترجيت وإيران جيت وعواقبها أكبر. إنهما مثل لعب الأطفال بالمقارنة بهيبرون».

قال يورى بحدة «أتفق معك». وذلك على الرغم من أنه كان يعلم أن تعبير وزير الخارجية الصارم يعنى أنه لا هو ولا بوبوف قد غيرا من رأيهما. كما أدرك يورى أيضا أن حججه قد بدأت تظهر في صورة متناقضة.

قال سترافينسكي لبوبوف «أنا سأعلق على ما أعرفه بشكل جيد، فلا ديمير ستيبانوفيتش، رغم إنني دائما احترم تقارير استخباراتنا، فأنا لا يمكن أن أتفق مع تخميناتهم أو وجهات نظرهم حيال ما قد يفعله أو لا يفعله الأمريكيون، وكما ناقشنا من قبل فإن مكاسبنا من كوننا أول من يخطر الرئيس دوجلاس عن هيبرون لا تقاس سواء الملموسة أو غير الملموسة». شردت عينا يورى إلى حقيبة الأوراق المنتفخة بجوار مقعد وزير الخارجية وتساءل بينه وبين نفسه عما إذا كان بوسعها أن تكشف عن الفوائد الملموسة التي ذكرها سترافينسكي لتوه.

نقر بوبوف بأصابعه على فخذه الممتلئة وجرى بها على رأسه التي يكسوها الشعر الأبيض. غادر مقعده وراح يخطو في الحجرة وعيون الثلاثة تتابع خطواته منتظرة رده. قال «إنني أتفق مع أندريه جريجوريفيتش، لم أقل لدى فكرة. لقد قلت اتخذت قرارا. تذكر

بوريس الكسندروفيتش انه عندما أبلغتنا مصادرك الحساسة بأن الإسرائيليين رتبوا لاغتيال سورينسون، قبلت موقفك من أنه يجب علينا ألا نبلغ الأمريكيين بما نعرفه».

أومأ روستوف وهو يشعر بعدم ارتياح. وتوقف بوبوف عند مقعده وأمسك بظهره ومال للأمام «كانت لدى أسباب وجيهه للغاية لكى أوافقك على توصيتك. أولها أن الحادث كان قد وقع وانتهى. ثانيا أن نقول إننا نعرف من يقف وراء الاغتيال سوف يثير تكهنات بأن لنا علاقة بالأمر. ثالثا انه من المهم حماية مصادرنا فى أمر ليس لنا بالمعنى الحرفى للكلمة علاقة به. ومن ثم قبلت وجهة نظرك».

ثم اعتدل ومشى حول مقعده وجلس عليه وقال فى نبرة تحذيرية «ولكنى أدركت أنه فى هذه القضية تتعرض مصالحنا الجوهرية للخطر يجب أن نوقف هذا الهيبرون. مهما يكن. هل بوسعكم تخيل ماذا سيحدث للعلاقات الروسية الأمريكية إذا ما علمنا أن جاسوسا إسرائيليا هو رئيس الدولة فى واشنطن؟، والأسوأ من ذلك القائد العام للقوات المسلحة الأمريكية؟ لا ، لا! لا يمكن أن نسمح بحدوث ذلك. سوف نعطى هذه المعلومات للأمريكان ونطلب منهم وقف ذلك. وهو ما سيرغبون فى عمله بالتأكيد. ومن ثم، من الذى سيقوم بمهمة إبلاغهم؟» وتطلع إلى سترافينسكى.

جلس يورى وروستوف بلا حراك وقد أدركا أن نفوذهما وقدرتهما على تغيير قرار الرئيس لن تبارى قدرة وزير الخارجية على التلاعب وعلى تصميمه على السيطرة على علاقات روسيا مع الأمريكان. بذل روستوف مجهودا كبيرا لكبح إحساسه بالإحباط والاشمئزاز، غير أنه فى النهاية لم يفعل سوى ما اعتاد على فعله خلال النظام الشيوعى السابق: أن يغلق فمه، ويمنع أية كلمات من الخروج منه قد يندم عليها بعد ذلك.

قال سترافينسكى «لقد فكرت فى الأمر، وشعرت بأننا سنرتكب خطأ إذا ما مررنا مثل هذه المعلومات السرية الحساسة من خلال القنوات العادية. ليس بوسعنا تحمل شكوك أجهزة مكافحة التجسس الأمريكية التى أتفق مع بوريس الكسندروفيتش بوجودها. ولذا فإننى أعتقد بأنه يتعين علينا أن نتجه مباشرة إلى القمة – إلى البيت الأبيض. لابد أن نتأكد من وصول هذه المعلومات المهمة إلى دوجلاس قبل أن يجد خبراؤه وقتا لكى يخبروه بأنها يمكن أن تكون غير حقيقية أو على أسوأ احتمال، لا قدر الله، قرروا انه يجب عدم إبلاغه بها. وبوسعهم فعل ذلك، كما تعلمون».

تساءل يورى بدهشة «نذهب للرئيس مباشرة؟ لماذا؟ انه لأمر سهل، من خلال روسيل، مستشارهم للأمن القومى».

قال بوبوف مبتسما «تفكير جيد، أندريه جريجوريفيتش أننى أفهم أن روسيل سيود أن يحد من نفوذ إسرائيل. وهو ما يفسر تشجيعه لدوجلاس لكشف خداعهم فى الضفة الغربية».

تدخل سترافينسكى قائلا «وهذا هو أحد أسباب عمله بصورة وثيقة مع الرئيس».

وقال روستوف وهو يسيطر على صوته بصعوبة «إذا كان ولابد لنا أن نخبر الأمريكان، فإنه حينئذ يجب علينا أن نشترط أن الحكومة الروسية سوف تنفى مثل هذا التقرير إذا ما

تسرب».

رد ستراقينسكى» هذا أمر طبيعى، على أية حال ستاردست سيقوم بإبلاغنا إذا ما وصلت المعلومات لـ «سى آى أيه». هل سيفعل ذلك بوريس الكسندروفيتش؟»

احتقن وجه روستوف وضغط على شفتيه وأومأ برأسه.

تدخل يورى بسرعة قبل أن يستسلم رئيسه للإغراء ووجه لكمة خاطفة مباشرة لأسنان ستراقينسكى بقوله «سنصدر تعليمات لستاردست بمراقبة الكيفية التى سيبتلع بها الأمريكيون هذا الأمر. كما سأطلب من توباز فى بروكسل أن يخبرنا إذا ما حدث تسريب للمعلومات إلى الناتو».

قال الرئيس «حسنا . هذا ما نحتاجه. ولكن أخبرنى، هناك عنصر واحد هنا أجده مثيرا للاهتمام على نحو خاص».

تساءل روستوف وهو يتطلع باهتمام إلى بوبوف «نعم، سيدى، ما هو على وجه التحديد؟»

«من تعتقد انه هيبرون؟ هل يمكننا معرفة شخصيته؟»

التقت عينا يورى الزرقاوتان بنظرة رئيسه الجامدة. وبدا أن الرجلين قد طورا شفرة بينهما. قرأ روستوف على نحو لا يخطىء الرسالة التى نقلتها عينا يورى. حافظ مدير جهاز الاستخبارات الخارجية الروسية على وجهه دون أى تعبير. ولكن قبل أن يكون بوسعهما نفى أى علم لهما بشخصية هيبرون، تدخل وزير الخارجية فجأة مرة أخرى «كل ما أستطيع قوله، فلاديمير ستيبانوفيتش، إننا نشتبه فى السناتور ويستليك، فهو أكثر المرشحين الثلاثة موالاة لإسرائيل صراحة، ومن يوم أمس أصبح المرشح الديمقراطى. وهو كاثوليكى على الرغم من زواجه من يهودية. وجونسون الذى من المرجح أن يفوز بترشيح الحزب الجمهورى فى الشهر القادم شخصية محافظة وسياسى بروتستانتى - وهو ينأى بنفسه عن كل الجماعات العرقية فى الولايات المتحدة. وإلى جانب أنه قريب من الرئيس دوجلاس ويشاركه عداءه تجاه اللوبى اليهودى».

نظر الرئيس الروسى فى ساعته ودفع مقعده إلى الوراء وهو يتأهب للوقوف «يجب أن أغادر، لقد أنهينا مناقشتنا هنا». وتطلع إلى وزير الخارجية الذى قال «بالتأكيد، سوف نعكف على الترتيبات على الفور لكى نمرر بصورة شخصية المعلومات الخاصة بعملية هيبرون إلى دوجلاس عن طريق روسيل».

وقال بوبوف فى صيغة الأمر «أنا واثق من أن العاملين فى سفارتنا أو فى «أف آى أس» فى واشنطن لن يجرى إخطارهم بالأمر».

رد ستراقينسكى بكلمات قاطعة «لن يجرى إبلاغهم. وسأعمل على التأكيد بأنه ليست هناك اتصالات مع السى آى أيه أو مكتب التحقيقات الفيدرالى بهذا الخصوص».

قال يورى وقد قبض يده اليمنى «لا أعرف كيف يمكننا عمل ذلك، إذ عندما يتعلق الأمر أساسا بمشكلة أمنية أمريكية، فإن الرئيس دوجلاس سوف يستدعى بالتأكيد مكتب التحقيقات الفيدرالى وربما السى آى أيه أيضا».

قال بوبوف «سواء اتفقت مع هذا أو لم تتفق، يورى ايفانوفيتش، أعتقد أن هذه استراتيجية صحيحة، أندريه جريجوريفيتش، أننى أمنحك تصريحا للعمل بمقتضى ما قررناه، جنرال بوروزوف استمر فى جمع المعلومات، سنهتم نحن بالجانب السياسى».

أومأ يورى برأسه، وقد احمر وجهه لكونه قد وضعه فى مكانه بهذه السرعة بعد أن كان الرئيس قد وصفه من قبل بأنه بطل.

تحدث وزير الخارجية مرة أخرى مستعرضا فوزه بهذه الجولة «شكرا، فلاديمير ستيبانوفيتش، يوم الاثنين القادم سأكون فى نيويورك للمشاركة فى جلسة مجلس الأمن بشأن البلقان. سأرتب لرؤية روسيل فى نيويورك بعد غد الأحد أو الاثنين على أقصى تقدير».

أدرك يورى انه وجهازه قد خسرا هذه الجولة. التزم الصمت وتبادل النظرات مع روستوف.

قال بوبوف بحدة «لقد تقرر الأمر» وغادر الرئيس الروسى الحجرة يتبعه وزير الخارجية المنتصر الذى التفت وراءه مبتسما لروستوف ويورى.

قطع روستوف الصمت الذى حل بعد رحيلهما قائلا ليورى «لقد أحسنت بتوصيتك منذ البداية بأن نحتفظ بشخصية هيبرون لأنفسنا. كنت بعيد النظر. على الأقل هما والأمريكيون لن يحصلوا على هذه الجوهرة».

هز يورى يده غير مصدق لما حدث «حسنا، ولكن هذا سينطوى بالتأكيد على كارثة، إحساسى يؤكد لى ذلك»

علق روستوف قائلا «لا، هذا هو التحدى الذى يواجهنا أن نتأكد انه لن يحدث ذلك. سننتظر لنرى رد فعل البيت الأبيض. ثم سنقرر بهدوء ما يجب علينا عمله».

«من السهل توقع ذلك. الأمريكيون لن يصدقوا تلك المعلومات الآتية من موسكو. أؤكد لك أن عقلية الحرب الباردة مازالت كما هى. سيأتى الأمر بأثر عكسى على سترافينسكى، سترى، أنا أعرف الأمريكيين».

«ابلغنى بالتطورات أولا بأول، يورى ايفانوفيتش، يجب أن تعود إلى واشنطن الآن. أمامك الكثير، يجب أن تحد بقدر الإمكان من الأضرار».

«سأبذل كل ما فى وسعى، كنت أخطط لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع لينا، ولكن سأتصل بها سوف تتفهم الأمر، لا بديل أمامها».

ضحك روستوف قائلا له وهو يرافقه حتى باب مكتبه «لا، أنها لن تتفهم الأمر!».

ابتسم يورى «أنا أيضا أعتقد أنها لن تتقبل الأمر بسهولة، هل هناك شىء آخر؟»

«يورى ايفانوفيتش، هناك أمران عاجلان يدعوان للقلق. كيف يمكننا حماية عملائنا الكبار من افتضاح أمرهم، وكيف يمكننا إخراج هذا اللعين سترافينسكى من الصورة، ولكن الحقيقة المرة هى أن مسألة هيبرون يمكن أن تقضى علينا، كلنا بما فى ذلك أنت. ومن ثم تصرف بحرية كما لو كنت مازلت الـ «كى. جى. بى».

الفصل الرابع عشر

واشنطن العاصمة

الخامس عشر من يوليو

صباح السبت كان الدكتور وليام روسيل جاثيا على ركبتيه فى حديقة منزله وبجواره بعض الشتلات التى يستعد لغرسها فى تربتها الجديدة . لا شىء يشعره بالاسترخاء أكثر من العمل فى حديقته . وعلى الرغم من أن الأحداث الأخيرة قد تسببت فى تأخير غرسه لتلك الزهور إلا أنه كان واثقا من أنها ستنمو بصورة رائعة . وفى مكتبه فى الطابق الأول من منزله فى بلدة الإسكندرية تزين صفوف من الزهور الزرقاء حوائط الحجرة كدليل على إنجازاته الزراعية . فهو يزهو بهذه الخبرة مثلما يزهو بموقعه المميز فى البيت الأبيض.

انهمك روسيل الذى كان يرتدى بنطلونا من الجينز الأزرق وقميصا بأكمام قصيرة فى حفر وتهوية التربة وغرس هذه النباتات الصغيرة . غير أن رنين هاتفه الخاص أخذه على غرة وقطع عليه أول ساعة من عطلته الهادئة . ورفع رأسه وتوقف غير أنه لم يتحرك على الفور.

تثاءب وصب اللعنات مع إصرار رنين الهاتف . نزع قفازيه ونفض التراب من على ملابسه وأسرع إلى مكتبه . خطف السماعة وهو يتساءل عن تلك الأخبار التى تستحق إفساد أول يوم يقضيه فى حديقته منذ أسابيع.

وبجفاء رد «أنا روسيل».

«دكتور روسيل، أنا أندريه سترافينسكى أتحدث من موسكو».

أثارت لغة المتحدث الإنجليزية ذات اللكنة الخفيفة أعصابه مثل هذه المحادثة غير المتوقعة . حاول روسيل الذى أخذ على حين غرة أن يستجمع أفكاره.

قال بدبلوماسية «أنت تتصل، أه نيابة عن وزير الخارجية سترافينسكى؟

هب هذا صحيح؟ حسنا ماذا بوسعى عمله من أجلك؟» غير أن أفكاره كانت تتسابق محاولة تفسير استقباله فى مكالمة فى بيته من مسئول روسى بارز . لم يحدث هذا من قبل.

«لا، بل أنا سترافينسكى نفسه وليس أحد المساعدين . أنا أتصل بك شخصياً ، أسف لازعاجك فى يوم السبت، ولكنها مسألة ملحة للغاية».

«أوه ، سيد سترافينسكى ! أسف لتداخل الأمر علىّ . بالطبع لقد أعطيتك الرقم ». غير أن روسيل كان مرتبكا تماماً، فهو فى الحقيقة لا يتذكر أبداً أنه أعطى رقم هاتفه للوزير الروسى . «ماذا يمكننى عمله من أجلك؟»

«سأدخل فى الموضوع مباشرة، كلفنى الرئيس بوبوف بنقل رسالة خاصة وسرية إلى رئيسك. يجب أن نلتقى فى أسرع وقت ممكن. نظراً لطبيعة الرسالة ، أننا – رئيسى وأنا – لن نشرك قنواتنا الدبلوماسية فى واشنطن فى هذا الأمر».

شعر روسيل بقلق وقال «هل بوسعك إعطائى فكرة ما عن طبيعة هذا الأمر»؟.

«ليس عبر الهاتف ، سرية الأمر تتسم بحساسية بالغة مثلما هو عاجل أيضاً . إنها مسألة لا يمكنها الانتظار . ونظرا لطبيعتها الحساسة، يجب ألا يلحظ أحد اجتماعنا . هل تتابع ما أقول بيل»؟.

رد روسيل بحذر ليس حقيقيا «ليس تماماً، على الأقل قل ماهو وجه العجلة»؟

«إنها رسالة خاصة من رئيسى إليكم ويجب نقلها عبر لقاء مباشر، وليس على أوراق . وهى تتعلق بأمر أكثر حساسية لحكومتكم منا ، أؤكد لك . أسف ولكن هذا هو كل ما يمكننى قوله الآن».

صمت روسيل للحظات محاولا أن يفهم شيئاً من شذرات المعلومات التى سمعها «حسنا، وكيف خططت لاجتماعنا دون أن يلحظ ذلك أحد»؟

رد سترافينسكى الذى شعر بارتياح «سأصل إلى نيويورك بعد غد الاثنين فى زيارة رسمية لمدة يومين للتشاور مع بعثتنا وحضور اجتماع مجلس الأمن. بوسعى أن أصل إلى نيويورك بعد ظهر الغد بدلا من ذلك ، لذا فإننى أقترح أن التقى معك مساء غد الأحد فى جناحى فى ولدورف استوريا تاورز. لقد أقمت هناك من قبل . رقم الجناح ٢٩٠٠ . أعتقد أن هذا سيكون أفضل مكان. نظرا لأنه لن يلفت النظر . هل هذا مناسب لك»؟

«فى أى وقت؟».

«بوسعى انتظارك فى الجناح فى الساعة ٧:٣٠ أو ١١:٣٠ مساء. لن يكون معى أحد من المساعدين فى ذلك الوقت. ومن ثم اختر مايناسبك منهما . أتصل بالجناح قبل أن تصعد. إذا رد أحد غيرى، لا تقل شيئاً. سأرد دائماً بالقول، سترافينسكى».

«اتفقنا، سأكون هناك . تدرك بالطبع أنه يجب علىّ أن اخطر الرئيس مقدما».

«بالطبع يجب عليك هذا، أننا نتفهم هذا. على أية حال الرسالة موجه له هو . لماذا لا تخطره؟ سأنتظرك سواء فى الساعة ٧:٣٠ أو ١١:٣٠ مساء الأحد الجناح ٢٩٠٠ وولدروف استوريا تاورز. إذا كانت هناك مشكلة وتأخرت، أتصل بى فى الفندق فى هذين التوقيت. إلى اللقاء بيل».

«اتفقنا. إلى اللقاء».

ظل روسيل رافعا سماعة الهاتف لعدة ثوان بعد أن أغلق سترافينسكى الخط وقد ازداد تقطب وجهه. توجه إلى الباب الخلفى وقد فتر عزمه لإنهاء العمل الذى بدأه فى الحديقة . أدار مقبض الباب وفتحه ولكنه لم يخط إلى الخارج ووقف مكانه وقد شردت نظراته . وفجأة ترك الباب وعاد إلى حجرة المكتب. ألقى بثقله على مقعد مكتبه وقد سرح

بأفكاره آلاف الأميال عبر أوربا ليتوقف فى قلب روسيا . لن يهدأ له بال إلى أن يتحدث إلى دوجلاس. ولكن الرئيس يلعب الجولف فى نادى بيثيسدا جرينز جولف على الرغم من نصائح طبيبه. سيتعين على روسيل الانتظار حتى بعد الظهر - لا يسمح الرئيس بإزعاجه فى ذلك الوقت إلا إذا كانت مسألة حرب . يجب على روسيل أن يشغل نفسه بعمل شىء ما وآلا فإن القلق سيقتله. عاد إلى الحديقة محاولا التركيز فى إنهاء ما بدأه، ولكن هيهات «لقد نجحوا فى إفساد هذا اليوم الجميل».

أضطر الرئيس دوجلاس إلى العودة إلى البيت الأبيض فى وقت مبكر عما كان يأمله، فقد أفسد ضيق التنفس عليه متعة المباراة. وبعد أن أخذ حماماً وبعد عشاء خفيف وطبق من السلطات والزبادى توجه دوجلاس إلى مكتبه الخاص بالدور العلوى لإنجاز بعض الأوراق . جلس على مقعده الهزاز وفتح مفكرة المواعيد لمعرفة ارتباطاته للأسبوع المقبل . وسجل بعض الملاحظات على الهامش وهو يتثاءب ويهز رأسه. وتساءل بينه وبين نفسه «ماهى الأزمات الجديدة التى تنتظرنى»، ووضع المفكرة على المائدة إلى جواره ومد يده ليلتقط كومة من الملفات .

وفى هذا الوقت تماماً جاء اتصال روسيل عبر الهاتف المؤمن. رفع دوجلاس حاجباه دهشة وضاقت عيناه وهو يرفع سماعة الهاتف . جاء صوت روسيل إليه يحمل نبرة الاستعجال «سيدى الرئيس، أنا بيل آمل ألا أكون قد أزعجتك، ولكن الأمر ملح».

«ماذا عندك يا بآيل».

رد بيل الذى كان بوسعه سماع أنفاس دوجلاس المتلاحقة «الروس». وأضاف سريعا وهو يلعن نفسه لكونه لم يكن أكثر حرصا «لا شىء مثل ما قد تفكر فيه». وبدأ إطلاع الرئيس على ما اخبره به سترافينسكى.

«هذا كل ما قاله؟ هل بوسعك استنتاج أى شىء؟ الخروج بشىء من لهجته؟ لماذا لم يتصل بوبوف بى بنفسه»؟.

«لا شىء سوى أن الرسالة التى يحملها غير عادية ولك شخصيا. وأصر على أن أحدا على الإطلاق يجب ألا يعرف بها».

«عندئذ شىء واحد يجب عمله - أن تفعل ما أقترحه . سنحتفظ بأمر هذه المحادثة بيننا نحن الاثنين إلى أن تذهب إلى هناك وتعرف بحق الجحيم حقيقة الأمر. أنك على أرضنا، ومن ثم لا أرى خطر حقيقى عليك. ومع ذلك خذ حذرك. أسمع ما سيقوله دون أن يصدر منك أى تعليق أو رد فعل. شىء آخر، اتصل بمدير وكالة الأمن القومى وأعرف ما إذا كانت وكالته قد رصدت محادثة سترافينسكى معك، وإذا كان الأمر كذلك يجب عليه أن

يتحفظ على جميع النسخ ويحتفظ بما فى خزانته الشخصية إلى أن تصدر إليه تعليمات أخرى منى شخصيا».

غمغم روسى قائلا «فكرة طيبة».

وساد صمت قصير «لماذا لاتستأجر سيارة خاصة وسائق - ليست واحدة من مجمع سيارات البيت الأبيض. وعد مبكرا فى الصباح حتى لا يلحظ أحد غيابك فى يوم عمل ».

«نعم، سيدى سأعود فى وقت انعقاد جلستنا الصباحية المعتادة صباح الاثنين».

«حسنا، بيل ، إلى يوم الاثنين، حظا سعيدا».

مال دوجلاس بظهره إلى الوراء وخلع نظارة القراءة وتطلع إلى السقف الذى تزينه النقوش ، متسائلا فى حيرة عما قد يحاوله الروس، سيتضح كل شىء يوم الاثنين.

نيويورك... ١٦ يوليو

بعد ظهر الأحد رتب روسيل لسيارة خاصة وسائق من خلال صديق من مكتب سفريات محلى واستقلها هو وزوجته فى اتجاه الشمال . أوصل مارلين إلى شقة والدتها فى شورت هيلز بنيوجرسى. ثم أخذه السائق إلى مانهاتن عن طريق نفق لينكولين وتوقف عند الباب الدوار الضخم لولدروف.

يشغل البناء الضخم للفندق الذى يتألف من سبعة وأربعين طابقا الساحة الكاملة التى تقع بين شارعى بارك وليكسينجتون من شارع تسعة وأربعين إلى شارع خمسين . أندفع روسيل من خلال أبواب بارك افينو التى تشبه الكرنفالات وقطع سبع عشرة خطوة إلى البهو الرئيسى للفندق. واتجه يمينا حيث هواتف الفندق وأتصل بالجناح ٢٩٠٠. كانت السابعة والنصف مساء تماماً.

«سترافينسكى».

«هذا بيل، أنا موجود أسفل ، هل يمكننى الصعود إليك»؟

«نعم».

عاد روسيل سريعاً إلى البهو الرئيسى وأستقل المصعد وحده إلى الطابق التاسع والعشرين قائلا لنفسه الأحد هو اليوم المناسب للاجتماعات السرية.

خفق قلبه عندما توقف المصعد. تتبع السهم الذهبى إلى الجناح الأيسر فى الدور التاسع والعشرين. واقترب من باب الجناح ٢٩٠٠. ضغط على الزر وأنفتح الباب.

قال سترافينسكى وهو يشير إلى غرفة الاستقبال «تفضل بيل، من فضلك، وضع سترافينسكى علامة عدم الإزعاج على مقبض الباب من الخارج وأغلق الباب وتبع روسيل «من فضلك أجلس».

تطلع بيل حوله فى غرفة الاستقبال الكبيرة . وبدون أن يلاحظ الأثاث الفاخر والديكور الرائع بحث عن مكان للجلوس فيه. كانت هناك عدة أماكن يمكن الجلوس فيها فى الغرفة اختار المكان الواقع إلى يمينه، حيث أريكة يميل لونها إلى الأزرق الخفيف خلفها مرآة تغطى الحائط من السقف إلى الأرضية. وكانت هناك مائدة قهوة من الخشب الماهاجونى سطحها من الرخام فى مواجهة الأريكة التى على جانبيها مائدتان أصغر مماثلتان لها. جلس روسيل على المقعد ذى الظهر المرتفع الواقع إلى يمين الأريكة. لم يكن يرغب فى أن يغرق فى وسائد الأريكة المنخفضة. وجلس سترافينسكى على الأريكة.

«بيل شكرا لك. ومن فضلك أشكر رئيسك . أنا متأكد أنك عندما أنهينا حديثنا الهاتفى قد تفهمت تماماً لماذا يتخذ الرئيس بوبوف مثل هذه الاحتياطات فى نقل رسالتنا الحساسة إلى الرئيس دوجلاس». «أومأ روسيل قبل أن يواصل سترافينسكى «أعذرنى هل ترغب فى شراب؟ ربما فودكا؟ يوجد أيضاً قهوة وشاى. أخدم نفسك من فضلك.» وأشار الوزير الروسى إلى الصينية الفضية على مائدة القهوة.

شكره روسيل.. انحنى وصب لنفسه فنجانا من القهوة من الإبريق الفضى، أعتدل مرة أخرى وأخذ يرشف القهوة السوداء منتظرا سترافينسكى.

صب سترافينسكى لنفسه كأسا من الفودكا. «أرغب فى التأكيد على المخاطرة التى أخذها الرئيس على عاتقه بتقديم معلومات سرية منذرة بالخطر إلى رئيسك». وأخذ سترافينسكى رشفة من كأسه قبل أن يواصل «أوكد لك أن المسئولين فى استخباراتنا لم يكن راغبين فى تمرير هذه المعلومات إلى بلادكم . أولا فإنه كما هو الحال دائماً مع المسئولين فى أجهزة الاستخبارات يشعرون بالقلق حول مصادرهم أكثر من قيمة المعلومات التى جمعوها. كما أنهم لا يرغبون أبداً فى إعطاء المعلومات لأى شخص.» ورجع بظهره إلى الخلف وهو يطيل النظر فى روسيل.

واصل حديثه «يجادل مسئولو الاستخبارات لدينا من أنه من مصلحتنا الاحتفاظ بهذه المعلومات لاستخدامنا من جانب واحد أو - يمكنك القول - من أجل حمايتنا على المدى الطويل». وصوب نظرات حادة إلى روسيل «وحالما تعرف الموضوع أنا متأكد من أنك ستتفق معى أحرزوا نقطة، نقطة مهمة.» وتوقف على أمل أن يتبين رد فعل روسيل. ولكن لا أثر لمثل هذا الرد.

«ولكن الرئيس بوبوف لكى يظهر التزامه التام بعلاقات المكاشفة والانفتاح مع أمريكا يرغب - كيف تقدر ذلك - فى وضع كل الأوراق على المائدة مع الرئيس دوجلاس . وهذه كانت فى حقيقة الأمر توصيتى. وكما قلت لك فى الهاتف طلب الرئيس بوبوف منى أن انقل

هذه المعلومات الحساسة، بل التى تصل إلى حد الصدمة – إلى رئيسك».

ازداد روسيل توترا وتساءل بينه وبين نفسه ، لماذا لا يدخل فى الموضوع؟

واصل سترافينسكى «بذلنا جهدا خاصا لضمان أن يجرى نقل هذه المعلومات فى إطار من السرية الكاملة عن قنواتنا الاستخبارية والشرطية. أننا نتفهم أنكم فى مرحلة ما سوف تدخلون خبراءكم فى الصورة . ومع ذلك يصر الرئيس بوبوف على أن يقتصر التبادل الفعلى للمعلومات بيننا فى هذه المسألة الآن وفى المستقبل على كلانا أنا وأنت».

«سيد سترافينسكى...».

«من فضلك، ناديني اندريه. سنعمل بصورة وثيقة للغاية فى هذه المسألة. يجب أن تكون ثقتنا كاملة فى بعضنا البعض». وتطلع سترافينسكى مباشرة فى روسيل أملا مرة أخرى فى رصد أى رد فعل.

قال بيل وهو يضع فنجان القهوة الصينى . «حسنا ، اندريه، ولكن حتى الآن لا أعرف عما تتحدث. وأنا هنا بموافقة من رئيسى للاستماع فقط . ومهما تكن هذه المعلومات فإننى سوف أنقلها للرئيس تماماً مثلما تخبرنى بها – لا شىء أكثر ولا وعود أيضاً»، وبدأ روسيل يشعر بالغضب . كان متعباً . وكانت رحلة كئيبة من واشنطن ويجب عليه أن يعود فى الليلة نفسها . تعين عليه أن يرجىء كومة من الأعمال من أجل هذا اللقاء اللعين . وهذا الروسى البغيض يدور فى حلقات ، يتحدث بلا توقف دون أن يقول شيئاً.

وتطلع روسيل فى ساعته وتملل كما لو كان على وشك الرحيل .

وتحدث سترافينسكى مرة أخرى «كيفية تعامل الرئيس دوجلاس مع الرسالة التى سوف يبعث بها رئيسى إليه هو أمر يعود إليه هو . سوف أركز على جميع النقاط ودواعى القلق – بما فى ذلك الاتجاه داخل الاستخبارات الروسية». أخذ روسيل نفسا عمقا لتهدئة أعصابه وتساءل بصبر نافد «قل لى بربك ما هى بالضبط معلوماتك؟»

أحمر وجه سترافينسكى الذى قال فى نفسه «لم يظهر هذا الأمريكى أيا من علامات الامتنان . كان يحاول الدخول فى الموضوع برفق ، غير أنه قرر الآن أنه يجب أن يكون فظا. على أية حال لقد طار حول العالم لمساعدة هؤلاء الأمريكيين السذج المغرورين.

بلع ريقه «حسناً، من فضلك نبه الرئيس دوجلاس نيابة عن الرئيس بوبوف أننا علمنا أن الحكومة الإسرائيلية وافقت أخيراً على أعلى مستوى على القيام بعملية سرية. الهدف من هذه العملية هو التلاعب بحكومتكم من خلال انتخاباتكم الرئاسية القادمة . الاسم الرمزى الإسرائيلى لهذه العملية هو، هيبرون». وشعر سترافينسكى بالرضا لرؤية أول ملامح الدهشة فى عيون روسيل .واصل «بالطبع، كما ترى، هناك المزيد». وتعمد أن يطيل

من ذهول روسيل بأن توقف وهو يصب لنفسه ببطء كأساً آخر وأخذ رشفة طويلة من الفودكا. «العملية متورط فيها سناتور أمريكي هو عميل إسرائيلي يحصل على أجر منذ فترة طويلة. أطلق عليه الموساد الاسم الكودي، هيبرون». انطلقت شهقة مسموعة من روسيل ولكنه لم يجرؤ على مقاطعة سترافينسكي.

«والآن جاء الجانب شديد الوطأة الذي من الصعب تصديقه». وتوقف سترافينسكي ليشد اهتمام روسيل الكامل . ومال إلى الأمام كما لو كان يزيد من نطاق السرية «كلفت أعلى سلطة لاتخاذ القرار في إسرائيل الموساد بمحاولة جعل هيبرون رئيسا منتخبا للولايات المتحدة. الميزانية المبدئية التي خصصها الموساد من أجل هذه العملية هي عشرون مليون دولار.» وتوقف قبل أن يواصل «العملية تحت السيطرة المباشرة لديفيد تيرون رئيس الموساد في واشنطن، الذي قام مؤخراً برحلات عديدة للقدس وتل أبيب للتشاور مع أعلى السلطات هناك بشأن هيبرون. يمكنكم التحقق من ذلك من جانبكم. ولكن بوسعنا أن نقدم لكم تواريخ هذه السفريات إذا كانت هناك حاجة إليها».

زحف روسيل إلى مقدمة مقعده ومرفقاه على ركبتيه محاولا إخفاء رد فعله. غير أن مظاهر الصدمة كانت بادية على وجهه كما لو كانت قد أصابته صاعقة قائلا في نفسه، «اللعنة الأمر جد خطير»، وعلى الرغم من محاولته أن يبدو هادئا فإنه نظر بأعين مفتوحة في سترافينسكي، ولم يتمكن سوى من أن يغمغم قائلا بصوت محتبس غير واضح النبرات «هذا كل ماعندك؟».

«بيل، أعرف أنه من الصعب تصديق ذلك. كان الأمر كذلك بالنسبة لي أيضاً، فقط أنصت لي». وابتسم سترافينسكي الذي أنفرج وجهه عن ابتسامة عريضة «على الأقل نحن الروس لدينا ميزة أننا متأكدون من مصدرنا، لقد طلبنا من استخباراتنا أن تضع على قمة أولوياتها التحقق من هوية العميل هيبرون، وسوف ننقل هذه المعلومات إليكم إذا حصلنا عليها».

تمكن روسيل في النهاية من تجميع أفكاره. لقد ترك نفسه تنساق مع القصة كما لو كانت حقيقية . أنه يمكن أن يصدق أن للموساد علاقة خاصة غير معروفة للكافة مع عضو موالٍ لإسرائيل في الكونجرس. ولكن هل يمكن أن يصدق أنهم يتجاسرون على التفكير في محاولة انتخاب عميل لهم رئيسا للولايات المتحدة ... أنه لأمر يتجاوز قدرته على التخيل، وفي النهاية قال «إنني آسف لسماع ذلك ، سأخطر الرئيس بالأمر ، تماماً كما طلبت».

«بيل من فضلك أنصحه بأنه يجب ألا تراوده أية أفكار من أننا نحاول التلاعب بحكومتكم من خلال تمرير هذه المعلومات غير العادية . دافعنا بسيط - أننا نشعر بالقلق

من أن هذه العملية السرية قد تؤثر على روسيا وعلاقاتها المستقبلية مع الولايات المتحدة، لاحظ روسيل ذلك على الرغم من أن هذه الملاحظة الأخيرة قد صاحبتها ابتسامة شاحبة، فقد كانت عيون سترافينسكي جادة للغاية وهو يصدقه حقيقة.

«نحن الروس نعرف أن أجهزتكم الاستخبارية والأمنية تحاول دائماً تأويل المعلومات التى تحصلون عليها من موسكو. ولكن فى هذه الحالة المعلومات التى تتلقونها تأتى من رئيس دولة منتخب . ولذلك يجب النظر إليها بجدية. ونظرا لما هى عليه من إلحاح، فإنه يجب على رجالكم ألا يضيعوا وقتا فى التحقق من كيفية حصولنا عليها. أبلغهم بأن يتحققوا بدلا من ذلك من فحوى المعلومات نفسها. كل شىء أبلغنا به عميلنا حتى الآن ثبت صحته ، حتى على الرغم من أن النيات الإسرائيلية لا تتحقق دائماً . أيضاً أنا واثق من أنك ستتفق معى من أن الإسرائيليين غالباً يتحلون بقدر أكبر من الجرأة مما قد نتحلى به نحن كقوى عظمى».

هز روسيل رأسه موافقا . فهو يعرف أنه ليس سرا أنه لا يعد صديقا خاصا لإسرائيل، ولكن مثل هذا الأمر سيكون من الصعب على المسئولين فى نشاط مكافحة التجسس معالجته «اللعنة، يالها من قصة».

«أنا آسف روسيل لكونى حاملاً لمثل هذه الأخبار، بيل، ومع ذلك، أود أن يعرف الرئيس أننى كصديق للولايات المتحدة سأتجاوز سلطتى الرسمية فى إبلاغك الآتى – لقد حضرت الاجتماع الذى أطلع فيه رجال استخباراتنا الرئيس بوبوف على عملية هيبرون . لقد استمعت شخصيا إلى المناقشات وقد كانت مثلما أخبرتك به تماماً. هل يمكنك تصور ما ستئول إليه العلاقات مع بلادكم إذا ما اعتقدنا حقيقة أن رئيسكم الجديد يخضع لسيطرة إسرائيلية؟، إن العالم بأسره سوف ينتقل من وضع غير مستقر ويتعذر التنبؤ به إلى آخر.. مشكلتا البلقان والعراق لن تكونا شيئاً بالمقارنة بالاضطرابات التى ستثيرها عملية هيبرون. لا يمكننا السماح بحدوث ذلك».

«نعم بوسعى أن أتخيل ذلك . أندريه، هل هناك شىء أخر تود ابلاغى به قبل أن نفترق؟ إنك تقدر أنه يجب أن أعود مباشرة إلى واشنطن».

«لقد أبلغتك بكل التفاصيل التى أعرفها، ماعدا ما وعدتك به شخصيا، لقد أمرنا استخباراتنا بأن تقف فى أسرع وقت ممكن على هوية العميل هيبرون ... من أجلنا نحن ومن أجلكم أنتم أيضاً. وحالما يتم ذلك سوف أبلغك مباشرة. لن يأتى من مصدر آخر».

وقف سترافينسكى وواجه روسيل «أيضاً، بيل انك تقدر مدى حساسية الوضع بالنسبة لى شخصياً . كما هو بالنسبة لحكومتنا. لذا من فضلك حذر الرئيس من إبلاغ رجال

استخباراتكم بدورى فى هذا الأمر . لا أحب أن تكون لى صلة بهذا الأمر . فى الحقيقة أنهم إذا فعلوا ذلك، فإننى سوف أصدهم وسأوصد ببساطة أذناى. كذلك جهاز استخباراتنا الخارجية».

قال المسئول الأمريكى «لك ذلك» وبتنهيدة تنم عن مدى ثقل الرسالة نهض روسيل من مقعده .

«حظ سعيد، بل . كلانا يحتاج لهذا. ونظراً لهذه المسألة التى تواجهنا فإننى سأمكث هنا معظم يوم الثلاثاء للتشاور مع السكرتير العام وبعثتنا فى الأمم المتحدة وأعضاء مجلس الأمن الآخرين فيما يتعلق بالبوسنة. إذا رغبت فى العودة للقائى أتصل بى هنا فى نفس الموعدين ٧:٣٠ و١١:٣٠ مساء. سأعمل على أن أكون وحدى خلال هذين الموعدين مساء الغد . ربما أغادر إلى موسكو فى وقت متأخر من يوم الثلاثاء، وسأفضل أن أحمل معى فى عودتى بعض رد الفعل من البيت الأبيض».

«أندريه . بخصوص هذه النقطة لايمكن أن أعد بشىء عدا نقل معلوماتك كاملة وبوضوح للرئيس دوجلاس ليس قبل صباح الغد. سنكون على اتصال . أشكرك».

مد يده وتصافحا وغادر روسيل الجناح وهو يشعر بالارتياح لعدم وجود أحد فى الممر. وأمام الفندق كانت سيارته المستأجرة فى الانتظار، كان السائق يقرأ صحيفة «الديلى نيوز».

* * * *

تجاوزت الساعة منتصف الليل عندما وصل روسيل وزوجته إلى الإسكندرية بفيرجينيا عبر بوتوماك من البيت الأبيض . قرر الانتظار حتى ساعات العمل العادية لإبلاغ الرئيس حتى ولو كانت أحداث الساعات القليلة الماضية لن تغمض له جفن هذه الليلة التى يبدو انها بلا نهاية . سوف يستعرض فى ذهنه المرة تلو الأخرى ما سمعه من وزير الخارجية الروسى ليجد له معنى . كتب لنفسه بعض الملاحظات غير الكاملة واضعا فى حسبانه ألا تكون مفهومة لأى شخص آخر.

واشنطن العاصمة ١٧ يوليو

بعيون مرهقة محمرة وصل روسيل إلى البيت الأبيض فى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى. وعلى الرغم من ليلته التى لم يذق فيها طعم الراحة فإن الادرينالين أبقاه منتبها مثل عداء أوليمبى . كان مستعدا عندما وصل الرئيس فى الساعة الثامنة .

قال روسيل بلهجته العادية عندما دخل المكتب البيضاوى «صباح الخير، سيدى الرئيس».

بادره دوجلاس دون أن ينتظره إلى أن يجلس «ماذا عندك، ماذا قال لك ؟ تبدو مرهقا. ثانية واحدة.» وأتصل بسكرتيرته «مارى. من فضلك ، لا أريد أية اتصالات . لا أريد لأحد أن يزعجنى لأى سبب. هل تفهمين؟» ووضع سماعة الهاتف.

توجه روسيل إلى مائدة المشروبات وصب لنفسه فنجانا من القهوة وعاد ليجلس فى المقعد المواجه لمكتب الرئيس.

«لا أعرف من أين أبدأ، ولذا فإننى سأعيد عليك ماسمعته بالترتيب نفسه نقطة نقطة....».

وعندما انتهى من التلاوة الحرفية لما سمعه الليلة الماضية فى وولدورف تاورز، ظل الرئيس على صمته وقد ضاقت عيناه كما لو كان يترقب مزيدا من الأنباء الصاعقة.

أخذ دوجلاس يدق بقلمه الحبر على سطح مكتبه، وفجأة تطلع إلى روسيل «بيل، ليس بوسعى بسهولة أن أصدق هذا .ولكن ما تقديرك أنت»؟

«مثلك سيدى، عندما كنت جالساً أستمع لذلك وجدت صعوبة فى تصديقه. وكما قلت لى، ظللت جالساً دون أن يصدر عنى أى تعبير اكتفى بالاستماع». وأخذ رشفتين كبيرتين من قهوته الساخنة التى كادت تلسع لسانه، «ولكن هذا الصباح بعد ليلة طويلة جفانى فيها النوم، شعرت بأنه يجب علينا على الأقل إخطار مكتب التحقيقات الفيدرالى. وبالتأكيد، لو كان الأمر حقيقياً، فإنه سيكون من قبيل الخيانة العظمى. ومكتب التحقيقات وحده هو المخول بالتحقيق فى مثل هذه القضايا. هل تتفق معى؟».

«وإذا كان الأمر مجرد خدعة روسية من نوع الألاعيب السياسية»؟.

«عندئذ يجب أن يتضح الأمر سريعا. صراحة أعتقد فى أحسن الأحوال أن الأمر مجرد مغالاة من جانب المخابرات الروسية فى التأكيد على مشاعر التعاطف الموالية لإسرائيل المعروفة لمرشح الانتخابات الرئاسية مثل ويستليك، هذا التافه الذى يقف دائماً فى المعسكر اليهودى - الذى لا يعتذر عن ذلك لأى أحد . ربما كرامر. ولكن الزعم بأن ويستليك أو كرامر أو جونسون عميل إسرائيلى فيه شئ من الجنوح . أنه أمر لا يصدق».

«بيل، أنك لاتنكر أن فى تاريخنا الوطنى كان لدينا عملاء أجانب فى واشنطن. فهناك الجير هيس كان عميلاً هنا فى البيت الأبيض لبعض الوقت. لا، استدع القاضى بيكر الآن وأطلب منه الحضور إلى هنا . هو وتلك المرأة خبيرته فى شئون الشرق الأوسط. شتراوس أعتقد أنها تتمتع بالذكاء، ويمكننا أن نستغل تحقيق سورينسون كغطاء لاتصالاتنا مع المكتب فى هذا الموضوع».

«سيدى الرئيس. هل لى أن أقترح أن تدع القاضى هو الذى يقرر؟ يمكننا بحث الأمر

معه، ولكن يجب أن تترك له الأمر ليقرر كيفية تعامل المكتب معه».

«أفعل فقط ما قلته لك . إننى الرئيس حتى يناير ، وسأقلب الدنيا رأسا على عقب بحثا عن عميل أجنبى فى واشنطن وإلا سنسمح للروس بأن يلعبوا بنا ، الأمر ليس خاضعا للنيات الحسنة . سأتولى أنا إدارة هذا الأمر، بيل. أنها ربما تكون آخر إسهام عظيم أقدمه لهذه البلاد .. إذا كانت هذه القصة حقيقية».

«سأتصل بالقاضى على الفور». أستسلم روسيل فى نبرة اعتذار. ولكن الرئيس تولى الأمر بنفسه وضغط فى زر الانتركوم.

«مارى، ابلغى القاضى بيكر بأن يأتى إلى هنا على الفور ومعه العميلة الآنسة شتراوس، الأمر ملح للغاية، إننى أنتظر». ووضع السماعة دون أن ينتظر ردا.

بعد ثوانٍ كانت سكرتيرته تؤكد له «القاضى بيكر والعميلة الخاصة شتراوس فى طريقهما إلينا الآن. سيكونان هنا فى الساعة ٩:٤٥. هل يجب أن ألغى باقى مواعيدك خلال الصباح؟».

«نعم ، ثم أعيدى ترتيب مواعيدى بشأن القضايا المحلية». وأدار مقعده ليتمكن من رؤية الحديقة. وقال وظهره لبروسيل «بيل، لا تستهين للحظة واحدة بالأهمية التاريخية لهذا الأمر سواء أكان ينطوى على حقائق أم أكاذيب – قوة أجنبية سواء أكانت إسرائيل أو روسيا أو أى جهة أخرى تحاول التلاعب بنا، يجب أن نقرر نحن من سيفعل ماذا وأن ندير الأمر من فوق. أريد أن أرد على بوبوف شخصياً قبل أن يعود رجله فى وولدورف إلى بلاده».

الفصل الخامس عشر

واشنطن العاصمة
العشرون من يوليو

فى مكتب التحقيقات الفيدرالى فتحت ثلاثة أبواب وأغلقت بعنف، فى اللحظات التالية كان يمكن سماع ثلاثة أزواج من الأقدام وهى تسرع على طول الممرات. دخل العملاء الثلاثة المصعد وضغطوا على زر الطابق الخامس وعندما توقف اندفعوا خارجه حتى قبل أن يفتح بابه عن آخره. أسرعوا فى خطواتهم ثم توقفوا أمام مكتب العميلة الخاصة بريندا شتراوس.

تردد صدى صوت طرقة سريعة تلاه صوت غير متناغم لصرير باب يفتح ثم تدافعت أقدام وأغلق الباب لقد وصل العملاء أخيرا. وقفوا أمام رئيستهم أعينهم تحدق فيها وعلى وجوههم التعبير نفسه الذى يدل على الارتباك والحيرة.

نهضت بريندا لتغلق الباب بالمفتاح ودعت فريق التحقيق الذى يعمل فى قضية مقتل سورينسون ليجلسوا حول مائدة اجتماعاتها الصغيرة، تطلعوا إلى بعضهم البعض بنظرات متسائلة عما يكون هذا الأمر الملح للغاية الذى جعلهم يتركون ما فى أيديهم ويهرعون إلى مكتب رئيستهم، عادت بريندا إلى مكتبها لإحضار دفتر ملاحظاتها ثم انضمت إليهم – جيم كلاركستون الشاب البارع فى مكافحة التجسس، كريستينا ويتينجيل أفضل محللة عملت معها بريندا حتى الآن، وجاك سانشيز المتخصص فى عمليات التجسس الاليكترونى.

قالت بريندا بابتسامة جادة «شكرا لمجيئكم بهذه السرعة، لدينا مشكلة تجعل من قضية سورينسون تبدو أمامها مسألة تافهة، هذه قضية أمن قومى عليا يجب التحقيق فيها بأقصى سرعة وربما كانت هذه أكثر القضايا حساسية التى يمكن أن نواجهها على الإطلاق».

طلبت من الفريق أداء اليمين بالحفاظ فى السرية التامة قبل أن تطلعهم على واجبهم الجديد: التقرير الروسى والاسم الكودى «هيبرون».

وبعد أن سمعوا تفاصيل الاجتماع الصباحى فى البيت الأبيض لم يتفوه أحد منهم بكلمة. جلسوا فقط يتطلعون إليها.

قالت بريندا وهى تهز رأسها «أعرف أن الأمر يتجاوز نطاق قدرتنا على التصديق، ولكن التعليمات جاءت مباشرة من الرئيس للقاضى بيكر ولى. يجب علينا أن نأخذ مزاعم الروس على عواهنها وأن نتصرف وفقا لذلك – إلى أن تظهر دلائل تشير إلى عكس ذلك. يقول القاضى إن التحقيق فى مسألة هيبرون سيكون له الأولوية القصوى فى مكتب التحقيقات. لا شئ آخر سيسبقه فى الأهمية لحين إشعار آخر. قضية سورينسون ستكون غطاؤنا العام للتعامل مع البيت الأبيض بشأن هيبرون، هل من أسئلة؟».

تساءل كلاركستون الذى من الواضح أنه ذهل مما سمعه «من هم الآخرون الذين يعرفون بهذا الأمر؟».

قالت بريندا وهى تعد على أصابعها «قليلون للغاية، الرئيس، بيل روسيل، القاضى، أنا نفسى، والآن أنتم، بالطبع وعلى الرغم من أنه فى مهمة أخرى فإننى سوف أطلع بوب على الأمر أنه سيتولى أمر هذه القضية نيابة عن المكتب إذا ما حدث أى شئ لى».

تساءلت كريستينا «هل من أحد آخر؟».

«لا أحد آخر من جانبنا وهو الأمر الذى سوف يبقى على ما هو عليه، على الأقل حتى

الآن والسبب الذى دعا البيت الأبيض أن يسند إلى فريقنا هذه المهمة على وجه الخصوص هو أن الجميع يفترض بأننا نواصل العمل فى قضية مقتل سورينسون، فالكل يعرف أنها شاغل الرئيس الأساسى ومن ثم لا شئ تغير».

بدا كلاركستون بقوله «إذا كان هيبرون هذا موجود حقيقة، فإننا جميعا نعرف من هو أليس كذلك؟، هناك سيناتور واحد يتطلع إلى منصب الرئيس له هذه الصلات الوثيقة بالإسرائيليين».

ردت بريندا بحدة عليه «ربما كان هذا هو أهم تحقيق يضطلع به مكتب التحقيقات على الإطلاق، لا يمكننا تحمل افتراض أى شئ، كما لا يمكننا تحمل أى خطأ من جانبنا، حتى الروس يقولون إنهم لم يحددوا بعد شخصية هيبرون وعلى الرغم من أننى غير واثقة من ذلك فإننى أصدقهم ولكن، كما قلت لن نفترض أى شئ». كانت بينها وبين نفسها تعتقد أن الروس يحتفظون بورقة رابحة ليلعبوا بها إذا نجحت العملية الإسرائيلية وانتهى المطاف بالولايات المتحدة وعميل أجنبى رئيس لها.

وافقها كلاركستون قائلا حسنا، أنت على صواب.

تساءلت ويتينجيل على الرغم من أنها تعرف الإجابة ومتى نبدأ.

«من هذه اللحظة، سوف ننشغل أكثر من أى وقت مضى. لن ننسى سورينسون لمجرد ظهور هيبرون».

وتطلعت بريندا إلى الوجوه أمامها وتوقفت عند سانشيز جاك، «التغطية الاليكترونية، فهى التى ستكون المفتاح لهذه القضية»، وعادت إلى دفتر ملاحظاتها «يجب أن نغطى الآتى، أولا، كل من المرشحين الثلاثة، ثانيا السفارة الإسرائيلية خاصة محطة الموساد هناك، ثالثا المنظمات اليهودية الرئيسية التى على اتصال بالسفارة وبالمرشحين، ربما سيتعين عليك أن تلقى نظرة على ارشيفنا من الشرائط العبرية واليبدية التى مازال يتحدث بها بعض اليهود فى روسيا وأوربا الوسطى من أجل ذلك على الرغم من معظم الشرائط ستكون باللغة الانجليزية».

تصفحت بريندا دفتر ملاحظاتها مرة أخرى، «جيم، أريد أقصى متابعة ممكنة لتيرون!».

أكد كلاركستون «ديفيد تيرون - أعتبرى المهمة قد أنجزت».

«أريد كشفا بسفرياته واتصالاته خلال هذا العام أريد صورة يومية لتحركات الرجل خلال عام حتى الآن. أرصد - المكتب، المنزل، اية منازل مؤمنة، المطاعم التى يتردد عليها، صديقاته، أى شئ إذا كان لديه سائق تتبعه أيضا لا تفترض البراءة فى أى شئ يفعله، لا شئ! أريد تغطيته ببطانية هل هناك مشكلة فى ذلك؟ هل لدينا فرق كافية؟».

قال كلاركستون «ماذا لو كان الروس يدبرون لشئ ما على جانب كبير من الأهمية وهم فقط يريدون صرف انتباهنا بعيدا عنهم، أعتقد أنهم يجب علينا أن نفكر فى هذا الاحتمال بصرف النظر عن مدى حماس البيت الأبيض لهيبرون».

ترددت بريندا للحظة، كان كلاركستون متخصصا فى مكافحة التجسس وقد أثار نقطة مهمة، وفى النهاية قالت «ربما يكون هذا حقيقيا، ولكن لا تنسوا أننى - أقصد المدير لا يرغب فى إعطاء أى شئ أولوية أكبر من هيبرون حتى إشعار آخر. لا الروس ولا المافيا

ولا أي شئ آخر!، وإذا كانت هناك مشاكل في العناصر البشرية سوف نتصل مباشرة بالمدير. والآن فيما يتعلق بالمرشحين من أولئك الذين سنتعامل معهم؟». تطلعت حولها كان الجميع يصغى باهتمام.

«كرامر وويستليك تم ترشيحهما بالفعل وجونسون الجمهورى ليس له أى منافس الآن حيث أن الرئيس يقف فى صالح ترشيحه وهو ما يقصر تحقيقاتنا على هؤلاء المشتبه فيهم المرجحين».

هز الآخرون رءوسهم إعرابا عن موافقتهم لها. قالت بريندا لويتينجهيل: «أرغب فى البدء فى تحليل كل شئ نجده بشأن هؤلاء الثلاثة خاصة أى اتصال يجريه أى منهم مع الإسرائيليين ومع المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة، وتذكروا أنه فى النهاية قد نستجوب أياً من هؤلاء الثلاثة حول هيبرون، وإذا وقع الاحتمال غير المرجح أكثر وثبتت صحة هذه المعلومات وأن واحدا من أعضاء مجلس الشيوخ الثلاثة هو عميل أجنبى فإن عملنا وحده هو الذى سيحدد الفرق بين إحباط هذه العملية أو نجاحها، وبعبارة أخرى فإن مستقبل الرئاسة ومن ثم الجغرافية السياسية للعالم على مدى الجيل القادم تتوقف عليكم».

كان التأثير باديا على كريسيتنا وأومأت بريندا تجاه جاك الذى أشار بقوله «لدينا تغطية بالفعل جيدة للسفارة الإسرائيلية، على الرغم من أننا عادة ما نراقبهم ورجال الموساد بشكل غير منتظم فحسب، سنضعهم تحت المراقبة ٢٤ ساعة فى اليوم، لدينا شرائط تسجيلات سأقوم بفحصها، لا توجد مشكلة يمكننا القيام بالتغطية حالما نحصل على موافقة المحكمة المختصة بالموافقة على مراقبة الأجانب. إذا قدمت لى خطاب موافقة قاضى المحكمة بالنسبة للمنظمات اليهودية الرئيسية مثل بناى بيرث وإيباك وغيرهما فإننا سنبدأ على الفور».

سجلت بريندا ملاحظة، وقالت «لقد أتصل القاضى بالفعل بكبير القضاة من سيارته وطلب منه الحضور إلى مكتبه، هذا المساء سأحصل على التوقيعات التى تحتاجونها لأية تغطية فنية، الله وحده يعلم كيف ستنتهى هذه القضية، هل سيفرض عليها نطاق من السرية أم سوف تنفجر علنا. فى الحقيقة القاضى سوف يطلع كبير القضاة بنفسه على هيبرون نظرا لتداعياتها غير العادية – سواء أكان الروس يزودوننا بمعلومات قيمة أو بمعلومات زائفة».

تطلعت للمرة الأخيرة فى الوجوه المتحلقة حول المائدة فى الوقت الذى كان فيه فريقها يدون الملاحظات، «حسنا دعونا نبدأ بما قمنا باستعراضه وإذا احتجتم إلى أى شئ خاص أرجعوا إلى.. خذوا حذركم».

تبادلوا الابتسامات المشجعة وغادروا مكتب بريندا فى طريقهم للبدء فى تنفيذ هذه الأوامر الجديدة.

بعد أسبوع

حتى الآن، لا شئ ، لم تكشف المراقبة الاليكترونية أو شرائط عمليات التنصت على الهواتف أو حتى المراقبة البشرية عن أى شئ، ومازال على الانتخابات أقل من أربعة أشهر.

وحاولت بريندا إقناع نفسها بقولها إنه مازال يجب الاهتمام بالتحذير الروسي، حتى على الرغم من زيف حسن نياتهم، إن تجاهل هذه المعلومات يمكن أن تكون له عواقب مميتة، مثل ما حدث في بيرل هاربور عندما رفض ادجار هوفر تصديق تقارير الاستخبارات التي ثبت صحتها تماما. تخيلت حملة الاستهجان لو أن قصة هيبرون ذاعت وأصبحت حقيقة، ولم يفعل مكتب التحقيقات الفيدرالي شيئا وكشف الروس عن أن تحذيرهم لم يؤخذ بجدية، كل من هب ودب في واشنطن سينادي بإغلاق المكتب.

ونظرا لأنه تم اختيار مرشحي الحزب الديمقراطي والحزب الثالث ولا يوجد أي منافس حقيقي للمرشح الجمهوري في مؤتمر الحزب في أغسطس فإن الحملة قد بدأت تشتد. تساءلت بريندا بين نفسها مرارا أيهم هيبرون؟ يجب ألا يكون الأمر بمثل هذا اللغز المحير. مازال هناك بعض الساسة المناهضين لإسرائيل في واشنطن يجادلون أنه في الولايات المتحدة ليس من السهل معرفة الفرق بين الصديق لإسرائيل والعميل الأجنبي.

اكتشاف الفرق أمر سهل تماما في حقيقة الأمر، فإن لدى بريندا سبباً وجيهاً للغاية لمعرفته. إذ كانت هي التي راقبت المحادثات الهاتفية للسفارة الإسرائيلية وتعرفت على الإشارة الهاتفية من جوناثان بولارد إلى الاسرائيلي الذي يتولى الإشراف عليه – وهي الإشارة التي دلت على عزمه الهروب وهو ما مكن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي من إعتراض سبيله أمام السفارة الاسرائيلية قبل أن يتمكن من دخولها وطلب اللجوء السياسي.

كانت تعرف أن بولارد هرب آلاف الوثائق ذات السرية العالية إلى إسرائيل ما يكفي لملء ملعب كرة سلة، وهو التعبير الذي كان يستخدمه أحد ضباط مكافحة التجسس في البنتاجون للدلالة على كمية الوثائق التي سرقها. ومن ثم فإنها تعلم في داخلها أن عملية هيبرون يمكن أن تكون حقيقية، ولكن هل يخاطر الإسرائيليون إلى درجة أن يتخذوا من سيناتور عميلا لهم؟

إن الجميع في دوائر الاستخبارات يعترفون بأن الموساد أكثر أجهزة الاستخبارات جرأة وفاعلية في عملياتها، لا يمكن لأحد أن ينسى عملية مطار «عنتيبي» بأوغندا وهو ما دعاها إلى أن تفترض أن الأسوأ هو الحقيقي وأن تعمل على هذا الافتراض.

لقد حذرت القاضي بيكر وبوب هوتشينز من أن قضية هيبرون يمكن أن تقتطع وقتا كبيرا من تحقيقات سورينسون ولكن الاثنين أصرا على أن هذه هي قضية سورينسون.

وعلى أسوأ الفروض، كانت بريندا ترغب من أجل المكتب فحسب، أن يتحقق تقدم ملحوظ في واحدة على الأقل من القضيتين، أنها تأمل في أن يحتفظ البيت الأبيض بصورة طيبة عن المكتب، إن مثلها الأعلى القاضي، بيكر يشير دائما بقوله من المدهش أنه بوسع المرء أن يحقق الكثير عندما لا يهتم حيال من سينسب له الفضل قالت في نفسها «ملاحظة مؤلمة ولكنها حقيقية».

* * * *

بدأت بريندا المثقلة بأعباء جسام والتي تسابق الزمن يومها بزيارة قسم مكافحة التجسس المعني بإسرائيل، لم يكن لديهم علم بهيبرون ولكن القاضي بيكر أمرهم بأن يعطوا أي شئ تحتاجه بريندا، كان كل عميل هناك يفترض أن بريندا مهتمة ببياناتهم بخصوص قضية سورينسون.

قالت لرئيس القسم وهى تدلف إلى مكتبه دون أن تطرق بابه «هاى جورج ألديكم شئ لمكافحة الإرهاب»؟

«آسف، لا شئ مثير للغاية حتى الآن، سوف تسهلين علينا بالطبع إذا ما علمنا بالله ما الذى تبحثين عنه، ولا يمكننى أن أفهم ما الذى يمكن أن يسفر عنه بحثنا على أية حال، باعتبارنا جنودا مخلصين، سوف..»

«أتعتقد يا جورج أننى سوف أقول لك شيئا؟، البيت الأبيض يلاعبنا يجرب معنا روتينه الممل».

«لقد قدموا لك فرصة طيبة فى ايفى ليج، أيتها الصغيرة، أنا فخور بذلك أعتقد أنهم عهدوا إليك بقضية سورينسون – أو لحبيبك الفرنسى فان دين / ما هى جنسيته»؟

إنه بلجيكى وهو ليس حبيبى «كيف عرفته»؟

«قابلته ذات مرة فى زيارة رسمية أو شئ من هذا القبيل».

«كل ما أطلبه منك هو مساعدتى فى أن أفحص مع رجالك فى التنصت الاليكترونى تسجيلاتكم لنعرف ما الذى يجرى فى السفارة الاسرائيلية هذه الأيام».

«إننا فى خدمتك آنسة بريندا». قالها جورج كما لو كان يغنى مشيرا تجاه الباب أنت تعرفين الطريق».

«شكرا، جورج أنت تعرف فان دين هوفن»؟

«واجبى يحتم على معرفته».

وفى مكتب النسخ الإليكترونى، وضعت بريندا بطاقة هويتها لفتح القفل الاليكترونى للباب وخلف الباب كان المترجمون والمحللون يقومون بتغطية حية لتسجيلات هواتف السفارة الإسرائيلية وأجهزة التنصت السمعية التى جرى زرعها هناك.

شعرت بريندا براحة لعودتها إلى مصدر نجاحها حيث كان يجرى دائما الترحيب بها. فالعديد من العاملين هناك يعتبرونها مثالا أعلى إلى أى مدى يمكن لعميل ذكى أن يصعد مهنيا من خلال خبطات الحظ والفطنة أو بالأحرى من خلال المزج بينهما.

قال جاك سانشيز وهو يدفع الباب الضخم ليفتحه لها مرحبا، «مرحبا بك فى الطابق السادس».

«أهلا، أهناك شئ لى اليوم»؟

صمت جاك متظاهرا بأنه لا يعلم شيئا عما تتحدث عنه بريندا ولكنه لم يجد بدا من أن يقول لها «سوف تسهلين علينا الأمر لو علمنا عن ماذا تبحثين بالضبط، ولكن يبدو أنك تعانين من المشكلة نفسها أنت تسألين ونحن نحاول الإجابة، هذا هو أفضل عرض لدى».

«إنك محق فى أننى لا أعرف ماذا أبحث عنه – أنه ربما يكون أى شئ تقريبا»!

ولكن لكى تيسر الأمر على العاملين معه قالت» هناك بعض الأشياء وأخذت نفسا عميقا قبل أن تواصل «أولا – أى تغطية للموساد توحى بكلام يحمل معنيين عن أى شئ محلى أو أجنبى. ثانيا أية محادثات هاتفية تأتى إلى السفارة تحمل شيئا مثل الإشارات الكودية حتى ولو من قبيل التخيل. ثالثا أية مكالمات هاتفية بين جماعات الضغط اليهودية – ايباك، أية دى ال – بيناى بريث إلخ.. إلخ – تتضمن تنسيق أنشطة انتخابية أو تأييداً لأى من المرشحين لأى منصب فى أية ولاية. رابعا أية تغطية خاصة لديفيد تيرون مسئول الموساد

فى سفارتهم. خامسا أى شئ من جهاز التنصت السمعى الوحيد الذى نحتفظ به فى مقر الإقامة التابع للسفارة.

قال جاك ببطء «أهذا كل ما فى الأمر»؟

واصلت بريندا «سادسا أية إشارة لأى اسم كودى أو مشروع خاص من أى نوع كان. سابعا أى إشارة لاسم بيتر. تاسعا أية إشارة لأجهزة مكافحة التجسس الأمريكية مثل مكتب التحقيقات الفيدرالى، الـ«سى أى ايه» إلخ. عاشرا أية إشارة للعاهرات هذا كل ما هنالك حتى الآن».

علق جاك ضاحكا «جنس عبر الهاتف؟ سنكون سعداء بتغيير مسار البحث» ولكنه أردف جادا هذا المرة «هل يعنى هذا أن الإسرائيليين متورطون فى قضية سورينسون؟ يا إلهى»!.

ردت بريندا جاك، وانتم جميعا - تحلوا بالصبر أننى أتعرض لكثير من الضغوط حتى الآن ليس بوسعى التعليق على أى شئ، فقط ساعدونى بأى شئ يساعدنى على تحقيق تقدم وسوف أطلب لكم جميعا ترقية ليس لديكم أية فكرة عن مدى التعقيد الذى ينطوى عليه الأمر.

أعاد جاك الشريط وراجع أسئلة بريندا، «هناك موضوعان لهما صلة بالنقاط التى أشرت إليها أولا حوار عاصف وقع الليلة الماضية الخميس الساعة ١١:٣٧ صباحا، محادثة هاتفية قادمة من إسرائيل مساعد مدير الموساد أتصل بديفيد تيرون على خط مكتبه المباشر كان المساعد يصر على أن الجنرال شتيرن يرغب فى تقارير يومية عن شئ ما أعتقد أنه نوع من الشفرة، أنه لم يكن واضحا وذكر أشياء ليس لها أى معنى بالنسبة لنا هنا، غير أن تيرون أنفجر غاضبا وأبلغ الرجل بأنه أرتكب حماقة لأنه يستخدم مثل هذه الإشارة أسكته وأمره بأن يبعث له ببرقية بالشفرة الخاصة به لم نعهد تيرون أبدا بهذه العصبية».

«هذا رائع حقيقى رائع دعونى أستمع إليه».

«لكن هذا الموضوع الآخر إشارة التقطها جهاز التنصت لصياح مماثل بين ما أعتقد أنه السفير وتيرون، يقول السفير «إنه يشم شيئا ما لا يحوز على رضائه فى الانتخابات ولم يشعر بالارتياح من رد فعل تيرون بل وهدد بأن يعمل على استدعاء تيرون ليعود إلى بلاده إذا ما خسر ويستليك».

«عظيم! أعطنى أيضا هذا الشريط، عمل رائع استمروا على ذلك، جاك ولكن استمروا فى التنصت على شخص ما يدعى بيتر ربما لا يظهر فى الشرائط الإسرائيلية، ولكن عندما تتمكنوا من ذلك راجعوا أية تسجيلات لأى شئ يتعلق بعمليات قتل. أعطونى أية أسماء تتضمن بيتر خاصة تلك التى تتعلق بعمليات قتل متعاقد عليها. أيضا أريد صورا لأى بيتر تجدون أن لها صلة بالإرهاب أو عمليات القتل التى يقوم بها محترفون مهما كان عمره. ربما يكون من جنوب أوربا أو البلقان».

«امنحينى وقتا سنعثر على بيتر الذى تبحثين عنه، وإذا ما حصلنا على أية معلومة من أصدقائنا عبر النهر سوف نتصل بك لتتوسطى لنا عند المدير، اتفقنا»؟

«اتفقنا والآن دعونى أستمع إلى المحادثة بين مساعد شتيرن وتيرون هل هى بالعبرية أو باليديية أو الانجليزية أو ماذا»؟

«أنها تنتقل ما بين الفرنسية والعبرية أحيانا يجمعان بينهما، ولكن العاملين الذين يقضون طيلة الوقت فى متابعة الخطوط الهاتفية للسفارة وتفريغ الشرائط يزعمون بأنها محادثة غير عادية من ناحية حساسية الموضوع - مهما كان الأمر - بالنسبة للرجلين. أعنى أننا نعرف أن تيرون قد يثور أحيانا ولكنه هنا هو رجل أصيب بالخبل - غاضب كما لو أن أحدا وقف فوق رأسه. كل ذلك لأن المساعد استخدم إشارة غير مباشرة لكلمة مشفرة أشار المساعد إلى بلدة فى الضفة الغربية. وقال تيرون إنه سيقتله لو قال أى شئ آخر. إنها حقيقة محادثة غير عادية. وأنت من خلال خبرتك من العمل معنا من قبل سوف ترين بنفسك هذا الآن على أية حال استمعى وأبلغينى برد فعلك - ولكن بالنسبة لنا من الواضح أن هناك شيئا بين تيرون ومقر قيادته وهو أمر نادر وحساس».

كان من الواضح أن بريندا قد بهتت من المفاجأة، بلدة فى الضفة الغربية، ابتسمت لنفسها هذا هو بصيص من دليل دامغ يؤيد معلومات الروس. وقفت فجأة اتجهت إلى مكتب تفريغ الشرائط الذى أعدوه لها قائلة «أريد أن أستمع إلى الشريطين على الفور».

وفى الوقت الذى كانت تتتابع فيه الكلمات من سماعة الرأس إلى أذنيها، توصلت بريندا إلى استنتاج مفاده أن مساعد رئيس الموساد بدأ فى استخدام الكلمة الكودية ولكن تيرون رصدها فور تفوه المساعد بها وحال دون حدوث كارثة بصياحه ومقاطعته المساعد. شعرت بالأسف وأخذت الأفكار تتضارب فى رأسها ولكن ذكر بلدة فى الضفة الغربية أمر طيب.

ثم استمعت للشريط الحساس من جهاز التنصت المثبت فى مقر إقامة السفير، ثار جدل بين السفير وتيرون نبع من عدم حماس تيرون لقلق السفير من هبوط شعبية ويستليك فى استطلاعات الرأى. أثار السفير مسألة سلبية تيرون من هذا الأمر، غير أن تيرون زعم أنه ليست لديه تعليمات خاصة بالعمل على انتخاب ويستليك أو أى مرشح آخر وأحتج بقوله إن الأمر يعود لمنظمة ايباك للقيام بهذا الأمر، «أسألهم».

«إذا لم تتحرك وتفعل شيئا سوف تعود إلى الوطن فى رحلة بضائع للعال فى شهر نوفمبر». قالت بريندا لنفسها نقطة مهمة.

رد تيرون بأنه مستعد للعودة إلى الوطن قائلا «لقد أصابنى السأم من الأمور التافهة التى تملأ سفارتنا» ثم كان هناك بعض التشويش تلاه «تقبيل مؤخرة الأمريكيين خمس مرات فى اليوم ليس فكرتى عن التخطيط الاستراتيجى».

وجدت بريندا أن هذه المحادثة تبدو غريبة ومبتذلة إلى حد ما. يمكن لتيرون أن يساعد ويستليك بصورة سرية على الرغم من نفيه لأى دور سرى فى الانتخابات. لقد ذكر الروس أن تيرون هو المسئول عن هيبرون ويبدو أن السفير الاسرائيلى على يقين من أن تيرون يلعب دورا ما بشكل سرى. وهو تفسير غير حاسم ولكن من الأفضل أن يتأهب مترجمو ومحللو شرائط التسجيلات على مدار الساعة تحسبا لأية اتصالات أخرى بين السفير وتيرون أو بين أى منهما وطرف ثالث.

لقد أكدت الشرائط ما تحس به الآن. هناك هيبرون على الساحة.

الفصل السادس عشر

واشنطن العاصمة
الأول من أغسطس

أنساب صوت جاي فان دين هوفن الودود المنفعل عبر الهاتف في أذن بريندا «لدى أخبار لك، ولكن يجب بحث الأمر وجها لوجه أليس كذلك؟»

توقف جاي لبرهة كما لو كان لا يعرف من أين يبدأ . «يجب أن تأتى لبروكسل، بريندا، هناك الكثير الذى بوسعنا أنا وانت عمله بهذه الفاكسات ورسائل البريد الاليكترونى».

ضحكت بريندا، وتذكرت جورج فى مكافحة التجسس الذى قال عنه انه حبيبها «ياله من تافه جورج هذا» «اتفقنا جاى، ولكن تأكد من أن هذه المعلومات تستحق وجودى».

جالت بنظرها فى مكتبها وهى تشعر بانقباض. جبال من الملفات البنية على مكتبها، كلها تتعلق بسورينسون وتلك البلدة الواقعة فى الضفة الغربية.

وكل يوم تنمو هذه الملفات سواء من حيث عددها أو سمكها. هناك ملفات عن قتلة معروفين وآخرين مشتبه فيهم. وملفات عن عاهرتين، واحدة ميتة وأخرى غير معروف مكانها، ملفات عن حارس السفارة الذى مازال الشاهد الوحيد فى القضية وملفات عن كل عملية قتل نفذها محترفون تنطوى على أهمية سياسة خلال الأعوام الخمسة الماضية.

وأضيف لهذا الحشد ملفات للصادر والوارد من الرسائل التى نجمت عن بحثها وقد تم ترتيبها زمنيا. وهذا الكم من الأدلة الخام التى يتعذر تقديرها تستحق حماية خاصة. وقد طلبت بريندا قفلا لوضعه على الباب بأرقام غير معروفة لأحد سواها هى والمحللة كريستينا. ولشعورها بعدم الارتياح لترك مثل هذه الملفات الضخمة والحساسة فى مكتبها كانت بريندا تغير من أرقام القفل كل يوم جمعة مع نهاية عملها.

وكما قال جاى فإن المحققين الرئيسيين ليس بوسعهم عمل الكثير وهم على بعد آلاف الأميال عن بعضهم البعض. وقد انقضى بالفعل شهران من التحقيقات المكثفة عبر الأطلنطى أثمرا عن تلال من البيانات ولكن القليل منها الذى قرب بريندا من حل لغز القتل. فلم تخرج سوى بتخمين ونظرية ولا شىء أكثر.

واستجابة لطلب جاى، وعدت بالسفر فى غضون أسبوع ومهما كان التطور الذى تحدث عنه فإنها تبتهل من أجل أن يؤدى إلى تحقيق الانفراجة التى تسعى وراءها. وقد عقدت العزم على أن يظل هيبرون حتى وهى فى بروكسل على قمة أولوياتها ولكن على ألا تكشف عن أى شىء لجاى.

بروكسل في الخامس من أغسطس

رن جرس الهاتف بعد نصف ساعة من وصول بريندا للفندق «مرحبا بعودتك. قابلينى فى الساعة الخامسة، اتفقنا؟ أريد دعوتك لمطعم جديد اكتشفته. ستحبينه، المطعم المغربى حيث سنجلس على الأرض ونشرب شاى بالنعناع. والكسكسى رائع جدا».

نظرت بريندا بأسف إلى ملابس السفر العادية التى مازالت موضوعة أمامها، بذلتان وأربعة قمصان وفستان سهرة «ليس لدى أى شىء بسيط للغاية يصلح لهذه المناسبة».

ضحك جاى قائلا «لا تقلقى حال ما سترتدين، تعال إلى مكتبى فى شارع دى كواتر

براس. سأنتظرك تذكرى رقم ٥٤ الطابق العلوى».

****

يقع مقر الشرطة القضائية لبروكسل فى مبنى حديث مشيد من الزجاج والصلب وهو يشبه أى مبنى تجارى فى نيويورك . قالت بريندا فى نفسها وهى تنتظر المصعد «لا يناسب جاى هذا المبنى، يجب أن يكون مكتبه فى قصر للعدالة يتسم بالضخامة وينتمى للطراز الكلاسيكى».

غادرت المصعد فى الطابق العلوى. سارت بضع خطوات فى الردهة، طرقت باب جاى، ابتسمت وهى تنظر إلى اللوحة المثبتة على الباب – حيث حفر اسمه ولقبه بحروف قوطية على قطعة نحاسية. أناقة بالغة. فتح لها الباب فى الحال ورحب بها بحرارة «بريندا الرائعة»! تعال من هنا، من فضلك» وقادها إلى غرفة اجتماعات صغيرة ملحقة بمكتبه. كانت الأوراق مكدسة فى كل مكان – على عتبات النوافذ على الأرضيات، على الموائد، على المقاعد.

فى الطرف الأقصى من الغرفة كانت هناك شاشة كبيرة معروض عليها صورة فوتوغرافية مكبرة لرجل ضخم الهيئة بشارب كث يجلس على قهوة فى أحد الشوارع الجانبية. وفى اللحظة التى تم فيها التقاط الصورة كان البخار يتصاعد من قهوة رفيقه الملتحى الصارم الملامح. ووجه الرجل الآخر الذى تخفيه جزئيا نظارة شمس يوحى بأنه شخصية غامضة من الشرق الأوسط.

خمنت بريندا بأنه إيرانى.

ظلت نظراتها معلقة بالصورة، سحبت مقعدا وجلست على بعد عدة أقدام من الشاشة، وفى الوقت الذى كان فيه جاى يتابع تعبيرات وجهها المستغرق فى التفكير استدارت وتطلعت إليه وقد رفعت حاجبيها قليلا. وأومأ برأسه وابتسم فى عينيها اللامعتين وغمز بعينه، أحمر وجهها وقد شعرت بالارتباك، غير أنها أدركت ما تنطوى عليه الصورة. فقد عثر جاى على مفتاح للقضية . همست «جاى هل عثرت عليه .. بيتر؟»

«ربما من عامين» وبدأت جاى فى تفسير ما يقوله «لقد وزعت وزارة الداخلية الفرنسية الصورة على أجهزة الشرطة والاستخبارات فى بعض الدول الغربية. إدارة الصور فى مكتب التحقيقات الفيدرالى لابد أنها تحتفظ بواحدة منها. غير أن الفرنسيين لم يتلقوا ردا من أحد».

قاطعته بريندا قائلة «بوسعى أن أتحقق من ذلك بسهولة».

سار جاى خطوات ليقترب من الشاشة وأشار إلى الرجل الملتحى» «التقرير الفرنسى الذى أرفق بالصورة يحدد الرجل على أنه ممثل الحرس الثورى فى السفارة الإيرانية فى باريس، انه إرهابى مشهور يعرف باسم قوير. أنه يخطط ويشرف على جميع عملياتهم فى باريس حتى هذا اليوم».

قالت بريندا وقد راودها الأمل وهى تميل إلى الأمام مشيرة إلى الرجل ذى الشارب «والآخر؟ دعنى أخمن، انه قد يكون» غير أن جاى سبقها بقوله وابتسامته آخذة فى الاتساع «وفقا للتقرير الفرنسى، يزعم النادل فى القهوة أن قوير نادى الرجل ببيتر. ولكن نظرا لأن أيا من أجهزة الشرطة الأجنبية لم ترد على التقرير فإننى قد حفظته فى ملف قوير، لأنه هو الوحيد الذى تم التعرف عليه. وهذا ما يفسر لماذا استغرق الأمر منى هذه الفترة الطويلة للعثور عليه. كنت أقضى كل ليلة منذ أن تركتينى آخر مرة أبحث عن التقارير والصور وأقوم بالتحقق مرة ومرتين. وربما نكون قد عثرنا عليه الآن!».

«ولكن ما الذى يجعلك تعتقد انه بيتر الذى نبحث عنه؟»

قال جاى وقد عاد إلى مقعده «إذا كنت تتذكرين فإن جيرارد هو الذى أخبرنا بأن واحدة من المرأتين اللتين جاءتا تلك الليلة نادت الرجل صاحب الشارب ببيتر. «وأعطى بريندا نسخة من الصورة» وفور أن عثرت على التقرير الفرنسى، عرضت الصورة على جيرارد الذى تعرف على الشخص بأنه بيتر الذى كان مع سورينسون قبل عدة أيام من مقتله»، وبدا جاى معجبا للغاية بنفسه وتطلع إلى بريندا وهى تصيح «جاى. انك شخص عظيم!».

أسرعت بريندا تضيف وقد احمر وجهها قليلا من الانفعال «أوه . ولكن هذا ليس من قبيل عمل المحترفين. أليس كذلك؟ ولكن ... بحثك الذى يهتم بكل التفاصيل مشهور فى عالمنا. والآن فإننى أرى الأمر بعيونى. إيران...».

رد جاى «وهذا ما يفسر لماذا أسقط القاتل قصاصة ممزقة من صحيفة عراقية فى حديقة السفير لنركز اهتمامنا على العدو اللدود العراق».

«هذا صحيح».

وبينما كانت بريندا تستوعب فى ذهنها مسألة اكتشاف الصورة وتداعيات التعرف على صاحبيها، واصل جاى وقد ازدادت حمرة وجهه «تذكرين أن جيرارد أكد أن العاهرة القتيلة كانت مع سورينسون فى الليلة نفسها التى كان بيتر موجودا فيها».

«ولكن ليس لدينا بعد أية معلومات موثوق بها. المرأة الأخرى؟ تلك التى عادت فى الليلة التى قتل فيها سورينسون؟»

«مع الأسف لا نملك مثل هذه المعلومات، بريندا، ربما قتلت هى أيضا، ولكن إذا لم تكن قد قتلت فإنه من المحتمل انها تعمل الآن مع بيتر، ولذا آنسة بريندا فإن تخمينك بأن الفتاة التى كانت فى مقر السفير الليلة التى قتل فيها لها صلة مباشرة بالاغتيال ربما تثبت صحته».

أقرت بريندا ذلك من خلال ابتسامة لطيفة «شكرا، شريكى العزيز، ولكن مازال الوقت مبكرا للقفز إلى نتائج. ولكن بالتأكيد قطعنا خطوة مهمة بعثورنا على هذه الصورة ومعرفة شخصية الرجل المحتملة.»

رفعت بريندا رأسها وشردت بنظراتها وقد استغرقت في التفكير محاولة تحليل هذه المعلومات. وقالت دون أن تتحدث لأحد على وجه التحديد»، و«لكن مجرد أن هذا المدعو بيتر كان يتحدث إلى إيراني لا يبرهن على أنه عمل لحسابهم في عملية مقتل سورينسون. حتى ولو ثبت انه القاتل، فالفرق كبير، فهو مجرد قاتل محترف، والله وحده يعلم من كان يعمل لحسابه عندما أنهى على حياة سورينسون».

رد جاي وهو يحاول جذب عيون بريندا في اتجاهه «حسنا، هذا حقيقي، ولكن على الجانب الآخر، فإنه بامتلاكنا لهذه الصورة، يجب علينا أن نفكر في الإيرانيين كمتورطين محتملين في مقتل سورينسون».

قاطعته بريندا «جاي، نحتاج بشدة إلى وضع أيدينا عليه، سوف يقودنا إلى الذين يقفون وراء مقتل سورينسون، إذا كان هو حقيقة الرجل الذي نبحث عنه، دعنا لا نرسل هذه الصورة إلى الانتربول. لا أريدها أن تقع في أيدي دول إرهابية، فدائما مع عزيزنا الانتربول لا كتمان للسر. ولكن نرسلها على وجه التحديد إلى جميع أجهزة الشرطة والاستخبارات في دول الناتو وإلى الروس».

رفعت بريندا يدها اليمنى ووضعت راحتها في اتجاه صورة الإيراني. وفحصت الصورة لثوانٍ قليلة قبل أن تقول لجاي. «أرى أن تخفي جانب الصورة الذي يظهر فيه قوير. سنوزع صورة بيتر فقط. كإجراء احترازي في حالة لو وقعت الصورة في نهاية المطاف في أيدي غير صديقة».

رد جاي «نعم، تفكير صائب، ليست هناك حاجة ملحة لتحذير الإيرانيين بأن لدينا صورة لرجلهم وهو يحتسي القهوة مع أحد القتلة الذي يعملون لحسابه! سأعمل على الفور على الحصول على موافقة من وزارة الداخلية الفرنسية لتوزيع الصورة على دول الناتو والروس ». وأسرع إلى المكتب الملحق حيث يمتلك خطا مباشرا بنظيره الفرنسي.

ولدى عودته إلى غرفة الاجتماعات بعد بضع دقائق قال جاي «حسنا، عزيزتي ، لقد حصلت على موافقة الفرنسيين على توزيع جزء الصورة الذي يظهر فيه السيد بيتر. والمفاجأة، المفاجأة أن أصدقائي الفرنسيين ليست لديهم أية مشكلة إزاء إرسالنا نسخة من الصورة إلى الروس، ومن ثم فإنها سوف ترسل إلى وزارة الداخلية في موسكو في غضون ساعة. وكذلك إلى أجهزة الناتو ومكتبكم في واشنطن وأولاد أعمامه في الـ«سي.آي.أيه».

ونظرا لاحتفاظ تعبيرات وجهها بملامحه الجادة التي لم يشاهد جاي مثلها من قبل، أعتقد أنها لم تلحظه عندما غمز لها بعينيه وهو يقول جملته الأخيرة. وهي بالفعل لم تلحظ شيئا فقد أسرعت قائلة «حسنا، بطلي العزيز دعنا نبدأ ذلك على الفور. سوف أتصل بمكتب التحقيقات الفيدرالي وأطلب منهم العمل على الفور في دراسة جميع عمليات الاغتيال الدولية خلال السنوات الخمس الماضية. أريد أن أعرف ما إذا كان بوسعهم

وصل إلى أى تطابق أو مؤشرات لأساليب مماثلة لتلك التى يتبعها بيتر. ربما كانت له
يقة يستخدم فيها النساء الجميلات للوصول إلى هدفه. فى الحقيقة هذه الطريقة تذكرنى
ى حسن سيىء السمعة».
غمغم جاى «أيلول الأسود. هه؟»
وقفت بريندا واتجهت إلى الشاشة، تدقق عن قرب فى صورة بيتر، جاى لا أعرف ما
كان لديك زملاء وثيقى الصلة بك فى أجهزة الأمن اليونانية ولكن حدسى يقول لى إن
ا الرجل يونانى - لون بشرته، مظهره العام. لقد قضيت عطلتى صيف هناك وأنا مازلت
بة. على الأقل حاول التحقق من ذلك».
«بالتأكيد لدى صديق قديم هو الآن نائب وزير الداخلية فى أثينا. سأطلب منه تزويدنا
لومات التى تحتاجينها. بريندا الرائعة أنا أصدق حدسك».
لاحظت أن جاى كان حريصا على معرفة ما إذا كانت قد التقطت لمسة الغزل فى
رته الأخيرة. غير أن تركيزها كله كان منصبا على صورة بيتر تحاول نسخها فى
رتها.
قالت «شكرا، زميلى!» واستدارت حيث سارت خطوات حتى واجهته وبحمرة خفيفة
غت وجهها الجاد، أضافت « لا أريد لأى شىء أن يؤثر على خطتى بالعثور على المفتاح
قيقى للمأزق الذى نحن فيه. العاهرة الأخرى، هل ماتت هى أيضا أم ..» اتجهت إلى
ب موجهة نظرة تحدٍ لجاى.
وصرخ وهو يقفز من مكانه «هذا ما سنفعله، بريندا ، سنعثر عليها مهما تكن وأينما
ن».
قالت بريندا وقد ارتفع صوتها هى أيضا «إذا كانت تتمتع بالذكاء، ولابد أنها كذلك
حل. فإنها سوف تختفى تحت أنوفنا مباشرة. ربما تكون هناك بالفعل أو هنا بالفعل»
هذه المرة عن غير قصد تقريبا كانت هى التى تغمز بعينيها.

الفصل السابع عشر

واشنطن العاصمة
الأول من سبتمبر

كان يوما سيئا لعضو مجلس الشيوخ عن نيوهامبشاير ومرشح الرئاسة الجمهورى، بل كان يوما سيئا للغاية، فقد خسر الجولة الأخيرة من مباراة الجولف أمام الرئيس الذى لايتمتع بصحة طيبة، لم يخسر فحسب وإنما منى بخسارة فادحة، إنه يكره الخسارة سواء فى لعبة الجولف أو لعبة السياسة أو أية لعبة أخرى.

كلمة الخسارة لا موضع لها فى أسرته أو فى قاموسه الشخصى، كان جده الأرستقراطى عضوا فى مجلس الشيوخ وحاكما لولاية، ووالده أدميرالا، ومنذ أن كان تلميذا فى المدرسة الإعدادية فى كواتيه كان يلعب بجدية ويذاكر بجدية تماما مثل أسلافه، لم يكن يتوقع منه ماهو أقل من ذلك، ودائما ماكان يقول لنفسه كان عالم قديم، عالم آخر.

ولكن فجأة لايبدو أن شيئا يمضى فى طريقه الصحيح، منذ أسابيع قليلة كان واثقا لحد كبير من الانتخابات القادمة، ولكن تغير الأمر، وكيف كان يمكن للأمور أن تكون أيسر من ذلك، فقد أكد له الرئيس أنه ليس عليه أكثر من الترشيح لهذا المنصب والحزب سيقوم بجمع الأموال التى يحتاج إليها بل وربما أكثر، وبدا الأمر بمثل هذه السهولة.

والآن فإن استطلاعات الرأى الأخيرة تشير إلى أن كلا من ويستليك والمفاجأة الأكبر كرامر يقتربان منه، تقريباً خطوة بخطوة، فى البداية شعر جونسون بأن خوض الانتخابات بناء على اختيار الرئيس سوف يتيح له الإبحار بسلاسة حالما حصل على ترشيح الجمهوريين، ولكنه أدرك الآن أنه فى حاجة إلى أكثر من مجرد مباركة الرئيس، إنه فى حاجة إلى أن يبرز نفسه ويوجه ضربة قاضية.

أحضر سايسْ ساحة انتظار النادى الريفى سيارة السيناتور، جلس جونسون على مقعد القيادة وأغلق الباب وضغط على بدالة البنزين، ابتعدت السيارة الكاديلاك ذات اللون الأزرق الداكن وبعد دقائق كانت تقترب من منزل جونسون المؤلف من ثلاثة طوابق الذى يشبه الطراز الفيكتورى.

كان وجود عدد من السيارات الأجنبية الصنع يعنى وجود أصدقاء زوجته فى لعبة البريدج فى الداخل.

صعد درجات السلم المؤدية إلى الباب وهو يصب اللعنات على نيقولا ورفقائها ولعبة البريدج والنساء عموما، كان دائما يتبرم من كونه السيد الأرستقراطى فى مجلس الشيوخ الأمريكى، ولكن داخله كان يسلم بذلك، كان أيضا شوفينيا متحمسا.

فى الردهة الأمامية وضع حقيبة أوراقه وعلق معطفه على الحامل ورسم ابتسامة مصطنعة على وجهه وهو يهم بدخول الصالون.

صاحت نيقولا «عزيزى» وأسرعت للترحيب به بمبالغة ظاهرة «جئت فى وقتك تماما،

كنا على وشك فتح زجاجة شامبانيا أخرى، أنت تعرف هؤلاء الفتيات».

حيا جونسون السيدات بابتسامة مهذبة من قبيل ابتسامات العلاقات العامة.

«كيف حالكن أيتها السيدات اليوم؟، في أفضل حال كما أعتقد؟».

كانت واحدة من هؤلاء السيدات جذابة للغاية وقد احمرت وجنتاها مما أضفى عليها مزيدا من الحسن، عندما بدأ مرشح الرئاسة يتحدث سمح لنظراته بأن تستقر لثانية أو ثانيتين على قوامها الذى يشبه قوام عارضات الأزياء قبل أن يحول انتباهه إلى زوجته التى كان يبدو وجهها أيضا متوردا قليلا ولكن لسبب يشك فى أنه مختلف تماما، فقد خمن وهو يلعن فى سريرته أن هذا ليس هو أول كأس لها اليوم، يجب عليه أن يحد من إقبالها على الشراب إلى أن تنتهى الانتخابات، وخاصة عندما تكون الأضواء العامة مسلطة عليها.

سأل من قبيل العادة «الأولاد هنا؟»، أطلقت نيقولا ضحكة مكتومة وهى ترقب صديقاتها قائلة له «إنهم فى درس الكمبيوتر لتعلم البرمجة، متى ستتذكر جدولهم عزيزى».

تزايدت لعناته الداخلية، هز جونسون، الذى يشعر الآن بالغيظ، كتفيه غير مكترث وسار إلى البوفيه ليصب لنفسه كأسا كبيرة من الفودكا على مكعبات الثلج، وهو يعصر الليمون لاحظ وجه نيقولا التى غالت فى وضع المساحيق عليه، «سيداتى، معذرة لا أريد إزعاجكم، لدى بعض الأعمال المكتبية ينبغى انجازها»، وانحنى انحناءة خفيفة قبل مغادرة الحجرة.

«عزيزى، يجب أن تراجع رسائلك أيضا، هناك ثلاث رسائل على الأقل منها واحدة من البيت الأبيض، دكتور روسيل يبدو إنها مهمة».

وغمزت له دون اعتبار للكياسة مهووسة بفكرة أن تصبح السيدة الأولى.

دخل جونسون وهو يهز رأسه متنهدا بارتياح إلى مكتبه وأغلق الباب، الرسالتان الأولى والثانية كانتا مهمتين، لقد أصر بيل روسيل مرتين أنه يريد رؤيته فى أسرع وقت ممكن.

أنهى روسيل رسالته الثانية بقوله «لاتقلق، جورج، أنها أنباء طيبة».

بفضول جارف اتصل جونسون بالخط المباشر، رفع روسيل السماعة على الفور كما لو كان فى انتظار المكالمة.

جاء صوته مندفعا لاهث الأنفاس «جورج، أمر طيب انك اتصلت اسمع.. عندما كنت فى أوربا قبل ثلاثة أشهر زرت صديقا لى من الشرق الأوسط، أعطانى شيئا أعتقد أنك ستجده مفيدا للغاية فى حملتك الانتخابية، لم تكن لدى النية للإفصاح عنه، ولكن إذا ما

كانت ماتقوله استطلاعات الرأى حقيقياً.....».

ووهن صوته وبدا عليه الإحراج، قال جونسون بتحد «أرى ذلك، وأعتقد أن ذلك كل ما ستقوله على الهاتف؟!.

«ثق بى هذه المرة، أقترح أن نلتقى فى الصباح، فى الساعة التاسعة ، اتفقنا؟».

«حسن، أيمكنك أن تأتى إلى مكتبى فى مجلس الشيوخ؟، مع بلوغ الحملة الانتخابية ذروتها، يتعين علىّ أن ألقى كلمات وأن ألتقى بالعديدين، وبرنامجى حافل ولذا لن يكون هناك تسجيل رسمى لزيارتك ولكن إذا ذهبت أنا إلى البيت الأبيض.....».

«موافق، عندئذ ومع ملفى سوف يكون لديك المزيد للقيام به!، أراك فى التاسعة».

حاول جونسون أن يعود إلى الكلمة التى سيلقيها فى المؤتمر الصحفى فى اليوم التالى، كان متعبا ومتوترا، وبعد دقائق قليلة من المحاولات الفاشلة لإنجازها ألقى بالأوراق والتقط صحيفة «الواشنطن بوست»، ووفقا لأحد مقالات الصحيفة الافتتاحية فإن موقفه من الرعاية الصحية والمساعدات الأجنبية كان يجتذب التأييد، ومع ذلك فإن الصحيفة مضت فى القول بأن وجهات نظر السيناتور السابق فيما يتعلق بالسياسة الخارجية غير متسقة، وهو أمر يجب أن يشعر الشعب الأمريكى بالقلق حياله، وحذر الكاتب من أن السيناتور جونسون سوف يواصل على الأرجح خط الرئيس دوجلاس المتشدد تجاه إسرائيل.

غمغم جونسون «اللعنة لم يكن يبدى احتراما كبيرا لوسائل الإعلام على الرغم من أنه يحاول جاهدا باستمرار إخفاء ذلك، وهو يعتقد أنه نجح فى ذلك، وتساءل متعجبا عن الكيفية التى يرونها بها، يبدو أنهم يكتبون عنه بصورة رصينة للغاية.

تردد صوت إغلاق الباب الأمامى، وسمع صيحات نيقولا وضحكات الشبان تتردد فى المنزل، لقد عاد إبناه. ترك جونسون عالم السياسة المعقد جانبا آملا فى أن يجد بعض الوقت النادر للانفراد بهما وذهب للترحيب بولديه جورج وبود.

* * * *

فى الساعة التاسعة تماما من صباح اليوم التالى رافقت السكرتيرة التنفيذية للسيناتور جونسون بيل روسيل إلى مكتب السيناتور.

وعندما غادرت المكتب وأغلق الباب وراءها اتجه السيناتور إلى صالون مكتبه داعيا روسيل للإنضمام إليه «جورج لقد أعطانى صديقى الشرق أوسطى واسع الإطلاع هذا الملف منذ أسابيع.. إنه .... حساس، حساس للغاية، لدرجة أننى لم أكن متأكدا فى البداية ما إذا كنت سأخبر أحداً به، ولكن نظرا لأن ويستليك قد أحرز تقدما وحتى كرامر، يقترب كلاهما منك، فإنه ربما بوسعك الآن أن تستغل هذه المادة لتحقيق بعض

الفـائدة، لأسـبـاب واضـحـة، لم أطلع الرئيس عليـه، هذا أمـر شـخـصـى بينى وبينك، اتفقنا؟».

فتح جونسـون المظروف وأخرج الوثيقـة التى تحمل عنوان «حيـاة ويس ويسـتليك، السيناتور الأمريكى الخاصة وغرامياته».

تساءل: «أهذه دعابة بيل؟».

«اقرأ صديقى ، إنهـا ليست دعـابة، إنهـا ديناميت هذه الخريطة المفصلة لحيـاته الجنسية، يمكن أن تدفع بويستليك خارج السباق إذا لعبتها بصورة صحيحة، أنا واثق من أن رجالك فى وسائل الإعلام بوسعهم ترتيب ذلك».

«حسنا ، بيل، شكرا ، دعنى ألقى عليها نظرة، ولكن من أين أقول إننى قد حصلت عليها؟».

من صديق أوربى رفض الإفصاح عن هويته، قل بالحرف الواحد، لقد سلمت إلى من جانب سيدة أوربية، يجب علىّ أن اغادر الآن، حظ سعيد، وتذكر ـ الرئيس لايعرف أى شىء عن ذلك، يجب ألا نورطه، إنه مريضٌ للغاية».

«حسنا»، تساءل عما إذا كان هذا المظروف سيكون العصا السحرية التى ستدفعه إلى صدارة السباق، ولكنه لم يكن راغباً فى لعب هذه الورقة مبكرا ، يجب لعبها بشكل صحيح، ولكن بواسطة من؟، فجأة جاء له الخاطر، إنه يعرف الرجل المناسب تماما.

* * * *

على بعـد أميال فى أرلينجتون كان السيناتور ويس ويسـتليك مرشح الرئاسة عن الحزب الديمقراطى يعبث بأصابعه فى شعره، كـان جسده يهتز من الغضب، كان جالسا على حافة فراشه يجأر فى الهاتف.

«متى أتصل بك ابن الزانية هذا؟».

«منذ بعض الوقت، ولكن بالطبع لم أتفوه بكلمة».

قال وهو يصك على أسنانه «هل أنت متـأكدة جيرى؟، إذا كنت فعلتى ذلك صدقينى سأدق عنقك».

«قلت لك، حبيبى، ولا كلمة واحدة، ولكن قل لى، كم بالضبط يساوى بالنسبة لك أن استمر فى إغلاق فمى؟».

«ماذا؟» وصل صـيـاحه إلى حد العـاصفة «آيتهـا العـاهرة! لا أستطيع تصديق ما أسمعه هل تحاولين ابتزازى!، بعد كل هذا الوقت، وهل هذا كل ماكان يربط بيننا»؟.

فى شقتها الصغيرة فى روكفيلى مرتدية فقط روب منزلى شفافاً أبعدت الفتاة ذات الشعر الأحمر سماعة الهاتف وغمزت للرجل الجالس إلى جوارها على الفراش، أومـا

الرجل لها وابتسم مشجعا إياها على الاستمرار فى الوقت الذى كان فيه جهاز التسجيل المتصل بهاتفها يسجل كل كلمة.

«الابتزاز كلمة كريهة عزيزى».

«ربما تكون كريهة ولكنها حقيقية، أليس كذلك؟ كم تريدين؟».

«عزيزى، حسنا نظرا لأننى أشعر بالاستياء من الطريقة التى تخلصت بها منى، فإن مبلغا صغيرا لنقل خمسين ألف دولار، سيكون مناسبا».

«سأقابلك أمام الأوبرج فى الساعة ٦,٣٠ من مساء الغد، المبلغ سيكون داخل صندوق من الشيكولاتة جوديفا، التى سأعتقد باعتبارى غريبا أنك قد نسيتيه، لن نتبادل أية كلمات، هل فهمت؟».

ردت «اتفقنا، الغد حينئذ، أيها المتصابى».

وضعت سماعة الهاتف والتفتت إلى زائرها الذى رفع إصبعه بعلامة النصر وهو يفصل آلة التسجيل من قاعدة الهاتف.

تساءل الرجل وهو يضغط على ركبتها برفق بيده اليمنى «وبهذا، طفلتى كم اخذتى من هذا الرجل»».

«بما فى ذلك المرأة النمساوية؟، عشرون منها والآن خمسون منه، سبعون ألفا مبلغ معقول!، دائما ماكان يعاملنى كمومس، والآن سينال مايستحقه، تماما عندما لم يكن ينتظر هذا».

وضع الرجل جهاز التسجيل الصغير والأسلاك وكل مامعه من حقيبته الصغيرة، وأخرج مظروفا من أوراق المائة دولار الجديدة وأعطاه لها!! «هذا لك ليصل المبلغ إلى ثمانين ألفا، وانتظرى حتى نصوره وهو يسلمك الشيكولاتة!، سيكون الأمر عظيما مع هذا الشريط، آسف سوف نضطر إلى توريط الشيكولاتة المسكينة، شيكولاتة عظيمة، إلى اللقاء وأتمنى لك يوما سعيدا».

«يا للجحيم» قالها ويستليك لنفسه وهو يذرع غرفة نومه بينما يحاول دون جدوى أن يفكر بهدوء «يا لها من عاهرة، أهذا ما احتاجه الآن».

فتح باب خزانته وأدار أرقامها السرية وأخذ مظروفا كبيرا سحب منه خمس رزم من أوراق المائة دولار، خمسون ألف دولار تماما، أخذ صندوق شيكولاتة جوديفا كان يحتفظ به فى الدرج العلوى لخزانته ووضع فيه رزم الدولارات بشكل منظم لتسليمها فى اليوم التالى، أنه من المؤلم رؤية كل هذه الصور لبنيامين فرانكلين المطبوعة على المائة دولار وهى تختفى بهذه الطريقة، ولكن عندما يتعلق الأمر بتعرض سيطرتك على الأمور للخطر فإنه ليس بوسعك أن تكون بخيلا أو حسنا، ليست هناك مشكلة لايمكن

حلها من خلال نثر الأموال عليها، كان والدى يقول دائما ذلك».

وفور أن انتهى من استعداداته، حاول أن يضع الأمر كله خلف ظهره وأن يعود للعمل، للمرة الثالثة خلال اليوم قام بتحليل نتائج استطلاعات الرأى التى قدمها له مستشاره السياسى، الأرقام كانت بمثابة لطمة قوية، إذ أنه على الرغم من التقارير المتفائلة المستمرة من مدير حملته والإسهامات التى جاءت فى اللحظة الأخيرة، فإن الاستطلاعات توضح أنه ومنافسه الجمهورى متقاربان للغاية. وأن كرامر المرشح الزائد الذى يدفعه حماه المحافظ فى نيويورك يقترب منهما سريعا، لم يكن كل هذا يخطر على البال عند انعقاد مؤتمر الحزب فى منتصف يوليو، حينذاك لم يكن يعتبر جونسون تهديدا خطيرا ناهيك عن المنافسة الخطيرة من مرشح الحزب الثالث الجديد وإن يكن جمهوريا متمردا.

كان أمرا مثيرا للأعصاب، قرر العمل خلال الليل، سيقوم بتحليل البيانات ليعرف بالضبط ما إذا كان هناك خطأ ما يتعلق به أو ما إذا كانت حملته فى حاجة إلى مزيد من الأموال، إنه يملك المال نقدا وبوفرة ولكن من الواضح أنه لايستخدم بصورة فعالة، لابد أن هذا هو السر، ورفع سماعة الهاتف وفتح النار على مدير حملته.

بروكسل

كان جاى فان دين هوفن يقرأ مرة أخرى ما أخرجته طابعة الكمبيوتر الذى وصل الآن إلى العديد من الصفحات، كانت الأوراق تتضمن بيانات دقيقة ومفصلة لكل تطور منذ تلك الليلة من شهر مايو التى قتل فيها السفير الأمريكى، ولكن لم يحصل على مايريده، ضوء فى نهاية نفق التحقيقات.

الأمران اللذان حققا فيهما تقدما حتى الآن لم يساعدا بعد على حل القضية، الأول هو حقيقة أن العاهرة القتيلة وفقا لجيرارد كانت إحدى الفتاتين اللتين زارتا سورينسون قبل أيام من وفاته، والثانى هو التعرف على صورة مرافقهما وهو قاتل مشتبه فيه يدعى بيتر.

وبتهور، اتصل جاى بالرقم الشخصى لشتراوس من واشنطن وبعد ثلاث دقات قصيرة رد صوت يغالبه النعاس:

«بريندا، أنا جاى مازالت نائمة؟ اسمعى.. هل لديك أخبار لى من الناتو، أو أية مصادر أخرى؟».

نظرت بريندا بعيون شبه مغلقة إلى المنبه بجوارها وهى تغالب النوم، كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة وست دقائق.. ربما كانت تعرف ذلك فإن جاى لافائدة معه عندما يتعلق الأمر بملاحظة الفرق فى التوقيت عبر الأطلنطى، قالت «لا، ولكن اليوم

ربما يكون اليوم الموعود».

«حسناً، حسنا، أنا لدى أيضا هذا الإحساس الرائع، بريندا المتألقة، لقد قمت بفحص وإعادة فحص كل شاردة من الأدلة، وعندما ينتاب جاى هذا الإحساس، فإن جاى يعرف أنه على صواب!، من الآن يجب أن يكون لدينا شيء ما ملموس ، لقد تحدثت إلى الروس وانتابنى احساس آخر وهو انهم يعرفون شيئا ما، إنهم عندما لايوجهون أية أسئلة تنتابنى الشكوك، هل مازلت معى عزيزتى».

غطت بريندا سماعة الهاتف بيدها وتثاءبت ثم قالت «نعم أنا أتابع ماتقوله».

«حسناً، لم يوجه الروس أية أسئلة، ولكن الروس دائما مايوجهون الأسئلة! ولذا إذا كانت هناك صلات مع ايران، فلابد أنهم يعرفون، لديهم مصادر جيدة هناك، لماذا لايقولون شيئا لى؟».

«نعم، جاى، أنت محق فى ذلك».

«قررت رؤية صديقنا جيرارد مرة أخرى، ربما، كما تقولون أيها الأمريكيون، لقد قفزنا إلى استنتاجات عن الفتاة الثانية، وقد مر وقت طويل الآن وهى لم تصل إلى المشرحة، إن نظريتك عن عنصر نسائى ساعد فى القتل أو حتى كان هو القاتل يحتاج إلى مزيد من التحريات، أليس كذلك؟!.

«ياه، هذا نهج جديد، جاى، الفتاة الثانية، الآن لماذا لم أفكر فيه؟».

«نعم، نعم، بريندا، لاداعى للتهكم من فضلك، لقد كنت محقة منذ البداية، ربما ، أعتقد أنه يجب الآن أن نتعقب العاهرة رقم ٢ .. أليس كذلك؟».

وأضاف وهو يمزح ضاحكا «أترغبين فى التردد على البارات معى بريندا؟».

وتحدثا عدة دقائق أخرى، واتفقا على الاتصال مرة أخرى بعد أربع ساعات. ضغط جاى الذى كان يشعر بالنشوة على الزر لاستدعاء سكرتيرته وهى شقراء بسيطة المظهر لها صدر ضخم وهى مولعة بارتداء الجونلات القصيرة الضيقة، طرقت فرانسواز بخفة على الباب قبل أن تدخل ومعها مفكرة فى يدها، وهى على غرار معظم النساء الأخريات فى مقر قيادة الشرطة القضائية، كانت مفتونة بسحر جاى وكان يعرف ذلك، ويستمتع بعلاقة الغزل معها. وهى علاقة لن تقود إلى أى شيء من جانبه ولكنها المسئولة عن توهجها معظم الأيام باستعدادها لتلبية رغباته متى أراد ذلك.

قال لها «من فضلك اتصلى بجيرارد حارس مقر إقامة السفير الأمريكى، ابلغيه بأننى سأكون عنده فى غضون نصف ساعة، الرقم موجود فى ملف سورينسون».

«نعم، سيدى، هل هناك شيء آخر؟».

«لا شيء، الآن، شكرا، عزيزتى ولكنى سأكون على اتصال بك قبل أن تغادرى لمعرفة

ما إذا كانت هناك أية رسائل».

«حسناً»، وكتبت ملاحظة فى أوراقها واستدارت لتغادر المكتب، استمتع جاى بالتطلع إلى مؤخرتها الصغيرة الجميلة وهو يدرك أنها تعرف ذلك، قال لنفسه «لايمكن أبدا أن أعمل فى الولايات المتحدة، إنهم يعملون جيدا ولكن اين المتعة؟.

جمع أوراقه، تأكد من وجود جهاز تسجيله الصغير فى جيب معطفه وغادر مكتبه، إن سيارة بدون لوحات ستكون الأفضل هذه المرة، إنه سيستمتع حقيقة بالقيادة على طول الشوارع المؤدية إلى مقر السفير التى تحفها الأشجار، وهو طريق أصبح مألوفا له جيدا طيلة الأشهر القليلة الماضية.

* * * *

كان جيرارد فى انتظاره على الدرجات الأمامية للمقر والبوابات الرئيسية مفتوحة، منذ أوائل الصيف وهو يستمتع بالأهمية التى تضفيها عليه هذه الجلسات مع مفوض الشرطة وهو واثق من أن تعاونه يجرى بشكل مناسب إبلاغ رئيسه به.

كانت ساقا جاى القويتان تصعدان الدرج درجتين فى كل مرة.

حك جيرارد أنفه قبل أن يسأل عما إذا كان قد جد جديد فى القضية.

«المعلومات التى زوتنا بها حتى الآن عن الرجل بيتر والفتاة القتيلة معلومات لاتقدر، إننا ممتنون للغاية»، وحتى على الرغم من أن جاى لم يكن يشعر بود، تجاه جيرارد الا أنه كان متلهفا لمعرفة المزيد من التفاصيل.

«ولكننى الآن، أريد منك أن ترجع بذاكرتك إلى الفتاة المفقودة، وليس العاهرة القتيلة، ولكن تلك الأخرى التى عادت مع السفير قبل ليالٍ قليلة من مقتله، المرأة التى قلت إنها نادت الرجل بيتر، تلك التى عادت فى الليلة التى قتل فيها السفير وإذا كان هناك شيء آخر يمكنك إضافته جيرارد؟، أى شئ تتذكره عن تلك الفتاة شيء ما يجعلها تظهر؟».

ظل جيرارد صامتاً لمدة دقيقة.

«حسناً، لا، ليس حقيقياً؟».

«حسنا.... ».

قال جاى وهو يحاول كبح نفاد صبره «نعم ؟ ماذا؟!».

«لقد راودتنى فكرة طيبة عن المكان الذى ألتقى فيه السفير بالفتاتين لابد أنه بار غير قريب من هنا، على سبيل المثال».

فكر جاى وهو يشعر بالضيق فى الساعات التى قضاها وهو يفحص بحرص جميع البارات فى المنطقة.

وواصل جيرارد حديثه بتلذذ «أنا عرفت ذلك فقط نظرا لأنه في إحدى الليالي التي لم أكن في الخدمة فيها جاءني اتصال من السائق الذي حل محلي، كان ذلك قبل شهرين أو نحو ذلك من مقتل السفير، وخمنت أن الرجل العجوز قد تورط في مضايقة إحدى فتيات البار خلال عبثه مع الراقصات العاريات الصدر في الأركان المظلمة التي تشهد بعض الممارسات الماسوشية، وكان زميلي يريد نصيحتي في كيفية التعامل مع هذا الموقف».

فتح جاي جهاز التسجيل الذي يخفيه في جيب معطفه وقال: «كنت أود لو أنك قد أخبرتني بذلك من قبل!، كان سيوفر علينا الكثير من الوقت».

«حسناً، لقد أخبرتك به الآن، أليس كذلك، لم يخطر على بالي من قبل، ليس هذا فقط بل بوسعي أن أخبرك أين يوجد البار بالضبط».

«وكيف ذلك؟، هل ذهبت إلى هناك؟».

«بالطبع»، إنه مكان مقبض يسمى كهف الببغاء، عثرت عليه مصادفة ذات ليلة، مصادفة بالفعل، يديره رجل انجليزي»، ومزق ورقة من المفكرة التي يحتفظ بها في جيبه، ها هو العنوان لابد أنهم يعرفون هاتين الفتاتين خاصة أن الرجل العجوز كان زبونا دائما».

قال جاي على الرغم من أنه كان يفضل لو وجه لكمة قوية لبطن هذا الرجل، «شكرا لمساعدتك»، وأضاف كاذبا «سأحرص على إبلاغك بأي تقدم حقيقي نتوصل إليه».

تعرف على العنوان، إنه في واحد من أكثر الأماكن السيئة السمعة في المدينة، حي البغاء بالقرب من جاردو نورد، إنه لم يسمع مطلقا من قبل عن هذا البار بالذات، ولكن يمكنه تخيل مايمكن أن يكون عليه، نزل الدرج وعبر ممر السيارات الطويلة في الحديقة بخطوات واسعة وأسرع إلى سيارته عبر الشارع الضيق.

* * * *

بدا صاحب كهف الببغاء مثل قرصان الروايات بجسده الممتلىء، وقد صفف شعره الأصفر اللامع إلى الوراء على شكل ذيل الحصان، وقد ارتدى أيضا الحلق الذهبي في إحدى أذنيه، الأذن اليمنى، ولكن ملابسه كانت من حقبة حديثة نوعا ما، فهي على طراز هاواي وبنطلون أرجواني متسخ، وهو ماكان يتناقض بشدة مع بدلة جاي الأنيقة من سان لوران.

ونظرة سريعة حوله أعطت جاي فكرة جيدة عن نوع العمل الذي يديره هذا القرصان، إنه ملهى صغير للعاهرات من المستوى المتدني وللممارسات الماسوشية، وقف في البار وطلب كأسا من البيرة الباردة.. وعندما أحضر صاحب البار، الذي يقوم

أيضا بخدمة الزبائن البيرة البلجيكية بدأ جاى فى استجوابه، ومعظم الزبائن، خاصة أولئك الذين بدت عليهم الجدية أحسوا بوضوح بالشرطى الذى وصل.

«ما أسمك؟».

قال الرجل بلكنة شرق لندن: «من يريد أن يعرف الحاكم؟».

لم يكن لدى جاى الرغبة ولا الوقت للمزاح، أنه يريد نتائج وسريعا، أخرج بسرعة هويته الشرطية، حياه القرصان بأن تثاءب وهز كتفيه بعدم اكتراث: «دعنا نحاول مرة أخرى، اسمك؟». «بيلى ايلوى هو اسمى وأملك هذا البار».

حاول جاى إخفاء شعوره بالضيق واستجوب الرجل باستفاضة عن العاهرة القتيلة، فحص ايلوى الصورة واعترف بأن العاهرة كانت تتردد بالفعل على كهف الببغاء ولدى سماعه ذلك أطلق جاى السؤال تلو السؤال، «ومن كانت معها؟، امرأة؟، رجل؟، دائما المرأة أو الرجل نفسيهما؟ أو كلاهما؟.

«شاهدتها مرات قليلة فقط، دائما مع فتاة أخرى ورجل أسمر كثيف الشعر، رجل جلف، أتذكر، يبدو أنه من سكان البحر المتوسط، أما الفتاة فقد كانت تبدو فتاة راقية، شعرها أسود وعيونها خضراء، المانية على ما أعتقد»، توقف ليأخذ نفسا عميقا من سيجارته، ونفخ الدخان بجوار اذن جاى اليسرى، وسأل بوقاحة «هذا كل شىء؟»، واستدار ليجمع بعض الأكواب.

قال جاى بصوت بطىء وبنغمة تهديد «لا أعرف؟ قل لى وأنصحك بأن تفعل ذلك بسرعة وإلا سوف أعمل على غلق هذا المكان لتسهيله ارتكاب الفحشاء بدون ترخيص».

«لايمكنك أن تفعل ذلك، أيها الحاكم، ليس لديك أى دليل».

«اسمع، قل فقط ماتعرفه عن هذه المرأة هل كانت ترافق أى شخص آخر؟ ماهو اسمها؟، واسم الرجل؟»، وحدق بقوة فى ايلوى.

«لقد أخبرتك بكل ما أعرفه، لا أتذكر أية أسماء، لا تتشاجر معى»، رد جاى بنظرة استهزاء «أنا حتى لم أبدأ بعد، ولكنى أحب التشاجر معك، هل نبدأ؟».

«حسنا، حسنا، أيها الحاكم، فقط انتظر لحظة هل ستفعل؟، فتاتى تعرف أكثر؟»، وفتح بابا صغيرا فى مؤخرة البار توقع جاى أنه يفضى إلى المطبخ «عزيزتى.. الشرطة هنا، هذا مفوض الشرطة الرائع»، نطق الرجل الكلمات باحتقار واضح»، «يريد توجيه بعض الأسئلة إليك عن واحد من زبائننا، هذه السيدة العاهرة صديقتك وزميلتها ذات الشعر الكثيف».

«أوه، نعم؟ »جاء الصوت رفيعا ولم يدهش جاى عندما دخلت إلى البار فتاة لايزيد عمرها على ١٧ عاما، ربما كانت هاربة من عائلتها، كانت عيناها زائغتين، خمن جاى

بأنه الكوكايين، قال فى نفسه أنه لابد أن يبعث بأحد فى وقت لاحق لفحص أوراقها. شك فى أنها مصابة بالإيدز حيث تبدو مثل المصابين بهذا المرض.

قال ايلوى بسخرية «اعذرنى، لدى عمل كثير» ثم أشار إلى صديقته قائلا «سوف أتركك فى أيد أمينة لصديقنا هنا، روزى».

هزت الفتاة كتفيها واستندت على أحد مقاعد البار المرتفعة المجاورة لجاى.

سألها جاى بلطف «إذن أنت روزى؟، روزى ماذا؟»، كانت الفتاة هزيلة للغاية، لونها شاحب لم تغتسل من فترة صفصفت شعرها البنى الطويل إلى الوراء فى شكل ذيل حصان غير مرتب، أحالت القذارة المتراكمة أظافرها الطويلة إلى اللون الأسود، كانت ملابسها تحتاج إلى غسيل جيد وكانت الرائحة النفاذة لخمور البار ودخان التبغ تنبعث من ملابسها المكرمشة، بخلاف هذا لم يكن مظهرها سيئا، إذ عندما مالت إلى الأمام لتسند ذراعيها على منضدة البار شعر جاى بالهجوم الدافىء لرائحتها.

ردت وهى تنظر إلى قبضتى يدها «جونز».

وبعدم تصديق واضح ردد جاى ببطء «روزى جونز والآن مدموزيل روزى جونز ماذا تريدين أن تقولى لى عن صديقة هذه الفتاة؟»، وأطلعها على صورة العاهرة القتيلة، «وربما تتذكرى أنها كانت واحدة من الثلاثى مع الرجل الأسمر الذى يبدو مثل سكان البحر المتوسط».

قالت روزى وهى تتفحص الصورة «لا أعرف شيئا عنه، ولكنى أعرف الفتاة الأخرى التى تتحدث عنها، الفتاة التى جاءت معها ذات مرة»، ووضعت إصبعا لوثه النيكوتين على الصورة وأضافت، «عرفتها ذات ليلة، وشربنا معا، ثم ذهبت معها إلى شقتها» وواصلت بخجل «فقط من أجل فنجان من القهوة، أنت تعرف؟».

وكان جاى يعرف بالفعل، ولكن بدلا من أن يحتقرها شعر بالشفقة تجاه الفتاة، قال فى نفسه انها لابد أنها ستموت فى غضون أقل من خمس سنوات، لابد أنه سيراها مرات عديدة، يبدو ذلك.

«ماهو اسمها؟ هل تتذكرين، أين تقع شقتها؟»، وتأكد جاى من أن صاحب البار لايشاهدهما وناولها رزمة من الفرنكات البلجيكية أسرعت بدسها فى حمالة صدرها.

«فقط تأكدى من أنك تقولين الحقيقة، وإلا سأعود قبل أن تطرف عينيك»، بصقت روزى «هذه العاهرة ألقت بى خارج شقتها فى منتصف الليل واضطررت إلى أن أمشى كل هذا الطريق حتى هنا، ولم تدفع لى مايكفى حتى سيارة أجرة حقيرة! حتى أصل إلى هنا!».

وكتبت بخط غير واضح أسطراً قليلة على منديل مائدة متهرئ «إنها تقع فى الطريق نفسه الذى اقطعه عند وصولى للعمل».

«شكرا مدموزيل روزى، والآن ماهو اسمها؟».

«إنها تطلق على نفسها اسم جى، وهنا لاتسأل الناس عن أسمائهم، ولكن عندما كنت في شقتها لاحظت جواز سفرها على مائدة، وقبل أن أتمكن من فتحه لألقى نظرة، أمسكت يدى ونزعت منها الجواز، ثم رفستنى وطردتنى إلى الشارع، كانت فى غاية الغضب، إنها شاذة ، ولا غرابة ربما تكون شاذة وسوية في الوقت نفسه».

«روزى، ماجنسية جواز سفرها؟».

«ألمانى، لقد فوجئت برد فعلها تجاهى، لا أتذكر لونه، ولكنى أتذكر الفتاة على الغلاف، هذه الفتاة الألمانية تفزعنى، هى تتحول إلى وحش عندما ينتابها الغضب، لقد اعتقدت حقيقة أنها على وشك قتلى، أنت لم تر أبدا عيونها الخضراء الباردة؟ مثل عيون الثعبان، إنها تشبه الثعبان تماما عندما تغضب، وهى تحمل معها مسدسا»

«هل شاهدتيه؟»

«لقد شعرت به».

«سوف أطلعك على جوازى سفر فيما بعد، روزى، وهو ما قد ينعش ذاكرتك، والآن، ماذا عن صديق جى: ما اسمه؟ هل هو صديقها؟ حارسها؟، ماذا بالضبط؟».

«بيتر، وهو شخص نكدى، لا أعرف ماذا ترى فيه فلا تبدو عليه فحولة، أعتقد أنه ربما يدفع لها فقط لكى يشاهد معها حتى يؤثر فى الرجال الاخرين، أو شىء من هذا القبيل».

«شكرا لمساعدتك، روزى، احرصى على ابلاغى بالحقيقة، ربما انقذ حياتك فى يوما ما، والآن استدعى صديقك إلى هنا وبسرعة».

ومثل الطفلة المذعورة أسرعت روزى إلى المطبخ لإحضار ايلوى.

جاء ليواجه جاى «نعم سيدى المفوض! أنت سعيد الآن؟».

رد جاى «بالتأكيد، ولكنى سأكون أسعد لو أن كليكما تقولان الحقيقة لى، اننى أفكر ماذا أفعل لكى أحوز على اهتمامك، ماذا تعتقد أنه يتعين علىّ فعله؟» وفجأة انحنى جاى على طاولة البار وأمسك بقميص ايلوى وصاح فى وجهه «هل تكفى لطمة قوية أو عدة ليالٍ فى زنزانة؟».

«ماذا، أيها الحاكم، هون عليك، ما المشكلة؟».

غمغم جاى «مشكلتى، أنك أبلغتنى أنك لاتعرف شيئا عن الرجل ذى الشعر الكثيف، بيتر، وأنا أدرك تماما أنك تعرف المزيد، سأذهب الآن لأتحقق من عنوان أعطته لى

روزى وعندما أعود من الأفضل لك أن تكون مستعدا لمشاركتى فيما تعرفه عنه، سيكون أمرا مخجلا أن أضطر لإغلاق مثل هذا البار الرائع، إنه اختيارك».

ترك قميصه وغادر كهف الببغاء، سعيدا بتصرفه العنيف على ايلوى الذى كان يصب اللعنات خلفه.

* * * *

عندما وصل إلى الشقة وجد جاى الباب الأمامى مغلقا بالمزلاج سار بطول الممر بحثا عن مدخل آخر، اكتشف بابا صغيرا خمن أنه يؤدى إلى المطبخ، بمهارة عالج قفل الباب بمدية الجيش السويسرى لينفتح الباب.

ببطء وحرص بالغين انتقل من حجرة إلى أخرى، بحث تحت قطع الأثاث وفتش الخزن والأدراج وقلب الصور المعلقة.

فحص الحمام وحامل الدش وخزنة الأدوية وصندوق مياه التواليت، كان يقوم بعمله بسرعة ولكن بدقة، فحص كل مكان يمكن تخيله.

لاشيء! اللعنة.

لقد فحص الشقة بدقة، استدعى من هاتفه المحمول فريقا من الطب الشرعى للبحث عن بصمات وأية خيوط أخرى ولكنه كان بالفعل مقتنعا بفكرة أن محترفاً وراء نظافة الشقة وخلوها من أى شيء مريب، ربما كانت هذه المرأة ذات العيون الخضراء التى تسمى جى، تعجب فى نفسه قائلا «أية متعة كانت تجدها مع كائن مثل روزى ولكن عندما يتعلق الأمر بالغرائز الإنسانية فإنه لامجال للمفاجآت، فأى شيء يمكن أن ينبع من أسباب ليس بوسعنا فى حقيقة الأمر معرفتها على الإطلاق.

الآن حان وقت الاتصال ببريندا، ولكنه قال فى نفسه وهو يغادر البناية التى تقع بها الشقة!، فقط انتظر حتى تسمع منك اخر التطورات، إذ كلما يتضح أنها ربما تكون محقة بعد كل ذلك، سار برشاقة حتى سيارته، حان وقت دعوة صاحب البار السخيف إلى حديث ودى عن المعرفة المشتركة، بيتر، داعب نفسه قائلا وهو معجب بظرفه سوف يغنى صاحب كهف الببغاء مثل طائر الكنارى.

موسكو

تساقطت مياه الدش الساخنة على كتفى وظهر يورى بوروزوف، فرت تنهيدة سعيدة من شفتيه والمياه مازالت ترطب جسده الرياضى ولكن المنهك، والتفت حوله بحثا عن الشامبو حيث صب كمية كبيرة على شعره الخفيف وبأصابعه الطويلة القوية غمرت شعره كمية هائلة من الرغوة!، رائع، كل أدوات حمامه تنبعث منها رائحة طيبة وقد جاءت كلها من المتاجر الحرة فى المطارات، بدأت الدماء تتدفق بصورة أسرع فى

عروقه، وتبخر ماكان يشعر به من إرهاق.

ورن جرس الهاتف:

«اللعنة» ابتعد عن الدش وفرك الصابون من على عينيه، وفي جو الصباح البارد أحس يوري برعشة، حاول ألا يلمس بقدمه أرضية الحمام المبتلة وهو يحاول الوصول إلى الحائط المعلق على الهاتف، أحس بالسعادة لأنه قام بتركيب وحدة هاتف في الحمام على سبيل الرفاهية.

صرخ بالروسية «نعم؟».

رد صوت مثير مألوف له يرد على صراخه «حبيبي، فؤادي، يوري».

«نعم..... ».

قالت ساخرة بانجليزية بلكنة ألمانية «يترامى إلى سمعي صوت مياه دش، هل أنت عار؟ كم كنت أتمنى لو كنت صابونتك».

اندفعت الدماء في عروقه وشعر بالإثارة أغلق عينيه وأخذ نفسا عميقا محاولا جمع أفكاره.

«جاكي، أنا سعيد، سعيد للغاية لاتصالك بي واسمعي جيدا حبيبتي صديقك هذا الذي له شارب، لقد عرفت أمس أن أصدقاءنا البلجيك يرغبون في لقائه، عرفوا اسمه الأول، انهم يعرفون هيئته ويقومون بتوزيع صورته، صورة له وهو يجلس على أحد المقاهي، هل تتابعين ما أقوله؟».

ردت جاكي بصوت ثابت «نعم، عزيزي، ماذا سمعت أيضا؟، هل رأيت الصورة؟ أي مقهى؟ هل تعرف؟».

«نعم شاهدت الصورة، حبيبتي، ولكن لست متأكدا أين تم التقاطها، بروكسل، ربما، أحد خبرائي يقول إنها باريس، يقول إن المقهى والنادل في الخلفية يمكن التعرف عليهما. لايظهر في الصورة مع من كان يجلس صديقك، أتمنى ألا يكون أنت حبيبتي، على أية حال يجب أن تعرفي أنهم يبحثون عنه الآن باعتباره المشتبه فيه الرئيسي في المسألة التي تحدثنا عنها في ذلك اليوم، هل تسمعينني؟.»

«نعم، عزيزي، وأفكر، شكرا لهذه المعلومة».

«حسناً، أتمنى أن تدركين مدى جدية الأمر».

«لاتقلق، عزيزي، أنا في سبيلي لأخذ اجازة طويلة، بعيدا عن قاعدتي وبعيدا عن صاحب الشارب، أنت على صواب، أنه بلا ريب له تأثير سيء، لقد افترقنا».

«قلت لي ذلك من قبل، اتتذكرين؟، وكان هذا قبل وقت طويل من رحلة مشترياتك الأخيرة، ولذا كيف أصدقك؟ اللعنة، لماذا أنا دائما واقع في غرام عاهرة خطيرة مثلك؟».

«لا، ياعزيزى لاتقل مثل هذا، إنك وقعت فى غرامى لأننا مفتونان ببعضنا البعض، وليس لهذا علاقة بمهنتك ولا بوظيفتى التى تأخذ منى وقتا قصيرا».

قال يورى بسخط قبل أن يضع سماعة الهاتف دون انتظار رد منها «اجازة طويلة بعيدا عن صاحب الشارب ستكون فكرة عظيمة، ابعثى لى ببطاقة على صندوقى البريدى»، كان صندوق البريد فى فيينا وكان هذا هو أكثر السبل أمانا للاتصال كتابة.

إن أكثر الطرق أمانا هى العادية والأقل تكنولوجيا.

عاد إلى الدش بحثا عن دفء مياهه، غير أنه شعر بقشعريرة على الرغم من المياه الساخنة التى ترتطم بجسده، وصعدت موجة من الغثيان إلى حلقة لقد تصور أسوأ السيناريوهات ـ الشرطة تبحث عن بيتر فى جميع أرجاء أوربا، تطارده، تتعقبه، فى النهاية تلقى القبض عليه، إذا عثروا على بيتر فإنه سوف يشكل تهديدا غير مباشر على يورى وصعوده السريع إلى قمة الاستخبارات الروسية، طموحه الوحيد فى الحياة. حول بخفة مقبض الدش إلى اليسار ليمنع المياه الساخنة تاركا نفسه للسعات سيبيريا المنعشة.

وهو يجفف نفسه ببطء ظل عقل يورى يتتبع هذا السيناريو الكئيب، تذكر العدد الذى لايحصى من الرجال الأذكياء، والأقوياء حول العالم الذين أوقع بهم جهاز الـ «كى. جى. بى» القديم عن طريق النساء الجميلات وبعض هؤلاء النساء اللاتى جرى استخدامهن يذكره بجاكى، وها هو ضابط الاستخبارات العظيم يسمح لعدم سيطرته على أهوائه أن يدفع به إلى الوضع نفسه الذى يمكن لأى هاوٍ أن يجد نفسه فيه، لمح صورته المنعكسة على المرآة فى الحمام وقطب جبينه.

لاسبيل لإنكار الحقيقة، جاكى تعنى له أكثر من مجرد امرأة أخرى مثيرة، فهو مجنون بها ويعرف أنه ليس بوسعه استبدالها بسهولة، وذهبت أفكاره للحظة إلى لينا وزواجهما الفارغ الذى لامعنى له.

سرح بخواطره، وهو يشذب شاربه، الامر أكثر عمقا من إرضاء شهواته!، ولكن هذا لايعنى أنه لم يكن قلقا حيال مستقبله المهنى، يجب عليه إيجاد سبيل من أجلها ومن أجله، إن حبه لجاكى وطموحاته الوظيفية يمضيان الآن فى مسار متعارض، يالها من عاهرة غبية، لماذا لاتقلص نشاطها على التخلص من أفراد العصابات والقضاة المحليين.

* * * *

وبعيدا وفى ردهة فندق ريتشموند فى جنيف سددت جاكى حساب المحادثة الهاتفية نقدا وغادرت الفندق دون أن تترك أثرا يدل على شخصية من أجرى المحادثة. ومن

جميع الانفعالات التى اعتملت داخلها بعد محادثتها مع يورى كان الغضب هو الأكثر ظهورا، كانت محادثة خطيرة على الخطوط المفتوحة حتى بالرغم من أنه لم يجر ذكر أسماء أو أماكن وهى أكثر خطورة بالنسبة ليورى عنها، غمغمت لنفسها وهى تغادر ردهة الفندق من الأبواب الدوارة، من بحق الجحيم يفتقد نفسه؟!.

سارت تجاه البحيرة وقد شعرت ببعض الراحة، المشكلة هى أنها فى حالة حب أو على الأقل مفتونة به، والأكثر أهمية أنها تعرف أن هذا الشعور متبادل بينهما، ولكن مازال يجب معرفة أين يضع أولوياته؟ حماية طموحاته أم سلامتها؟، مستقبلها؟، اللعنة على الرجال!، يمكن تجميد رغباته فى الشتاء الروسى وهو مالا يعيننى مطلقا، أمامى أشياء لابد من انجازها، ويجب استعادة المبالغ الضخمة.

بعد عشر دقائق تسوقت جاكى من أكثر البوتيكات أناقة على طول شارع رودى رون، وظل يورى دائما متواريا فى مكان ما فى عقلها، ابتسمت ونسيت نفسها فى جنة الملابس ذات التصميمات الرائعة، لقد كانت فى غاية الذكاء إنها لم تكشف ليورى أنها ستمضى فى أثر رجلها فى واشنطن العاصمة، حسنا، سيعلم بذلك فى الوقت المناسب وبطريقة لافتة تماما، يمكننى أن أكون واسعة الدهاء مثل الاستخبارات الروسية!، سيكون من السهل تعقب اسم ديفيد تيرون.

عادت وهى مازالت متهللة إلى الشارع الجانبى الصغير المؤدى إلى شقتها، حيث استقلت سيارتها من ساحة الانتظار تحت الأرض واتجهت إلى الطريق السريع السويسرى.

* * * *

كان بيتر فى انتظارها فى قرية جروييز الصغيرة، حيث يجرى هناك انتاج جبن بالاسم نفسه وحيث من غير المرجح أن تبحث الشرطة هناك عن القاتل المحترف رقم واحد فى العالم.

كان اجتماعا حاسما حيث كانت جاكى ترغب فى أن يعمل بيتر معها فيما تعتقد أنه الآن مشروع تيرون، إنها تنوى زرع بيتر فى المكان الذى لن يفكر الأمريكيون أبدا فى البحث عنه فيه، فى واشنطن العاصمة، وبوسعه وهو مختبئ هناك بجواز سفر مزيف مراقبة ديفيد تيرون وعاداته لتتمكن من ترتيب أفضل وسيلة لمواجهة الإسرائيلى بمسألة الخداع والدين الذى لها فى عنقه، نعم، إنها على وشك نقل اللعب مباشرة، تحت أنوف أولئك الذين يبحثون عنها حتى ولو لم يكن قد علموا بذلك بعد.

* * * *

غادر جى كهف الببغاء وهو يشعر بالارتياح، إنه يشعر بثقة من أنه يقترب من بيتر

ورفيقته، إنه يعلم الآن أن هذا الرجل يوناني، يخشى من مزاج هذه المرأة ذات العيون الخضراء، وقد ألمح إلى أنها بوسعها أن تقتل إذا أثارها أحد بل ويخشى من أن يشاهد معها، يبدو أن معها الأموال وهى التى تتولى المسئولية، إن بيتر يبدو أكثر كراعى بقر متعب من كونه قاتلا يخشى جانبه، وأن اسمها جاكى، وأن جى وأسماء الكنية الأخرى هى لمجرد تشتيت انتباه الآخرين.

زعم ايلوى أن جاكى وبيتر كانا معا فى المدرسة، ولكن أين؟ إنهما يتحدثان الفرنسية معا رغم أنه يونانى وهى ألمانية، وبرق خاطر لجاى لماذا الفرنسية؟ التقيا فى فرنسا ربما فى المدرسة؟ ولكن هناك فرقا كبيرا فى السن بينهما، ربما حينذاك كانا فى مدرسة مهنية معا، مثل مدرسة تدريب تابعة لشركة طيران! وهى مضيفة وهو كبير مضيفين؟ دارت هذه الأفكار فى رأس جاى إلى أن بدأت تؤلمه، ولكنه كان يشعر بالسعادة، لديه الآن الكثير من التفاصيل الجديدة، تفاصيل غير مرتبة، يجب عليه أن يعيد ترتيبها، بيتر وجاكى اصبحا أكثر وضوحا فى ذهنه، حتى ولو لم يكن يعرف ذلك بعد.

إنه وقت تناول طبق شهى من أم الخلول والقفلوط وزجاجة بيرة، كان جسد جاى يعمل مثل الساعة، وذكر نفسه «اتصل ببريندا!».

الفصل الثامن عشر

واشنطن العاصمة
الثامن عشر من سبتمبر

منذ الليلة التي وافق فيها الخمسة على عملية هيبرون قبل شهرين في مزرعة جيرومى في إسرائيل ودماء ديفيد تيرون تتدفق حماسة وابتهاجا ، كان كيانه يضطرب بالإثارة والتحدى وترقب النجاح والعظمة في تاريخ الموساد ودوره الذى سيساهم في تغيير التاريخ . غير أن لمخاطرة الفريدة للعملية جعلت داخله يهتز برعب غير مفهوم . كان التفكير في دوره مقترنا بنتيجة العملية النهائية يصيبه بالذهول «سأدخل التاريخ». كان ينام على فترات قصيرة «يمكن للنوم باستغراق خلال الليل أن ينتظر إلى ما بعد الانتخابات ، أو لماذا لا ينتظر عندما يكون هيبرون رئيس أقوى دولة في العالم». و لم يجد فكاكا من هواجسه .

حمل معه الابتهاج والفزع في رحلة عودته إلى واشنطن ، والتصقا به منذ ذلك الحين وهو يتأرجح بينهما . كرس كل طاقته لعميلة هيبرون متجاهلا التزامه العادى باطلاع السفير الإسرائيلي على ما يعرفه من معلومات . كما أن وجوده لفترات قصيرة غير كافية في السفارة جلب له التوبيخ المرير من السفير الذى زاد استياؤه مما يشعر به تيرون من اضطراب عقلي ونفسى . غير انه لم يكن مهتما بأن رئيسه الدبلوماسى لا يشعر بالسعادة معه الآن . يوماً سيعترف بإخلاص تيرون العظيم لإسرائيل وسيمنحه الثقة التي يستحقها عن جدارة . فالغاية تبرر الوسائل الخسيسة . كان تيرون تحدوه الآمال في انه في يوم ما سيعترف بدوره التاريخى جميع الإسرائيليين الآن وفي المستقبل بمن فيهم الأطفال الذى يحلم بأن يكون لديه مثلهم . وهذا التفكير يملؤه تيها وفخرا . وعلى الرغم من أنه صهيوني متعصب وضابط استخبارات بارز فإنه يرغب أكثر من أى شيء آخر في أن يستقر في إسرائيل ويكون أسرة . سينجب في البداية طفلا ويسميه موشيه تيمنا بالنبى موسى والجنرال دايان . ثم سينجب طفلة «ايستر» على اسم والدته . غير انه في الوقت نفسه يعلم أنه يمر بأهم مرحلة في عمله وليس هناك وقتا للبحث عن الشريكة المناسبة .

ان اجتماعه مع هيبرون في وقت لاحق اليوم هو خطوة أخرى في هذا الاتجاه . لم يجتمع وهيبرون إلا نادرا منذ أن تقررت عملية هيبرون في إسرائيل . وهو شخصيا لا يهتم كثيرا بالعميل الأمريكي ، فهو يراه شخصا متغطرسا مغرورا وفي بعض الأحيان يمتلكه شعور بالعظمة . ومع ذلك فإنه يجب عليه أن يعترف بأن ولاء هيبرون راسخ في المكان المناسب ، حتى ولو كان دائما مقابل ثمن باهظ . كما أن حقيقة أنه غير يهودى تجعل ديفيد لا يشعر بالارتياح ولكنه سلم بأنه منذ أن جرى تجنيده قبل عشرين عاما لعب هيبرون دوره المرسوم له بصورة طيبة وهو ما أثمر عن نتائج ـ برامج مساعدات، مبيعات أسلحة وما شابه ذلك .

* * * *

كان فندق ويلارد فى شارع بنسلفانيا مكانا مثاليا لاجتماعهما . مدخله بجوار المصعد بينما الأعمدة الضخمة وحواجز خشب البلوط أدت إلى وجود ما يشبه الممر غير الملحوظ عبر الردهة ، كان من المقرر أن يلتقيا فى جناح جورج واشنطن الذى كان محجوزا ذلك اليوم باسم واحد من أصدقاء تيرون الأمريكيين الموالين لإسرائيل . لقد أعطى الصديق المفتاح لتيرون ليستخدمه كما يشاء . كان تيرون قد بعث قبل ظهر اليوم بالفنيين من إدارته لفحص الغرفة . وعلى الرغم من ثقته فى دقتهم فإنه وصل قبل الموعد بثلاثين دقيقة ليفتش الغرفة بنفسه مرة أخرى . وكانت اللمسة الأخيرة هى وضعه ـ علامة عدم الإزعاج ـ على الباب الخارجى . وإذا ما تم رصد مرشح الرئاسة فإنه لن يكون من الصعب تبرير زيارته للفندق بأنها زيارة لجمع الأموال لحملته الانتخابية . إنهم جميعا يفعلون ذلك، فإن ممارسة الضغط فى واشنطن من أجل الأموال والنفوذ يكاد يكون أمرا طبيعيا مثلما تطلب طبقا من السوشى اليابانى المشهور وأنت فى مطعم بطوكيو .

وفى الموعد المضروب ، كانت هناك طرقة ، وانفتح الباب من الداخل ودلف هيبرون . كان آبى وهو سائق وحارس تيرون وهو أيضا من الموساد ينتظر داخل الجناح بجوار الباب . أغلق الباب وظل بجواره للحراسة . المتآمران الأساسيان هيبرون وتيرون تبادلا التحية واتجها إلى الصالون الملحق وأغلقا الباب الذى يفصله عن باقى الجناح بعناية . صب تيرون لنفسه كوبا من عصير البرتقال الطازج من إبريق فوق مائدة جانبية . بينما صب هيبرون لنفسه كأسا من الفودكا . وبينما هما جالسان فى مواجهة بعضهما البعض حول مائدة الصالون المستديرة سلم تيرون – وهو مازال صامتا – مظروفا كبيرا ابيض اللون كان ممتلئا بأوراق البنكنوت الأمريكية من فئة المائة دولار كالمعتاد . أنهم دائما يدفعون لعملائهم نقدا . وبناء على إصرار الموساد كان هيبرون يحتفظ بهذه الأموال فى صناديق إيداع مؤمنة وليس فى حسابات مصرفية على الإطلاق . كان الموساد يرغب فى استبعاد المخاطرة من اكتشاف هيبرون من جانب صحفى ما قد يحصل على نسخة من بياناته المصرفية التى تظهر ايداعات كبيرة غير معتادة لا يكون بوسع السيناتور تبريرها . الأموال النقدية لا تجذب الاهتمام وهى فى أمان من الصحفيين المتطفلين، أخذ هيبرون المظروف ألقى نظرة على ما بداخله وهز رأسه . ثم نظر إلى رجل الموساد متسائلا . تنحنح تيرون وبدأ فى استخدام الاسم المفترض الذى اتفقا منذ فترة طويلة على استخدامه فى الحجرات التى قد يجرى إختراقها " تشارلز ، قبل أن نخوض فى القضايا المتصلة بالانتخابات لدى تساؤل غير مرتبط بتلك القضايا ، هل تعرف شيئا عن التحقيق فى وفاة سفيركم فى بروكسل ؟ "

تطلع هيبرون فى تيرون بارتياب " بالطبع ، ومما علمته أن تحقيقات مكتب التحقيقات الفيدرالى مستمرة ـ فى بروكسل أساسا ـ والأصابع تشير إلى طهران أو بغداد ."
ووضع هيبرون المظروف فى حقيبة أوراقه قبل أن يواصل، " فى الحقيقة، لقد سمعت أن العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة ودول عربية معينة قد زادت توترا بسبب هذه المسألة . وهو ما يدعو إلى ارتياحنا . أليس كذلك ؟ " وأنتظر هيبرون رد فعل تيرون . غير أن عميل الموساد لم يبتلع الطعم .فإن إصرار رئيس الوزراء على السرية المطلقة فيما يتعلق بمسألة سورينسون لها ما يبررها، خاصة فى مثل هذه الأوقات الحساسة سياسيا . إلى جانب أن تيرون أعاد تذكير نفسه أن أحدا لا يعرف مطلقا ما قد يحطم ولاء العميل السرى . ومن الأفضل دائما ألا يعرف العميل أكثر مما هو ضرورى للقيام بمهامه . وأقتصر رده على الموافقة بقوله " نعم ، انها انباء طيبة بالنسبة لنا ، مهما كان الفاعل وحتى مع أن وجود علاقة عربية مازال أمرا غير محسوم ،فإنه يبدو أن تلك الرءوس البالية تهيىء الفرص لنا دائما.

حسنا ، يكفى هذا . دعنا ندخل فى موضوعنا ."

" من غير ريب ، كيف تقرأ استطلاعات الرأى ؟ " تنهد تيرون " هذا التقارب اللعين يفقدنى أعصابى . ماذا بوسعنا عمله لكى نمنحك دفعة إلى ما وراء خط المرمى ؟ "

أخرج هيبرون من جيب سترته وثيقة مطوية سميكة وسلمها إلى رئيس الموساد قائلا بابتسامة تعبر عن الرضا عن نفسه . " أنظر ، لقد حصلت على هذه النسخة من خطة الحملة السرية للرئيس دوجلاس فى الانتخابات الماضية . أحد زملائى فى مجلس الشيوخ له صديقة تعمل فى الحزب الجمهورى قامت باستعارتها ." وغمز لهيبرون قبل أن يواصل "على الرغم من الخلافات الكبيرة معه فإن استراتيجية دوجلاس أثبتت نجاحها ، خاصة فى الأسابيع القليلة التى سبقت الانتخابات ، لقد مضى عليها أربع سنوات ولكنها يمكن أن تكون بمثابة خط هاد بالنسبة لنا .وإذا كانوا قد تمكنوا من الفوز بفضلها فى تلك الانتخابات ، فلماذا لا يمكننا الفوز بها ؟ " وكضابط استخبارات مخضرم ، فإنه دائما ما يكون ضعيفا أمام اية فرصة لوضع يده على وثيقة حساسة حتى ولو لم يكن قبل ذلك مهتما أبدا برؤية خطة انتخابية لأى من الأحزاب السياسية.

قرأ تيرون " الخطوط الاستراتيجية لانتخاب نائب الرئيس الأمريكي هوارد لى دوجلاس لمنصب الرئيس ." وقال لهيبرون "عظيم جدا ، يا إلهى ، إنك دائما فى مقدمة اللعبة ، أليس كذلك تشارلز ؟ ".

" أتعرف ، هكذا جرى عليه الحال . البعض منا يخوض الانتخابات لمنصب الرئيس والبعض الآخر يظل متواريا يعمل على فوزى ."

وفى الوقت الذى كان فيه صوت هيبرون يشى بالسعادة فإن تيرون هذه المرة لم تضايقه تلك الملاحظة التى تنطوى على استعلاء كاذب . وقال هيبرون " ولكن فى الوقت نفسه فإن الأمر سيزداد صعوبة مع استمرار رجال الخدمة السرية فى تتبعى أينما أذهب . تذكر ذلك ."

" أنا أدرك ذلك ، ولكن مع هذه المخاطرة بالنسبة لنا جميعا ، يجب علينا أن نلتقى بصرف النظر عن المخاطر . وسأحرص على إرسال تقارير لكل مناقشاتنا إلى القدس بأسرع وقت ممكن . إلى جانب هذا فإن عملاء جهاز الخدمة السرية هم هنا لحمايتك وليس للتجسس عليك . إنهم لن يبلغوا أحدا بأى شيء . تذكر قضايا المحاكم لسلف دوجلاس ." " أعتقد أنك على حق . وهو كذلك دعنا ندخل فى موضوعنا . فيما يتعلق باستطلاعات الرأى ، هناك مؤشرات على أن موقفنا إزاء قضايا مثل الإجهاض والرعاية الصحية هو ما يحب الناس سماعه ."

" تشارلز يجب أن أترك هذه المسائل لك ولفريقك الانتخابى الذى نساعده بشكل غير مباشر من خلال أصدقائنا هنا . ولا تقلق بالنسبة للموارد ، فالبحيرة ممتلئة ." وكان هذا هو دور تيرون ليغمز لهيبرون . " هذه على الأقل هى مخاوفك ركز على الأمن والفوز . وأخرج من هنا وواصل حملتك الانتخابية من فضلك ."

" حسنا ، ولكن ماذا سيحدث لى بالضبط إذا لم يجر انتخابى ؟ أعنى هل ستحيلنى الشركة على التقاعد ؟ "

قال تيرون بقوة " خسارتك ليست حتى محل تفكير . سوف تفوز . ليس هناك ما يدعو إلى بحث خسارتك . فقط اطلعنا باستمرار على استراتيجيتك ، وهو ما سيمكننى من معرفة أين يمكننا أن نكون مفيدين ونساعد من خلف الكواليس ، تذكر ما قاله فينس لومباردى ـ الفوز ليس ... " رفع هيبرون يده مقاطعا لهذه الخطبة الحماسية، وهو يود لو قال «أنا فى غنى عن ذلك». ولكن قال ببساطة " هيا أيها المدرب " ووضع كأسه الفارغة بحسم على المائدة وفرد خريطة كبيرة تبين بوضوح جدولا معقدا بتواريخ وأماكن ظللت باللونين الوردى والأصفر . كان هناك ١٣ ظهورا تليفزيونيا فى الصباح الباكر ومثلهم مرتين أحاديث فى الراديو المحلى وجولة بالحافلة فى خمس ولايات و ٩٦ فقرة تليفزيونية لمدة ثلاثين ثانية مدفوعة الأجر على شبكات التليفزيون . وبعد أن بحثا الخطوط العريضة للحملة لمدة أربعين دقيقة تقريبا . نظر هيبرون فجأة فى ساعته قائلا " إذا لم يكن هناك شئ آخر ، فإننى أعتقد أنه يجب أن أغادر . وإلا سيفتقدوننى.

على أية حال لدى موعد. لقد أقنعت رجال الخدمة السرية بأننى هنا لمقابلة ممثلة مشهورة دوليا تساند حملتى ، وأنها لن تحضر إذا ما رافقونى . وقد انطلت عليهم

الحيلة ." أومأ تيرون برأسه ، متمنيا لعميله النجم حظا سعيدا . أراد أن يشرب نخبه بالعبرية ، ولكن الثقافة التى تجمعهما هى سياسة خالصة ... ومالية . وهيبرون لم تجر له حتى عملية ختان . بابتسامة سطحية وبإشارة بإبهامه عن أن كل شىء على ما يرام تأبط السيناتور حقيبة اوراقه وترك تيرون وراءه .

ألقى آبى نظرة على الممر ، ثم سمح لأكبر عميل أجنبى لإسرائيل بالخروج من الباب ليعود إلى الساحة فى واشنطن كمرشح جاد للرئاسة . وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات فإن هيبرون كان يشعر بالقلق ، كعادته دائما ، فإن الأمر لن يحتاج سوى إلى عين متطفلة واحدة للبدء فى فك خيوط الشبكة التى لا تصدق التى قام بنسجها . فقد كان هناك دائما ذعر كامن يختفى دائما خلف ما يبديه من رباطة جأش وقد بدأت الاستعدادات لضغط الزناد لإطلاق الرئيس الأمريكي القادم .

الفصل التاسع عشر

مايوركا
الثامن من اكتوبر

كانت تهوى الاستلقاء تحت أشعة الشمس الساخنة وقاربها البخارى الأسباني يتهادى على صفحة مياه مايوركا الصافية . كانت طريقة جاكى ماركوفيتش المفضلة للاسترخاء : الاستلقاء عارية على وسائد قاربها وهى تتطلع فى المياه الزرقاء فى خليج فورمينتوس البديع . وبينما كان فاوينتينى لايتينج البالغ طوله ٤٢ قدما يبدو ظاهريا أنه قارب للمتعة فإن محركيه المرسيدس البالغ قوتهما ٨٠٠ حصان كانا هما عزاؤها للمبلغ الضخم الذى تكلفه، فقد كان ببساطة أسرع قارب فى هذه المياه ـ مستعد دائما للهرب فى حالة وقوع أى طارئ . وفى جزيرة إبيزا المجاورة احتفظت جاكى بأول نقطة لمثل هذا الهروب ، شقة ستديو صغيرة استأجرتها تحت اسم آخر . كانت تحتفظ هناك بجواز سفر ألمانى مزور بالاسم نفسه المكتوب على عقد الإيجار وأوراق هوية وأموال نقدية وملابس احتياطية للتحول السريع إلى الشخصية الجديدة إذا ما دعت الضرورة، لفتت الموسيقى الصاخبة انتباهها للفتاتين عاريتى الصدر ، إحداهما سمراء بضفائر مجدولة ملساء والأخرى شقراء كانتا قبل لحظات قد فتنا بجسد جاكى . كانت الفتاتان تهزان سيقانهما وتصفقان " واحد ، اثنين ، ثلاثة على الأنغام الصادرة من جهاز تشغيل الاسطوانات المدمجة . عندما تكون مشغولة بمهمة صعبة ، فإن جاكى تحتاج إلى الانغماس فى مثل هذه المتعة والاستمتاع بمثل تلك الرفاهية . القاتل المحترف داخلها يخطط ويتآمر على أفضل ما يكون وسط هذا الجو . لقد تخيلت بعضا من أفضل خططها براعة فى مثل هذه الظروف . والعملية التى هى بصدد التخطيط لها الآن هى عملية شخصية . لم يتعاقد معها أحد للقيام بها . وربما لا يكون وراءها أى عائد مادى ، بل تنطوى على قدر كبير من الخطر

ولكن ، أوه ، العائد سوف يكون مرضيا للغاية . «الانتقام !». الانتقام اللذيذ للتعادل فى النقاط واستعادة سمعتها فى عالم العمليات السرية . «لن يجرؤ أحد مطلقا على خداع جاكى ماركوفيتش »، ضابط الاستخبارات الإسرائيلية الذى لعب معها كما لو كانت دمية استخدمها وألقى بها بعيدا .. سوف يدفع الثمن . لقد أقسمت جاكى منذ أمد طويل انه لن يستغلها رجل مرة أخرى دون أن يدفع ويدفع ... والآن تشعر جاكى بارتواء جنسى وكفاءتها الفائقة فى قمتها . وضعت خطتها الرئيسية التى تتصور حلا لمشكلتين فى وقت واحد «ففى الاقتصاد العالمى الصعب هذه الأيام يجب على المرء أن يكون مقتصدا»، كان أول شيء تحتاجه هو إجراء اتصالات هاتفية معينة . وإذا كانت ترغب فى الاحتفاظ بحياتها فى أسبانيا فوق مستوى الشبهات فإنه يجب عليها أن تجرى اتصالاتها الخاصة بالعمل بحيث لا يمكن لأحد أن يتعقبها . حان وقت السفر . فتحت هاتفها المحمول لحجز رحلة طيرانها .

زيورخ في التاسع من أكتوبر

فى اليوم التالى أقلعت طائرة دوجلاس أم دى ـ ٨٠ التابعة لشركة سويس اير من بالما

دى مايوركا فى الساعة ٥.٤٠ وبعد ساعتين على وجه التحديد لمست الطائرة الممر الرئيسى الطويل الذى أغرقته مياه الأمطار فى مطار كلوتين بزيورخ . نهضت جاكى التى بدت فى قمة الأناقة مثل عارضة الأزياء السوبر فى فستانها الأسود الجديد والحذاء الجلدى الإيطالي ذى الكعبين العاليين ومعطف المطر الذى يمكن ارتداؤه على أى من وجهيه، الأسود أو البنى الضارب للصفرة . نهضت من مقعدها وأخذت حقيبتها السوداء الصغيرة وحقيبة بلاستيك لا توجد عليها أية كتابات، يعد مطار زيورخ مثاليا بالنسبة لمتطلبات عملها، وبالنسبة لها فإنه كان يعد بمثابة نقطة انتظار رائعة فى أوربا . فخلال انتظارها فى الترانزيت يمكنها إنجاز عملها دون أن تضطر للدخول إلى البلاد أو إظهار وثائق سفرها . أنها تقوم بعملياتها المصرفية فى ساحة الترانزيت الضخمة وتجرى محادثاتها الهاتفية الدولية وتبعث برسائل لمصرفها فى جنيف وتبتاع من السوق الحرة توجهت إلى دورة مياه السيدات لتغيير ملابسها .لتبدو أكثر مثل فتاة عاملة تقوم بجولة أوربية لا فتاة مستهترة ثرية . ارتدت بنطلونا ممزقا من الجينز وقميصا يحمل شعارا يدعو إلى السلام فى الأرض وغطت شعرها الأسود الحريرى بقبيعة زرقاء . وبحرص وضعت فستانها ومعطفها الواقى من المطر فى الحقيبة البلاستيك التى تركتها فى صندوق طرد تواليت الحمام . وبعد هذا التحول سارت جاكى إلى مبنى المطار" بي " عبر الممرات الداخلية التى تربط بين مبانى مطار كلوتين . ودخلت مجمع تيليكوم السويسرى حيث ذابت بسهولة فى الحشد هناك .

من هنا بوسعها أن تتصل هاتفيا أو تبعث بفاكس لأي جهة فى العالم دون أن تترك أى أثر . مثل هذه الاتصالات لا تتجاسر على القيام بها من مايوركا . بالنسبة لأسبانيا لا بد لها أن تحافظ على أعلى مستوى من الأمن حتى لا تعطى أبدا فرصة للسلطات المحلية لاتهامها بممارسة أى نشاط إجرامي - ولا حتى مخالفة بسيطة فى ملاذها الآمن فى مايوركا . تفعل كل شيء كما تقضى به القوانين واللوائح فهي تسدد الضرائب وتقود بكل حرص ولا تستخدم الهاتف أبدا لممارسة عملها الحقيقى . وفى كشك هاتف لا يسمح بتسرب الصوت ، رفعت جاكى السماعة وطلبت استعلامات الهاتف فى واشنطن وطلبت رقم تحويلة الهاتف لمكتب التحقيقات الفيدرالى . جاء الرد عن طريق الكمبيوتر باللكنة الأمريكية المعتادة نفسها التى تخرج فيها الألفاظ من الأنف بصوت جهير حتى أن جاكى اضطرت إلى إبعاد السماعة «٣٢٤٣٠٠». ابتسمت من هذا الصوت الرقمى الحاد آخذة فى اعتبارها أن تستخدم هذه اللهجة عند قيامها بعملياتها فى المستقبل . اتصلت بالرقم ، وبإنجليزية بلكنة ألمانية غامضة طلبت التحدث إلى مسئول عن التهديدات الإرهابية يفهم اللغة التى تتحدث بها . رد عامل الهاتف فى مكتب التحقيقات الفيدرالى المدرب بشكل جيد " من فضلك انتظري على الخط . شكرا " أتصل العامل بقسم مكافحة الإرهاب حيث رفعت كريستينا ويتينجيل التى تعمل مع بريندا السماعة . قال عامل

التحويلة بلهفة " أريد شخصا ليرد على مكالمة بالألمانية ، معي متحدث يريد التحدث إلى خبرائنا فى مكافحة الإرهاب . إننا نتعقب المحادثة ، ربما هي محادثة من دولة أجنبية ، ولكنها واضحة ." أسرعت كريستينا إلى مكتب بريندا . قالت بأنفاس لاهثة " بريندا ، بسرعة ، متحدث يتكلم الألمانية من الخارج . أنت تتحدثين الألمانية . عامل التحويلة يحتفظ بالخط». قالت بريندا " حسنا ، أوصليني به ، واطلبي من عامل التحويلة أن يتتبع المكالمة ."

قالت بريندا بالألمانية بهدوء " مكتب التحقيقات الفيدرالي هل يمكننى مساعدتك ؟

سألت جاكى " قسم مكافحة الإرهاب ؟ " ردت بريندا " نعم ، هذا قسم مكافحة الإرهاب فى مكتب التحقيقات الفيدرالى فى واشنطن ، كيف يمكننى مساعدتك ؟ "ردت جاكى " تساعديننى ؟ هذا أمر مضحك ، ولكنى أنا التى سأساعدكم . لديكم بعض أولاد الزنا الذين يعملون ضدكم وأنا أعرفهم . أحدهم صديق سابق لى ، الذى اكتشفت انه قاتل محترف .والثانى تحت أنوفكم - جاسوس إسرائيلي . لقد عملا معا ضد دولتكم . يجب عليكم وقفهما .سوف يقتلانى إذا عرفا أننى اتصلت بكم . ردت بريندا وهى تشير إلى كريستينا لتتأكد من أن عامل التحويلة يتعقب المكالمة " هل بوسعك إعطائي أسماء ، من فضلك ؟ "

" صديقى اسمه بيتر . لقد قتل سفيركم فى بروكسل . أنه يونانى ، هو قاتل محترف . رجل مجنون . لابد أنكم تعرفون اسم عائلته - انه يخفيه عنى . شريكه اسمه تيرون - أنه رجل الموساد فى أمريكا .لقد أستأجر الإسرائيليون بيتر لقتل سفيركم . سوف يقتلون المزيد من شعبكم . يجب عليكم منعهم . سأحاول الاتصال لاحقا لإبلاغك بمعلومات أخرى . أن الوضع خطير جدا بالنسبة لي الآن . يجب أن أذهب ." ونظرا لأن جاكى تعرف من يورى أن الأمريكيين حصلوا على اسم بيتر وصورته ويعتبرونه مشتبهاً فيه فإن إعطاء اسم بيتر سوف يعطى مكالمتها مصداقية على الفور ويدعم زعمها بأن الإسرائيليين وتيرون وراء مقتل سورينسون .

" انتظري - ابلغيني كيف يمكننا الاتصال بك . ماذا تريدين ؟هل يمكننا حمايتك ؟ هل نرسل لك أموالا؟»

" حاولت بريندا بأسئلتها المتلاحقة إبقاء المتحدثة على الخط من أجل تعقب المكالمة والتعرف على الصوت ولانتزاع مزيد من التفاصيل منها . فهذا النوع يكون عادة مرعوبا لدرجة أنه لا يعاود الاتصال . وضعت جاكى السماعة وغادرت كشك الهاتف ، ودفعت بسرعة فاتورة المكالمة نقدا . وعادة ما يكون العاملون فى المجمع مشغولين لدرجة أنهم لا يعطون انتباها لعشرات الزائرين الذين يدخلون ويخرجون من المجمع ويتكلمون عشرات اللغات ويدفعون فواتيرهم بعملات متنوعة .

اتجهت جاكى إلى ساحة انتظار الترانزيت فى الطابق الأرضي لمبنى المطار "بى" . وبعد دقائق قليلة قضتها فى شراء معروضات متنوعة من البوتيكات هناك ، انسلت إلى

حمام السيدات نفسه فى مبنى المطار " أيه " لترتدى مرة أخرى ملابسها الأنيقة لتعود من جديد السيدة الفاتنة التى كانت قد وصلت فى وقت سابق من بالما .

لقد رفعت المحادثة الحساسة التى أجرتها وعودتها إلى هذه الملابس الأنيقة من معنوياتها بدرجة هائلة . معنوياتها التى لم تنتعش منذ ذلك اليوم من شهر يونيو فى باريس عندما علمت بالأنباء المروعة من أنها وبيتر قد خدعا . ولكن الآن دخلت خطتها للانتقام مرحلتها الاولى ، بدأت تشعر بنفسها مرة أخرى ، وتشعر بالأمان لمعرفتها أنه حتى لو طلب مكتب التحقيقات الفيدرالى من الشرطة السويسرية البحث عن سيدة أجرت مكالمة هاتفية من مجمع تيليكوم فإنهم لن يجدوا شيئا يمكن تتبعه . وبثقة كاملة سارت جاكى وهى تضحك عبر ممرات المطار الحديث الضخم . واتجهت وبداخلها بذور الانتقام إلى بوابة المغادرة لتلحق برحلتها التالية إلى فيينا لتصل هناك إلى موطنها على العشاء . اتصلت بالخادمة فى شقتها من هاتف بالقرب من البوابة لتؤكد وصولها بعد العاشرة مساء .

واشنطن العاصمة

جلست بريندا بلا حراك مستغرقة فى التفكير محاولة انتشال نفسها من المحادثة الهاتفية التى تلقتها قبل دقائق قليلة . وفجأة طرأ لها هذا الخاطر، «المتحدث هى تلك الفتاة التى نبحث عنها ، الصلة بين بيتر ومقتل السفير سورينسون . أنها هى!» ليس هناك تفسير آخر للمكالمة». المرأة تتحدث الألمانية بطلاقة غير أن أذن بريندا الخبيرة رصدت لهجة روسية أو أوكرانية وربما بلقانية . الإشارة إلى اسم بيتر المشتبه فيه الذى يبحث عنه الغرب كله والقول بأنه القاتل . لقد تظاهرت المرأة بأنها مذعورة لكن الحديث بمثل هذه الثقة أقنع بريندا بأن المحادثة تؤكد نظريتها بأن امرأة غامضة هى مفتاح حل لغز مقتل سورينسون . رصدت أجهزة التتبع فائقة التكنولوجيا فى مكتب التحقيقات المكالمة مطار زيورخ . ولكن لماذا اتصلت بمكتب التحقيقات ؟ خائفة من أن تتعرض للقتل ليس هذا حقيقيا .لا يبدو على صوت المتحدثة أن الخوف يمسك بتلابيبها : وفى نهاية المكالمة بدت مثل الشخص المسئول . ركزت بريندا على فرضية أن المرأة قررت الإبلاغ عن بيتر وتيرون على سبيل الانتقام . قالت المتحدثة " إنهما يؤذننى " كيف ؟ نقطة غريبة - لماذا يبدو أنها متأكدة إلى هذه الدرجة من أن مكتب التحقيقات الفيدرالى يعرف من يكون بيتر ؟ وماذا عن الاتهام الإسرائيلي . لماذا زعمت أن الإسرائيليين هم المسئولون عن مقتل سورينسون ؟ قالت بريندا لنفسها ، انه الجنون بعينه ، لابد انها معلومات مضللة من أحد ما . «الروس؟» غير أن الروس أبلغونا بأن تيرون هو الضابط المسئول عن هيبرون . «ليس هناك مصادفة فى الأمر». أعادت بريندا تذكير نفسها بما يقولونه فى كوانتيكو " إذا اعتقدت فى

المصادفات ، فيجب ألا تكون مخبرا ." وهو أمر غير صحيح هنا .أو ربما تثبت صحته تماما . كانت بريندا متأكدة من أن هذه المكالمة نبعت من حنق امرأة تعرضت للازدراء والاحتقار .. من أيهما ؟ بيتر أم تيرون المسئول عن حرمانها من نصيبها فى الأتعاب ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو بالضبط دورها ؟ العقل المدبر أم التغطية أم الاغتيال ؟ أو شيء ما آخر ؟ شعرت بريندا بأنه قريبا سوف تقترب من اقتناص مصدرها الجديد للمعلومات ، المشتبه فيها الجديدة ، امرأة مجهولة الهوية تتحدث الألمانية اتصلت من مطار زيورخ . نهضت بريندا من مقعدها وأخذت تذرع مكتبها جيئة وذهابا وهى تفكر فى تلال الأدلة لعملها الشاق الذى لم يصل لنتائج محددة . فهذه الملفات التى قضت ساعات لا تحصى فى قراءاتها وتحليلها لم تساعد فى تحديد دور المرأة فى هذا الغموض، أمرت نفسها قائلة «أعيدى التفكير». جرت بأصابعها خلال شعرها المموج القصير وسارت إلى النافذة . «ماذا تقول أحاسيسك الباطنية الجديدة ؟» وهى تحدق من النافذة أخذت تتأمل شارع بنسلفانيا دون أن تركز فى واقع الأمر على الشارع الذى يجرى اسفل الطوابق الخمسة ،غير أن عقلها سجل ببطء الجنون الذى يصطبغ الحركة النشطة العادية هناك . تثاءبت وهى تنظر بنصف وعى إلى الشارع . يوم الانتخابات يقترب . وهو ما يشعرها بالألم . تبقى على الانتخابات أقل من شهر .إدراكها لهذه الحقيقة أعادها بالقوة للتفكير فى العمل . لم تحل قضية هيبرون بعد . هل يمكن لهذه السيدة أن تتحول إلى مفتاح لهذه القضية أيضا ؟ «حسنا أيتها السيدة مهما كان اسمك سوف أضع يدى عليك» انك ذكية وقوية ولكن سوف أنال منك » ، دخلت كريستينا إلى مكتب بريندا ووقفت إلى جوارها " هذه المحادثة ـ هل تعتقدين أنها هى التى أظن أنها ؟ " "حدسى يقول لى هذا " ولم تشأ أن تقول المزيد. وعرفت كريستينا أن رئيستها فى عالم آخر . " عندئذ ماذا تنوين عمله ؟ وهل يمكننى المساعدة ؟ " عادت بريندا إلى مكتبها ، تحسست بعض الملفات ثم جلست . وقالت بحيرة " حسنا ." وظلت كريستينا كما هى وقد حبست أنفاسها . تكاد ترى عقل بريندا والأفكار تتلاطم داخله . قالت بريندا مرة أخرى " حسنا " ثم واصلت " جاى يقول إن روزى شاهدت جواز سفر ألمانياً فى شقة صديقه بيتر . هذا لن يفيد على الرغم من ذلك لقد اتصلت من مطار زيورخ . السويسريون لا يحتفظون بسجلات لركاب الترانزيت . ظلت كريستينا على صمتها . " هل نملك شيئا آخر؟». «إذا ما صدق حدسى وثبت أنها قاتلة محترفة ، فلماذا لا نملك عنها شيئا ؟ " وتوقفت بريندا وأخذت مرة أخرى تذرع حجرتها جيئة وذهابا " لقد فات علينا أن قاتلاً محترفا مدربا مثلها لن يحقق هذا المستوى بين عشية وضحاها ." وبرق ضوء فى عيون بريندا . تطلعت والتقت عيناها بنظرة كريستينا الثابتة والجادة .رددت فى ببطء " يا إلهى ، الأمور تتضح أمامي . لنفترض أن ما ذكرته فى الهاتف حقيقيا ـ من أن الإسرائيليين وراء اغتيال سورينسون ! "

صرخت كريستينا واضعة يدها على فمها " ماذا ؟ ."" هذا ما تزعمه . لذا فلنفترض أنه

كذلك على سبيل الجدل . من أجل مثل هذه العملية المهمة فإن الإسرائيليين سيرغبون فى قاتل على أعلى درجة من الاحتراف . سيرغبون فى أن تكون العملية نظيفة مائة فى المائة . سيرغبون فى شخص ما لا يترك أى آثر أو أى شىء للمصادفة "قالت كريستينا وهى تهز رأسها " هذا صحيح ." " لذلك ، فإنهم سوف يلجأون لشخص ما له سمعته . شخص ما حصل على تدريب رائع . شخص ما تدرب جيدا على العمليات الدولية السرية برهن على مدى سنوات انه يستحق ما يقال عنه أو ما يقال عنها . وهذا الشخص لا بد أنه يعمل لحسابه ، غير مرتبط بهم ." قالت كريستينا فى اندفاع مستنتجة أفكار بريندا " بوسعنا أن نفحص ملفاتنا عن الشبكات الدولية أو منظمات العمل السرية ."

" أصبت . لكن يجب أن نحصر بحثنا فى الإطار الزمنى الصحيح . جيرارد الحارس وروزى العاهرة كلاهما يعتقد أن صديقة بيتر فى منتصف الثلاثينيات من عمرها . لذا لنقل إن المرأة فى الخامسة والثلاثين . إذا كانت قد بدأت التدريب فى سن المراهقة ..فإنه يجب أن يعود بحثنا إلى عشرين عاما فصاعدا ." قالت كريستينا وهى تسرع فى اتجاه الباب " سأقوم بذلك . وسأعود فور أن أعثر على أى شىء ." " شكرا . تذكرى أوائل الثمانينات فصاعدا . أننا نبحث عن قاتلة أو إرهابية ، ربما ألمانية أو على الأقل تتحدث الألمانية . فى الوقت نفسه سأطلب من خبراء الكمبيوتر تصور وجهها من الأوصاف التى حصلنا عليها من جيرارد وروزى ."

بعد ساعتين أسرعت كريستينا إلى مكتب بريندا ، وفى إحدى يديها ملف وفى الأخرى صورة أبيض وأسود ، صاحت بصوت منتصر " وجدتها ، لا أعرف ماذا كنا سنفعل بدونك بريندا أنت وشعورك الباطنى ؟" أسرعت بريندا لمقابلتها فى منتصف المسافة فى مكتبها" ماذا وجدت؟ تعال، ما هذا ؟ " جلست على مائدة الاجتماعات حيث فتحت كريستينا الملف. انتزعت بريندا الصورة لتفحصها وشاهدت رجلا طويل القامة نحيفا منحنى الظهر. على وجهه البيضاوى الوسيم الذى لفحته الشمس نظارة وتشى منه نظرة حزينة . كان يبدو أنه يدرب سيدة شابة على كيفية تفكيك بندقية . وفى الخلفية كان هناك رجال وسيدات يطلقون النار على أهداف، من الواضح انهم يشاركون فى حلقة تدريب . كانت المرأة فى طول الرجل تقريبا ، ترتدى بنطلونا من الجينز وقميص تى شيرت ، وقد أرجعت شعرها الأسود إلى الوراء وقد عقدته على شكل كعكة . كان وجهها يشع افتتانا بالسلاح . وبدا أن الرجل يستمتع بتدريبها . همست بريندا قائلة " هنرى كوريل ، منظمة كوريل الشيوعية." قالت كريستينا "المدرب رقم واحد على مستوى العالم فى الإرهاب والاتصالات السرية والتخريب والاغتيالات .. لقد عرفتيه ."

تنقلت عينا بريندا بين الملف و كريستينا . قالت كريستينا " حصلنا عليه من الفرنسيين قبل سنوات ، كان لهم عميل تسلل فى منظمة كوريل لجمع المعلومات عن شبكته . التقط العميل الصورة لكوريل وهذه المتدربة فى عام ١٩٨٣ .وذكر العميل فى تقريره أن المرأة

الشابة ذات الشعر الأسود والعيون الخضراء يوغسلافية ـ وأنها أصبحت واحدة من أفضل متدربات كوريل على الاغتيال . كانت متفوقة لدرجة أن كوريل جندها للقيام ببعض العمليات .وقيل إن والدها صربى ، قاتل عديم الرحمة . عميل للكى جى بى قتل في ظروف غامضة : والدتها نمساوية . وبريندا ، هل انت مستعدة لهذا ؟ " رفعت بريندا حاجبيها .

" قال العميل الفرنسى فى تقاريره إن هذه المرأة الشابة قد طورت علاقة مع متدرب آخر من متدربى كوريل ـ رجل يونانى يعرف باسم الكنية بول . بعد أشهر قليلة من التقاط هذه الصورة انفصلت المرأة واليونانى عن المنظمة دون أن يتركا أى أثر ، وهو ما سبب كثيرا من الإحباط لكوريل . كان يقدر المرأة كثيرا ويناديها / بالخادم /." كانت بريندا فى حالة إثارة لم تتمكن معها من الكلام . نهضت ببطء وعادت إلى مكتبها بخطوات محسوبة . التقطت الصورة التى تصورها خبراء مكتب التحقيقات الفيدرالى لملامح وجهها والتى وصلتها للتو وعادت إلى مائدة الاجتماعات ووضعتها إلى جوار صورة الخادم الشابة فى ملف كريستينا التى وقفت وانضمت إليها . " خذى الصورتين إلى أسفل واطلبي من مارك فى مجموعة الخبراء المختصين بوضع تصورات لملامح الوجه أن يدرسهما ، لنعرف ما إذا كان يعتقد بأن هاتين السيدتين هما فى الحقيقة نفس السيدة . " وبدون أن تنبس بكلمة اندفعت كريستينا إلى خارج الحجرة وهى تحتضن الصورتين . التقطت بريندا التقرير وبدأت تقرأ ببطء . كانت هناك حقائق قليلة يمكنها العمل على أساسها . جنسية المرأة تم الكشف عنها ـ يوغوسلافية . وهذا ما يفسر اللكنة التى رصدتها بريندا فى الألمانية التى تتحدث بها المرأة بطلاقة . ثانيا علاقتها مع بيتر . تأكدت أيضا من تدريبها على تنفيذ عمليات الاغتيال . كما أن موهبتها الفذة كقاتلة تم توثيقها أيضا . كانت رائعة . رائعة لدرجة أن يكلفها كوريل بمهام . لقد تردد أنه يعتبرها أفضل من كارلوس وجاكل وهو ما يعنى أنها جيدة بشكل كاف للإسرائيليين!، إذا ما كانوا حقيقة قد أستأجروها لاغتيال سورينسون . وفى النهاية بدأت الأمور تتضح . وكانت بريندا متأكدة من أن مجموعة الخبراء فى ملامح الوجه سوف يؤكدون شكوكها . لابد أن تتصل بجاى وتبلغه بهذا التطور الأخير . ولكنها الان فى حاجة إلى مزيد من التفكير . وبعد أن تمشت حول مجمع مبانى مكتب التحقيقات الفيدرالي فى طقس أكتوبر البارد صفا ذهنها . وعادت بريندا إلى مكتبها وطلبت على الفور إعادة فحص ملفات منظمة كوريل . طلبت أيضا ملفات عن أى شخص له صلة بهنرى كوريل مهما بدت غير مهمة .

وفى اليوم التالى تسلمت بريندا نتائج الفحص .استدعت كريستينا إلى مكتبها وبدأتا فى قراءة الملفات بدقة . لا تعرفان ما تبحثان عنه ولكنهما تأملان فى أن شيئا ما سيقفز إلى ذهنيهما .

السادس عشر من أكتوبر

أسبوع من العمل الشاق لم يسفر عن تقدم كبير . لم يضف قيمة لما تم اكتشافه . بدا انه لاجدوى من البحث .وضع مكتب التحقيقات الفيدرالى مراقبات على معظم متدربى كوريل . الشيوعيون المخلصون الذين يؤمنون بأساليب كوريل ويتقيدون بتعليماته . والمتدربون الآخرون من الشبان الذين يرغبون فى توجيه رسالة العالم من خلال الانضمام إلى مجموعة سيئة السمعة . وعندما كبروا اختفوا فى زحمة الحياة وتزوجوا وكونوا اسراً وقطعوا كل صلة لهم بشبابهم العاصف . أما أولئك الذين كانوا يتمتعون بعقلية احترافية ، الذين ذهبوا لكوريل ليتعلموا أصول المهنة فإنهم اتجهوا فيما يبدو للعمل لحسابهم يبيعون أنفسهم لكل من يدفع .

ولكنها كانت كلها معلومات عامة لم تعط أى منها دفعة لتحقيقات بريندا . كانت تبحث عن إبرة فى كومة من القش .

* * * *

الإبرة وخزتها فى منتصف تلك الليلة. فلم تجد سيبيلا إلى النوم بسبب عقلها الذى لم يهدأ لحظة واحدة . ارتدت ملابسها بسرعة واتصلت بسيارة أجرة لتصل إلى مكتبها فى الساعة الواحدة صباحا أخذت تقلب فى ملفات متدربى كوريل . أمرت جهاز الكمبيوتر الخاص بها بأن يفعل أربعة أشياء . أولا : وضع قائمة بجميع متدربى كوريل على أساس جنسيتهم ، جنسيتهم الحقيقية أو المحتملة ، ثانيا : طبع قائمة بعناوينهم الحالية إذا ما كانت تحريات مكتب التحقيقات قد ذهبت إلى هذا المدى . ثالثا : التنويه إذا ما كان أى منهم قد عاد إلى المجموعة تحت هويته الأصلية أو غيرها . رابعا : تصنيفهم حسب الجنس وضغطت على مفتاح تنفيذ الأوامر وانتظرت .

فى الساعة السابعة دخلت كريستينا المكتب ، كان وجه بريندا يختفى وراء شاشة الكمبيوتر . وقد خلا سطح مكتبها من تلال الملفات المعتادة . وتناثرت عليه أكواب القهوة الفارغة . وبدا أن بريندا ـ المنعزلة عن العالم المحيط بها ـ لم تسمع كريستينا وهى تفتح الباب وتدخل إلى الحجرة . ترددت كريستينا فى مقاطعة بريندا . جاء صوت بريندا الخافت الغاضب من وراء الشاشة .

" تعال واغلقي الباب ."

" بريندا ، ماذا يجرى بحق الجحيم ؟"

رفعت بريندا رأسها وابتسمت ابتسامة المنتصرة .

" ارشميدس وأنا ـ وجدناها ."

أسرعت كريستينا لتقف بجوار بريندا وحدقت فى شاشة الكمبيوتر وقد اتسعت عيناها

" عن ماذا تتحدثين ؟ هى الملفات نفسها التي قتلناها تحليلا خلال الأيام السبعة الأخيرة."

" لم نقتلها بحثا يا كريستينا . وكانت تلك هفوتنا . أجلسى ! "

سحبت مقعدا إلى جوار بريندا التى أخذت تشرح لها ما تفعله بالمعلومات عن متدربى كوريل إلى وقت اغتياله هو نفسه في مايو ١٩٨٥ . وحل منظمته .

" أعطاني الكمبيوتر اسما نمساويا - س . بيرجن التى تكنى بفينوس . قام كرويل بتدريبها للقيام بعمليات سرية غير أنها رفضت التورط فى عمليات اغتيال أو عمليات إرهابية . وفى حياة كوريل التقت وتزوجت عميلا شيوعياً يوغسلافيا ريستو ماركوفيتش أنجبا طفلا وطفلة . الطفل مات فى سن الخامسة من جراء سقوطه من علو فيما زعم وأنت تعرفين ما يشير إليه هذا الأمر عادة ."

" إساءة معاملة الأطفال ، ثم ماذا ؟"

تثاءبت بريندا " ماركوفيتش الذى يشتبه فى أنه عميل للكى جى بى قام بعمليات اغتيال عثر عليه قتيلا .ولم تحل القضية مطلقا . قامت فينوس حينئذ بتقديم ابنتها المراهقة إلى كوريل لتأخذ مكان أمها فى المنظمة . من الواضح أنها كانت تريد استعادة أيام أنشطتها الهدامة المجمدة من خلال ابنتها ." " وكيف عرفت ذلك ؟ "

" نظرت بريندا إلى الكمبيوتر " كل هذا فى الملفات ." وبدأت تقرأ " سى بيرجين تزوجت ماركوفيتش / تلقب بفينوس / أحضرت ابنتها المراهقة جى باولا إلى معسكر تدريب كوريل لكى تسير ابنتها على خطاها ."

قاطعتها كريستينا " وإلى ماذا يشير حرف جى ؟ "

" لم أعرف بعد على أية حال الفتاة التى منحت لقب الخادم ، تقبلت التدريب بصورة طبيعية وفى ظل هذا الحماس جندها كوريل للقيام بعمليات صغيرة نفذتها باستعداد يدعو للإعجاب . وبدأ يسند إليها مسئوليات متزايدة ومهام خطيرة نفذتها بسهولة . ومن ثم قام بترقيتها إلى متدربة على عمليات الاغتيال ."

" من أين حصلت على كل ذلك ؟ "

" قبل ساعتين ، اتصلت بالفرنسيين للحصول على مزيد من المعلومات عن المرأة النمساوية التى تزوجت ماركوفيتش ."

تطلعت كريستينا إلى بريندا فى إعجاب .

" الشرطة الفرنسية ورجالنا فى باريس وفيينا وبلجراد يبحثون عن عنوان أمها . وحالما نعثر على الأم فإننا سنعثر على ابنتها . والآن لدينا جزء من اسم المرأة الغامضة جى بولا . يمكننا استخدام الاسم الأول لوالدها ماركوفيتش أو أسم أمها بيرجن أو أى لقب . كما لدينا فكرة طيبة عن الهيئة التى تبدو عليها ."

صمتت بريندا لحظة وهى تعض على شفتيها قبل أن تواصل . انها المشتبه فيه الرئيسى بالنسبة لى . حتى على الرغم من أننى لازلت لا املك دليلا ضدها ولا بيتر القاتل .ولكن إذا أصدرت أمرا بالقبض عليها فإن الله وحده يعلم أين ستختفى ، فإنها إذا كانت القاتل الذى نبحث عنه فإنها لابد تتمتع بمهارة فائقة . ومن ثم فإننى أرغب فى أن تجرى

الأمور بيسرية بقدر الإمكان ." أخذت كريستينا تردد كلمة / لوفالى / الفرنسية التى تعنى الخادم وقالت " من الغريب أن يمنح كوريل فتاة لقب رجل مثل هذا ، ألم تكن مقدرية ممتازة لكوريل لكى يناديها بالخادم ؟ "

قالت بريندا بإرهاق وقد رجعت بظهرها إلى الوراء وأخذت تتثاءب " ليست خادمة .أنه لم يناديها بخادم والتى يمكن أن تعنى بالفرنسية أيضا . الولد فى ورق الكوتشينة .. آه جاك تبدأ بجى الحرف الأول فى اسمها ربما . هل تتذكرين العاهرة روزى ؟ قالت أنها تطلق على نفسها جى . لقد تذكرتنا أن جى هو أسم بولا الأول ."

حملقت كريستينا فى رئيستها وهى تفحصها شاعرة بالقلق حيال شحوب وجهها .تبدو بريندا منهكة .فقد تركت أشهر العمل الشاق التى لا نهاية لها دوائر سوداء أسفل جفنيها . وتجمعت تجاعيد جديدة فى زوايا فمها وقد ذهب شعرها المتوج القصير فى كل اتجاه . وملابسها التى هى دائما فى غاية الأناقة تبدو الآن وكأنها قد نامت بها .

سألتها كريستينا بلطف " ترديين فنجانا آخر من القهوة.؟ "

تمتمت بريندا " لا مزيد من القهوة ، من فضلك ! ما احتاجه هو إفطار شهى . وأنت أيضا ؟ "

" ومن سيدفع الحساب ؟ "

ضحكت بريندا قائلة " ألم تجاورى هوتشينز فترة طويلة ! إذا لم تخبريه سأدفع أنا الحساب . عندى الحساب ."

أغلق الكمبيوتر ملفاته وأظلمت شاشته . وفتح مكتب بريندا وأغلق . وتبع صوت إغلاق قفله الأمنى وقع خطوات زوجين من الكعوب العالية . ترددت صيحات العميلتين فى ردهات الطابق الخامس من مقر مكتب التحقيقات . شعرت كريستينا بالسعادة لسماع ضحكات بريندا مرة أخرى . فمزاجها المرح لم يكشف عن نفسه كثيرا منذ شهر مايو الماضى .

موسكو

قال يورى فى نفسه وهو يبحث عن رقم هاتف جاكى «يزداد الأمر خطورة بالغة على ما أعتقد ، أين هى الآن بحق الجحيم ؟» ويسخط بحث فى مفكرة هواتفه الخاصة . بالما دى مايوركا ، بروكسل ، نيويورك ...لم يعرف أبدا جدول مواعيدها «أنها محترقة إلى درجة لا تدعنى أعرف تحركاتها». أتصل ببالما لا يوجد أحد ، باريس لا أحد يجيب . وفجأة طرأ خاطر ليورى أنها ربما تكون فى الولايات المتحدة ، وأتصل بشقتها فى برج ترامب .

"جاكى ...."

ردت جاكى بصوت بقاليه النوم " عزيزى ، أنا لا أحب هذه المكالمات ، وخاصة هنا ، أولا قبل كل شىء أنها مخاطرة ... "

« جاكى» الأمر مهم ! لقد علمت أنهم اقتحموا شقتك فى بروكسل أننى آمل ألا تكونى

قد تركتى شيئا ذا قيمة . أنك تعرفين ما أعنيه ."

قالت وقد طار النوم من عينيها . «أنت تمزح ، أنك دب كبير . أنت تحاول إفزاعي وحسب . كيف بوسعهم معرفة عنوانى ؟ ربما كانت عملية سرقة عادية ." ولكنها جلست ببطء على الفراش وشعرت بقشعريرة تجتاح جسدها كله .

" لقد حذرتك . انها ليست دعابة ، جاكى فكرى بجدية . ماذا تركتى هناك وماذا يمكن أن يضعوا أيديهم عليه؟ "

" لا شيء ، لاشيء على الإطلاق ." وأخذ عقلها يعمل بسرعة بالغة " أسمع ، سأنهى المكالمة الآن لدى موعد سأذهب إليه ."

" أتصلى بى فى منزلى بموسكو عندما يكون بوسعك ذلك ."

" سأتصل . عزيزى . ولكن حقيقة ليس هناك على الإطلاق ما يدعو للقلق ."

وضعت جاكى السماعة وظلت بلا حراك للحظات . ألقت بجميع الوسائد خلفها وأسندت ظهرها عليها محاولة لم شتات أفكارها . أمر واحد كان مؤكدا : لقاؤها مع السيد تيرون عاجلا أم لاحقا . ليس بوسعها الانتظار الآن . وفى تنفيذها لخطتها سوف تتأكد من أن بيتر هو أكثر من مجرد أسم فى هذه العملية . يجب عليها أن تجعل تركيز الشرطة منصبا عليه .

الفصل العشرون

تـل أبيب
التاسع عشر من اكتوبر

عاد تيرون إلى حيه إسرائيل، فقد بعث له شتيرن ببرقية طويلة يطلب فيها منه العودة لإجراء مراجعة نهائية لعملية هيبرون، ولم يتبق الآن على الانتخابات الأمريكية سوى أسبوعين.. فالوقت يجرى ولم يبق هناك أى مجال لارتكاب أى خطأ.. وتيرون يعلم أن إيشيل وشتيرن يرغبان فى مراجعة كل التفاصيل وجها لوجه معه ليتأكدا من أن شيئا لم يترك للمصادفة فى الأيام الأخيرة المتبقية على يوم الثلاثاء الكبير، ونظرا للإجراءات الأمنية غير العادية المحيطة بعملية هيبرون، فإنه كان محظور على هيبرون أن يبعث بأية تقارير من خلال البرقيات، وقد بعث مرتين بتقرير خطى مشفر عن طريق رسول من الموساد صاحبه حارسان غير أن الوقت كان يمر سريعا.

وعلى الرغم من أن تيرون لم يبعد أكثر من ثلاثة أشهر فإن عواطفه غلبته وطائرة العال تلمس أرض مطار بن جوريون بللت الدموع عينيه، إنه يشعر بأنه فى أحسن حال لكونه على أرض إسرائيلية من جديد، أطلق تنهيدة مزيجاً من الارتياح ونفاد الصبر.

ترك بقية الركاب يتقدمونه فى النزول، لديه وقت طويل قبل اجتماعاته ويرغب فى الاستمتاع بعودته إلى الوطن، اجتاز موظفى الجوازات إلى ردهة الوصول وفور أن مر من الحاجز الذى يفصل القادمين عن حشد المستقبلين حتى سمع صوتاً يقول «من هنا سيد تيرون من فضلك» تتبع الصوت وعرف حاييم أحد السائقين الحراس لشتيرن وهو يومىء له بابتسامة واسعة على وجهه.

«سوف أوصلك إلى الفندق سيد تيرون، الجنرال شتيرن سوف يتصل بك هناك فى غضون ساعة من وصولك ليتأكد من برنامجك، أنه يريد منك ألا تظهر كثيرا وألا تتصل بأى من أصدقائك أو أفراد أسرتك، من فضلك»، هز تيرون رأسه مقرا بذلك، وهو يصعد إلى السيارة الشيفرولية المعتنى بها، كان يأمل فى مزيد من الوقت، إنه فى حاجة إلى قسط من الراحة، إلى حمام وإفطار شهى، ثم يرغب فى أن يجلس ويراجع الملاحظات المشفرة التى يحملها معه من أجل الاجتماع.

بعد نصف ساعة كانت السيارة التى لاتحمل لوحات تقف أمام فندق تل أبيب، حيث كان تيرون محظوظا لأنه سار فى إثر ركاب حافلة من السياح الألمان حتى قسم الاستقبال وبعد أن وصل بأمان إلى حجرته خلع ملابسه ليأخذ حماماً ويحلق ذقنه، كان فى حاجة ماسة إلى بعض الراحة، إنه يعيش على الأدرينالين بدلا من الطعام والنوم مع اقتراب الانتخابات، وبدأت تظهر عليه علامات التوتر والإجهاد، إن عملية هيبرون هى أكثر العمليات التى تتطلب سرية التى شارك فيها حتى الآن ناهيك عن جهد السيطرة على العميل.. وفوق كل ذلك فإنه دائما مايذكر نفسه بأن مصير إسرائيل معلق على نجاح أو فشل العملية.

وبعد أن حلق وارتدى ملابس جديدة سرى شعور بالدفء فى عضلاته المجهدة من

شمس الصباح التى فتح لها نوافذ حجرته الزجاجية، وبدأ تيرون فى مراجعة النقاط لاجتماعه وهى النقاط التى لم تكتب فقط فى صيغة، لايمكن لأى غريب أن يفهم منها شيئا وإنما كان يحتفظ بها فى جيب معطفه الداخلى طوال الرحلة من واشنطن.

إنه يريد دفعة أخرى من الأموال حتى مع اقتراب الانتخابات، يتعادل ويستليك وجونسون ٣٢ فى المائة لكل منهما و٣٠ فى المائة لكرامر، وهو وضع يمكن فيه لهامش الخطأ فى استطلاعات الرأى والأصوات التى لم تقرر موقفها بعد من دفعه إلى القمة، وتيرون على ثقة من أنه سيكون من الصعب لجونسون وويستليك جمع مزيد من الأموال من الآن وحتى الانتخابات وتتفق معه الصحافة الأمريكية فى ذلك، ومن وجهة نظر تيرون فإن مزيدا من الأموال تعد هدفا رئيسيا لزيارته الحالية لتل أبيب قبل الانتخابات.

قطع رنين الهاتف تركيزه.. رفع السماعة «شالوم» جاء صوت شتيرن المتحمس «ديفيد» شالوم أمر طيب انك هنا اسمع، كما تعرف فإن هناك شخصا ما فى طريقه إلى هنا يتوق إلى سماع أخبارك ووجهات نظرك، سنتحدث أنا وأنت أولا، صديقنا سيأتى من القدس لحضور جلسة مسائية معنا فى مكتبى، حاييم سيكون فى انتظارك فى الساعة الخامسة أمام الفندق، خذ راحتك، ربما تكون أمسية طويلة» ووضع شتيرن سماعة الهاتف.

بوسع تيرون أن يسترخى فقد أكد شتيرن أن رئيس الوزراء سوف ينضم إليهما فى الاجتماع والعشاء، وهو أمر رائع حيث سيكون الاجتماع مؤمنا من عيون وآذان الآخرين، كما سيكون لديه متسع من الوقت للراحة، وهو يحتاج إلى كل دقيقة من الراحة.

وبعد وجبة إفطار من الفاكهة الطبيعية والبيض، وضع علامة ـ أرجو عدم الإزعاج ـ وطلب من الفندق إيقاظه الساعة الثالثة وعلق ملابسه وهو الآن فى أمان من يقظة أجهزة مكافحة التجسس الأمريكية للمرة الأولى منذ أشهر، وسرعان ماغط فى النوم.

أيقظه عامل الهاتف فى الموعد المقرر، نهض وارتدى ملابسه بسرعة، أحس بالجوع مرة أخرى وطلب من خدمة الفندق ساندويتشا وشريحة من فطيرة الجبن ومياهاً معدنية، أدار التليفزيون على محطة «سى. إن. إن»، جمهورية روسية تتورط فى حرب دينية مع موسكو والسبب البترول.

وقبل حوالى خمس دقائق من وصول حاييم أمام الفندق استمع تيرون للتطورات حول انتخابات الرئاسة الأمريكية، أعضاء مجلس الشيوخ الثلاثة مازالوا متقاربين لم يحدث تطور خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، شهدت البلاد من قبل سباقات متقاربة لمرشحين اثنين ولكن وجود مرشح الحزب الثالث الذى جعل التقارب ثلاثيا يعد أمرا فريدا فى الحياة السياسية الأمريكية، ابتسم تيرون، وهو على قناعة من أنه بإنفاق سخى فى اللحظة الأخيرة بوسع أى من المرشحين الثلاثة بمن فيهم هيبرون أن يطيح بالمرشحين الآخرين ويصبح الرئيس القادم للولايات المتحدة، ومازال يذكر نفسه لن ينتهى الأمر إلا عندما ينتهى بالفعل!.

كان حاييم ينتظر بالقرب من المدخل الرئيسى، أومأ لتيرون واتجه ناحية السيارة الشيفرولية السوداء التى كانت تقف على بعد ياردات قليلة.

فى المقعد الخلفى أخرج تيرون ملاحظاته من جيب معطفه الرياضى وراجع كل شىء بالتسلسل الزمنى، كان قد أجبر نفسه على عدم مراجعة هذه الملاحظات للمرة الثانية، ولكن هذه الوسوسة التى تحمله على مراجعة الشىء مرة تلو الأخرى كانت نقطة ضعفه النفسية فى مهنته وقد وجد صعوبة فى التحكم فى تلك العادة، حاول تشتيت عقله المشغول بالتطلع من النافذة للاستمتاع بالمناظر التى تمر بجواره، كانت الشوارع تعج بمزيج من متسوقى فترة مابعد الظهيرة ، مواطنيه وجميعهم عائد من العمل يتخللهم من حين لآخر جنود مسلحون يرتدون سترات مضادة للرصاص.

يقع مقر الموساد الكائن فى هيرتزليا على مشارف تل أبيب فى مبنى ضخم مهيب شيد بالكامل من الحجر الرملى المتوفر فى البيئة المحلية بكثرة، وكان يرى أن مبنى الموساد يتسم بالقبح، إذ أنه عندما يعود للعمل فى إسرائيل فإنه وعروسه سيبحثان عن منزل مشيد على الطراز القديم ربما بالقرب من هيرتزليا، وكان دائما مايتخيل أن المكان النموذجى للحياة هو فى ضاحية صغيرة حيث من السهل التعرف عليه والإعراب عن الإعجاب بمركزه داخل الموساد.

اشتعل الغضب داخله إلى حد ما عندما لم يجد شتيرن لدى وصوله فى مكتبه لقد قطع كل هذه المسافة من واشنطن لبحث أكثر العمليات أهمية فى تاريخ الموساد، ورئيسه لايحضر فى الموعد المضروب، أمر يبعث على الضيق.

قدم له مدير مكتب شتيرن فنجانا من القهوة وأجلسه على الأريكة فى أقصى طرف مكتب المدير الضخم، ولم يكد يأخذ أول رشفة من فنجانه إلا وقد انفتح الباب ودخل شتيرن ببنيانه الضخم.

بادره قائلا كما لو كان قائدا عسكريا «آسف ديفيد، لقد أخرنى زحام المرور، يبدو أن تل أبيب تشهد العديد من السائحين هذه الأيام كذلك القدس، ماذا سنفعل فى غضون سنوات قليلة حيال الطرق؟، حسنا فلنشرع فى عملنا».

«ولهذا السبب أنا هنا الآن بن».

«ومن ثم كيف تسير الأمور وماذا تحتاج من رئيس الوزراء؟ اخبرنى سريعا، بهذه الطريقة بوسعنا أن نحدد المسائل المهمة قبل أن يأتى وسوف أساعدك فى الحصول على ماتريده منه، وهو ما أعتقد أنه يعنى مزيدا من الأموال».

«نعم، والآن الأكثر أهمية أن العملية فى أمان حتى الآن، أننى أؤكد دائما على أن الأمن أكثر أهمية من النجاح تقريبا، وإلا فإن كلينا، هيبرون وأنا، سوف تلقى علينا أوحال فوضى وجنون حملة الانتخابات الأمريكية، وأى منا لن يتحمل أى خطأ جسيم، وعلى

الرغم من ذلك فإننى لاحظت ونحن نقترب من يوم الانتخابات أن هيبرون أصبح عصبيا ويتجه لأن يفقد رباطة جأشه، وقد وضح هذا الأمر قليلا فى التليفزيون وهو ما يقلقنى إلى حد ما، رغم أنه يجب أن أعترف بأن الانتخابات كفيلة بأن تحطم أعصاب معظم الناس وخصوصا هناك، حيث يتواصل ضغط وسائل الإعلام، ناهيك عما يعانيه هيبرون من ضغط وشد عصبى وهو يتجه ليحيا حياة مزدوجة، ومن ثم يجب أن أظل هادئا تماما لتشجيعه على الاحتفاظ برباطة جأشه، وكما نعلم فإننى منفعل ولكنى أكافح لأبدو هادئا.

«هل تعتقد أن هذا مجرد ضغط وتوتر؟ أم أن هيبرون يخفى شيئا عنا؟».

«إنه مجرد توتر، إذ يتعين عليه أن يكون الرجل الذى يحيا أشهر حياة عامة وأشهر حياة خاصة فى الوقت نفسه فى أمريكا، وبوسعك أن تتخيل ماعليه الأمر من إجهاد وتوتر، فهذه الانتخابات، اللعينة التى تشبه العروض الموسيقية تصيبك بالانهاك، صدقنى أن الأمر يصيبك بالتوتر والإجهاد، أنا لم أنم سوى ثلاث أو أربع ساعات خلال الشهر الماضى، وكذلك هيبرون كما أنه الأكبر سنا، وفضلا عن ذلك فهو المرشح لقد رأيته أنت على غلاف مجلة النيوزيويك، أليس كذلك؟، والأمر فى سبيله لأن يكون أسوأ خلال الأسبوعين القادمين قبل يوم الإنتخابات، فهو يجد ميكروفوناً وكاميرا فى وجهه كل دقيقة».

«أهدأ، ديفيد!، إننى تقريبا هناك، والآن هناك سؤال أساسى، هل مازال هيبرون يحافظ على الانضباط كعميل عندما بدأ يفكر حيال كونه سيصبح رئيساً؟ وكيف يتعايش مع كل تلك الأجهزة السرية التى تحيط به؟، وكيف يدير لقاءاته السرية معك؟».

«كل الأمور تسير على مايرام بسبب هذا الجناح فى فندق ويلارد الذى وفره صديقنا الأمريكى، لقد أقنع هيبرون ضباط الخدمة السرية أن له خليلة فى الجناح، نجمة مشهورة، تحمل اسما مستعارا، ترفض أن يشاهدها حراسه، كما أننى خصصت اثنين من فتياتنا المثيرات لإلهاء ضباط أمنه، وهناك جناح منفصل إذا ما احتاجت الفتاتان إلى الترفيه عن الحراس، وإلى الآن تمضى الأمور بنجاح، أتصور أننا لن نكون بحاجة إلى أكثر من اجتماعين آخرين قبل الانتخابات ماعدا ايصال الأموال النقدية له من خلال لورى، لديه خزانة ممتلئة بالأموال هناك فى المبنى الإدارى لمجلس الشيوخ، ألا تحب ذلك؟ هل سيفكر مكتب التحقيقات الفيدرالى فى البحث هناك عن دولاراتنا؟»، وضحك قبل أن يستطرد «لدى هيبرون جهاز للطوارىء يعمل فى اتجاه واحد ليتجنب الهاتف، وإلى الآن لم يضطر إلى استخدامه، لدينا ملاذ آمن فى ڤيرجينيا، ولكن من المخاطرة للغاية التوجه إلى هناك قبل أن يهدأ الضجيج الانتخابى ونبدأ التعامل مع رئيسنا الخاص جدا».

«حسنا، وماذا عن استخباراتنا المعاونة فى عملياتنا الأخرى فى واشنطن؟».

«لقد اخترقنا بصورة جيدة جميع الحملات الانتخابية الثلاث، بما فى ذلك المسئول

المالى عن حملة هيبرون ، وهو ما لا يعرفه هيبرون بالطبع، ومن ثم فإننى عندما أقول إننا بحاجة إلى مزيد من الأموال فإنه بوسعك أن تتأكد من أننى لا أستمع فقط إلى مايطلبه هيبرون، فلدينا تأكيدات من المسئول المالى واثنين آخرين فى لجنة حملته الانتخابية فى البلاد، وللأمانة لدينا كم هائل من المعلومات حول جميع المرشحين، لقد غدا الأمر مثل «أينيجما» ـ عملية فك الشفرة للحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، يجب علينا أن نكون حريصين ولا نعطى المعلومات كلها لهيبرون خوفا من أن يقول شيئا للصحف أو يتخذ قرارا ما قد يشى بأنه مطلع بشكل يثير الريبة حتى ولو كان بصورة غير مشروعة».

«عظيم وماذا عن فيبلاش فى البيت الأبيض؟ يا إلهى أنها جميلة! هل تقدم أية مساعدة؟».

«بشكل غير مباشر، إنها مازالت صغيرة، وهى متدربة فحسب، غير أنها مفيدة فى إبقائنا على علم حيال ما يعتزم هذا الرئيس اللعين الإقدام عليه، على الاقل نعرف متى سيكون على وشك أن يضربنا مرة أخرى، كل شخص فى البيت الأبيض يحاول مغازلتها ومن ثم بوسعها خدمة متطلبات استخباراتنا فى كل دقيقة تقريبا، كما أن وجودها فى مكتب رئيس الأركان يحول دون أن يتجرأ أحد على اعتراض طريقها، أنها مفيدة للغاية فى الانذار المبكر عن تحركات دوجلاس، ومن المخاطرة استخدامها فى أى شىء آخر، وعلى أية حال فإن كل ماتسمعه فى البيت الأبيض هو الجانب الجمهورى من الأمور».

«وماذا عن مصادرنا فى وسائل الإعلام؟».

«مازالت هى الأفضل، بلوهارد وباتلجروب فى نيويورك وويستليستوب فى واشنطن وجيتوس وجاردن فى لوس أنجلوس وغيرهم، وبوجود مثل هؤلاء الرجال لا أجدنى مضطرا لقراءة الصحف، إنهم موالون تماما لإسرائيل، إنهم ممتازون مثل العملاء الذين يحصلون على أتعاب، إنهم ينقلون قضيتنا إلى البيت الأبيض كل يوم، يمكننى أن أحدد لهم الموضوعات التى يتبنوتها واختيار التوقيت والطبعات التى تصدر فيها، وبالطبع فإن الأمر خضع فى قضيتين لأهواء رؤساء تحريرهم، أنهم يبقوننا أيضا على إطلاع دائم بما يدور فى ذهن الصحفيين الآخرين، شبكة ممتازة للإنذار المبكر، مثل شبكة الرادار التى تغطى الأفق، وكما قلت فى برقية لى لدينا مجند جديد فى وزارة الدفاع، يجب علىّ أن أبلغك بالمزيد عنه ولكن يمكن لهذا الأمر أن ينتظر بعض الوقت».

«نعم، نيفيد، ولكن ما الأمر الذى ليس بوسعه الانتظار؟، ماذا تحتاج الآن؟».

«المال هو هدفى الرئيسى من القدوم إلى هنا!، نحن فى حاجة إلى عشرة ملايين دولار نقداء أربعة مباشرة لهيبرون من خلالى أو من خلال خزائننا فى مجلس الشيوخ وستة ملايين إضافية كتبرعات رسمية من خلال بعض الأصدقاء الأمريكيين، إنه من الصعوبة بمكان بالنسبة لأى من المرشحين أن يجمع مبالغ كبيرة خلال هذين الأسبوعين الأخيرين،

إن هذا السباق الثلاثي المتكافيء قد استنزف تقريبا جميع المتبرعين، ويمكنني أن أؤكد أنه مع وجود عشرة ملايين دولار خلال هذين الأسبوعين يمكننا دفع هيبرون إلى مابعد خط النهاية ولو ببضع بوصات قبل المرشحين الآخرين، ولذا فإننا نحتاج إلى هذه المبالغ النقدية وعلى الفور!».

«أتفق معك، أطلب من ايشيل عشرة ملايين وإذا وافق – وأنا واثق من أنه سيوافق – سيجرى توفيرها على الفور لدى عدة ملايين أخرى كاحتياط في الولايات المتحدة تحسبا أننا سنحتاجها الوقت عصيب مثل هذا، هذه فرصة عمرنا ولن تضيعها من أجل بضعة دولارات».

«هذا عظيم، بن لقد اقتربنا الآن من السابع من نوفمبر، وليس هناك سبيل المرشحين الآخرين لمسايرتنا في تلك الدفعة الكبيرة التي تأتي في اللحظة الأخيرة، لايمكنهم أبدا».

دق جرس الهاتف على مكتب شتيرن «اللعنة على الهواتف، لقد حولت حياتي إلى جحيم»، رفع السماعة واستمع لبرهة ثم قال «حسنا، مارفين، والآن لا أريد أية مكالمات إلا إذا بدأ العرب في مهاجمتنا، وأحضر العشاء فور وصوله، نحن الثلاثة جميعا سنأكل هنا.

«رئيس الوزراء هنا، ديفيد، لقد أقنعتني، والآن لتحاول اقناعه، ودعنا نلتقي قبل مغادرتك في الغد إلى واشنطن، ومن ثم يمكننا مراجعة الأفكار التي اثرناها الآن أو تلك التي سيثيرها ايشيل، كما يمكن أن تطلعني أكثر على عميلنا الجديد في البنتاجون، سأكون عندك في الفندق في الثامنة صباحا».

تنهد تيرون باستسلام، مسكينة أمي، أنه مضطر لأن يتجاهلها مرة أخرى، ولكن على الأقل ضميره مستريح هذه المرة لأن الذنب ليس ذنبه.

وبدون تحذير فتح مارفين الباب ودخل ايشيل بخطوات رشيقة، واتجه مباشرة إلى تيرون.

«ديفيد، مرحبا بك، في بلدك لم يكن بوسعي التركيز في أي شيء اليوم حيث كنت أتطلع إلى اجتماعنا الليلة، بن مارأيك في ويسكي بالثلج، هناك بعض الأشياء لسنا الأفضل فيها مثل الويسكي».

اتجه شتيرن إلى البار في أحد جوانب مكتبه واختفى خلف لوح منزلق تغطيه خريطة العالم وصب كأسين من الويسكي لرئيس الوزراء وله «ديفيد ماذا تحب؟».

«كوكا دايت على الطريقة الأمريكية!»، غير أن محاولة تيرون الفكاهة لم تحدث تأثيرا، لا أحد في الحجرة في مزاج يسمح بتقبل هذا الأمر، مستقبل إسرائيل في خطر، وايشيل لايمزح مطلقا حيال ذلك.

وبعد أن وزع المشروبات فتح شتيرن أحد أدراج مكتبه وأخرج سيجارا وبدأ في اشعاله بقداحة قديمة هدية من جنرال في القوات الجوية الأمريكية قبل سنوات، تدخين

السيجار يشعر شتيرن دائما بأنه على قدم المساواة مع أى شخص آخر، حتى ولو كان رئيس الوزراء.

قال ايشيل «هيا ديفيد، أدخل فى الموضوع مباشرة، ماهى فرصة رجلنا؟ وضع لايصدق، أليس كذلك؟، من الصعب تصديق أن الأمر يمكن أن يكون بمثل هذا التقارب وخاصة مع وجود ثلاثة مرشحين».

«هذاك نقطتان رئيسيتان سيدى، الأولى أن هيبرون لم يكن بوسعه أن يكون فى وضع التعادل إذا لم يحصل على دعمنا العالمى، وعندما أقول العالمى فإننى لا أقصد الدولى، أقصد كل أنواع الدعم ـ المال، المعلومات السرية، الحيل القذرة فى المعسكرات الأخرى، التغطية الإعلامية وهلم جرا، الثانية فى جملة واحدة، إنه بوسعه الفوز بشرط واحد ـ أن نضخ عشرة ملايين دولار أخيرة فى حملته فى هذا المنعطف الحساس، إذ أنه بعد الانفاق غير المسبوق فى الانتخابات حتى الآن فإن البئر قد جفت تقريبا بين المتبرعين من كل الأحجام والأشكال إن الزج المفاجىء لمبلغ ضخم من المال فى الأسبوعين الاخيرين سيكون من المستحيل مسايرته من جانب المرشحين ويجب على رجلنا أن يصل إلى خط النهاية ويسجل هدفا».

وبينما أخذ تيرون شربة طويلة من الكولا جلس رئيس الوزراء وقد خلا وجه من أى تعبير «استمر».

«قبل وصولك سيدى، أطلعت الجنرال شتيرن على الإجراءات الأمنية المتبعة والجوانب الأخرى للعملية التى نحافظ عليها على الرغم من كل الضغوط الانتخابية، وليس هناك مجال للقلق، عملية هيبرون مؤمنة إلى أقصى حد، ومن ثم فإن الاعتبار الوحيد الذى نواجهه ما إذا كنا سنضخ أموالا اضافية فى العملية».

«تيرون أحب أن أصدق أنك على صواب، ولكنى تلقيت برقية هذا الصباح من السفير مير في واشنطن يبلغنى فيها بأنه يبدو أن السفارة تخضع لمراقبة مكثفة، المفترض أنها من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالى، قل لي لماذا هذا إذا كانت اجراءاتك الأمنية جيدة إلى هذا الحد؟».

ابتسم تيرون بثقة «سيدى، السفير مير ومعظم الدبلوماسيين فى سفارتنا فى واشنطن لم يخدموا أبدا خلال الانتخابات ليست لديهم أية فكرة عن مدى قلق وعصبية مكتب التحقيقات وأجهزة الاستخبارات حول أى حادث أو شائعة، فى هذه الانتخابات اثنان من المرشحين الثلاثة يخوضان الانتخابات بدعم كبير من الطائفة اليهودية، وكما تعلم فإن قدرا كبيرا من هذا الدعم يجرى التنسيق ـ جانب منه بشكل مباشر بواسطة سفارتنا ولابد أن افترض أن مكتب التحقيقات يراقب لمعرفة ما إذا كان أى شخص ينتهك القوانين، ولكن فى التحليل النهائى لايتجاسرون على التحرك ضد أية منظمة يهودية أمريكية لمجرد مساندتها

لمرشح هذا هو حقهم الأمريكى، ومن ثم ماذا يفعل مكتب التحقيقات الفيدرالى؟ إنه يتصرف بشكل أخرق ويحاول أن يثبط من عزيمة أهلنا، ولحسن الحظ فإن اليهود الأمريكيين لايعيرون ذلك انتباها ولن ترعبهم هذه التصرفات، ويبدو أن سفيرنا المبتدىء والحملان فى أركان سفارته هم فقط الذين أرعبهم الأمر».

«اسمع سيد تيرون، أنا لا أريد أن يصرفنا شىء عن غايتنا، ولكن السفير مير هو ضابط مخضرم فى قواتنا المدرعة حيث خدم بامتياز، وأننى باعتبارى زميلاً عسكرياً سابقاً له، أرفض التكهن بأنه خائف قليلا، سجله العسكرى لايؤيد ماتقوله على الإطلاق».

شاهد شتيرن الدماء وهى تصعد إلى وجه ايشيل، إنه لايريد أى احتكاك شخصى يصرفهم عن هيبرون لذا قاطعه قائلا «هارون، من فضلك هل تسمح لى، منذ أوائل العام الجارى وديفيد يحمل على عاتقه كل عبء إدارة هذه العملية ومن على بعد آلاف الأميال، أنه وحيد ومتعب وربما يبالغ عندما يعتقد بأن المخاطر التى يتعامل معها لايمكن مقارنتها بالمشكلات اذا جاز لنا أن نطلق عليها مشكلات التى يواجهها السفير والعاملون معه، ولذا من فضلكما دعونا نتغاضى عن تعليقه المؤسف له وأن نأخذ فى اعتبارنا بأن للموساد آلاف الأعين فى أمريكا، أكثر كثيرا من السفارة وهى أعين يمكننا الاعتماد عليها، فإذا كانت هناك مشكلة أمنية خطيرة فإننا لابد أن نعلم بها، وكذلك هيبرون أنه له صلاته الآن، أليس كذلك؟».

«فليكن، ولكن تذكرا، لقد نصحتك انت وديفيد، لاتنسيا ذلك لأننى لا أنسى والآن، مسألة النقود، كيف يمكن لمثل هذا الكم الضخم من الأموال النقدية أن يضخ فى الحملة الانتخابية خلال الأسبوعين القادمين دون إثارة مشكلات أمنية؟، هذا هو مبعث قلقى الرئيسى الوحيد، لدينا باع كبير فى مسألة الاستخبارات ونعلم أنه تاريخيا أدى الإفراط فى تقديم الأموال إلى الكشف عن بعض أفضل العملاء فى العالم».

وبعد أن شعر بالارتياح من أن مسألة مكتب التحقيقات الفيدرالى قد تبددت بفضل دفاع رئيسه القوى، تزحزح تيرون إلى حافة مقعده ونظر مباشرة فى عيون رئيس الوزراء «سأحمل معى لدى عودتى أربعة ملايين وسأسلم معظمها مباشرة إلى هيبرون، إنه يحتفظ بجميع الأموال التى يحصل عليها منا فى الخزانتين المخبأتين اللتين جرى بناؤهما بمعرفة فنيينا، واحدة فى منزله والأخرى فى مكتبه فى مجلس الشيوخ، أنه لايودع أيا منها فى حسابات مصرفية، لم يحدث هذا مطلقا، وبالنسبة لبقية المبلغ فإن الجنرال شتيرن سوف يرتب لتمريرها إلى حملة هيبرون من خلال بعض أصدقائنا من غير اليهود سواء بشكل رسمى أو من تحت المائدة، وبهذه الطريقة لايمكن ربط هذه التبرعات بنا، إننا نعرف كيف نقوم بذلك».

«حسنا، إن بضعة ملايين أخرى لاتقارن أبدا بما نستبعد للحصول عليه، إذا ماتم انجاز

هذا الأمر سوف أتحدث إلى ياهاف فى وقت لاحق الليلة وهو سيعمل على حصولكما على المبلغ بالكامل، فى الوقت نفسه، بن افترض أن بوسعك أن تزود ديفيد بالأموال النقدية التى سيحملها معه غدا».

«نعم، أهارون، سأسلمها شخصيا لديفيد صباح الغد قبل مغادرته، لا فى الحقيقة، سأضع ساعيا دبلوماسيا على رحلته، هذا أفضل من حمل كل هذا النقد معه، وبهذه الطريقة سيجرى حراسة المبلغ»، وأومأ إلى ديفيد «وبوسعى بسهولة ترتيب باقى المبلغ كقروض رسمية لحملة هيبرون من مصرفنا فى نيويورك، سأقوم فقط بضمان الجوانب الائتمانية من خلال شخصية تعمل بمثابة غطاء لنا فى لندن بواسطة مكالمة هاتفية الليلة».

«حسنا، بن، لقد تمت تسوية الأمر، هناك سؤال أخير».

وشاهد تيرون وجه رئيس الوزراء يخلو من أى انفعال تماما مثلما دخل عليهما المكتب.

«ماهى حالة هيبرون النفسية فى هذه الفترة الحاسمة؟ تجاه الانتخابات، تجاهنا، تجاه إمكان أن يصبح رئيسا للولايات المتحدة وعميلنا فى الوقت نفسه؟ وعلى كل فهو الرجل الذى استثمرنا فيه كل هذه المخاطر والأموال، أليس كذلك؟».

«نعم، سيدى ، إنه هو، إننى على ثقة من أنه لن يخذلنا، وأنت تعرف مثل الجنرال شتيرن وأنا أن هيبرون هو عميل منضبط ومنتج على مدى عشرين عاما تقريبا، إنه ليس بالشاب الأرعن يسير على هواه دون أن يدرك العواقب» توقف تيرون ليأخذ آخر رشفة من الكولا. وذهب شتيرن ليحضر له علبة أخرى.

«ديفيد، أنا أعرف ماضيه، أخبرنى عنه الان وعن المستقبل».

«النقطة التى أؤكد عليها أن هذا الماضى الذى شكل هيبرون، ومنحنا الثقة من أنه سوف يتماشى مع هذا الفصل الجديد، تماما مثل عملية النقل السلس لصندوق التروس فى أية سيارة حديثة. وتذكر أنه غير مناصر لأية ايديولوجية، إنه يتلقى راتبا شهريا منا، الذى ـ آخذين فى الاعتبار نمط الحياة المكلف لمعظم الساسة الأمريكيين ـ يمنحه ميزة معينة فى الدوائر الاجتماعية، قدرة معينة على الاهتمام ببعض الناس هنا أو هناك وأن يستمتع بحياته بشكل أفضل من الكثيرين، وفوق كل ذلك فإن راتبه كعميل يفوق ضعف ماسيكون عليه راتبه الرئاسى، ثم هناك العلاوة التى وعدناه بها إذا ما فاز ـ عشرة ملايين دولار لكل عام يقضيه فى السلطة سيجرى دفعها كدفعة واحدة عندما يتقاعد ومن ثم فإننى لا أتوقع أى تغيير جذرى، مادمنا ندفع لهيبرون مايفوق مايحصل عليه من حكومته، سوف نسيطر عليه، ولايوجد أى داع للقلق حيال ذلك».

مط ايشيل شفتيه ونهض من مقعده وتمشى إلى النافذة ليلقى نظرة منها، لم يبد عليه أنه اقتنع.

ظل الآخران صامتين، ينتظران.

«ديفيد، لقد قضيت حياتى منذ انتهاء خدمتى فى الجيش وأنا أتعامل مع حيوانات سياسية من كل أنحاء العالم، عندما يقترب الكثير منهم من السلطة أو يصلوا إليها فإنهم يتغيرون، وليس دائما إلى الأفضل، ولست مقتنعا بأنه حالما يجرى انتخاب هيبرون ويسيطر على مقاليد أقوى سلطة فى العالم سيكون بوسعنا أن نعول عليه فى التعامل معنا مثلما كان يحدث من قبل».

«سيدى، لم يكن هناك أى شيء فى تعاملاته معنا خلال الحملة الانتخابية يوحى بأنه يزداد تكبرا، ومادام الأمر يتعلق بالأمن فإنه يشعر بقلق بالغ، وهو ماكان عليه الأمر دائما وسيظل، وفى الحقيقة اضطررت إلى تهدئة فى بعض الأحيان من مخاوف أمنية يتصورها فى خياله».

«حسنا، ديفيد، دعنا نبتهل من أجل أن يكون الفائز من نصيبنا!، هل بوسع رجالك أن يصدقوا أن هذا سيحدث؟»، وللمرة الأولى منذ وصوله يبتسم ايشيل «حسنا بن، دعنا نراهن بالعشرة ملايين دولار الأخيرة على هيبرون، ديفيد، سوف تكون واحدا من أعظم أبطال التاريخ السرى لإسرائيل إذا ما حالف النجاح هذه العملية، وبعد عام أو نحو ذلك من استقرار رجلنا فى البيت الأبيض وثقتنا من أن سيطرتنا عليه مازالت قوية فإننا سوف نحل آخر محلك فى واشنطن ونعيدك إلى هنا لشغل منصب مهم، أعدك بذلك».

أومأ تيرون برأسه فى امتنان صامت.

تحول رئيس الوزراء إلى شتيرن وسأله «ماذا عن العشاء؟».

ومع مضى الوقت تحولت الأسئلة من المسرح السياسى الأمريكى وعمليات الموساد هناك إلى قصص حروب الموساد القديمة، كان تيرون سعيدا بأن الثلاثة استمتعوا بعشاء خاص فى ظل روح زمالة الكفاح فى الماضى وفى الحاضر.

نيويورك..العشرون من أكتوبر

أخرج رولف هاستينجز من وكالة يونايتدبرس انترناشيونال قلمه الحبر ووضع دفتر أوراقه على ركبته وقد تأهب لإجراء مقابلة ثانية مع السيناتور دان كرامر مرشح الحزب الإصلاحى فى جناحه فى مقر حملته بفندق بلازا.

«سناتور، لم أر فى حياتى مرشحا يبدو سعيدا بنفسه في مثل هذا السباق المتعادل مثلك ماهو السر فى ذلك؟».

«كيف يمكن لمرشح حزب ثالث أن يكون أكثر سعادة بعد أن كتبت يوم الأحد الماضى عن أن انتصارى لم يعد أمرا غير متصور بعد الآن؟، لقد جعلت الناس تتساءل، وكان لهذا تأثير عظيم على حملتى، على الأقل هذا مايقوله مدير حملتى، لقد أخبرنى أن وعودا بأموال جديدة بدأت تنهال نتيجة لذلك، أقول وعوداً ـ فلم نر أية أموال بعد».

وهو منحنى على أوراقه أخذ هاستينجز يسجل تصريحات السيناتور.

«وكما قلت فى عمودك فى شهر مارس الماضى عندما خضت الانتخابات الأولية فى نيويورك، أنه يبدو احتمال بعيد المنال مثل أى مرشح لحزب ثالث فى الماضى، ولكن الان ويستليك وجونسون يتصببان عرقا، لقد انشغل كلاهما فى التطلع خلف كتفه لمراقبة الآخر، وفاتهما أننى أتقدم بخطى ثابتة خلفهما، وأحدث استطلاع لشبكتى «ايه بى اس، وسى إن إن» هذا الصباح يقول اننا الثلاثة جميعا متعادلون، أى الفرق بيننا أقل من هامش الخطأ فى استطلاعات الرأى، لقد اتصل بى أصدقائى فى مجلس الشيوخ هذا الصباح ليقولوا إن العاصمة بأكملها تتحدث عن عمودك، أننى أدين لك بكلمة شكرا، أيها الزميل».

«سناتور، أنا لم أكتب سوى الحقيقة التى يعرفها معظم الصحفيين الذين يقومون بتغطية الحملات الانتخابية ولكنهم يترددون فى وضعها على الورق، خوفا من أن يتعرضوا للسخرية ولكننى تعودت على الوقوف إلى جانب الحق قبل الآخرين وعندما يتولد لدى الإحساس وأحصل على فرصة للتعبير عنه فإننى لا ألوى على شىء».

وتذكر هاستينجز أنه فى حاجة إلى قصة أفضل هذه المرة.

«أولا دعنا نلتقط صورتين جديدتين لك، فإن قوامك الفارع يصنع صورة عظيمة تذكر الناخبين بأنك أحد اللاعبين عند خط النهاية فى المعركة الانتخابية.

«بالتأكيد، التقطوا ماتشاءون من صور».

وبعد أن غادر مصور الوكالة الغرفة، اعتدل هاستينجز فى جلسته استعدادا للمقابلة «سناتور، العديد من المراقبين قارنوا بينك وبين ساسة القرن التاسع عشر، رجل علاقات عامة حقيقى فى غرف ممتلئة بالتبغ، وهم يقولون إنك بهذه الصورة تمكنت من تنظيم حزبك الإصلاحى، بهذه السرعة وبمثل هذا الاحتراف فى غضون عام واحد فقط، هل يمكنك التعليق على ذلك من فضلك؟».

«أولا، كان من الصعب علىّ أن أنشق على الحزب الجمهورى، إننى محافظ والحزب الجمهورى بيتى منذ أن دخلت معترك السياسة، ولكن بصراحة الرئيس دوجلاس وعصابته الأربعة سيطروا على الحزب إلى المدى الذى قررت فيه أن الترشيح من داخل الحزب أمر غير واقعى، وعندئذ فى شهر ابريل سمعت أنه مريض وقد لايخوض الانتخابات، وأدركت أن جورج جونسون سيكون اختياره ليحل محله، ومن ثم واصلت المضى على الطريق نفسه، أظل جمهوريا بالاسم غير أن عشرات من الناصحين ومن بينهم حماى «إيزاك دافيدسون» أشاروا علىّ بالانشقاق عن الحزب الجمهورى وأن أشكل حزبا ثالثا، ومن ثم فعلت ذلك، ومنذ ذلك الحين لم أنظر خلفى، وبصراحة الأمر يرجع أساسا إلى إيزاك ومجموعة الأنصار التى نظمها فى مختلف أنحاء البلاد التى دفعت بترشيحى للأمام فى غضون مثل هذه الفترة القصيرة.

«سيناتور، العديد من المراقبين صوروا إيزاك دافيدسون على أنه ديمقراطى ليبرالى وخاصة لكونه مؤيدا كبيرا لإسرائيل وتوقعوا منه أن يساند السيناتور ويستليك».

«رولف، السيد دافيدسون يمكنه التحدث عن نفسه، ولكنى أقول إن العديدين يشعرون عن حق بأن ويستليك يقول لكل شخص مايحب أن يسمعه ولديه القليل من المبادىء والآراء الصادقة عن أية قضية كانت، ولذا من الطبيعى أن ينفر منه عدد كبير من الديمقراطيين بصرف النظر عن تأييده الشفهى لإسرائيل، إنهم لايشعرون بالقلق حيال مايقول وإنما ينتابهم القلق مما سيفعله، نظرا لأن مواقفه من المسائل الأخرى لم يعد لها وجود على الخريطة، فهو يتبنى موقفا مختلفا كل يوم، وعلاوة على ذلك فإنه ليس لمجرد أن الرئيس دوجلاس وزملاءه، بمن فيهم السيناتور جونسون قد اتخذوا مواقف صارمة إلى حد ما من إسرائيل، فإن ذلك لايعنى أننى أتفق معهم، ولا جميع الجمهوريين الآخرين، وبهذا الخصوص فإننى صديق حميم لإسرائيل وسأظل كذلك سواء أصبحت رئيساً أم لا، ومادمت مخلصاً أكثر لمواقفى المدروسة جيدا بشأن القضايا الرئيسية مما هو عليه هذا السيناتور المتذبذب ويستليك فإننى أعتقد أن اسرائيل بوسعها فقط أن تحقق ازدهارا فى علاقاتها مع الولايات المتحدة إذا ماتم انتخابى، هل هناك أى شىء آخر؟، إننى مضطر لأن أغادر لاجتماع انتخابى بعد الظهر فى وارتون، لقد حصلت على ماجستير إدارة الأعمال من هناك، وأنت تعلم باعتبارى طالباً سابقاً لايمكننى التأخير».

رفع رولف رأسه «مجرد سؤال أخير، سيدى البلاد مهتمة للغاية برفض ويستليك وجونسون مناظرتك، يقول معظم المراقبين إنه نظرا لحضورك البدنى المؤثر وما تتمتع به من طلعة بهية وتعليمك الرفيع ولمعانك السياسى ومهاراتك فى المناقشة سوف تفوز بسهولة فى أى مناظرة معهما، وآخرون يرون أن أحاديثك التليفزيونية الأخيرة والرسوم البيانية التى قدمتها والاقتصاديين المشهورين الذين يرافقونك قد بدأ فى تعويض افتقارك لفرصة المناظرة مع المرشحين الآخرين، ماذا تعتقد؟».

«شكرا لهذه الكلمات الطيبة، ونعم فى الحقيقة لقد ضايقنى أن المرشحين الآخرين رفضوا مناظرتى، نعم أنا أتمتع بأرضية طيبة فى الاقتصاد والمالية بفضل تعليمى وخبرتى كمصرفى متخصص فى الاستثمار قبل دخولى عالم السياسة، وحقيقى أيضا أننى أحب المناظرات، وعلى الجانب الآخر فإننى لا أعتقد أن الشعب الأمريكى سوف تغريه مثل هذه المواهب إذا لم يتفقوا مع ما أقوله بشأن القضايا الرئيسية للأمن الاجتماعى والبطالة والضرائب والجريمة والعلاقات بين العرقيات المختلفة والرعاية الاجتماعية، المرشحان الآخران يخشيان مناظرتى نظرا لأنهما يفتقران لأى برامج حقيقية أو حتى أفكار للإجابة عن هذه المشكلات، وحتى لو لم أتذوق أبدا متعة كشف السيناتورين ويستليك وجونسون

أمام الجمهور وهما يرددان إجاباتهما السطحية المعتادة على هذه المشكلات، فإنني أعتقد أنني أحقق نجاحا في نقل أفكاري حول هذه القضايا التي تكررتها، وهذا شيء لم يجرؤ المرشحان الآخران على فعله»، ونظر أمامه ومد يده.

صافحه الصحفي باحترام بالغ.

«يكفي هذا اليوم، رولف، وأشكرك مرة أخرى على هذا العمود، واصل عملك العظيم! سوف أخصك بأول مقابلة من البيت الأبيض، هذا وعد، وعلى كل فإنه بعد الانتخابات، مهما كان الفائز فإنني أريد دعوتك على استراحة حماى في الكاريبي، أحضر أسرتك معك، إنه مجرد امتنان بسيط لاهتمامك بحملتي».

«شكرا سيناتور، لن أنسى لك هذا، شكرا لمنحك لي هذا الوقت، وحظ سعيد!»،

وبينما كان هاستينيجز يغادر الردهة هز رأسه متعجبا مما يتمتع به دان كرامر من سلاسة سياسية، يمكن للرجل بالفعل أن يفوز، لأجعل هذا عنوان مقالي.

الفصل الحادى والعشرون

واشنطن العاصمة

الثانى والعشرون من أكتوبر

شعر السيناتور ويس ويستليك بالسعادة لرؤية زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية حريصين على زيارته زرافات. وهو ما يشكل مناسبة مهمة فى جدول اعماله. وقد اصدر تعليماته الى كل العاملين فى حملته ليكونوا جاهزين بأى احصاءات أو بيانات ضرورية لترك انطباع طيب لدى هؤلاء المؤيدين الرئيسيين . فقد سبق أن ابلغهم بقوله «انتصارنا يكمن هنا».

كان الحاخام وينبيرت هو المتحدث باسم المجموعة المجتمعة مع ويستليك. حيا ويستليك بحرارة وقدم له الرجال والسيدات الثمانية عشر الآخرين الحاضرين .

«لقد طالبنا عقد هذا الاجتماع فى وقت قريب للغاية من يوم الانتخابات لأسباب عديدة أولا وقبل كل شيء نحن نرغب فى أن نؤكد مجددا على تأييدنا لحملتك».

ترددت أصوات موافقات هامسة فى جنبات الحجرة . «ثانيا، بسبب هذا الالتزام، فإننا نشعر بقلق حيال التقارب المتزايد فى السباق. نريد أن نسمع منك مباشرة ما بوسعنا عمله خلال الأيام المتبقية لنمنحك الدفعة التى تحتاجها للفوز. وتطلع الحاخام الى الممثلين الآخرين الذين هزوا رءوسهم موافقين قبل أن يواصل قائلا الأكثر أهمية، أننا نرغب فى معرفة كم تحتاج من أموال لحملتك لتنهى السباق وأنت فى القمة وأى شيء آخر يمكننا عمله لمساعدتك فى تحقيق الفوز».

رد ويستليك قائلا: «الحاخام وينبيرت والأصدقاء أنه لأمر يبعث فى نفسى الطمأنينة أن آراكم كلكم هنا كمتطوعين لتعرفوا ما هو المزيد الذى يمكنكم تقديمه . ماهو المزيد الذي بوسعكم عمله. وبأنصار مثلكم، لا يمكن أن أخسر مهما بدا من التقارب فى السباق كما فى هذه اللحظات. سوف يتحدث إليكم مديرى المالى فور انتهاء هذا اللقاء». وتحول الى سكرتيرته قائلا: «ليندا، اطلبى من سيدنى شتراوس أن يحضر إلى هنا لكى يمكنه جمع شيكاتهم». وسرت ضحكات خفيفة.

ثم عاد المرشح لينظر الى الزعماء المجتمعين فى مكتبه «والآن قبل أن أغادر لمقابلة تليفزيونية، أود أن أشكركم جميعا لما بذلتوه حتى اليوم ولدعمى فى هذه الأيام الأخيرة الحرجة. اعلم ان السناتور كرامر وعد أيضا بمساعدة إسرائيل، وتلقى بعض المساهمات المالية وأعلم أيضا، مع ذلك ، انه لا يوجد سناتور واحد فى الآونة الأخيرة فعل بقدر ما فعلت لإسرائيل، أو للهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتى السابق إلى إسرائيل. هذه ليست نقطة للمناقشة ولكن للتسجيل. دعونى أضيف وعدين، سوف التزم بهما فور انتخابى رئيسا . الأول سوف اغير سياسة الإدارات السابقة وسأمنح ضمانات القروض التى طلبتها إسرائيل لبناء منازل فى الضفة الغربية». وصفق الحضور وأنتهز الحماس المتنامى فى الحجرة. «وسأوصى بالنقل الفورى للسفارة الأمريكية من تل أبيب الى القدس». أننى متمسك بهذه النقاط، وكدليل على جدية موقفى. فإننى على وشك اعلانها

على الأمة بأسرها. ومن ثم فإننى مرة أخرى اشكركم على تأييدكم. وعلى الرغم من أنه يتعين عليّ أن اغادر الآن، ارجوكم إبقوا للتشاور مع سيدنى شتراوس الذى يعرفه الكثير منكم بالفعل».

وتوجه اليهم ويستليك مصافحا اياهم ومقدما لكل واحد من الضيوف صورة موقعة منه وفى النهاية وقف لأخذ صورة مع المجموعة كلها.

وبعد ساعة ظهر فى برنامج «اليوم» حيث أكد مجددا هذين الوعدين ولكن هذه المرة امام الأمة بأسرها. كما وعد بأن يشرك إسرائيل فى تكنولوجيا الطائرة المقاتلة الأمريكية الجديدة «يو أف – ٢٢» فور خروج النموذج الأول من خطوط التجميع. وكان هذا العرض بمثابة مفاجأة للجميع نظرا لأن الطائرة التى تصفها وزارة الدفاع بأنها «مقاتلة القرن الحادى والعشرين» لم يعرف علناً أبداً أن إسرائيل تسعى للحصول عليها على الرغم من أن مخططى القوات الجوية الأمريكية يعلمون أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تأمل فى نهاية الأمر أن تقنع الولايات المتحدة فى اتاحة هذه التكنولوجيا لها.

وبعد هذه الاشارة العلنية لكل من انصاره من اليهود الأمريكيين والحكومة الإسرائيلية، كان ويستليك على ثقة من أنه لن يكون بوسع كرامر التفوق عليه فى هذه الشريحة الانتخابية المهمة . والآن ، فإنه يشعر بأن الأموال الاضافية التى يحتاجها لحملته التليفزيونية فى الأسبوع الأخير قد أصبحت فى حكم المؤكد . كان مدير حملته يحاول يائسا استكمال ميزانية الحملة ببعض الأموال النقدية، بضعة ملايين أو نحو ذلك لن يسأل أحد عن مصدرها.. أموال سوداء. «وأنا أعرف من أين احصل على هذه الأموال».

* * * *

طلب السيناتور جورج جونسون كأساً من الفودكا فى نادى تشيفى تساس كانترى، وتطلع من النافذة الضخمة المطلة على حدائق خضراء مترامية الأطراف. وقد جلس حراسه من الخدمة السرية على الآرائك المجاورة.

كان الرئيس دوجلاس قد غادر النادى بعد مباراتهما فى الجولف. لقد خسر جونسون. وفور وصول الفودكا المثلجة أخذ رشفة كبيرة واستمتع بإحساس الحرقان والفودكا تصطدم بحلقه. نظر فى ساعته كانت تشير إلى الثانية تقريبا بعد الظهر. لابد أن نيقولا فى طريقها الى هنا لتتناول الغذاء الذى تأخر عن موعده.

كانت نيقولا البالغة من العمر ٤٢ عاما تصغر زوجها بخمسة عشر عاما. وهى شخصية اجتماعية بارزة من بوسطن لقد جلبت له الاناقة والمال والاتصالات على الرغم من أن جورج جونسون واسرته الاستقراطية تملك بالفعل الكثير من كل ذلك. كان والدها محاميا بارزا فى بوسطن تتضمن قائمة عملائه الأثرياء والمشاهير.

ولدى وصولها الى النادى توقفت نيقولا لتحية الأصدقاء والشخصيات المهمة خلال

اجتيازها للردهة الرئيسية فى طريقها الى الصالون الداخلى للانضمام الى زوجها. كان جونسون يعتقد أنها زوجة رائعة لسياسى، وهو يدرك أنها تستمتع بهذا الدور. كما أنها ايضا واحدة من أفضل مستشارى العلاقات العامة لزوجها وهذا هو السبب الرئيسى لتناولهما الغذاء معا اليوم. لقد أقترح عليها غذاء خاصا لمراجعة بعض الأفكار لحملته أقترحها عليه العاملون معه هذا الصباح.

قالت بتودد وهى تقترب منه «أهلا، عزيزى، هل تأخرت على الرئيس؟ ياللهول».

«لا تقلقى. اننا نحتاج هذا الوقت الخاص للتحدث مع بعضنا، نيقولا. الجو صاخب للغاية فى المنزل. العاملون معى طرحوا علىّ بعض الأفكار البراقة هذا الصباح ولكن لا شيء سوف يساعدنى على كسر هذا الجمود مع ويستليك. خاصة أن كرامر على وشك أن ينضم إلينا على القمة. من كان يعتقد بحق الجحيم أننا جميعا سنكون فى هذا السباق المميت؟ سباق ثلاثى مميت. أمر لم يحدث من قبل»!

«حسنا جورج عزيزى ، لقد تحدثت مع دادى حول هذه المسألة بالذات بعد أن غادرت أنت المنزل فى الصباح. بالطبع أنت تعرف الجميع يتحدث عن ذلك. على الأقل كل من هو مهتم بالأمر. لقد اتصل دادى ليقول إنه يجب عليك أن تخرج بإعلان رئيسى فى الأيام الأربعة الأخيرة قبل يوم الانتخابات . اتجاه سياسى جديد، خطة اقتصادية مقترحة. مفاجأة مذهلة – شيء ما يصيب ويستليك وكرامر بالذهول ولا يكون باستطاعتهما مجابهتك فى غضون تلك الأيام القليلة».

رد جونسون وقد لاحت على وجهه ابتسامة ساخرة «فكرة عظيمة، نيقولا، والآن هل لدى والدك فكرة عما يمكن أن يكون عليه هذا الأمر»؟

«لا ، عزيزى. من فضلك ! دادى لا يحاول التدخل. هو فقط يبدى نصائحه – وايضا – ربما تتذكر الدعم المالى الكبير. ومن ثم لا اعتقد أنك بحاجة الى تلك السخرية. وإذا كنت قد أصبحت فجأة لا تحتاج الى مساندتى أو مساعدته، فإننى سأذهب لقضاء بقية النهار مع بعض الصديقات اللاتى يثرثرن حول من ينام مع من فى هذه المدينة. مهما حاولت. لا أعرف لماذا أنت متوتر الأعصاب إلى هذا الحد. أنت عادة هادئ تماما».

«عزيزتى لدى مشكلتان. رقم واحد هذه أول وآخر فرصة لأن أصبح رئيساً. اننى قريب منها للغاية، أكاد اشم رائحتها ولا اريد ان افقدها – وأفترض انك أيضا تشعرين بهذه الاحاسيس، رقم اثنين أننا فى حاجة الى المال لحل المشكلة الأولى – كيف يمكننى الفوز فى غضون اسبوعين من الآن. العاملون فى حملتى ابلغونى هذا الصباح بأن كرامر وويستليك يخططان لحملات تليفزيونية فى اللحظة الأخيرة، ولكنى لا املك المال لفعل ذلك. لقد طلبتُ نصيحة الرئيس. أنه يصر ان اعتمد على لجنة الحزب الجمهورى الوطنية. لقد فعلت ذلك. ولكنهم انفقوا معظم اموالهم ونظرا لأن "ويل" رجل دوجلاس ولا يتوقع أن يكون

قريبا مني حتى ولو أنا فزت فإنه ليس هناك ما يدفعه لجمع المزيد من الأموال من أجلي».
«هذا جنون – أن أبي يجلس هناك في بوسطن وحسب ينتظر مساعدتك. وأنت تعرف دادى أنه مقاتل ولا يستسلم ابدا – وهو ما يفسر لماذا يفوز دائما اتصل به مساء اليوم وابلغه ماذا تحتاج بالضبط. تحدث معه بصراحة. جورج انتما الاثنان ولدان كبيران. ابلغه ماذا تريد منه. وأنا واثقة من انه سيقدم ماعنده».
«نعم، انت محقة . سيكون ذلك أفضل من الشعور بالأسف على نفسي. حسن، هذا هو أول شيء في جدول اعمالي بعد الغداء. ومن أجل هذا فأنا مدين لك بغداء طيب وقبلة. دعينا نبدأ بالقبلة». ومال ليضع قبلة مؤثرة على خدها الأيسر.

السابع والعشرون من أكتوبر

بهدوء دخلت كريستينا مكتب بريندا وسلمتها مظروفاً يحتوى على ترجمة لتسجيلات اليوم السابق لعمليات التنصت الهاتفية على السفارة الإسرائيلية . وبهدوء ايضا خرجت . كانت كريستينا تتمتع بروح عالية من الدعابة ولكنها كانت اليوم كما لاحظت بريندا هادئة على غير عادتها ويبدو انها مشغولة البال.

وهو ما أثار شكوك بريندا حتى قبل أن تفتح المظروف لتقرأ تحليل كريستينا والنصوص التي ظللتها باللون الأصفر وملاحظاتها المصاحبة لها. اسندت ظهرها الى مقعدها وأخذت تحدق في المظروف وتقلبه مرة وراء أخرى وهي تتساءل عن الجديد الذي سيكشفه. ربما كان شيئا خاصا!!.
وبعد برهة صفا ذهنها وأخذت نفسا عميقاً ثم فتحت المظروف وأخرجت محتوياته. كانت الوثيقة الأولى تتضمن صفحتين فقط تلخصان بقية محتويات المظروف. موضوعات ثم تظليلها باللون الأصفر. واحد منها خطف بصر بريندا – سيدني شتراوس أتصل بديفيد تيرون في السفارة الإسرائيلية.
أحست بريندا بألم في معدتها. كانت خائفة تقريبا من المضي قدما. سيكون هذا أصعب ما قرأته في حياتها. «أبي».
قال التلخيص إن شتراوس أخطر السفارة بأنه أصبح المسئول عن تنسيق ميزانية الاعلانات التليفزيونية والصحفية لويستليك في الأسبوع الأخير من الحملة. وكان واضحا من الشريط الذي تم تفريغه أن مسئول الصحافة في السفارة الإسرائيلية وشتراوس قد تحدثا في هذا الأمر من قبل.. كانت بريندا تعلم بالطبع أن والدها يعمل لصالح المرشح الديمقراطي، ولكن ما اذهلها هو الكيفية التي كان مسئول الصحافة يلقى بها الأوامر إليه.
أخذت تقلب الصفحات لتتحقق من النص الأصلي:
لا، لن تفعل ذلك، سيدشتراوس! ستفعل ما – اللعنة ما أخبرك به لا يمكن للحملة ان

تكون اكثر تقاربا من ذلك ولن نهدر دولارا واحدا في جهد غير منسق - في اى نوع من الهزل الاعلامى، هل فهمت هذا؟

ويحثت بريندا عن الحوار الذى دار بين والدها تيرون لقد جرت المكالمة في الساعة ١١,٢١ هذا الصباح:

شتراوس أهلا سيد تيرون. لقد ابلغنى السناتور ويستليك ان اتصل بك بخصوص بعض الاموال الاضافية للاسبوع الاخير من الحملة الاعلامية اظن ان السناتور يقصد اموالا من متبرعين يهود رئيسيين، اعرف اننا لم نلتق من قبل سيد تيرون، ولكن بوسعك التحقق من التعليمات التى لدى مباشرة من السناتور، اذا ما رغبت فى ذلك. تيرون «سيد شتراوس، انا لا أبحث مثل هذه المسائل على الهاتف، تعالى الى مكتبى فى الساعة الرابعة من بعد الظهر. من الوقت نفسه سوف اتحرى الامر مع السناتور ويستليك شكرا.

ثم وضع تيرون سماعة الهاتف ليحول دون أى مناقشة اخرى.

غالبت بريندا دموعها وهى تدور بمقعدها لتنظر من النافذة الى شارع بنسيلفانيا فى اتجاه مبنى الكابيتول الجميل على مدى النظر. لو ان هناك شيئا لا ترغبين فيه فى هذه اللحظة اكثر لحظات التحدى لمهنتها لهو نشوب عراك آخر مع والدها الصهيونى المتطرف. انها تتوق الى علاقة حب معه وتعلم كم تعانى امها من رفضه المصالحة مع ابنته.

والى حد معين، فإن بريندا لا تلوم والدها. فالعديد من اليهود فى مثل عمره يشعرون بالتزام تجاه اسرائيل وكأنهم فى حرب من أجل اليهود فى جميع ارجاء العالم. انها تتفهم اسباب تقاربهم واندماجهم الى هذا الحد مع إسرائيل وهى تحترم ذلك. ولكنه ليس بوسعها هضم الأمر عندما يضع اى شخص حتى ولو كان والدها اسرائيل قبل بلده أو يسمح للاسرائيليين أن يتلاعبوا فى العملية الديمقراطية الامريكية. انها تعلم منذ وقت طويل ان والدها قد وقع ضحية لمرض الولاءات المشوشة.. وهى باعتبارها ضابط شرطة فيدرالياً تعرف الى اين يمكن ان يقود هذا الاحساس المضلل للولاءات، وهو بالضبط ما يتطلع اليه ضباط الاستخبارات الاجنبية لاستغلاله لصالحهم.

ان احساس بريندا الطبيعى يملى عليها الاتصال بوالدها وتحذيره للبقاء بعيدا عن السفارة الاسرائيلية. وخاصة تحذيره من ان تيرون ضابط فى الموساد، ان والدها لم يذكر لها مطلقا انه على اتصال بالسفارة ما عدا حضور حفلات استقبال قليلة يجرى دعوة العديد من الزعماء اليهود الامريكيين لها.

وفور ان خطر لها هذا التفكير الوقائى، ادركت بريندا وضعها الوظيفى الذى يمنعها من تحذيره. واست نفسها بمراجعة الحقائق والاستنتاج بأن والدها لم يفعل أى شىء غير مشروع بالمعنى الحرفى للكلمة، على الاقل بقدر ما تعلم.

وبدأت الانفعالات المتضاربة حيال هذا الحادث فى التحول الى احساس بالاحباط .

شعرت بوطأة ما تعانيه وقررت طلب نصيحة القاضى بيكر، سنوات خبرته فوق منصة القضاء ربما تمنحها رؤية اوسع، بالتأكيد رؤية اكثر موضوعية، رؤية أبويه أيضا.

أعادت نصوص المحادثات الهاتفية مرة اخرى إلى المظروف البنى واتجهت الى الطابق التاسع. انتظرت فى مكتب القاضى الامامى لكى تحشرها كاتى سومنر فى جدول مقابلاته. وهى جالسة تتنظر بعصبية تغلب عليها فجأة الاحساس بأنه يجب عليها ان تقدم استقالتها أو على الاقل تطلب سحب تحقيق هيبرون منها. سيكون هذا هو أفضل شيء يمكن عمله. «ليس هناك اكثر اهمية لها من ان تكون الأفضل والأكثر امانة فى عملها وذلك من اجل بلادها. لأن هناك ما هو أكثر اهمية من ذلك وهو احترامها لنفسها. انها لن تساوم عليه لأى سبب . أنها سوف تهب حياتها لأى منهما»، وبمشاعر مضطربة اخذت بريندا تضغط بشدة على المظروف بيدها حتى كاد يتمزق.

قالت كاتى فجأة وهى تضع سماعة الهاتف «بوسعك ان تقابليه الآن، العملية شتراوس، لقد ابلغته انك فى حاجة الى خمس دقائق فقط ، ارجوك لا تزيدى على ذلك».

بدرت ابتسامة من بريندا وهى ترد قائلة «ادين لك بهذا الفضل» وعندما فتحت الباب بادرها القاضى بصوت مرتفع ترددت اصداؤه فى الحجرة «العميل الخاص شتراوس، آمل ان هذه الزيارة غير المتوقعة تعنى أننا حققنا تقدما كبيرا، هل انا محق فى ذلك؟»

قالت بريندا بسرعة قبل ان تهرب منها شجاعتها «لا، سيدى، للاسف لا. وهو ما يعنى ان لدى مشكلة شخصية خطيرة. مشاعر متضاربة داخلى، يجب عليك ان تنظر فى مسألة اعفائى من تحقيقات هيبرون، ان المسألة حساسة الى اقصى حد ومع مقتل سورينسون وقضية هيبرون. انا فقط لا اعرف» وتطلعت اليه بعيون حزينة «كما تعلم، كنت اعتزم مقابلة المرشحين الثلاثة هذا الاسبوع، على أمل وضع هذا الذى ربما يكون هيبرون تحت ضغط كاف لحمله على ارتكاب تحرك خاطئ، ولكن مع كل الضغوط فى معالجة تحقيقين على مثل هذه الاهمية الكبرى والآن فإن هذا قد أثر فى.. ولوحت بالمظروف البنى فى الهواء، «لا اعرف سيدى احتاج الى نصحيتك».

«بريندا تبدين محطمة. اجلسى!». سلمته المظروف ووقفت فى مواجهة مكتبه، تكافح من اجل السيطرة على انفعالاتها . أحست انها على حافة الانهيار.

طمأنها القاضى فى لهجة ابوية كانت فى اشد الحاجة اليها «بريندا، قلت لك اجلسى. استرخ. من فضلك سيدتى الشابة. سوف نجد حلا لمشكلتك» وبينما كان يفتح المظروف كانت انفعالاتها تضطرب كما لو كانت وثيقة اعدامها ، نظر من فوق الأوراق. «هذه مكالمات والدك. فهمت ذلك. لقد تحدثتى معى من قبل عنه وعن مشاكلك معه. أو ربما تكون قد نسيت»..

وضع الأوراق على المكتب امامه وتطلع الى بريندا التى تجلس الآن مضطربة الاعصاب

«العميل الخاص شتراوس، أولا اسمحي لى ان اشيد بشخصك لانك حرصت على لفت نظرى لهذا الامر على الفور. غيرك الأقل احساسا بمسئوليتهم المهنية قد تحدثهم انفسهم باخفاء الامر عنى. والآن الاخبار الطيبة، لا أرى اى تعارض فى المصالح هنا. والدك يشارك فى حملة انتخابات مفتوحة. ومثل معظم الحملات الانتخابية لا تجرى الامور دائما بتروى، مثل الغاية تبرر الوسيلة، والدك يضغط على السفارة الاسرائيلية لاستمالة بعض كبار المساهمين. ربما يكون الامر غير اخلاقى. ولكنه مشروع، أليس كذلك؟ ومن ثم استرخى ودعينا نحلل هذا الامر معا لصالح القضيتين اللتين يجب علينا حلهما» القى بيكر نظرة فاحصة اكثر على النص «أهم شىء فى ذلك.. نعم.. انه يعطينا الى حد ما دليلا ملموساً، واحدا من المرشحين الثلاثة للرئاسة ويستليك. يعرف تيرون واصدر تعليماته لاحد العاملين فى حملته ليتصل به، كل ما كنا نملكه حتى الان هو زيارات دبلوماسية عادية بين المرشحين والسفير الاسرائيلى. اقول انه بهذه الملاحظات فان ويستليك هو بالنسبة لى المشتبه فيه الرئيسى كما يبدو».

أومأت بريندا متشككة.

نظر القاضى اليها باعتزاز أبوى. «فيما يتعلق بقلقك حيث تضارب المصالح. ينبغى علىّ ان ابلغك بأنه عندما ابلغنى الرئيس للمرة الأولى بالمعلومات الخاصة بهيبرون شعرت بالتزام مهنى بأن اخطر اوستن فيليبس، وفى هذه المناقشة اثار خيار عدم تكليفك بالقضية لتجنب أى تعارض فى المصالح بالنسبة لك ومن ثم لمكتب التحقيقات نظرا لانك يهودية، كان يشعر بالقلق حتى من حيال المظهر ولو لم يظهر تعارض فى المصالح، من تعيين عميل خاص يهودى للتحقيق فى اتهامات بتدخل اسرائيلى سرى فى شئون بلدنا.

ومن خلال ما بدا على وجهها رفع بيكر يده كما لو كان يحول دون خروج كلمات يعرف انها على طرف لسانها «أنا اعرف ماذا يدور فى خلد الجميع تجاه اوستين. لقد ابلغته بأنه طالما أنا مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى سوف يعين العملاء للقضايا على اساس ما تتطلبه المهمة وخبراتهم ، كما ابلغته ايضا بأننى لن ادع اى تعارض فى المصالح متخيل او محتمل يؤثر فى تكليف العملاء بمهام معينة، وهذا حقيقى.. وعلاوة على ذلك لقد ذكرته بأدائك حتى على منصة الشهود فى قضية بولارد. وذكرته بأنك شخصيا التى وفرت كل الحماية التى احتاجها المكتب ضد مزاعم وسائل الأعلام والكونجرس بأنه يجب ألا اكلفك بتلك القضية وذلك بالطبع مع افتراض ان قضية هيبرون سيجرى الكشف عنها على الملأ وهو ما اميل الى الشك فيه بصرف النظر عما ستنتهى اليه».

اعاد بيكر المظروف عبر المكتب الى بريندا قائلا «آنسة شتراوس، مكتب التحقيقات ومديره يكنان ثقة عظيمة بك. والا ما كنت مثقلة الآن. بأهم قضيتين.. لذا عودى الى مكتبك واعثرى على قاتل سورينسون وحددى ايا من مرشحى الرئاسة هو هيبرون. وتذكرى جيدا

انه اذا لم يكن بوسعنا تحديد هوية هيبرون قبل الانتخابات - وانه اذا حاشا لله - انتخب - فان خيارنا الوحيد كأمة هو محاكمته بتهمة الخيانة، والرشوة وجرائم اخرى خطيرة وجرائم اقل خطورة مثل التجسس، هل بوسعك تخيل الاحراج والاذلال الذى يمكن ان تتعرض له بلادنا فى ظل مثل هذه القضية؟ لذا، بريندا هذه هى مهمتنا لا تدعى شيئا يعوقك او يجعلك مترددة. فقط عودى بهيبرون حيا أو ميتا شكرا لك».

وبدأ القاضى الذى عاد الى الوثائق المكدسة امامه فى التوقيع على تلك التى تحتاج الى موافقته.

نهضت بريندا واخذت نفسا عميقا «اشكرك سيدى وأؤكد لك اننا سنجد القاتل وقريبا. قضية هيبرون مسألة اخرى. انها حساسة للغاية، ولكنى اتوقع ان تتكشف خطوطها. انه سيفعل شيئا ما كرد على خطوة مقابلتنا له التمهيدية هذا هو افضل امل لنا لايجاد حل سريع. اقدر لك مساندتك. معظم المدراء لم يكن بوسعهم تحمل تلك المخاطرة السياسية».

«مستقبل بلادنا معلق على هذا العمل الخاص بهيبرون انها حرب سياسية ماذا تعنى مخاطرة صغيرة بمنصبى مقابل ذلك؟ لا شيء ! ومن ثم اذهبى وامسكى بهذا الملعون! افتحى عليه ابواب الجحيم.. ادفعيه لارتكاب اى حماقة من منطلق الرعب. ادفعيه من أعلى الصخرة!».

«نعم ، سيدى». وغادرت بريندا مكتب المدير برشاقة وقد ارتفعت روحها المعنوية إلى العنان. وبينما كانت تسير بجوار مكتب السكرتيرة مالت عليها وهمست «شكرا كاتى، هذه افضل ايامى».

وغمزت لها كاتى التى كانت ممسكة بسماعة الهاتف.

ولدى عودتها الى مكتبها ألقت بريندا بنفسها على مقعدها واطلقت زفرة طويلة. حان وقت التفكير فى مقابلاتها مع المرشحين الثلاثة. انها تريد ان تحمل هيبرون على الشعور بالخوف من أن مكتب التحقيقات الفيدرالى يقترب منه . المهارة هى القيام بذلك دون اهانة أى من المرشحين. الامر ليس بالسهولة بمكان. انها سوف تعتمد على ضغوط الحملة الانتخابية والخوف من الافتضاح لجعل هيبرون يغلى من الداخل كالمرجل.

ثم لاحظت حينذاك رسالة هاتفية من أمها تدعوها للعشاء هذا المساء يا إلهى، انه عيد ميلادها ، ولقد نسيت ذلك تماما! طلبت هاتف اسرتها «أمى سوف أصل لاحقا من اجل فنجان من القهوة وكعكة عيد الميلاد، أننى مستغرقة فى العمل، أمى من فضلك.. حسنا أمى سأحضر للعشاء ولكن لا تنس الساعة الثامنة» وقامت على الفور وطلبت محل الزهور وارسلت لها باقة من زهور الاوركيد. ثم عادت الى مهمة تعقب هيبرون، اننى قادمة اليك، إليك ايها الخائن! ولثانية سرحت بخاطرها الى جاكى.

منطقة تشيفى تشاسى، تلك الليلة

وصلت بريندا الى منزل والديها فى شمال غرب العاصمة بعد دقائق من الساعة

الثامنة، كان المنزل الجميل المبنى من الطوب الاحمر على طراز ويليامز بيرج مبعث فخر اسرتها منذ ان كانت طفلة صغيرة وفى كل مرة تعود فيها كانت تنتابها مشاعر متضاربة، فهى من ناحية تستعيد ذكريات طفولة سعيدة ومن ناحية اخرى يقشعر بدنها من ذكريات الجدل الصاخب مع والدها المتحمس خاصة فى السنوات الاخيرة حول دورها كعميل فى مكتب التحقيقات الفيدرالى فى تقديم العميل الاسرائيلى جوناثان بولارد الى العدالة! يا للخجل لا يمكننى ان اطلب مساعدة ابى!

وهو نادرا من كان يتحدث معها بعد ذلك، وهو وضع شعرت بريندا معه بأنه ربما يكون أفضل بعد الصدمة التى واجهتها فى وقت سابق من اليوم ، حتى على الرغم من ان بيكر قد هدأ من روعها وطمأنها من ان سيدنى شتراوس لا يفعل شيئا غير قانونى. وهى تعلم من خبرة حزينة قبل فترة طويلة انه مدفوع بما هو الافضل لاسرائيل. ومثلما كان عليه الامر دائما بوسعها اعتبار اخلاص والدها لاسرائيل صفة مميزة لجيل والديها. أنها تصلى من أجل أن يظل جيلها الذى دخل فى زيجات مختلطة مع غير اليهود والذى هو أقل تطرفا حيال الصهيونية مندمجا بشكل كامل فى امريكا فى ثقافتها وعاداتها وأن يعتبر اسرائيل دولة صديقة وطن الاسلاف الذى لا يتحكم فى ولاءاته.

ولدى دخولها الى المنزل رحبت بها والدتها التى احتضنتها ومنحتها قبلة طويلة «شكرا لك حبيبتى على الاوركيد انها جميلة للغاية» ابتسمت بريندا لها. كان والدها ببذلته الصوف الرمادية يشاهد نشرة انباء المساء التى تعرض احدث التوقعات الانتخابية. كانت ملصقات حملة ويستليك فى كل مكان فى الردهة وغرفة المعيشة . وباعتباره رجلا مهذبا دائما نهض ليرحب بابنته وان كان ببرود وتحفظ واضحين.

تظاهرت بريندا بأنها لم تلحظ شيئا. وطبعت قبله خفيفة على وجنته وبينما اتجهت والدتها الى المطبخ لتطمئن على العشاء تظاهرت بريندا بأن قلبها يخلو من الهموم وقالت لوالدها. «تبدو فى احسن حال داد، لابد لأن لديك مثل هذه الزوجة الشابة الجميلة امى؟».

سدد سيدنى شتراوس لابنته نظرة باردة وعاد لمتابعة التليفزيون.

كان التوتر باديا خلال العشاء، وكان بوسع بريندا ملاحظة والدتها تغالب دموعها وهى تحاول بث روح عائلية اكثر سعادة فى عيد ميلادها، وفى النهاية عندما ذهبت زوجته للمطبخ لتعد طبق الحلويات اطلق سيدنى شتراوس، الذى يبدو أنه لا يستطيع ان يكبح جماح نفسه زفرة طويلة فيما اعتقدت بريندا انه دليل على حربه المستمرة ضدها وعلى من يراهم زملاءها من غير اليهود المناهضين للصهيونية فى مكتب التحقيقات الفيدرالى.

«العميلة شتراوس هل القيت القبض على اى يهودى مؤخرا؟

«ابى، من فضلك!».

«اوه.. لا تقولى لى ان جهازكم الجستابو قد اقلع عن القاء القبض على اليهود!

اصدقائى فى السفارة الاسرائيلية اخبرونى بأن الحمقى فى مكتبكم يدورون حولهم هذه الايام، هل ستنكرين ذلك ايضا»؟

حتى على الرغم من ان هذا التعليق ذكر بريندا ، وفقا للتسجيلات الهاتفية للسفارة الاسرائيلية، أن والدها كان على موعد فى الساعة الرابعة من بعد الظهر من ذلك اليوم مع تيرون، فإنها حاولت ان تنسى ذلك بالتركيز على والدتها كما انها كانت ايضا ترغب فى الا تزل بلسانها أو تكشف النقاب عن انها تعرف أى شىء اكثر مما قاله عن صلاته بالسفارة الاسرائيلية.

«داد، هذا عيد ميلاد امى ـ هل يمكنك على الاقل ألا تحرمها من هذا اليوم من اجلها وليس من أجلى؟»

«آه.. انك لا تريدين الحديث عن انشطة جهازك الجستابو؟ هذه هى الاخبار انك تعودتى على ان تشعرى بالفخر وانت تقفين امام المحكمة وتقسمين امام الله عن كل الاشياء السيئة التى يفعلها اليهود».

وضعت بريندا مفرش المائدة وذهبت الى المطبخ وكأن والدها ليس موجودا شاهدت والدتها وهى تحاول اشعال شموع كعكة عيد ميلادها والدموع تنساب على خديها. احتضنتها بريندا». «التورتة جميلة للغاية، دعينى احملها واذهبى انت لتستريحى».

عادت السيدة شتراوس وهى تجفف دموعها الى مائدة الطعام متفادية النظر مباشرة الى زوجها الذى مازال يغلى من الغضب ، وعيونه السوداء تتقد غضبا.

غنت بريندا وهى تحمل الكعكة الى غرفة الطعام قبل أن تضعها امام والدتها. «عيد ميلاد سعيد. عيد ميلاد سعيد...» ترك سيدنى شتراوس المائدة.

همست بريندا انا آسفة يا امى».

«بريندا ، حبيبتى، ليس خطؤك . لقد سمم التطرف حياة والدك. اصبح عصبيا . هؤلاء اليهود الاصلاحيون يثيرون اعصابه انه يعتقد ان مائير كاهانا يجب ان يكون رئيس وزراء اسرائيل ومنذ اغتيال كاهانا اصبح شهيدا فى نظر اناس مثل والدك. يمكنك ان تتحدثين معه. ان هذا الامر يمزق اسرتنا ماذا يجب علىّ عمله، عزيزتى؟ لا استحق هذا فى أواخر حياتى».

«أمى. ربما من الافضل لو ابتعدت عن المنزل لبعض الوقت؟، يمكنك ان تأتى لزيارتى فى شقتى ويمكننا ان نلتقى فى وسط المدينة للغذاء من حين لآخر، لا اريد التشاجر مع أبى ـ اريد ان احبه، ولكنى لست اسرائيلية اننى امريكية ولن اعتذر لأى احد عن ذلك، حتى والدى. اننى يهودية، نعم ولكنى لست اسرائيلية لا ادين بأى ولاء لاسرائيل وكذلك جيلى. الوقت وحده كفيل بمداواة ذلك. الوقت مثل جيل آخر أو نحو ذلك انا اسفة من اجلك يا أمى. ليس ذنبك . ولكنى أحبك واحب ابى».

امسكت بحافظة اوراقها. وعلى سبيل العادة بحثت لتتأكد من وجود هويتها الخاصة بمكتب التحقيقات ومسدسها. وهو التصرف الذى ذكرها باليمين الذى ادته لدى التحاقها بوظيفتها ومسئولياتها تجاه وطنها. على الاقل تجنبت ان يجرى اثارتها لتقول أى شيء قد يكشف عن معلوماتها عن اتصالات والدها مع ديفيد تيرون. تركت المنزل الحزين وراءها وسارت الى سيارتها وبينما كانت تبتعد عن رصيف المنزل اجتاحها شعور بأنها وحيدة فى العالم فى شوارع الضاحية التي شهدت نشأتها . ادارت الراديو، مزيج من الضجيج الانتخابى جونسون يتحدث هل انت هيبرون الذى ابحث عنه؟، سخرت منه باشمئزاز وأغلقت الراديو . يالك من مسكينة يا امى!، الضغوط من قضيتين رئيسيتين يوتر اعصابها. مرة أخرى سرى صوت القاضى بيكر فى روحها. الثقة والصدق فى نبرته انه رجل رائع وهو يثق بى وهو ما يجعل الامر مختلفا.

والآن فإنها تعلم ان الامر يرجع اليها. انها عاقدة العزم على البرهنة على ان ثقة القاضى فى محلها. وحتى والدها فى يوم ما سيعرف انها على حق.

وقالت بصوت مرتفع وسيارتها التويوتا تسرع فى اتجاه بيتها، وتمثال لينكولن المضاء الوقور يتراءى لها من بعيد: «سأمسك بقاتل سورينسون وسأدفع هيبرون للكشف عن نفسه»!

الفصل الثانى والعشرون

واشنطن العاصمة

الثامن والعشرون من أكتوبر

كتبت كريستينا بعض الملاحظات ووضعت سماعة الهاتف وعوت قائلة : «ياه - هوو! لقد اتصلت كاتي سومنر لتوها ! القاضى رتب ثلاثة مواعيد»، وقرأت من دفتر ملاحظاتها «الأول مع ويستليك فى مكتبه الساعة ٢٫٣٠ من بعد ظهر اليوم وفقا لسكرتيرته، يمكنكم الحصول فقط على ثلاثين دقيقة نظرا لجدولى المشحون للغاية. أليس كلهم على هذا الحال!، جونسون التالى أيضا اليوم فى مكتبه فى الساعة ٤٫٣٠ وأنه سيعطيكم أى وقت تريدونه إلى أن يغادر فى الساعة السادسة ليظهر فى أحد البرامج التليفزيونية . كرامر غدا فى الساعة الثانية سيراكم فى مقره الانتخابى فى نيويورك بعد خطاب له على الغداء مباشرة. لم يقل العاملون معه الوقت الذى سيقضيه معكم سكرتيره، أبلغ القاضى بأن ذلك سيتوقف على التطورات الإعلامية. فكرى فى الأمر بريندا إنك ستلتقين مع الرئيس القادم للولايات المتحدة هذا الأسبوع بصرف النظر عن الفائز!».

حاولت بريندا أن تبدو غير مكترثة ومتجهمة غير أن ابتسامة صغيرة لاحت على وجهها، كانت تشعر بالسعادة ، «هدىء من روعك، تذكرى أن هذه اللقاءات هى للكشف عن عميل إسرائيلى ربما يكون رئيسنا القادم، أنه ليس بالأمر المبهج أنه يثير القشعريرة، يتعين علىّ أن أستفز عميلا أجنبيا ليرتكب خطأ، حتى ولو كان خطأ صغيرا فى الوقت الذى لا أضايق فيه المرشحين الآخرين غير المذنبين ، أنه تزحلق على طبقة رفيعة للغاية من الجليد، دعينا نبحث الأمر. ومن فضلك اتصلى بجاك. أنه سيذهب معى إلى مبنى الكونجرس».

مكتب ويستليك فى الساعة ٢٫٣٠ بعد الظهر

قبل خمس دقائق من الموعد المحدد وصل العميلان الخاصان «شتراوس» و«سانشيز» إلى مكتب السناتور ويستليك فى الطابق الثانى من المبنى الإدارى الجديد لمجلس الشيوخ، راقبت بريندا المساعدين الشبان المفعمين بالإثارة من جراء الحملة الرئاسية وهم يسرعون إيابا وذهابا يؤدون مهام صغيرة تعرف من خبرتها الطويلة فى دروب واشنطن أنها تجعلهم يشعرون بالأهمية وأحلامهم بالعمل فى البيت الأبيض فى شهر يناير تبدو فى أعينهم .

قطعت السكرتيرة لحظات شرود بريندا قائلة : «الآنسة شتراوس يمكنك الدخول الآن» نهضت بريندا وتبعها جاك إلى مكتب مرشح الحزب الديمقراطى .

أشار ويستليك الذى كان منهمكا على الهاتف لضيفيه بالجلوس على الأريكة التى تحتل الزاوية المجاورة لمكتبه أذعنت بريندا وجاك ولكنهما أحجما عن الجلوس إلى أن ينضم إليهما . وخلال انتظارهما استطلعت بريندا ماتطلق عليه واشنطن . «حائط الطاقة» نظرا لبنية ويستليك الضخمة .

وتغطى صور ويستليك خلال لقاءاته مع أثرياء وشخصيات مهمة من أمريكا والعالم

جدران المكتب المجلدة بخشب البلوط. بعضهم كان يتحدث معه وبعضهم كان قد انضم إليه على موائد الطعام أو خلال ممارسته رياضة المشى . وكانت كل صورة تحمل توقيعا مع تحية شخصية، كانت بريندا مولعة بصور الملوك والرؤساء، ورؤساء الوزراء والجنرالات ورؤساء المنظمات من ولاية واشنطن موطن السناتور . وعلى حائط آخر كانت هناك مجموعة صور أكثر تواضعا لأفراد الأسرة على مر السنين .

جاء صوت السناتور عميقا ولكن غير ودى «نعم آنسة شتراوس أوه انتظرى لحظة – شتراوس هل تعرفين سيدنى شتراوس ؟ إنه فى فريق حملتى» .

«ردت بريندا بصوت منخفض ينم تقريباً عن الاعتذار «إنه والدى» .

«رجل عظيم ورصيد رائع لفريقى .. على أية حال ماذا بوسعى عمله من أجل مكتب التحقيقات الفيدرالى ؟ القاضى بيكر يقول إنها مسألة وطنية فى غاية الإلحاح وإلا فإن أحدا لم يكن يأتى إلىّ فى هذه المرحلة مالم يكن بوسعه مساعدتى على الفوز بالانتخابات أليس كذلك ؟».

ابتسمت بريندا متجاهلة هذه البداية الفظة وفسرت الأمر قائلة : إن المدير قد بعث بها فى مهمة فى غاية الحساسية ، مهمة تستدعى تعاون السناتور. «لدينا بضعة أسئلة لك . إجاباتك أيها السناتور سوف تساعدنا على القضاء على تهديد خطير للغاية يتعرض له أمننا، نحب أن نسألك أولا هل تعرف شخصا يدعى ديفيد تيرون؟».

صدم السؤال السناتور، لقد كان لتوه على الهاتف مع تيرون، لابد أن مكتب التحقيقات الفيدرالى يراقب هاتفى، علاوة على أنه بعث بسيدنى شتراوس لمقابلة تيرون، ونظرا لأنه غير متأكد مما يبحث عنه مكتب التحقيقات فإنه يجب أن يأخذ جانب الحذر، لقد اقتربنا من الانتخابات إلى الحد الذى لايسمح بالمخاطرة بأكاذيب حمقاء .

«نعم قابلته مرة أو مرتين خلال حفلات استقبال للسفارة الإسرائيلية ولكن أساسا أتعامل مع السفير الذى يأتى من حين لآخر هنا الى مكتبى، لقد زارنى أيضا فى منزلى، هل هناك قانون يمنع ذلك ؟ العميل شتراوس؟».

«لا سيدى أننا فقط نحاول التأكد مما وراء السيد تيرون، هل تعرف أنه ممثل الموساد فى الاستخبارات الإسرائيلية فى واشنطن؟».

«لا ، إننى التقى تقريبا بكل شخص فى السفارة الإسرائيلية وكما يجب أن تعلمى أننى مناصر عظيم لإسرائيل ولى اتصالات وثيقة بالعديد من الإسرائيليين سواء هنا أو فى القدس، ماهى المشكلة بالضبط ؟ هل قتل تيرون هذا شخصا ما، أو ماذا؟».

«إننا غير متأكدين بعد وهو مايجعلنا نستفسر ولكننا نتابعه واتصالاته بشىء من التفصيل، لهذا يجب أن انصحك...».

«سيدتى الشابة، افترض أن المئات من شرائط تسجيلات الاستخبارات فى جميع أنحاء هذه المدينة يجب أن تكون مفيدة فى مثل هذا الأمر تماما مثلما يجب عليكم عملاء مكتب

التحقيقات الفيدرالية أن تنهضوا بمسئوليتكم . ولكنى مشغول بإدارة حملة انتخابية إذا لم تكن لأسئلتكم علاقة بذلك، فهل يمكن من فضلكم تأجيلها بضعة أسابيع ؟ سأكون سعيدا لقضاء مزيد من الوقت معكما فى وقت لاحق» .

تدخل جاك ، «سناتور، لسوء الحظ لدينا مايدعونا فى الشك بأن السيد تيرون يفعل شيئا له علاقة بإحدى الحملات الانتخابية حملتك أو أحد من المرشحين الآخرين، شيء ما غير مشروع فى طبيعته، ليس هناك ضرورة لذكره، إذا ثبت أن هذا حقيقى فإنه يمكن أن يقود إلى مساءلة أو إدانة للمرشح المتورط سواء جرى انتخابه رئيسا أم لا» .

قالت بريندا «إننا نتحدث بالطبع عن تورط غير مشروع فى الانتخابات من جانب السيد تيرون، إننا نقترح بقوة أنك ورجالك تظلون بعيدا عنه على الأقل الى ما بعد الانتخابات، وإذا تذكرت أى شىء له صلة بهذا الأمر، هاك بطاقتى يمكن الوصول إلىّ فى أى وقت سواء بالنهار أو بالليل، سنعود لنراك بعد الانتخابات مباشرة، سناتور شكرا لك على هذا الوقت»، ونهضت وتبعها جاك .

وقف ويستليك أيضا وتطلع فى بطاقة بريندا وهو يتثاءب وقال دون تفكير «من فضلكم، اعتنوا بأنفسكم وأتركونى وحدى حتى مابعد الانتخابات»، وبدون كلمة واحدة رافقها إلى باب مكتبه وجسده الضخم يدفعها أمامه . شعرت بريندا بأن بغضه لهما يجتاحهما مثل ريح جليدية وهما يغادران مكتبه، هل هما نجحا فقط فى إثارته أم فجرا الخوف الكامن فى أعماقه ؟ ربما يستغرق الأمر بضعة أيام لمعرفة الاجابة .

«ياله من استقبال فاتر، بريندا إذا فاز هذا الرجل لا أعتقد أن رئيسنا القادم سوف ينصبك رئيسا لمكتب التحقيقات الفيدرالى» .

قالت بريندا «إن مايقلقنى فقط هو ما إذا كان رئيسنا القادم سيكون عميلا لإسرائيل؟، لاتحول نظرك عن الكرة. جاك دعنى نذهب لتناول الشاى والبسكويت مع جونسون» .

مكتب جورج جونسون.. الرابعة والنصف بعد الظهر

وبينما كانت سكرتيرة السناتور جونسون تقود العميلين إلى مكتبه. ترك السناتور مقعده وصحافحهما وقال بجفاء «القاضى بيكر طلب منى أن أراكما، ولذا كيف يمكننى مساعدتكما؟، ليس بوسعى منحكما كل الوقت الذى وعدت . لقاء تليفزيونى فى آخر لحظة غيّر من الأمر . إننى أشعر بالخوف، أننى فى انتخابات صعبة، كما تعلمون، ولكن القاضى قال إنها مسألة تتعلق بالأمن القومى، لذا سأبذل قصارى جهدى للمساعدة مالأمر؟»

«سناتور، إننا نواجه تهديدا لتدخل أجنبى فى هذه الانتخابات إننا نوجه إليكم والمرشحين الرئاسيين الآخرين بضعة أسئلة ربما تساعدنا فى تحقيق حساس للغاية ولا حاجة للقول إن هذا الأمر سرى للغاية ويجب ألا تبحثه مع العاملين معك أو وسائل الإعلام. وإذا كانت لديك اسئلة بعد أن نغادر ، من فضلك لاتتردد فى الاتصال بمديرنا».

أومأ السناتور برأسه وجلس قبالتهما قائلا : «فلنبدأ»» لم يكن انزعاجه بعيدا عن السطح لم يكن لديه الوقت لذلك.

«هل تعرف شخصا يدعى ديفيد تيرون؟».

«لا أعتقد أننى أعرفه، من يكون؟».

«ديفيد تيرون هو ممثل الموساد فى السفارة الإسرائيلية هنا» .

«دعونى أقل لكما شيئا ، العميل شتراوس ، كما يمكن لرئيسنا ووسائل الإعلام أن يؤكدا لكما، أننى لا أخشى الإسرائيليين هذه حقيقة معروفة تماما، من الأفضل لكما أن تقوما بزيارة خاطفة للسناتور ويستليك والحديث معه، أنه يعرفهم جميعا، على أية حال لا، لاأعرف هذا الرجل، بل لم أسمع أبدا اسمه من قبل، لماذا تسألون ؟

«حسنا، لدينا معلومات حساسة – معروفة للرئيس – بأن تيرون متورط فى تمويل غير مشروع لواحدة من الحملات الانتخابية، لدينا مايدعو إلى الاشتباه فى أنه على اتصال سراً بواحد من المرشحين، هذا ليس اتهاماً وإنما مجرد تحذير من أنه يجب أن تكون مدركاً لذلك، ولا حاجة للقول بأننى إذا تثبتنا من حقيقة ذلك فإنه من الممكن أن يقود إلى مساءلة أو إدانة للمرشح المتورط حتى ولو لم ينجح فى الانتخابات، الوقت فى صالحنا وليس فى صالحه، نتوقع معرفته فى غضون الأيام القليلة القادمة» .

أحمر وجه جونسون وانفجر قائلا : «بالطبع الإسرائيليون يتدخلون . لا لسنا ساذجين، إنهم دائما يتدخلون ولكن لماذا يفعلون ذلك بشكل سرى، ليس سراً فى أمريكا إنهم يتدخلون فى انتخاباتنا، ولماذا أيضا تعتقدون أن ٨٠ فى المائة من اليهود فى هذه البلاد يصوتون لصالح المرشح الديمقراطى ؟ أسألا الرئيس ماذا واجه فى الانتخابات الأخيرة؟!».

«سيدى، أننا لانتحدث عن تدخل سياسى علنى إنما نتحدث عن تمويل سرى نشاط مدمر غير مشروع، نشاط سرى إسرائيلى، هذا مانبحث عنه» .

«اسمعا إذا كنت أملك مثل هذا النوع من المعلومات لكان بإمكانى استخدامها للفوز بالانتخابات، لكنت كشفت خباياها بصورة أسرع، والآن استعد لتصوير تليفزيونى فى مكتبى الخارجى، بعض الناخبين من ولايتى، إتصلا بى إذا كان بوسعى تقديم أى شىء لكما، ولكن الرجل الذى تتطلعون إليه هو ويستليك أو ربما كرامر ، وهو ربما يفسر كيفية صعوده فى هذه الحملة من لاشىء».

«شكرا لك سيناتور، وسنكون على اتصال فور إنتهاء الانتخابات ومعنا مزيد من التفاصيل على ما نأمل إننا نراقب تيرون عن قرب ومن ثم نشعر بالثقة من أننا سنقع على شىء ملموس فى أسرع وقت» .

«جيد، دعونى أعرف عندما تفعلون ذلك إذا كان بوسعى مساعدة مكتب التحقيقات فإننى أحب ذلك، لقد تصديت للتدخل الإسرائيلى فى شئون هذا البلد طيلة حياتى، حظ

سعيد» .

وبينما كانت بريندا وجاك يغادران المبنى ضحك جاك بصوت خفيض قائلا «حسنا بريندا، لا أعرف ما إذا كان هذا السناتور عميلا أجنبياً أم لا، ولكنى أقول إنه معادٍ قوى وصلب للسامية» .

قالت بريندا «انتهينا من اثنين ومازال واحد هناك، ربما نحصل على رد فعل ما من كرامر غدا فى نيويورك، تبدو حملته اصطناعية إلى حد ما، متكلفة إلى حد مبالغ فيه، وحققت، ياللعنه، نجاحا كبيرا فى مثل هذا الوقت القصير، كم الساعة الآن يجب أن أعود، أتوقع أن اسمع شيئا من جاى ربما كان يستعد للانقضاض على قاتلنا الذى نبحث عنه» .

مقر مكتب التحقيقات الفيدرالى

اتصل جاى ببريندا ليبلغها بأنباء طيبة لقد تم فى نهاية المطاف تحديد هوية «بيتر بيتروس ديميتريوبوليس» يونانى بالغ من العمر خمسين عاما له سمعة فى عالم النشاط السرى من الاتصالات الإرهابية والاغتيالات بأجر . ونجرى البحث عنه فى جميع أنحاء أوربا .

وواصل جاى الذى يحمل صوته نبرة الانتصار «عزيزتى بريندا . لدى أنباء أخرى طيبة لقد أخذت صور الفتاة الصربية مع كوريل وعرضتها على جيرارد» .

شددت قبضتها على السماعة «ماذا قال؟».

«أكد جيرارد أنها العاهرة التى جاءت مع سورينسون ليلة مقتله» .

حاولت بريندا التأكد «هل هى العاهرة؟».

«نعم .. نعم .. ثم عرضت الصورة على روزى الفتاة فى كهف الببغاء ذلك البار الذى قمنا أيضا بتحريات فيه، لقد تعرفت على المرأة أنها «الصديقة العاهرة»، للعاهرة القتيلة لقد عثرنا على المرأة التى نبحث عنها» .

عمل رائع جاى، شكرا !

قال جاى وصوته مفعم بالسعادة من هذا الإطراء، «بريندا عزيزتى أنتم ـ كما ـ تقولون أيها الأمريكيون، الذين تلهثون وراء هذه القضية، ماعليك سوى أن تقولى لجاى فان دين هوفن ماذا تريدين وسوف ينفذ جاى فان دين هوفن المطلوب . اتفقنا!».

ردت بريندا وضحكاتها تملأ المكتب «شكرا، أيها المفوض جاى فان دين هوفن، والآن ماذا ستفعل بهم؟ أتلقى القبض عليهم؟».

«أولا، نعثر على ذلك المدعو «بيتروس ديميتريوبوليس» ونستجوبه هو الذى سيقودنا الى المرأة شريكته أليس كذلك، وهو يونانى، تماما مثلما استنتجت لديك قدرة عظيمة على التخمين!».

«بدونك ما كنا سنصل إلى ذلك ، جاى أوه. أحب الشرطة البلجيكية أحب بلجيكا أحبك!

ماذا بوسعي أن أقول؟».

ضحك جاي «لاتكيلي المديح للشرطة البلچيكية . لقد هرب واحد من مجرمينا العتاه اليوم ، ومازلنا نبحث عنه حتى هذه اللحظة» .

«حسنا ، على الأقل يمكن أن أمدح صديقي المفتش البلچيكي»، ثم دار بخلدها نقطة لم تبحث من قبل، شقة بروكسل للعاهرة الثانية، وتساءلت بريندا عما إذا كانوا قد عثروا على أي شيء هناك يشي بأن جي . بولا ماركوفيتش أو جي بولا بيرجن قد استأجرت الشقة أو أقامت بها .

رد جاي بإحباط آسف بريندا ، ليس هناك أى دليل، الشيء المثير للغاية أو الذى يثير الشكوك هو أنه تم محو أية بصمات من الشقة، لم يكن بوسعي العثور على أية بصمة فى أى مكان منها ، أنها نظيفة على نحو غير عادى، أية امرأة تلك التى تستطيع التغطية على كل أثر لها ولكننا مازلنا نواصل البحث، وسنستمر فى سعينا ، عزيزتى» .

قالت بريندا «سأفكر فى وسيلة ، أعدك سأعثر عليها!» .

تنفس جاى الصعداء، «لا أحب أن أظل اسعى وراء تلك المرأة ».

وضعت بريندا السماعة وألتفتت إلى جاك قائلة «احضر رسائل المتابعة التى أعددناها لاعضاء مجلس الشيوخ الثلاثة. أحصل على توقيع عليها وأرسلها بالفاكس صباح غد بعد أن نلتقى بكرامر مباشرة . لابد ان نحمل هيبرون على أن ينفجر من جراء التوتر والضغط قبل يوم الثلاثاء القادم .تصور لو أننا شددنا النفير على الرئيس . برقية فاكس فى اليوم، مكالمة هاتفية كل أربع ساعات واثنان من العملاء الفضوليين فى أثر كل واحد فى كل الأوقات لقد حان وقت فتح أبواب الجحيم».

«أوافقك فى هذا الرأى» .

مدينة نيويورك.. التاسع والعشرون من أكتوبر

كانت الفوضى الشاملة تعم أرجاء مقر حملة السناتور دان كرامر الانتخابى وكان المشهد يشبه أكثر كما جال بخاطر بريندا بورصة نيويورك للأوراق المالية حيث تسود العصبية من مكاتب حملة انتخابية سياسية عادية. مرت بأوقات صعبة وهى تحاول الحفاظ على وجه يخلو من الملامح على الرغم من الطبيعة الخطيرة لزيارتها .

جاءت إحدى مساعدات كرامر الشابات مرتدية تى شيرت تجرى إلى بريندا وجاك وسألت لاهثة الانفاس. «أنتم القادمون من مكتب التحقيقات الفيدرالى».

ردت بريندا بنظرة جامدة : «نعم .. نحن بالتأكيد القادمين من مكتب التحقيقات» .

«عذراً، غير أن السناتور اضطر إلى الذهاب الى واشنطن اليوم، ونسيت سكرتيرته إبلاغكم ، مدير حملته «مارفين جولدينبرج» سيكون سعيدا لو تحدثتم معه الآن، إذا وافقتم».

ردت بريندا بحزم «لا ، لا نوافق على ذلك، مهمتنا عاجلة ويجب اتمامها مع السناتور

نفسه، هذه بطاقتى، اطلبى من سكرتيرته قبل أن تفعل أى شىء آخر فى صباح الغد، أن تتصل بى، وبذلك يمكننا اللحاق به فى واشنطن. يجب أن أراه غدا على أكثر تقدير، واستدارت واتجهت مباشرة الى المصعد، وقطع جاك الجاهز دائما بتعليقاته الصمت قائلا لبريندا «ألا يبدو الأمر وكأن السناتور متلهف للغاية على الحديث معنا؟» .

«أشك فى أنك محق فى ذلك ولكنها مهمتنا ألا ندع أمامه أى خيار، إننا فى حاجة إلى الخروج بأفكار جديدة قبل أن نذهب لبيوتنا بعد ظهر اليوم» .

واشنطن العاصمة.. الثلاثون من أكتوبر

لقد انتظرت حتى الساعة العاشرة صباحا، وعندما لم تتصل سكرتيرة كرامر لتحديد موعد جديد، اتصلت هى بها، كان عذرها أنها عاجزة عن معرفة مكانه، غير أن «الواشنطن بوست» تقول إنه سيلقى كلمة خلال حفل غداء لنادى الصحافة الوطنى.

ضحك جاك «من الغريب أن السكرتيرة لم تتطوع بهذه المعلومات هل ممن الممكن حقيقة أن رئيسنا السناتور كرامر لايرغب فى رؤيتنا؟».

«إنهم يلعبون معنا، جاك، دعنا نفرض عليه أنفسنا نحرجه إذا احتاج الأمر، لأكون أمينة مع نفسى أنا لم أفكر أبدا فى أن كرامر، ربما يكون هيبرون غير أن التفكير فى رد فعله لمقابلتنا وفى ضوء تعديله لولاءاته الحزبية ودخوله سباق الانتخابات فى اللحظة الأخيرة ولكن بحوزة مبالغ ضخمة من المال لإنفاقها فى المنافسة كل هذا يجعلنى أفكر بأننا ربما نتعامل مع سياسى غريب ومختلف للغاية، إن العميل الأجنبى دائما مايكون مصابا بخلل ما فى شخصيته، فى بعض الأحيان يكون غير ظاهر، أحيانا أخرى يكون ظاهرا على الرغم من أن المشاهدين غالبا مايتجاهلونه . هنا أيها الزميل لن أفحص تعاملاته مع المكتب أو مع أى شخص آخر بخصوص هذه المسألة، لذا جاك فلنذهب لتناول الغداء فلنذهب إلى نادى الصحافة الوطنى، هذاالرجل مثير للارتياب، أنه يبدو برىء وهو مايجعله حتى أكثر ارتيابا» .

دخلت بريندا وجاك مطعم نادى الصحافة الوطنى قبل حوالى ثلاثين دقيقة من وصول الضيوف والمتحدث، قدما نفسيهما وأبرزا بطاقتى هويتهما لفريق الخدمة السرية الذى وصل مبكرا، قالت بريندا إنها حصلت على معلومات مهمة من مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى لاعطائها شخصيا للسناتور وأنها لابد أن تلتقى به فى حجرة جانبية، قال عملاء الخدمة السرية إنهم سيرتبون هذا الأمر .

وبعد دقائق قليلة وصل مرشح الحزب الثالث الذى يتحدث دون توقف لحشد الإعلاميين المرافقين له، دفعه رئيس فريق الخدمة السرية جانباً لمدة ثانية ليبلغه بأن العميلين فى انتظاره بتعليمات من مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى بعدم مغادرة المكان قبل رؤيته، أنهما يرغبان فى إطلاعه على أمر عاجل .

اعتذر كرامر لحشد الإعلاميين مؤكدا أنه فى حاجة إلى مراجعة نقاط كلمته وتبعه حرس الخدمة السرية الى حيث كانت بريندا وجاك ينتظران، بادرهما بغضب شديد «ماذا فى العالم ملح إلى هذه الدرجة التى لايمكنكما معها الانتظار أسبوعاً واحداً لحين إنتهاء الانتخابات؟ هل سيقدم أحد على قتلى؟ هذه مشكلة الخدمة السرية» .

«مساء الخير سناتور أنا العميلة الخاصة شتراوس وهذا العميل الخاص سانشين، من فضلك لا نحتاج سوى الى دقائق قليلة من وقتك، طلب منى المدير أن اطلعك على مشكلة ملحة».

قال المرشح بسرعة وهو يجلس على ذراع أحد المقاعد الجلدية وقد بدا عصبيا مثل الحيوان المحاصر. «حسنا، ماهى!،».

«سناتور حصل مكتب التحقيقات على معلومات أن جهاز استخبارات أجنبى يحاول التدخل فى هذه الانتخابات. هذا أمر شديد الحساسية، ومن ثم نطلب منك عدم بحث هذا الأمر مع معاونيك أو مع وسائل الإعلام، فقط معنا فى مكتب التحقيقات أولا هل تعرف شخصا يدعى ديفيد تيرون؟».

«لا أعرف ، آنسة، مهما يكن اسمك أنا التقى بآلاف الاشخاص يوميا فى هذه الحملة، ولكن لا .، لا أعتقد ذلك» .

«شكراً لك سيدى، هذا كل مانحتاجه لانريد أن نأخذ مزيدا من وقتك» .

انفجر السناتور قائلا «اسمعى، سيدتى الشابة، لقد طاردتينى من واشنطن إلى نيويورك ومن نيويورك الى واشنطن لتسأليننى هذا ؟ ثم تتوقعين أن تخرجى من هنا قائلة شكرا . ماذا بحق الجحيم تفعلون؟ أنتم تلاعبوننى ولن أقبل هذا الهراء من مكتب التحقيقات الفيدرالى أو من أى شخص آخر»، وأشار الى بريندا قائلا «إما تخبريننى لماذا أتيتم حقيقة هنا وإلا سأتصل بواشنطن لمحاسبتك أنت أو كليكما هل تفهمين؟ وتوقف قبل أن يواصل .. والآن هل لديكما أى شىء آخر؟».

«لا سيدى، كنا نريد فقط أن نعرف ما إذا كنت تعرف السيد ديفيد تيرون، رئيس الاستخبارات الإسرائيلية فى سفارتهم هنا، إننا نضعه تحت المراقبة المستمرة للاشتباه فى تورطه فى نشاط غير مشروع فى حملة أحد المرشحين الثلاثة، إذا تمكننا فى نهاية الأمر من إثبات ذلك قبل أو بعد الانتخابات فإنه من الممكن كما تعرف أن يؤدى الأمر الى محاكمة الرئيس إذا مانجح المرشح أو القاء القبض على المرشح وادانته إذا لم ينجح فى الانتخابات، وعلى أية حال لقد أجبت عن سؤالى شكرا لك» .

«اسمعا، أنتما الاثنان، سوف اتصل بالقاضى بيكر غدا لأطلب منه أن يكلف غيركما بهذه القضية مهما كانت هذه القضية، لقد جئتما هنا لتلعبا معى لعبة البوليس السرى، ألا تعرفان من أنا؟».

«أننى ربما أكون رئيسكما القادم، هل تحاولان الآن استفزازى؟». تتحدثان عن شخص

ما إسرائيلى لأن زوجتى يهودية ووالدها من كبار المساندين لى؟ من الأفضل أن تعترفا بذلك، أيتها الشابة أو تبدأين فى البحث عن وظيفة أخرى، اتفهمين؟».

نهض بغضب وغادر الحجرة . كان بوسع بريندا سماعه وهو يصرخ فى حرسه من الخدمة السرية الذين سمحوا للزوار من مكتب التحقيقات الفيدرالى برؤيته قبل إلقاء كلمته.

قال جاك مازحا «لا أعتقد أننا مدعوون على الغذاء» .

ردت بريندا «دعنا نذهب من هنا، لقد ألتقينا الآن بجميع المرشحين الثلاثة، لدى احساس بأنه سيصدر عن هيبرون رد فعل ما. وآمل أن يحدث ذلك قبل الانتخابات وإذا لم يكن فبعدها مباشرة، ربما يكون مشغولا جدا الآن، ولكننا سوف نتحرك بسرعة، جاك، هناك شىء آخر ، من خط مؤمن أترك رسالة لمدير كل حملة انتخابية، استخدم هذه الأرقام، لاتتحدث معهم فقط أترك رسالة» .

«وماتلك الرسالة؟».

«ديفيد تيرون اتصل، والأمر عاجل».

ابتسم جاك من مكر بريندا وبراعتها، هزت كتفيها قائلة «الوقت يمر سريعا».

الفصل الثالث والعشرون

الثلاثاء السابع من نوفمبر
يوم الانتخابات

البيت الأبيض الساعة ٧:٠٥ بعد الظهر
بتوقيت شرق الولايات المتحدة

فى نشرة أخبار التليفزيون تم تقديم الفائز المحتمل فى الانتخابات الرئاسية الأمريكية إلى العالم.

«بوسع «سى. إن. إن» أن تؤكد الآن أن أكثر انتخابات الرئاسة الأمريكية منافسة منذ عام ١٩٧٦ عندما تغلب حينذاك جيمى كارتر على جيرالد فورد بعشرين ألف صوت على مستوى البلاد، قد فاز بها بوضوح السناتور جورج جونسون من نيوهامبشاير بهامش أقل من ذلك، ومن شقته فى ترامب تاور أقر مرشح حزب الإصلاح السناتور دان كرامر من نيويورك بهزيمته قبل دقائق فقط زاعما أن هذا يعد بمثابة انتصار ضخم لسياسات الحزب الثالث فى الولايات المتحدة، بينما لم يصدر عن السناتور ويستليك أى بيان بعد، أعلن مقر حملة السناتور ويستليك أن السناتور سوف يمتنع عن الإدلاء بأى ردود فعل علنية حتى صباح الغد، إنه ربما يطالب بإعادة فرز الأصوات».

ونظرا لاستمرر هذا الهامش المتوقع بين السناتور جونسون والسناتور ويستليك خلال المساء، فإن المحللين السياسيين الآخرين يؤكدون أنه يحسن الانتظار حتى إغلاق مراكز الاقتراع فى الساحل الغربى قبل أن يكون بوسع أجهزة الكمبيوتر التنبؤ بالفائز . غير أن شبكات التليفزيون الرئيسية وسى إن إن تقول إن الفوز من نصيب جونسون.

وبيل روسيل فى مكتبه فى الجناح الغربى فى البيت الأبيض يشعر بالإثارة وهو ينتظر النتائج كما لو كان طفلا يذهب للمرة الأولى فى حياته إلى السيرك.

همس وهو يصب لنفسه رابع كأس ويسكى على التوالى من «بار مكتبه» يا إلهى . ياله من سباق محتدم!! وجلس على مكتبه واتصل بجناح الرئيس الخاص.

«سيدى الرئيس، هل شاهدت الأخبار؟ فاز جورج؟ يا إلهى، ياله من سباق متقارب للغاية . لقد اعتقدت إلى حد اليقين أن ويستليك، بكل هذا التأييد اليهودى ، سوف يسرق الفوز منا، غير أن النتائج تأكدت، الآن، ولذا، من فضلك، أخلد للراحة قبل العشاء هذا المساء، سأعمل على إلغاء ارتباطاتك صباح الغد، إذا ما رغبت فى ذلك».

قال الرئيس بغبطة «أنباء عظيمة! التليفزيون مفتوح أمامى، غير أن النعاس غلبنى وأنا جالس فى مقعدى، لقد انتهت مخاوفى التى لازمتنى الأيام الأخيرة الماضية هذا كل ما كنت أعلق عليه آمالى وأصلى من أجله، ليس هناك أفضل وسيلة لإنهاء حياتى السياسية من أن أكون قادرا على اختيار خليفتى. بعد وفاة ديك وهذا الذى يحدث فى الشرق الأوسط، فإننى فى حاجة إلى بعض الأنباء الطيبة لمجرد رفع معنوياتى».

وتغير صوت الرئيس «ويعود الفضل فى ذلك فى جانب منه إلى المساعدة التى قدمها صديقك العربى. نعم، أنا أعلم كل ما يتعلق بذلك. وأقدر حرصك على إبعادى عن هذا الأمر، اننا جميعا نعلم إلى أين يمكن أن يقود هذا، ولكن من الواضح أن هذا القدر

اليسير للغاية هو الذى قدم يد المساعدة، إنها معجزة حقيقية، فى اليومين الأخيرين كدت أستسلم، غير أن الناخبين نفروا فى نهاية الأمر من الأسلوب الليبرالى المتغطرس لويستليك وحياته الغرامية المتحررة، أعنى علاقات الحب، على كل جيرى تلك - مهما كان اسمها وهاتان الزيارتان لباريس، والصور والشريط، يا إلهى ! وهو ما جمد الأمر لصالحنا، والأمر المثير للدهشة أن هذه الفضيحة لم تضره أكثر ، آمل أن يكون قد تبقى له ما يكفى من المال لبناء ضريح لغبائه ».

همهم بيل روسيل موافقاً، متعجبا من التأثير الذى حققته زيارته القصيرة لشاليه منصور ! كيف يمكن لتفاصيل صغيرة فى التاريخ أن تثمر عن تغيير هائل!.

ولم يستطيع دوجلاس مقاومة رغبته فى الكلام «وجونسون وقدرته تلك الرائعة على جمع الأموال، أليس كذلك؟ وتلك الحملة التليفزيونية فى النهاية ألم تساعد على دفعه، أنه بارع ولكن لابد أنه تكلف الكثير، لابد أنه غرق فى الديون - إننى سعيد لأنه ليس أنا الذى سيتعين عليه تسديد كل ذلك، حسنا، فإنه سيتعين عليه أن يلجأ مرة أخرى إلى حماه هذا الثرى ليسدد عنه» ، وضحك قبل أن يواصل «بيل أريد جورج على الهاتف، أريد تهنئة رجلنا شخصيا، هذه لحظة عظيمة بالنسبة لى وللحزب وللبلاد».

«نعم ، سيدى الرئيس» .

ضغط روسيل على زر فى هاتفه وطلب من عامل التحويلة أن يوصله بالرئيس المنتخب جونسون فى مقر حملته فى واشنطن.

بعد دقيقتين اتصل عامل التحويلة، دكتور روسيل ، معى الرئيس المنتخب السناتور جونسون على الخط «على الأقل هذا ما يصفونه به فى مقرة الانتخابى».

«أهلا السيد الرئيس المنتخب ! بيل روسيل معك ، تهنئة من جميع من هنا فى البيت الأبيض، ياله من انجاز عظيم! لقد فعلتها! والرئيس يريد أن يهنئك شخصيا، انتظر على الخط - سأوصلك به مباشرة» وشعر روسيل بالفخر لأنه هو ذلك الشخص الذى قام بايصال الرئيس المنتخب إلى الرئيس الحالى.

«قبل أن تصلنى به ، بيل، أرغب فى شكرك على جهودك فى اللحظة الأخيرة، انت تعلم، ذلك المظروف وكل ما يضمه، كل وخزة كانت مفيدة».

«أنا سعيد للمساعدة فى قضية تستحق، جورج»، وكانت هناك فترة سكون قصيرة ابتسم خلالها الرجلان، وحينئذ قال جونسون «أحتاج أن أبحث معك مسألة الانتقال فيما يتعلق بالشئون الخارجية، ولكن ليس الليلة، الليلة سأذهب للاحتفال مع نيقولا والتقط أنفاسى ، أنا متأكد أنك تتفهم ذلك، حسنا والآن أوصلنى بالرئيس».

كرر روسيل تهانيه ثم ضغط على زر ووصل صوت جونسون إلى دوجلاس.

«السيد الرئيس، جورج معك، بفضل الله، فعلناها! لم يكن الأمر سيئاً أليس كذلك؟ ولكن عناية الله كانت معنا، مازلت أشعر ببعض التوتر وليس بوسعى تصديق النتيجة، هل سمعت أن ابن الزانية هذا لن يلقى كلمة يعترف فيها بهزيمته الليلة؟ هل تعتقد أنه يخفى ورقة للعب بها فى وقت الحاجة؟» ثم أضاف «ومن يهتم بذلك؟ لقد فزنا! وإذا لم يرغب فى الاعترف بذلك فلا يهم، وفيما يتعلق بى فقد قال الشعب كلمته وهذا ما يكفينى!».

«جورج ، مبروك ! لقد كنت أشعر بقلق كبير منذ شهر ولكن هذا الأسبوع تقدمت مثل الثور الجامح! عمل عظيم! كم كنت أكره أن أترك هذا المكتب لأى من هذين الوغدين، هل رأيتهما وهما يتذللان لجماعات الضغط إلى هذا الحد. إحراج صريح للسياسة الوطنية، نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، هل سمعت مثل هذا التملق فى حياتك ! وهذه القصص عن علاقات وستليك مع سيدات باريس ألم تضر بنا هى الأخرى»؟

وابتلع دوجلاس رشفة أخرى من كأسه الكوكتيل لتخرج كلماته أكثر وضوحا، «زملاؤك فى الحزب الجمهورى قاموا بعمل رائع وأنا سعيد أنه كان بوسعنا تقديم يد المساعدة، وإذا كنت تشعر بالقلق حيال ديونك، فليس هناك ما يدعو إلى ذلك، أنت الآن الرئيس المنتخب، ستنهال عليك الأموال، سوف ترى، كل واحد يريد أن يمتلك جزءا من الفائز وخصوصا مع قوة هذا النصب».

قال جونسون «أنا سعيد لسماع ذلك، إذا لم تمانع، سوف أخلد للراحة لفترة قصيرة الليلة – على الرغم من أننى كنت أعتزم أن أعطى بعض الاهتمام لنيقولا بعد أن وجهت الشكر علناً لفريق حملتى وأنصارى وسأدلى بتصريحات لدقائق معدودة لشبكات التليفزيون، كان الأمر صعباً عليها، كل هذا الضغط».

«بالطبع، جورج، اننا فخورون للغاية بك، استرح الليلة..! تذكر لقد كنت هناك لقد فزت أيضا. استمتع بالليلة مع نيقولا وأحصل على بضع ساعات من النوم، تعال غدا فى الساعة الثامنة ، سنعد افطاراً مع الشمبانيا للاحتفال بك، فقط نحن الاثنين وهى فرصة لالتقاط صورة ونحن نتصافح لتظهر فى الصفحات الأولى فى كل صحف هذا البلد، أريد أن أسدى لك النصح فى كيفية التعامل مع نائب الرئيس الجديد خلال الأيام القليلة القادمة».

وبنبرة منخفضة أضاف «أيضا باعتبارك الرئيس المنتخب يجب أن يجرى إطلاعك على قصة أمن وطنى ملحة وفى غاية السرية أخطرنا بها أصدقاؤنا الروس ويديرها الإسرائيليون التى أنا مقتنع الآن بأنها مجرد معلومات تهدف لتشتيت انتباهنا، كل

شيء يمكنه الانتظار للغد، أراك في الساعة الثامنة اتفقنا؟ بلغ تحياتي لنيقولا، لابد انها في قمة الإثارة الآن».

«عمت مساء سيدى الرئيس ، أراك فى الثامنة وليباركك الله».

ليلة الانتخابات، السفارة الإسرائيلية

أخذ السفير الإسرائيلى مائير يعوى فى حجرة مكتبه الخالية وهو يضرب مكتبه بقبضة يده «ديفيد تيرون! سأعرف كيف أنال منك وأفصلك من وظيفتك!» فقد سمع لتوه تأكيد سى إن إن لفوز جونسون، وكان السفير الذى شعر بالاستياء من أنباء خسارة ويستليك الوشيكة قد أخذ يتنقل من قناة إلى أخرى على أمل سماع أن هذا الأمر غير حقيقى، ولكن تدريجيا اتفقت جميع القنوات على هذه النتيجة.

جأر مرة أخرى «سوف تدفع الثمن»، ولكن تيرون لم يكن فى السفارة، وغير معروف مكانه كما قالت سكرتيرته التى مازالت فى المكتب تتابع أوامر رئيسها «قال إنه سيعود سيدى السفير».

صاح السفير فى السكرتيرة «لا أصدق أنه ليس هنا، ربما يصب لنفسه مزيداً من الكولا الدايت لينسى هذا اليوم! اتصلى به اتركى له رسالة، اتصلى بسائقه آبى على جهاز اللاسلكى لابد من العثور عليه».

«انه لا يرد على رسائلنا، سيدى سيارة ديفيد هنا، أنه سيعود سريعا، أننى واثقة من ذلك».

«أين سيهرب منى سيواجهنى غدا».

وارتمى مائير على أحد المقاعد الناعمة ، فقد جعلت وقائع اليوم الدماء تغلى فى عروقه، وتسبب تزاحم الأفكار فى اصابته بصداع حاد، وآخذ يقول لنفسه مرة تلو الأخرى إن إسرائيل لم تقترب أبدا مثل هذه المرة من أن يصبح واحدا من أفضل أصدقائها فى مجلس الشيوخ رئيسا للولايات المتحدة، لقد خطف هذا التافه النصر منا، بالتأكيد سوف يرن جرس هاتفه فى أية لحظة وسوف يطلب وزير الخارجية أو حتى رئيس الوزراء تفسيرا لما حدث، سيطلبون بالتأكيد تحليلا سياسيا عن هذا التطور، أو ربما يكتفون بإرسال برقية له سيجدها على مكتبه فى الصباح تستدعيه ليقوم بتفسير الأمر شخصيا.

وهو يعلم من السنوات الطويلة لخدمته فى حكومة تتعرض للضغوط أن تلك هى النهاية لحياته المهنية ومن اليوم فصاعدا سوف يتحمل مسئولية أية أنباء سيئة تبعث بها واشنطن إلى إسرائيل.

وتوعد ساخطاً «اللعنة على تيرون، انها غلطته لقد أساء التصرف منذ البداية».

* * * *

قبل دقائق من اتصال السفير به، تلقي تيرون إشارة خاصة ذات اتجاه واحد من هيبرون يطلب لقاء عاجلا فى الشقة المؤمنة فى روسلين. صرخ تيرون وهو يهز رأسه «ياله من وغد مجنون! الليلة؟ والآن؟ ليس أمامه مفر غير الذهاب، ولكن الشيء الوحيد الذى ليس فى حاجة إليه لا هو ولا هيبرون الليلة هو أن يجتمعا سرا فى واشنطن فى ليلة الانتخابات، فالاجراءات الأمنية مكثفة والعواطف مشتعلة ، بل أن النتائج ليست نهائية بعد، والمرشحون محط الأنظار العامة، والشبكات التليفزيونية تطارد الخاسرين مثلما تطارد الفائز لكى تعرض على شاشاتها لحظات الألم والانتصار، وكلما ازداد توتر الأعصاب فى الشوارع ازدادت خطورة عقد مثل هذا الاجتماع، قال فى نفسه وقد أفقدته هو نفسه هذه النتائج المتقاربة للغاية أعصابه ، دعنا نسوى هذا الأمر هيبرون!

اعترف تيرون بينه وبين نفسه بأنه ليس بوسعه ألا يذهب حتى على الرغم مما ينطوى عليه الأمر من خطورة بالغة، ولكن هذا الملعون، ليس الآن، هيبرون، ليس الآن !

أمر تيرون آبى بأن يأخذ سلاحه وقام هو بتثبيت مسدسه عيار ٣٨ فى حزامه تحت سترة بذلته، وعندما غادر هو وآبى السفارة، استخدما الباب الخلفى واستقلا سيارة مختلفة عن العادة واحدة تحمل لوحة أرقام ولاية كولومبيا، فقد حذره احساسه من أن هذا اجتماع ما كان يجب أن ينعقد وأخذ يردد «ليس بوسعنا فقد كل شيء الآن هنا»، ولكن عندما يتصل أهم عملائك فليس بوسعك إلا أن تذهب، أخذ توتره العصبى فى التزايد، وشعر آبى بموجات من التوتر تسرى فى عروقه ولكنه احتفظ بأفكاره لنفسه.

طنجة

منصور شريف فى قصره فى طنجة بعيدا عن قواعده الثانوية فى جنيف وباريس، عندما أعلن كبير مذيعى سى إن إن ارين ستورز أن جونسون قد فاز ، وأخذ المليونير العربى وقد غمرته السعادة يدور حول نفسه بجلابيته الحريرية يبلغ النبأ لكل من فى القصر بما فى ذلك الخدم. ولم يكن أحدا فى قصره قد شاهده من قبل بمثل هذا الانفعال.

وسرعان ما انهالت عليه المكالمات من مختلف أنحاء العالم تهنئه بصدق توقعه بأن المرشح الأوفر حظا فى البداية مرشح الحزب الديمقراطى الموالى لإسرائيل السناتور ويس ويستليك سوف يخسر، وكان أصدقاء منصور العرب، الذين لديهم قناعة بأن اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة بوسعه أن يفعل أى شيء، يتساءلون بين أنفسهم عن سبب تمسك منصور القوى بأن ويستليك سوف يخسر ، وبالطبع ، لم يكن لديهم أى معرفة بتلك الأخبار اللعينة بشأن فضيحة باريس التى كشف عنها رجل الأعمال المغربى المحترم المثقف وهو صديق لملك بلاده الشاب الجديد.

قال لابنه خالد خريج جامعة جورج تاون الذى أرجأ وعدا غراميا مع صديقته ليلى لمساعدة والده فى التعامل مع فيض المكالمات الدولية، أطلب لى بيل روسيل على الهاتف الليلة ياخالد، يجب أن نغتنم الفرصة، غدا سيكون هؤلاء الأحباء أكثر انشغالا يابنى».

صاح روسيل فى الهاتف فور أن أوصل خالد المكالمة إلى والده، «هاى، منصور، لقد فعلناها»!.

«حسنا ، صديقى العزيز، لقد رأيت كيف قمنا بعملنا، نحن أصحاب العقول الخرقاء الغبية كما يصفنا قومك المتنورون، لدينا بعض الخدع من تدبيرنا، أليس كذلك»؟.

«نعم بالتأكيد ، الرئيس يرغب أيضا فى أن يشكرك على كل شىء بأمانة!».

«شكرا، بيل، بلغ تحياتى له والرئيس المنتخب الجديد، استمتعوا بالحفلات، كم أود أن أكون هناك للاحتفال معكم، انكم أيها الساسة الأمريكيون الحمقى تعشقون السياسة ومن الصعب أن يثيركم شىء آخر ، ما عدا صديقنا السناتور المهزوم» وضحك من قلبه قبل أن يواصل «إنك فى حاجة إلى محب عظيم مثلى ليعتنى بهؤلاء الحريم المحيطين بك فى واشنطن، بيل اخبرهم بالانتظار حتى حفل التنصيب، سأكون هناك إن شاء الله».

«إن شاء الله ، منصور انت شىء مختلف، سنفتقدك، سنراك فى يناير ، ستجرى دعوتك وسوف تحصل على مكان بارز، أؤكد لك، ومرة أخرى شكراً صديقى العزيز».

«لا تقل ذلك، وألا فلماذا خلق الأصدقاء؟» .

واشنطن العاصمة

فى حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر ، قررت جاكى ماركوفيتش الذهاب للتسوق فى مجمع تسون كورنر التجارى فى ضاحية فيرجينيا، لقد رشحت لها موظفة الاستقبال فى موتيل ماريوت فى روسلينى، حيث تقيم كاستشارية فى النسيج تحت اسم جتروده شنايدر وجواز سفر مزور، المجمع على أنه أفضل وأكبر مجمع تجارى فى المنطقة المحيطة «سوف تحبينه آنسة شنايدر».

ولأنها تحب أن تتسوق هدايا عيد الميلاد فى الولايات المتحدة، فإن أى رحلة لأمريكا لأى غرض سواء كان للتزحلق فى اسبين أو لمواجهة فى واشنطن هى دائما موضع ترحيب من جانب جاكى، فقد كانت مقتنعة بأن الأمريكيين لديهم تنوع فى المعروض من السلع غير متاح فى أوروبا والأسعار منخفضة بشكل يدعو للضحك حتى ولو أن الأمريكيين لا يفتأون يشكون كيف أن الغلاء قد امتد إلى كل شىء، وقالت فى نفسها، ماذا لو اضطروا إلى التسوق فى أوروبا مثل باهنوفشتراس فى زيورخ حيث يدفع

السويسريون أكثر من ثلاثة آلاف دولار في جهاز تسجيل الفيديو.

لا شيء يظهر الفتاة الصغيرة داخل جاكي مثل التسوق ، وقد اشترت طقما خليعا من الملابس الداخلية، وهي متأكدة من أنه سوف يثير يوري في المرة التالية.

«يا للرجال المساكين - انهم في غاية الضعف» وضحكت في سرها وهي تتخيل نظرات عينيه وواصلت تسوقها بحماس متجدد.

ولدى مراجعتها قائمة مشتريات أعياد الميلاد بدأت تفكر في أمها في فيينا، يجب أن تشتري لأمها شيئا خاصا هذا العام نظرا لأنها بدأت تزوي وجاكي غير متأكدة إلى متى ستبقى معها.

منذ أن عانت من اساءة المعاملة وهي مراهقة على يد والدها(سارق عذريتي) لاتتحمل فكرة أن تترك في العالم بدون أمها، لا يمكنها أبدا أن تنسى كم من المخاطر تحملتها أمها لتحميها من زوجها المؤذي . وعلى الرغم مما كانت عليه جاكي ماركوفيتش فإنها تشعر بالفعل بأنها وحيدة للغاية في العالم لأنها تعلم أن والدتها لن تبقى معها طويلا، سوف تمنحها سلسلة الشقق حول العالم، إذا ما كان بمقدور والدتها البقاء حية طالما بقيت جاكي على قيد الحياة.

كانت الإذاعة الداخلية للمجمع التجاري تحيط المتسوقين علما بآخر أخبار يوم الانتخابات - السناتور جونسون يتقدم بصعوبة على ويستليك، وعلى الرغم من أن الخبراء ينتظرون إغلاق مراكز الاقتراع في الساحل الغربي فإن التقديرات متشابهة من الساحل للساحل، وتتوقع سي إن إن بأن جونسون سوف يفوز بهامش لن يزيد على الواحد في المائة .

همست جاكي «عظيم!» على الرغم من أن السياسة لم تكن تقريبا محل أي اهتمام من جانبها، فقد استنتجت من قراءة الواشنطن بوست في الأيام القليلة الماضية أنه إذا فاز جونسون فإنه سيكون بمثابة لطمة للإسرائيليين، وبعد أن تسوي أمرها مع تيرون فإن الإسرائيليين سوف يتضررون مما هو أكثر من مجرد خسارة واحد من أصدقائهم للانتخابات. فإن سمعتهم وعلاقاتهم في واشنطن سوف تتقوض، قالت لنفسها معجبة وهي تشعر بالنشوة إزاء خطتها «القضاء على رئيس الموساد ليلة الانتخابات» أمر رائع للغاية، توقفت عند هاتف بالتعريفة في المجمع التجاري واتصلت بالرقم ٨٠٠ ثم رقم شركة يونايتد للطيران لتحجز مقعدا في الدرجة الأولى في الطائرة المتوجهة إلى فرانكفورت في ساعة متأخرة من تلك الليلة وهو آخر موعد تغادر فيه رحلة دولية الساحل الشرقي للولايات المتحدة ١٠ر٥٠ مساء، وفي الوقت نفسه ألغت حجزها على رحلة بعد الظهر. في كل يوم من أيام هذا الأسبوع كانت تطور من استعدادها بالطريقة

نفسها تماما، تحجز رحلة وتلغي أخرى. لا تعرف اليوم الذى ستنال فيه فرصتها ، اليوم الذى سيحفرون فيه شاهد قبر ديفيد المسكين، قالت لنفسها «الصبر عزيزتى جاكى»، الاستعداد فى هذا العمل هو كل شيء، هذه الضربة النهائية سوف تحين لها عندما تنضج.

لقد وعدت نفسها بذلك.

سألها حارس وسيم من حراس المجمع وهو قادم خلفها «أهلا، سيدتى الجميلة، هل من مساعدة؟»، كانت على وشك أن تتخلص منه عندما لمحت بعيونها المحترفة منظر المسدس فى جرابه كان مسدس جلوك طراز ١٧ واحد من أفضل الأسلحة التى تفضلها من بلدها الأصلى النمسا، وهو ما ألهمها فكرة ، بسرعة افترضت أن الشاب لابد يشعر بالسأم وقررت أن تنعش نفسها ، واختارت أن تحاول التحدث بلكنة جنوبية.

«أوه ، أنت أيها الرجل الكبير القوى، انت، شكرا جزيلا، قل لى أين أجد حمام السيدات لأريح قدمى؟» نطقت هذه العبارات كما لو كانت تدرب نفسها على أداء دور حسناء جنوبية فى فيلم «ذهب مع الريح».

قال الحارس الوسيم بحماس «نعم، سيدتى، سوف آخذك إلى هناك، هذا الطريق من فضلك»، قال فى نفسه وهو يرقب ردفيها وهما يتمايلان «كم أنا محظوظ».

قررت أن تصادقه لكى تعرف أين تجد مسدس جلوك آلى بديل فى واشنطن عندما تحتاجه، إنها ربما حتى تحتاج إلى شقة مؤمنة، شقته ، انه لا يضر أبدا أن يكون هناك دعم عند الحاجة.

سألته وهى ترمقه بنظرة كلها اثارة – نظرة شعر وكأنها قد سرت فى جسده حتى أصبع قدميه «انت رجل وسيم، هل انت متزوج؟».

استحوذت على اهتمامه انها امرأة مفعمة بالحياة «لا ياسيدتى، أنا مشغول لدرجة أننى مجرد شخص أعزب وحيد».

«بيتك قريب من هنا؟».

«نعم سيدتى ، لدى شقة فى ماكلين، ولكنى سأظل فى عملى حتى الساعة العاشرة الليلة».

قالت فى صوت هادىء مثير «دعنا نفعل ذلك فى مرة أخرى» وأخذت كل المعلومات الضرورية التى تحتاجها لاستغلال هذا الكائن الساذج إذا مادعت الضرورة.

بعد أن استخدمت حمام السيدات لوحت جاكى للحارس الشاب مودعة بدلال واتجهت إلى أقرب مخرج لسيارتها المستأجرة فى ساحة انتظار المجمع، قادت سيارتها

عائدة إلى حجرتها فى الموتيل لتنتظر إشارة بيتر من نقطة المراقبة، وهناك سوف ترقد فى الفراش انتظارا لتيرون ليأتى بقدمه إلى فخهما، لقد مرت أيام فماذا يضير أن تنتظر قليلا، عزت نفسها قائلة (فى الانتقام مثلما فى الجنس الترقب نصف المتعة)، أنها سوف تشغل أيامها فحسب بمزيد من التسوق دائما تدفع نقدا بالطبع، انها صبورة بل بالأكثر عاقدة العزم ، طلبت من خدمة العملاء طبقا من السلطة وكوبا من الشاى المثلج ثم أخذت حماما ساخنا لترطب جسدها المتناغم الجميل، بعد ذلك ستظل مسترخية وجاهزة للانطلاق فى غضون دقائق قليلة من ورود الإشارة.

١٨ر٨ مساء

ألقى السناتور جورج جونسون كلمة انتصاره من مقره فى وسط واشنطن، إذيعت الكلمة التى شكر فيها العاملين فى حملته وأنصاره والشعب الأمريكى على كل الشبكات، وقد استقبلت بالهتافات والاستحسان، بينما كانت تستقبل هذه النتائج المفاجئة بمشاعر متباينة ليس أقلها الاحساس بالراحة، أجمع المعلقون على آمالهم فى أن الرئيس الجديد سوف يعالج القضايا الرئيسية التى تؤثر فى الاقتصاد والتى يبدو أنه جرى تعليقها خلال الأسابيع الأخيرة من السباق المتقارب للغاية.

٣٣ر٨ مساء

فى النهاية وبعد ضغوط مكثفة من كبار العاملين فى حملته ومسئولى الحزب ألقى السناتور ويس ويستليك كلمة موجزة استغرقت دقيقة واحدة وجه فيها الشكر للعاملين معه والأصدقاء وإنطلاقا من التزامه القوى بمبادئه فإنه سوف يحجم عن أى إقرار بهزيمته إلى أن يجرى إغلاق مراكز الاقتراع والانتهاء من فرز كل الأصوات، وسراً كان يعمل على تعقب المسئول عن إفشاء الفضيحة الجنسية وأشياء أخرى إذ إن لم يكن بوسعه إصلاح الوضع الآن فإن حياته العامة سوف تنتهى، يقول البعض إنه كان ببساطة رجل سيىء ويتشككون فى ولائه لبلاده، وعقب كلمته اندفع خارج مقره واستقل السيارة الليموزين التى كانت فى انتظاره لتأخذه إلى جناحه فى الهيلتون.

٥٨ر٨ مساء

نجح هيبرون فى التملص من حرسه من الجهاز السرى الذين صدقوه عندما قال إنه سيكون فى جناحه بالفندق مع زوجته وانه يرجو عدم ازعاجه، انه من الأسهل دائما حراسة غرفة فى فندق من هدف متحرك، ولذلك فقد شعروا بالارتياح. إن لدى كل عضو فى الخدمة السرية شريط فيديو لحادث اغتيال روبرت كيندى ، بسرعة بدل هيبرون ملابسه وارتدى بنطلونا جينز أزرق وسترة رياضية بغطاء للرأس، وناشد زوجته أن تبقى وأن تغطى غيابه، قال لها إن هناك أحد المشاركين فى الحملة يرغب شخصيا فى

توجيه الشكر إليه، وأنه سيعود فى غضون ساعة ليس أكثر، «لا تدعى أولئك المملين من الخدمة السرية يستبد بهم القلق حيالى» مال عليها وقبلها قبلة سريعة، ثم إنسل دون أن يشعر به حرس الخدمة السرية عند مدخل الجناح وأسفل عند الدرج ، وفى سيارة استعارها من أحد الشبان فى الحملة خرج من ساحة الانتظار دون أن يلاحظه أحد.

روسلين

قال تيرون بصبر نافد عندما أبطأ آبى خلف مجموعة من قادة الدراجات يسيرون جنبا إلى جنب «اسرع يا رجل».

كان تيرون يتقد غضبا من توقيت هذا الاجتماع، ليلة الانتخابات، من بين كل الأوقات، اللعنة! تزاحمت فى خياله كل أنواع اللعنات صبها كلها على هيبرون الذى وضعه فى مثل الموقف الخطير وقد فلت بعضها من بين شفتيه.

تمكن آبى من سماعه حيث قال فى نفسه الرئيس تحول إلى صاروخ يطلق القذائف. وقال آبى له «المكتب يتصل بك سيدى».

«دعهم ينتظرون آبى، هذا الأمر له الأولوية». كان يشعر بالذعر.

وصلا قبل الموعد بدقيقة واحدة. توقفا بالسيارة بجوار الزاوية المواجهة لمدخل المبنى الذى يضم الشقة. ضغط تيرون الذى كان يرتدى نظارة سوداء على قبعته لتغطى أكبر جزء من جبهته. رفع ياقة معطفه. كان يشعر بالقلق حيال حرس هيبرون من الخدمة السرية. وكشفت نظرة متلصصة عن عدم وجود أحد – مجرد ثلاث سيارات وجميعها سيارات عادية لا شىء يميزها عن غيرها من المرجح أنها تخص سكان البناية.

«راقب البناية آبى، أريد أن أعرف من يدخل البهو. استخدم الجهاز لتنبيهى، اتفقنا؟ آبى كن حذرا تماما الليلة لا أريد أخطاء».

قال آبى وقد بدا عليه القلق «هل أنت متأكد من أنها فكرة طيبة، سيدى ؟، ألا تعتقد أنه سيكون أكثر أمانا أن أكون معك؟ على الأقل دعنى أفحص الشقة أولا من فضلك سيدى الرئيس!».

«لا تجادلنى. فقط افعل ما أقوله لك وتأكد من إبلاغى إذا ما شعرت بأى شىء غير عادى!».

«وبدون أى مناقشة أخرى دخل تيرون من الأبواب الزجاجية للبناية الحديثة واجتاز البهو الخالى وضغط على زر الطابق السابع.

* * *

وفى تنفيذه لخطة جاكى بحذافيرها ظل بيتر يتتبع ديفيد تيرون وآبى لمدة أسبوع تقريبا فى شهر أكتوبر قبل أن يقوداه إلى شقة الموساد المؤمنة. لقد أستأجر شقة وانتقل إليها فى الردهة نفسها قبالة شقة تيرون.

ولم يكن الأمر صعبا إذ أن معظم الشقق فى مجمع ريفر هاوس يستأجرها موظفو

الحكومة أو أجانب يعملون فى واشنطن فى مهام مؤقتة. كما لم يكن صعبا أن يجرى وضع جهاز ليزر صغير حساس فى الردهة لتنبيه بيتر عندما يدخل أى شخص إلى شقة تيرون المؤمنة. وإذا كان ذلك الشخص هو تيرون فإنه على بيتر أن يتصل بجاكى على الفور . لقد سارت الأمور تماما مثلما خططت جاكى.

كان يتعين على بيتر أن يعترف، «يالها من عاهرة فى غاية الذكاء».

وتحسبا، حدق بيتر من خلال ثقب الباب، حيث كان بوسعه أن يميز هيئة تيرون قصير القامة وهو يستدير ليغلق الباب وهو يتحدث فى هاتفه المحمول . وثوانٍ وسمع بيتر صوت المصعد المعتاد وتبعه صوت صدى أقدام تقترب.

وحاول معرفة من القادم، غير أنه لم يتمكن من تمييز شيء من القادم الجديد سوى أن رجلا يرتدى بنطلونا من الجينز وسترة رياضية وغطاء للرأس يغطى معظم وجهه. كان يرتدى قفازا. حيا تيرون القادم الجديد بإيمائه جافة وسحبه داخل الشقة وجال بعينيه فى الردهة قبل أن يتبع زائره إلى الداخل ويغلق الباب، وعلى الرغم من رؤية بيتر كانت مقيدة فإنه لايبدو أن حارس تيرون «آبى» موجود بالقرب من الشقة. ولكن بيتر يعلم الآن أن هناك رجلا آخر فى الشقة.

ودون أن يضيع وقتا اتصل بيتر بجاكى فى حجرتها بالموتيل «الطعام الصينى وصل. تعال وانضمى إلى الحفلة. هناك طبق من الطعام لم أتعرف عليه».

ردت جاكى بلكنة جنوبية مبالغ فيها «صينى؟ سأتى إلى هناك حالا».

ازدادت ضربات قلبها وارتدت جاكى بسرعة ملابسها التى أعدتها جيدا من قبل – ثياب رجل من بينها قبعة رقيقة الحال ذات حواف كبيرة ومعطف واق من المطر وبنطلون من القطيفة المضلعة. وألقت بباقى متعلقاتها فى حقيبة الرحلات القصيرة. ثم تحققت من التكلفة الحقيقية لإقامتها فى الموتيل وتركت قيمتها نقدا ومفتاح الغرفة على المائدة. وبدون أن يلحظها أحد خرجت من الباب الخلفى للبهو واتجهت لساحة انتظار السيارات، وتركت حقيبتها فى السيارة المستأجرة وسارت إلى البناية على بعد عدة مبانٍ.

ولدى اقترابها من البناية بحذر، شاهدت جاكى رجلا يقف فى البهو وهو يراقب المكان بعصبية ، ومن تقرير المتابعة والصور التى التقطها بيتر عرفت أن الرجل هو آبى، وبسرعة غيرت طريقها ، اتجهت خلف البناية وانسلت من مدخل الخدمة الذى كان بيتر قد فتح قفله خلسة وبسرعة ولكن بهدوء صعدت السلم الداخلى للحريق إلى الطابق السابع.

كان بيتر قد ترك لها باب شقته التى يستخدمها فى المراقبة مواربا. أومأ لها

بصمت. كانا قد تدربا على هذا الاجزاء عدة مرات. سلمها المسدس إس أى جى - ساور بى ٢٢٨ سابلنتى ستوكر الآلى مع رصاصات دمدم وكاتم للصوت. فحصت السلاح بحرص إلى جانب المسدس الآلى المعاون والتر بى كى كى ٩ ملم وجرابه الذى ربطته على ساقها اليمنى على الكاحل مباشرة.

اقترب منها بيتر «أنه ليس بمفرده. هناك شخص ما معه. رجل، لا أعرف من يكون. لم أستطع رؤيته بوضوح».

قالت جاكى ببطء وببرود وبحسم «فى هذه المرحلة عزيزى بيتر. لا أعير لمثل هذه المسائل اهتماما، لن أضيع هذه الفرصة لمقابلة بابا نويل شخصيا. مهما كانت الأسباب وخاصة اننى بعد ذلك سوف أخذ إجازة طويلة مستحقة».

كان بيتر يعرف أنه لا جدوى من الجدال معها فى مثل هذه اللحظة الحرجة، على الرغم من أنه لم يكن يشعر بارتياح عن احتمالات مواجهة مع ضابط استخبارات محترف التى يمكن أن تكون خطيرة على كليهما.

همست جاكى «هل كل شىء جاهز للخروج من هنا. جواز سفرك؟».

أومأ بيتر «نعم ، ولكن يجب علينا أن نسرع».

«هل معك قصاصة الورق؟» أومأ مرة أخرى وبصمت سلمها ورقة مطوية. وقالت جاكى «حسنا، شريكى» وضاقت عيناها «دعنا نذهب».

وبعد أن ارتدت قفازا أسود من الجلد فوق قفاز طبى ، خرجت إلى الممر وبيتر فى أعقابها. وفجأة اجتاح بيتر هاجس بقرب وقوع كارثة، تصبب عرقا وسرت البرودة فى أوصاله . قال فى نفسه ، شىء ما على غير مايرام.

وضعت جاكى أذنها على باب شقة تيرون . سمعت صوتين. واحد لتيرون على ما يبدو. والمتحدث الآخر الذى خمنت من صوته أنه رجل أمريكى.

كان الأمريكى يصرخ فى تيرون فى لهجة بدت لجاكى لهجة ملؤها الرعب «ديفيد ماذا حدث لنظامك؟ عميلة مكتب التحقيقات الفيدرالى هذه... انهم يعرفون شيئا ما. انظر إلى هذا الفاكس . ماذا يجرى؟ اخبرني مستقبلى السياسى فى خطر . حياتى ، سمعتى. كل شىء! هذه المرأة تعرف شيئا ما. من أين حدث التسرب ، ديفيد؟».

«صديقى . اهدأ من فضلك . ماذا بحق الجحيم تعتقد أنه بوسعنا عمله الآن؟ يجب عليك أن تعود إلى فندقك وتتابع الأحداث . سوف نجرى اتصالات...» .

«يجب أن تنصت إلى . أنت تراوغ . أنا لا ...».

لم تتعرف جاكى على الصوت الآخر، ولكن، فيما يتعلق بها كان هناك رجل فى المكان الخاطىء فى التوقيت الخاطىء . أشارت لبيتر ليطرق الباب.

لم يكن أمامه أى خيار، لا تراجع الآن. طرق بعنف وهو يصيح بصوت منزعج «سيد تيرون، أنا المشرف على المبنى. من فضلك تعالى ! الأمر يتعلق بآبى. أنه فى مـأزق. هناك مشكلة. يجب أن يراك على الفور. بسرعة . من فضلك!».

أصيب تيرون الذى كان غضبه يتزايد وهو يتعامل مع هيبرون بحالة هيسترية من التوتر والانزعاج من جراء هذا الصوت غير المتوقع. تغلب غضبه إزاء هذا التدخل المفاجىء فى التوقيت غير المناسب على غريزته المهنية التى تتوقع الخطر. وبدلا من التحقق أولا قام برعونة بسحب المزلاج وفتح الباب، انفجر فى الرجل الواقف خلف الباب غاضبا «علام هذه الضجة؟ أين آبى؟».

تحرك بيتر جانبا بشكل يكفى لجاكى بالوصول إلى عتبة الباب. وجهت كاتم الصوت بعنف إلى بطن تيرون ودفعته إلى داخل الغرفة لم تقل شيئا وإنما بدت ابتسامة صارمة على وجهها.

دخل بيتر فى أعقابها وأغلق الباب.

ولدى رؤيته بريق السلاح قفز هيبرون الرياضى على قدميه وقد اتسعت فتحتا عينيه من الصدمة والرعب. نظر بيأس إلى تيرون ليبعث فى نفسه الطمأنينة «ديفيد، ماذا يحدث هنا؟ من هؤلاء الناس؟ هل هذا من قبيل الدعابة؟ لقد قلت لك ...».

قال له تيرون بصوت يغلبه التوتر «اهدأ». . وركز عيناه على جاكى باحثا عن وسيلة للإفلات من هذه الورطة. «ماذا تريدين.. مالاً، كم؟ ليس هناك مشكلة. حددى سعرك؟».

ردت جاكى وهى ترى ما هو عليه من خوف «يالك من بارع فى تخمينك». وأكدت وهى تنخسه بكاتم الصوت «ولكنى أخشى من أن المال فى هذه المرحلة لن يحل مشكلتى أو مشكلتكم. أنا أريدك يا سيد تيرون. لأننى فهمت أنك الذى أصدرت الأوامر بعدم دفع باقى مستحقاتى لمهمة بروكسل. حسنا فى عملى لا أتحمل أن يخدعنى أحد ولا يدفع لى. ولذا شالوم سيد موساد».

أدرك تيرون أن هذه المرأة جادة ولا تعرف الرحمة مد يده إلى مسدسه فى الوقت الذى قام فيه بمحاولة يائسة للقفز خلف الأريكة.

أطلقت جاكى رصاصة عليه من المسدس الآلى الكاتم للصوت . أصابت الرصاصة دمدم ٩ ملم تيرون بالقرب من ذراعه اليسرى اخترقت قلبه ألقت به مثل الدمية البالية على أرضية الغرفة. وبنفس الحركة استدارت جاكى بسرعة وصوبت مسدسها تجاه الرجل الآخر أطلقت رصاصة واحدة على رأسه وهى لا تعرف ما إذا كان مسلحا أم لا. فقط على سبيل الاحتياط.

فحصت الجثتين لتتأكد من وفاة الرجلين. طلقتان.. قتيلان، «لم أفقد بعد لمستى»،

التقطت مسدس تيرون عيار ٣٨، وفى الوقت الذى عاد فيه بيتر من فحص الجثتين صويت مسدس تجاهه. بدا عدم التصديق على وجهه لجزء من الثانية، ثم أطلقت شريكته عليه رصاصة من مسدس تيرون وهى تهمس «تقاعد مبكر، صديقى القديم» ثم أطلقت رصاصة أخرى من نفس المسدس على الحائط. هاتان الرصاصتان اللتان أطلقتا من مسدس غير كاتم للصوت سوف يسمع دويهما فى الخارج.

كانت تود لو قالت بضع كلمات من تلك التى تقال عند الفراق لبيتر قبل أن تطلق الرصاصة عليه، ولكن لم تكن ترغب فى المخاطرة بترديد اسمها فى شقة غير مؤمنة بالنسبة لها حيث ربما كان يجرى تسجيل ما يدور فيها أو المخاطرة بأن يرد بيتر بإطلاق الرصاص عليها.

وقالت تعزى نفسها، حسنا، لقد تقدم فى العمر على أية حال. كان طيلة الستة عشر عاما الماضية شريكا رائعا. لم يكن لدى خيار هذه المرة. لقد عملنا معا بصورة ممتازة، ولكن فى الآونة الأخيرة أصبح بيتر عبئا . لينا وضعيف القلب أكثر من اللازم. لابد أن الأمريكيين كانوا سيمسكون به ولابد أنه كان سيسلمها لهم على طبق من فضة مقابل تخفيف الحكم عليه، كان لابد أن يذهب. وهو أمر سيىء فى بعض الأوجه، سأفتقدك، ونظرت حولها للمرة الأخيرة وبعثت له بقبلة وداع.

ذكرها هذا المشهد لوهلة خاطفة بأكثر عمليات القتل رعبا وإن كانت أكثرها روعة التى قامت بها حتى الآن: إطلاق النار على والدها ببندقية لوجر تعود للحرب العالمية الثانية. وكان هذا هو أجمل جزء من العملية، بندقيته . تصويب ماسورة بندقيته الطويلة تجاهه. جعله يشعر بذلك. السماح له بأن يدرك للحظات ماذا سيحدث له مقابل ما كان سيكرهها على عمله، هى ابنته. هذه الأصابع القوية تعتصر صدرها الشاب وتغتصب براءتها، هذه الأيام، يالها من أيام مقبضة، تمكنت من جعله يحس بنفس هذا الشعور مرة واحدة فقط، لو كانت هناك وسيلة لإطلاق النار عليه ثم تركه يحيا مرة أخرى ليمر مجددا بتلك اللحظات المرعبة مع إطالة تلك اللحظات ليشعر بثقلها وبطئها. ثم حمله على تصفيف شعره الخفيف المتنافر أمام المرآة بعد أن ينتهى كل ذلك، ثم تخبره بأنها تحبه وهو ما يفسر لماذا تقتله. ولكن لا، سوف يموت عندما تستقر الرصاصة داخله سريعا ولكن بدقة تامة. انتقام بسلاحه، النهاية الوحشية لكل ما تعرضت له من إساءة. اللعنة عليك أبى، همست بها والرصاصة الساخنة تحترق داخل جسده. بعد ذلك أصبح قتل الآخرين أمرا سهلا بالنسبة لها. فالقتل كان هو الرد الوحيد.

وأفاقت من ذكرياتها. أسرعت جاكى بوضع المسدس ٣٨ بالقرب من يد تيرون. ووضعت مسدسها إس أى جى ٩ ملم المزود بكاتم الصوت فى كف بيتر المنبسطة.

رجال المباحث المتخصصون فى حوادث القتل سوف يحصلون على تقارير ممتازة عن مضاهاة الرصاص بالأسلحة المستخدمة وكذلك مطلقى هذه الرصاصات.

ووضعت الورقة المطوية بجوار إبهام وسبابة تيرون لجعلها تبدو كما لو كانت قد سقطت من أصابعه. تقول كلمات الورقة التى طبعت بعناية «هذا من أجلك ومن أجل بلادك، سيد تيرون . لعدم دفع تعاقد بروكسل. كلاكما دفعتما الثمن». لم يكن هناك أى توقيع فقط بصمات بيتر.

راجعت القاتلة ببرود وسرعة الموقف. فى ثلاث دقائق بالضبط قتلت هدفها ورفيقه مهما يكون، وأخذت فى اعتبارها التهديد المتزايد لأمنها الشخصى الذى يمثله بيتر على نحو مطرد. لقد تركت أيضا بيتر القاتل المفترض لتعثر عليه الشرطة. افترضت أن هذا سوف يسدل الستار ببراعة على القضيتين سورينسون وتيرون لتصبح حرة عاجلا أو آجلا - لاستئناف نشاطها. أو على الأقل الوقت لتلحق برحلتها على شركة يونايتد.

ولكن لم ينته الأمر بعد. إذ أولا يجب عليها أن تغادر مسرح الجريمة بأمان. فهذه ليست بروكسل وانما واشنطن . سوف تهرع الشرطة على الفور. وسيجرى إغلاق الطرق السريعة. ومراقبة المطارات، يجب عليها أن تبتعد بقدر الإمكان قبل أن تدوى أبواق سيارات الشرطة.

اندفعت بسرعة عبر الممر إلى الشقة المستأجرة وغيرت قفازها الخارجى لتزيل آثار البارود. وأحكمت معطف المطر حول خصرها النحيل واستخدمت الدرج للطابق الأسفل لتأخذ المصعد إلى الدور الأرضى. لدى نزولها من على الدرج سمعت صوتا ينادى «سيدى ! سيدى» لابد أنه آبى وقد سمع دوى الطلقتين اللتين انطلقتا من مسدس تيرون.

* * *

اندفع إلى الشقة. انه لم يعرف وبصراحة لم يهتم بالرجلين الآخرين. ولكنه استند بقوة على الحائط عندما شاهد رئيسه ملقى صريعا على أرضية الغرفة. وعلى الرغم من هول الصدمة ومشاعر الغضب سحب آبى على الفور جهاز اتصاله المؤمن واتصل بضابط الموساد الذى فى الخدمة فى ذلك الوقت فى السفارة.

وهو ينتظر الرد وقد اجتاحته نوبة من الغثيان ، لاحظ قصاصة ورق مطوية بجوار يد تيرون بسرعة التقطها وقرأها، حيره الأمر.

ورن الهاتف أبلغه المتحدث «أبق كما أنت آبى، أننا نتصل بالشرطة الآن. سيصلون إليك بسرعة. عد إلى السفارة فور وصولهم. ولكن تذكر - انت تتمتع بالحصانة الدبلوماسية. لا تقل شيئا . هل معك جواز سفرك؟» رد آبى بالايجاب وأغلق هاتفه المحمول واتجه للباب.

لم تكن لكلمات القصاصة أى معنى ولكنها توحى بوضع تيرون الحساس للغاية، قد تورطه بأى شكل . وقبل أن يتمكن من التفكير بعمق دس أبى الورقة فى جيب بنطلونه . كانت عيونه تنتقل من منظر إلى آخر، جثث، دوائر من الدماء، كومة من علب البيبسى الدايت فى أحد الأركان. دقائق وسمع أصوات أبواق سيارات الشرطة.

* * *

عادت جاكى ماركوفيتش بسرعة إلى ساحة انتظار الموتيل وقفزت إلى سيارتها المستأجرة وبدأت تشق طريقها فى اتجاه مطار دالاس عبر طريق جورج واشنطن. حرصت على التقيد بالسرعة المسموح بها. كانت قد درست جيدا الطرق التى يتعين عليها استخدامها. وبعد مسافة قصيرة من مرورها بمقر الاستخبارات المركزية الأمريكية «سى. أى. إيه» الذى يبدو بوضوح على يمينها وصلت إلى منطقة تكثر بها الأشجار على جانب الطريق السريع الرئيسى وأوقفت سيارتها. سارت بضع خطوات بين الأشجار ألقت بسلاحها الاحتياطى فى نهر يوتوماك . ودفنت قفازها وملابس الرجال كلاً على حدة بين الأشجار ووضعت فوق الحفرتين أوراق الأشجار المتساقطة.

شعرت جاكى بارتياح كبير ولكنها سوف تشعر بارتياح أكبر عندما تصعد إلى طائرتها التى ستقلع فى وقت متأخر إلى ألمانيا. وعلى متن الطائرة سوف تستبدل جواز سفرها الألمانى المزيف بجوازها النمساوى الحقيقى وستعود إلى هويتها الحقيقية . لتواصل حياتها فى بالما مايوركا كمواطنة نمساوية جى . بولا بيرجين وهو اسم والدتها قبل زواجها الذى تستخدمه فى اسبانيا. تركت سيارتها المستأجرة واستقلت الحافلة المكوكية المجانية إلى مبنى المطار. كان مطار دالاس فى هذه الساعة خاليا تقريبا. أمر رائع. احتضنت حقيبتها التى داخلها هدية الكريسماس لوالدتها وتجولت مثل زوجة دبلوماسى فى طريقها لقضاء عطلة فى الوطن داخل قاعة المغادرة التى لم يكن بها سوى القليل من الركاب الذين يراجعون تذاكر سفرهم مع موظفى يونايتد.

بعد ساعتين كانت تستقل بأمان الطائرة حيث بدأت تحتفل بهدوء بنصف زجاجة من الشمبانيا . استرخت فى مقعدها الذى يصلح للنوم فى الدرجة الأولى وهى تشعر بارتياح كامل إزاء الكفاءة التى أتمت بها عملها هذا المساء.

غمغمت والنعاس يداعب عينيها وقد ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهها البرونزى «لابد ان هذا سيلقن الإسرائيليين درسا ألا يلعبوا معى مرة أخرى».

وبترك بيتر قتيلا فى أيدى الشرطة الأمريكية فإنها بذلك كما هى واثقة قد وضعت نهاية للمطاردة الدولية لقاتل السفير سورينسون. وهى المطاردة التى قال لها يورى إنها تشكل أكبر تهديد لحريتها وحياتها.

وهى تسترجع أحداث السابع من نوفمبر من وجهة نظرها ، شعرت بأن جميع المخاطر التى عرضت نفسها لها بذهابها إلى واشنطن للانتقام من الإسرائيليين قد بررتها النتيجة. إنها لم تقم أبدا من قبل بمثل عملية القتل هذه المعقدة والخطيرة فى الوقت الذى يجرى فيه تنفيذ كل تفصيلات خطتها المتشابكة بهذه الروعة . فى الحقيقة لقد بدت الأمور على مايرام حتى على الرغم من الظهور غير المتوقع لهذا الشخص الغريب مع تيرون فى شقة الموساد.

وفى الوقت الذى كادت تستسلم فيه للنعاس سرحت بخيالها إلى هذا الغريب، يا ترى من هذا الرجل الذى كان مع تيرون؟ الرجل الذى مزقت وجهه برصاصة دمدم: أن سترته الرياضية وبنطلونه الجينز يوحيان بأنه شخص مهم للموساد . وهو ما سيكون بمثابة مكافأة إضافية لها. غير أنها تكره المفاجآت التى لا تخطط لها بنفسها ولا تعرف عواقبها عليها . على أية حال انه شخص سيىء الحظ .

فى النهاية بدأت تستسلم للنوم فى الوقت الذى كانت تقلها فيها الطائرة الضخمة بنعومة بعيدا عن مسرح الجريمة إلى وطنها أوربا.

الفصل الرابع والعشرون

واشنطن العاصمة

السابع من نوفمبر ٣٠:١٠م

أسرعت السيارة تدوى وتزأر مخترقة شوارع العاصمة مطلقة أبواقها ومحدثة أصواتا عالية من احتكاك عجلاتها بالاسفلت .كانت وجهتها أحد المبانى السكنية فى روسلين . ركابها خمسة عملاء من مكتب التحقيقات الفيدرالى - العميل الخاص شتراوس وفريقها المكلف بالتحقيق فى قضية سورينسون هيبرون المؤلف من ثلاثة أشخاص . وآرت بوسكو الخبير فى الطب الشرعى فى المكتب الذى كان فى الخدمة فى تلك الليلة .

كانت بريندا تعمل حتى ساعة متأخرة عندما أتصل بها المدير وأمرها بأن تتحرى اتصالا لادارة شرطة ارلينتجتون فيما يتعلق بحادث إطلاق نار. أبلغها بيكر بأن الشرطة تقول إن هناك ثلاثة رجال قتلى الوحيد المعروف منهم هو ديفيد تيرون . وانه تم إلقاء القبض على سائق تيرون فى مسرح الحادث على الرغم من جواز سفره الدبلوماسى وإصراره على السماح له بالاتصال بسفارته أو العودة اليها . وأحد الرجلين الآخرين هو قوقازى داكن البشرة استخدم فيما يبدو سلاحا آليا مزوداً بكاتم للصوت . الرجل الثالث تعذر التعرف عليه نظرا لأن الرصاص شوه وجهه .

قال القاضى بيكر " من الواضح يا بريندا ، أن هذا الحادث ينطوى على واحدة من القضايا ذات الأولية القصوى التى تتعاملين معها ، لقد أمرت الشرطة بألا تلمس شيئا لحين حضورك .تولى مسئولية هذا الموقف منذ البداية . أننا نريد إحكام سيطرتنا وفقا لرغبة البيت الأبيض على أية تعقيدات دولية قد ينطوى عليه الحادث .

إذا وجدنا أن الموقف يتعلق بأى من قضايانا فإننا بذلك نكون قد أرسلنا إلى هناك العميل المناسب . وإذا ما ظهر أنه ليس بالأهمية التى اعتقدناها فإنه يمكنك أن ترتيبى لتقومى بنقل المسئولية إلى عميل آخر هذه الليلة واضح ؟.

" واضح ."

" توخى الحذر بريندا ."

" أشكرك ."

* * * *

والآن فإن بريندا فى السيارة المسرعة التى يقودها جاك سانشيز الذى من الواضح انه يستمتع بالفوضى التى تحدثها قيادته المتهورة . تشبثت بريندا بمقبض الباب وهى تحملق فيه . أصر جاك على أسنانه وضغط أكثر على بدالة البنزين . ولتشتيت انتباهها سألها " وماذا قال لك الرجل العجوز ؟ "

فكرت ان تقول له إنه قال لها «انك غبى» ولكنها ردت عليه بقولها بحذر " انه يعتقد بأن ما حدث فى تلك الشقة الليلة مهما كان ربما له علاقة بتحقيقاتنا ." ولم يكن

بوسعها أن تقول المزيد فى حضور آرت بوسكو .

وفهم جاك هذا التليمح . وقال مداعبا " لست متأكدا من أننى سأعيش إلى اليوم الذى تحققين فيه تقدما فى قضية سورينسون وتحلين لغز سقوط ممثل الموساد صريعا فى واشنطن . لدى شعور بأن حادث القتل هذا سوف يسبب لنا توترا سيستمر مدى الحياة ."

وعند المبنى السكنى توقف جاك بمهارة تاركا آثار إطارات سيارته على الرصيف . نظر من نافذة السيارة بفزع . " كل سيارات الشرطة هذه ، كل هذا الحشد ! عندى اقتراح ـ سأعتنى أنا بأمر هؤلاء الناس بينما تقومين بفحص مسرح الحادث . ربما يحالفنى الحظ وأعثر على شاهد . القاتل ربما حتى يكون بين هذا الحشد على أية حال، الشرطة هنا فى انتظار العميل الخاص شتراوس وليس أنا " .

ردت بريندا وهى تتساءل عما يمكن أن يكون عليه مسرح القتل " حسنا ، جاك ، تعال الينا فور انتهائك ."

دخلت بريندا وكريستينا وجيم وآرت المبنى وهم يلوحون ببطاقات هوياتهم لشرطة ارلينجتون التى تفرض سيطرتها على البهو .

طلبت بريندا من كريستينا أن تصعد من على الدرج لتبحث عن اية أدلة . وأستقل جيم وارت المصعد إلى الطابق السابع مع بريندا . وقد عهدت إلى جيم بمهمة التحرى عن قاطنى الطابق .

وفى الطابق السابع ، طلب ضابط يرتدى الملابس الرسمية هوياتهم ، وصاح فى الجهاز الخاص به «ليفتنانت فورد مكتب التحقيقات الفيدرالى هنا ـ العميل الخاص شتراوس!». ابتسم جيم لبريندا قبل أن يشرع فى عمله الروتينى . وذهب آرت ليبحث عن خبراء الشرطة للطب الشرعى .

كان الطابق السابع مزدحما برجال الشرطة. وكانت آلة تصوير مصور الشرطة تومض من حين لآخر باللون الأبيض الساطع وهو يحاول بكل عناية أن يغطى كل تفاصيل مسرح الجريمة قبل لمس أى شىء .

سأل رجل يرتدى بذلة بنية اللون وهو ينفصل عن مجموعة من الضباط " العميل شتراوس ؟ لقد أبلغوني بأنك سوف تأتين . أنا الليفتنانت بود فورد من شرطة ارلينجتون الجنائية . لقد اتصلت بمكتب التحقيقات بعد أن قال سائق تابع للسفارة الاسرائيلية الذى كان مسلحا بأن أحد القتلى هو رئيسه وهو قنصل فى السفارة الاسرائيلية يدعى ديفيد تيرون ."

تساءلت بريندا وهى تتطلع " أين الشقة ؟ وهل أدلى لك السائق بأية أقوال ، وهل أفاض فى ذكر أى شىء ؟ "

قال فورد بأسى " هذا اللعين لم يكن لديه سوى إجابة واحدة عن أى سؤال ، أملك جواز سفر دبلوماسياً . يجب أن تطلقوا سراحى ، ولكنه زعم أنه لا يعرف الرجلين الآخرين ولا يبدو أنه مهتم بهما ."

واستدار فورد ونادى أحد رجاله " فرانك ؟ هل أحضرت الحقيبة البلاستيك إلى هنا؟ لقد عثرنا على هذا مع السائق . مسدس ٣٨ كولت وخزانته ممتلئة بالرصاص ولكنه لم يستخدم حديثا . ولقد أخذناه بصرف النظر عن الحصانة الدبلوماسية ـ نظرا لأنه من نفس طراز المسدس الذى عثرنا عليه بجوار القتيل الاسرائيلى . يمكنك القاء نظرة سريعة فى الداخل الآن إذا ما رغبتى فى ذلك . ولكن يجب عليك أن تلقى نظرة أشمل بعد دقيقتين عندما ينتهى مصورنا ."

رافقت بريندا فورد فى الردهة إلى باب الشقة المفتوح ودلفت إلى الداخل . وقد صدمت مشاعرها فور وقوع نظرها على المذبحة .

ثلاثة رجال ملقون على الأرض يسبحون فى خليط من الدماء والأشلاء . من خلال نافذة الشقة كان بوسع بريندا أن ترى خلفية جميلة مناقضة تماما يظهر فيها نصب واشنطن وتمثال لينكولن وهما مضاءان وقد انعكست صورتهما فى ظل سماء مظلمة غير مقمرة . الموت والجمال وقد امتزجا فى تناسق غريب . شعرت بريندا بقشعريرة ثم قالت " من فضلك دع المصور ينتهى من عمله فى أسرع وقت ،أريد أن أتحقق من هوية الرجلين الآخرين ربما يكونا أيضا من الدبلوماسيين . وفى الوقت نفسه أريد التحدث مع السائق الإسرائيلي . "

لم يكن حظها مع آبى أفضل من فورد . بل أن سائق تيرون كان أكثر فظاظة وغطرسة معها . فقد كان يرد بعد كل سؤال لها " أحمل جواز سفر دبلوماسيا». وأطلب إطلاق سراحى ." أوصت بأن يطلقوا سراحه بدون سلاحه إذا ما تأكد فورد من أوراقه الدبلوماسية . وأصدر فورد أوامره بإطلاق سراحه وأعطى آبى إيصالا بالسلاح حيث لابد أن يتأكدوا من أنه لم يستخدم وأنه مسجل وفقا لقانون ولاية فريجينيا .

وصعد جاك سانشيز وأبلغ بريندا بقوله " لم أجد شيئا ، لاشهود . ماذا وجدت أنت هنا ؟ " " جاك هذا هو الليفتنانت فورد من شرطة ارلينجتون الجنائية .ليفتنانت فورد هذا العميل الخاص سانشيز . "

قال فورد " مرحبا ، العميل شتراوس ، ابلغنى رجالى بأن المصور أنتهى من عمله . ولن يسمح لأحد بالدخول ."

سألت بريندا عن اسم المصور وطلبت بيانا مفصلا عن الفيلم الذى تم تصويره . " «مجرد احتياط أمنى ليفتنانت ."

ومع خروج الضباط الآخرين ، اقترب الثلاثة من الرحال القتلى . الدبلوماسى ملقى على الارض وتبدو فى جانبه الأيسر الفتحة التى أحدثتها الرصاصة . الجثة الثانية كانت لرجل كثيف الشعر داكن البشرة مازالت عيناه المفتوحتان عن آخرهما تسجلان صدمة الغضب لمواجهته موتا غير متوقع . الرجل الثالث ملقى على ظهره أطلق الرصاص بين عينيه، تركت الرصاصة دمدم الحارقة وجهه وقد أصطبغ بلون الدم واللحم الأحمر الأرجواني على نحو غير منظم . كان من الصعب التعرف عليه .

تنهد سانشيز قائلا " يا إلهى أنها مذبحة ! لقد جاء شخص ما إلى هنا بمهمة محددة عرض فورد قائلا " يمكننا أن نلقى نظرة فاحصة الآن ، لماذا لاتتوليان امر الاسرائيلى والرجل الذى مازال يحتفظ بوجهه وأنا سأتولى أمر الرجل الذى تغطى الدماء وجهه وسأحاول معرفة ما إذا كان يحمل أوراق هوية أم لا ." وبينما كانت بريندا وجاك يقتربان من تيرون وجثة الرجل صاحب العيون المفتوحة صدرت عن بريندا شهقة مكتومة وهمست قائلة " جاك ، انظر إلى هذا الرجل الضخم . انه بيتر الذى نبحث عنه. أنا واثقة من ذلك . لقد فحصت ملفه وصوره جيدا خلال الاسابيع القليلة الماضية . انظر إلى شاربه ، انفه ، ذقنه . أنا متأكدة أنه بيتر بنسبة ٩٩ فى المائة ."

غمغم سانشيز وهو يحدق فى الجثة عن قرب أكثر " هل تمزحين ؟ عندئذ لا بد أننا سنعرف سريعا من هو الرجل الثالث . ربما يكون أكبر منه ... " نظرت بريندا بحدة فى زميلها فابتلع سانشيز بقية جملته و أكمل بقوله " قتيل واحد ، رئيس محطة الموساد كاف بالفعل لان يجعل من هذا حادثاً عالميا. ولكن كيف بحق الجحيم ينتهى أمر كل من تيرون وقاتل سورينسون فى تبادل لاطلاق النار ؟ ما العلاقة بين الأمرين ؟"

قالت بريندا من بين اسنانها " انها ماركوفيتش . لقد أتصلت من زيورخ وابلغتنا بأن بيتر وتيرون على صلة ببعضهما البعض . أنها تعرف كل شيء ، لايمكننى استيعاب ذلك . نعثر على بيتر ديمترلوبوليس سيىء السمعة هنا تحت أقدامنا فى واشنطن ونحن نبحث عنه فى جميع انحاء العالم . أمس أكدت للقاضى بيكر أننا سنعثر عليها قريبا ." قطع صوت الليفتنانت الملتاع حديثهما وهو يصرخ قائلا " ألم تجدا شيئا ، انظرا إلى هذا - الجثة الاخرى . مستحيل ! " وسلم رخصة قيادة إلى بريندا . وظل يحملق فيها منتظرا رد فعلها .

" يا إلهى " كل ما استطاعت بريندا التفوه به قبل أن تمرر الرخصة إلى جاك . نظرت وقد شحب وجهها إلى جاك وهو يفحص الرخصة الصادرة عن ولاية نيوهامبشاير. همس مصعوقا " السناتور جورج جونسون " وأضافت بريندا فى صوت هامس "رئيسنا المنتخب ، أغلق الباب ."

واجه العميلان بعضهما البعض وتبادلا نظرة كئيبة . استدارت بريندا " من فضلك ليفتنانت فورد ، هل يمكنك تركنا لبضع ثوانٍ إننا فى حاجة إلى تدبر الأمر مليا».
أومأ فورد واتجه إلى الغرفة الأخرى "سوف أكون هناك عندما تكونان فى حاجة إليّ" همست بريندا لجاك "هناك تفسير واحد لوجود جونسون مع تيرون فى شقة صغيرة كهذه فى ليلة كهذه ." أومأ جاك " جونسون هو هيبرون ! " "أنه هيبرون وهو الآن رئيسنا المنتخب القتيل ." " ما هى خطوتنا التالية ؟ " اتصلت بريندا بجيم كلاركستون وكريستينا ويتينجهيل . قالا عندما سمحت لهما بريندا بالدخول " ياللهول هل تحتاجين للمساعدة بريندا ؟ " أبلغتهما بريندا التى مازالت تتحدث بصوت هامس عن حقيقة الرجال الثلاثة .استشاط جيم غضبا وتجمدت كريستينا من هول المفاجأة .
واصلت بريندا حديثها " يجب علينا أن نتحرك سريعا . كريستينا أذهبى إلى السيارة الآن واتصلى بالخدمة السرية للبيت الأبيض على الهاتف المؤمن . اطلبي منهم إيفاد وحدة التحقيقات وأحد حراس جونسون إلى هنا على الفور نريد التحقق تماما من شخصيته . جيم أتصل بالقاضى بيكر على الهاتف المؤمن . لا بد انه سيرغب فى اطلاع الرئيس . أبلغ القاضى بأننى لن أغادر قبل أن يكون لدينا فريق كامل هنا . تحركا الآن . " استدعت بريندا فورد وبادرته بقولها ". ليفتنانت يجب علينا ان نحتفظ بهذا الاكتشاف لأنفسنا إلى أن تأتى الخدمة السرية إلى هنا للتحقق من الأمر .ليس بوسعنا المخاطرة بتسريب المعلومات ثم نتكشف اننا ارتكبنا خطأ وان الجثة هى لأحد اللصوص سرق حافظة جونسون . لابد أن نتأكد من أن أحدا لا يعرف شيئا عن هذا ـ أبعد الجميع عن الجثث خاصة الصحافة . أننى أعنى كل واحد . فى الحقيقة افرض حصارا حول الطابق بأكمله، أنت ومكتب التحقيقات الفيدرالى ستبقوا فى هذه الغرفة لحراستها ! " " أوامرك ، العميل شتراوس " إتجه على الفور إلى الباب ليمنع الدخول إلى أن يصل رجال الخدمة السرية .
وعند مدخل البناية ومن سيارة مكتب التحقيقات الفيدرالى اتصل جيم بالقاضى بيكر ليبلغه بالأخبار . وبعد فترة صمت طويلة تحدث بيكر " ابلغ بريندا بأننى أريدها فى البيت الأبيض على الفور بعد أن تتأكد من هوية الجثة وان يصل رجالنا من وحدة الجرائم الطارئة إلى هناك . وابلغها بأننى سأتصل بالسيدة جونسون لأعرف ما إذا كان لديها علم بمكان وجود السيناتور . ثم سأذهب إلى الرئيس لاطلاعه على تطورات الأحداث . يجب على بريندا ان تتبعنى إلى البيت الابيض فى أسرع وقت ممكن ومعها التفاصيل ـ هل هذا واضح ؟ "
" نعم سيدي ، سأصعد إليها على الفور لابلاغها برسالتك ."
وضع مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى السماعة بدون تعليق . وطلب من السائق

الذى هو حارسه الخاص أن يتصل بالخدمة السرية فى البيت الأبيض . ونبه الرئيس إلى أنه فى الطريق إليه فى مسألة تتعلق بالأمن القومى وفى غاية الأهمية والإلحاح .

* * * *

فى البيت الأبيض كان القاضى بيكر مجتمعا مع الرئيس دوجلاس ونائب الرئيس هيز ومستشار الأمن القومى روسيل عندما صحب ضابط الخدمة السرية بريندا إلى المكتب البيضاوى . استعرضت بريندا ما عثرت عليه فى مسرح الحادث وأكدت أن رجال الخدمة السرية تعرفوا على الجثمان بأنه الرئيس المنتخب للولايات المتحدة . جلس الجميع فى صمت مطبق .

اختتمت بريندا حديثها بقولها " الأمر الذى لا يصدق وإن كان يبدو حقيقيا أن قضية سورينسون وقضية هيبرون قد أنتهى بهما المطاف فيما يبدو إلى نهاية متعارضة غير متوقعة . لدينا واحد من المتشبه فيهم فى قضية اغتيال سورينسون وضابط استخبارات إسرائيلي وهيبرون جميعهم قتلى فى الغرفة نفسها ."

فجأة تساءل دوجلاس كما لو كان قد أفاق من إغمائه " ومن ثم فإن جورج جونسون هو عميلنا هيبرون الذى نبحث عنه ؟ "

قال القاضى بيكر " أو على وجه الدقة سيدى الرئيس عميلهم هيبرون . سوف أوقع على أمر لفرض سيطرتنا على منزله ومكتبه الليلة وعلى الفور . سيبدو الأمر ظاهريا كإجراء أمنى . ولكننا سنبحث عن اتصالات سرية وأماكن مخبأة ." نظر نائب الرئيس هيز مستفسرا وهو ينظر من شخص لآخر " لا أفهم شيئا ، هل كان يعمل لحساب إسرائيل ؟ إنه كان غالبا ما يصوت ضد رغباتهم ." رد بيكر " حسنا ، ربما معظم التصويتات كانت لصالح رغباتهم الحقيقية أكثر مما نعرف . يبدو أنهم كانوا يحتفظون به لعام مثل هذا عندما يمكنهم من وضع سلاح سرى فى البيت الأبيض نفسه ." وأضاف " أخشى سيدى نائب الرئيس انه باعتبارك قد انتخبت كنائب لجونسون انك قد ورثت مسئولية غير متوقعة . إنك رئيسنا القادم» .

قال دوجلاس " نعم ، القاضى بيكر ، أنت على صواب . ولكن قبل ان نقدم أية تهنئة يجب أن نتعامل مع هذا الأمر المرعب . ياإلهى ! سيجعل هذا الأمر من اغتيال كيندى حادثاً واضح الملامح . "

عرض بيكر قائلا «لتسمح لى سيدى الرئيس نظرا لأنك ذكرت مسألة كيندى ، بأن أوصى بألا يتردد اسم هيبرون أبدا مرة أخرى بيننا . لا وثائق هناك بشأن هذه النقطة وللمصلحة الوطنية لن تصدر أية وثائق نظرا لأن الحقيقة حول هذه القصة لن تعرف كاملة ، على الأقل ليس من جانبنا . يمكن لبيل أن يشرح الأمر للروس وفقا لهذه التعليمات . وسأقوم بشكل منفصل بإطلاع نائب الرئيس عندما يتم إغلاق الملف غير

المكتوب لهذه القصة . فى الوقت نفسه سيدى الرئيس ، يجب أن نعلن غدا بواسطة النائب العام تشكيل لجنة للتحقيق فى اغتيال جونسون الرئيس المنتخب، يترأسها لنقل، كبير قضاة المحكمة الدستورية . يجب تشكيل هذه اللجنة لوضع نهاية لأية تخمينات لا جدوى منها . وبوسعك وجميع المسئولين الآخرين أن يرفضوا التعليق لحين تقديم اللجنة لتقريرها إلى الرئيس والكونجرس» . أومأ دوجلاس ببطء موافقا . صديق وثيق ، الرجل الذى أختاره دون الآخرين ليحل محله خان الوطن . يشعر الرئيس دوجلاس بالصدمة، فقد اثنين من أوثق أصدقائه فى غضون عام واحد، واحد بالقتل والثانى بالخيانة. والاثنان لقيا حتفهما على يد القاتل نفسه. لم يكن بوسعه التحدث مع الآخرين. وبإيماءة رسمية صرفهم وغادر مكتبه إلى جناحه الخاص .

* * * *

وفى المقعد الخلفى لسيارة مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى الليموزين جلس القاضى بيكر وبريندا شتراوس . قطع القاضى الصمت قائلا " يجب على أن اوجه لك الشكر بريندا على أداء لا يصدق فى كلتا القضيتين رئيسك والآخرون كانوا يتحدثون دائما بحرارة عن عملك، والآن قد جربت ذلك على ارض الواقع . لقد قررت ترقية هوتشينز ليكون مساعدا للمدير وسوف يجرى ترقيتك لتحلى محله لتكونى المسئولة عن إدارتنا الخاصة بمكافحة الإرهاب ـ إذا بالطبع وافقت لجان العاملين المختلفة . وأنا واثق من انها ستوافق . " وإذا كنا نتحدث عن التغيرات ، فأعتقد إن لم اكن مخطئا اننى سأسمع سريعا جدا عن بعض التغيرات فى قمة الاستخبارات الإسرائيلية ـ وهو مؤشر سياسى سيدينون به لنا وهو أمر مثير يستحق الانتظار .

بريندا لن ادهش لو سمعت يوما من الأيام بعد تقاعدى أنك قد شغلتى مقعدى . " شكرا لك سيدى على ثقتك . وأنا سعيدة بهذه الكلمات . ولكن لا تنس أن قضية سورينسون لم تنته . ولم نجد المرأة بعد هل تتذكر ؟ "

" أية امرأة ؟ "

" أننا مقتنعون بأن بيتر ديمتربوليس لا يعمل وحده ، انه يعمل بالتواطؤ مع قاتلة ، صربية نمساوية تدعى جى . بولا ماركوفيتش ـ وهى قاتلة محترفة . انها المرأة التى كانت مع سورينسون فى الليلة التى قتل فيها .

لم أكن أرغب فى إثارة هذا الامر أمام الرئيس ومن كانوا معه . كان سيثير تشوشا كبيرا وهم يحاولون التأقلم مع وفاة جونسون .

" كما ترى سيدى ، كان الامر مرتبا بدقة على ان يبدو كحادث عارض . لقد نالت من هيبرون على الرغم من انه من غير المفهوم صلتها به ،ربما كان حادثاً؟، وتيرون

الضابط المسئول عن هيبرون ولكن كيف تأتى لها أيضا أن تعرفه ؟ ولكن هناك ايضا بيتر القاتل الذى نسعى فى أثره . يبدو الأمر كما لو انه تم تسليم بيتر وتيرون وهيبرون لنا فى صفقة واحدة . وإذا كان الأمر كذلك فإنها هى وليس بيتر التى تسيطر على الأمر . وهو ما يعنى أنها بالفعل العقل المدبر ، إن لم تكن القاتل الفعلى فى الوفيات الثلاث، إضافة إلى سورينسون .الأدلة القائمة على الاستنتاج هى الغالبة .وأنا أشعر بالأسف فقط لأننا لم نتمكن من إثباتها بعد ."

" أسمعى بريندا ، أنه إذا كان هناك شىء أكتسبتيه من عملك فى مكتب التحقيقات فهو احترامنا لموهبتك وذكائك . وأنا أنصحك بقوة بألا تعتذرى أبدا سواء لى أو لأى شخص آخر عما يخبرك به حدسك ، تتبعيه أينما قادك . أننى أمنحك تفويضا شخصيا بذلك . هل تفهمين ؟ "

ردت العميل الجديد المسئول عن مكافحة الإرهاب " بالتأكيد سيدى . مرة اخرى أشكرك على ثقتك . " وتساءلت بينها وبين نفسها " يا ترى أين أنت الآن يا جى ماركوفيتش ؟ "

مقر مكتب التحقيقات الفيدرالى ، الثامن من نوفمبر

رفضت بريندا نقل متعلقاتها إلى مكتب أكبر به غرفة للاجتماعات . كان الجناح الجديد من شأنه أن يكمل مركزها الجديد ، لكنها كانت تشعر بالقلق من حقيقة أنها لم تستكمل بعد حل قضية سورينسون . قررت أن زخرف وضعها الجديد يمكنه الانتظار لحين الانتهاء مما بدأته . راجعت نتائج تحقيقاتها .إن مقتل بيتر ربما لا يعنى سوى التخلص من شخص كان سيتحمل المسئولية . بمعنى آخر سعادة شخص ما تتوقف على التخلص منه . لقد أمسك مكتب التحقيقات بأحد قتلة سورينسون دون جهد منه . لقد تم ترك بيتر لهم مثل عظمة ألقيت لتهدئة كلب يعوى أو لتشتيت انتباهه فى اتجاه آخر . كان هذا هو واحد من الأشياء التى تقلق بريندا حيال ما وقع فى شقة روسلين . لم يكن لديها أى شك من أن الأمر برمته قد تم إعداده ليبدو مثل تبادل لاطلاق النار . لقد قتل بيتر لاغلاق تحقيق سورينسون ـ ولإبقاء مكتب التحقيقات فى موقف حرج . ليست هناك آثار للبارود على يد تيرون ، على الرغم من ان هناك آثارا على قفاز بيتر . إن تفسير تبادل إطلاق النار كان محكما لدرجة تحول دون ان يكون حقيقيا .

وبغضب أخذت بريندا تقلب صفحات التقرير المبدئى بشأن شقة روسلين . هناك ثلاث ثغرات لم تسد بعد . الاولى عثر آرت بوسكو على جهاز اليكترونى ، جهاز تنصت يعمل بالليزر فى الممر المؤدى لشقة تيرون يحمل بصمات بيتر . وعندما عثر على جثة سورينسون فى مايو عثرت الشرطة البلجيكية على جهاز اليكترونى مثبت فى معصمه .

كلاهما ذو تقنية عالية وأغلب الظن ان مصممهما واحد . ولذا فإن القاتل أو واحد من رجاله أو رجالها - خبير في استخدام الأجهزة الإليكترونية . لقد ذكر تقرير الشرطة الفرنسية حول منظمة كوريل أن الجماعة كانت تشعر باستياء إزاء تقبل بيتر للمسائل التكنولوجية . إذ لم يكن من بين مهاراته استيعاب الإليكترونيات والأجهزة التكنولوجية المتطورة .ولكن التقرير نفسه قال ان متدربته المفضلة جي .بولا ماركوفيتش المعروفة بالخادم كانت رائعة في هذا المجال لدرجة أنها كانت تملي.متطلباتها على الصانع . وقطع حبل أفكارها طرقة على باب مكتبها .

قالت كريستينا وهي تطل برأسها من فتحة الباب " مبروك بريندا ، الزملاء يرغبون في الاحتفال بك . فقط حددي الموعد ." ابتسمت بريندا لحماس كريستينا حيث يعتقد المرء انها هي التي حصلت على الترقية . " شكرا كريستينا.

سأفكر في الأمر . ولكن تعالي هنا . أرغب في تجربة شيء عليك ." قالت كريستينا في رعب مصطنع " أرجو ألا يكون واحد من تخميناتك الشهيرة . " ولكنها دخلت الغرفة وأغلقت الباب وراءها . قالت بريندا وهي تصوب يدها اليمنى في وجه كريستينا كما لو كانت بندقية " أريد ان أشركك في هذه النظرية ؟ " وضحكت بريندا من قلبها للرعب الذي ارتسم على وجه كريستينا . ثم أنزلت يدها وواصلت حديثها " هناك ثلاثة رجال كل واحد منهم مات برصاصة واحدة . جرى استخدام سلاحين . وأطلقت أربع رصاصات . ما هو الخطأ في هذا السيناريو ؟ "

" لا أعرف . أين الخطأ كما تعتقدين؟"

" في أي تبادل لاطلاق النار ، الطرفان يطلقان النار عدة مرات في تتابع سريع ، وبذعر ، يأملان في أن تصيب واحدة منها الخصم . الإصابة بطلقة واحدة لهي لدليل على ان صاحبها محترف يتمتع بإعصاب باردة ويسيطر تماما على الموقف ."

وفتحت بريندا مفكرتها " لقد أطلقت الرصاصة على تيرون بدقة متناهية ، أخترقت قلبه مباشرة .كان شخص ما يهدف تماما قتله في الحال . "

" وماذا بعد ؟ "

" جونسون تلقى أيضا رصاصة واحدة . رصاصة قتلته في الحال ." وتطلعت بريندا مرة أخرى في التقرير . " كل من تيرون وجونسون قتلا السلاح نفسه . اس أي جي - ساور المزود بكاتم للصوت ." " ماذا تستنتجين من ذلك ؟ "

" هناك بيتر ، لقد قتل بسلاح تيرون . أنه أيضا أصيب برصاصة واحدة . رصاصة أخرى متقنة ."

ورفعت بريندا ثلاثة أصابع قائلة " ثلاث طلقات . ثلاث رصاصات ، ثلاثة رجال

قتلى . طلقة واحدة شاردة أصابت الحائط . وهو ما لا يغير من الامر شيئا ."

قالت كريستينا بحماس " لابد انه كان هناك شخص آخر فى الغرفة ، شخص بوسعه أن يصيب الهدف فى مقتل ـ أى هدف بالطلقة الاولى ."

" تماما شخص ما كان هناك . قاتل محترف يتمتع بأقصى درجة من الاحتراف والمهارة . " تنهدت كريستينا " جى .بولاماركوفيتش ."

" إنها تعلم أن مكتب التحقيقات الفيدرالى يسعى وراء بيتر ، أوحت لنا بأنها بعيدة عندما اتصلت من زيورخ . وبإعطائنا بيتر ثم قتله كانت تأمل فى حملنا على عدم مواصلة البحث الجدى فى قضية اغتيال سورينسون .لماذا تريد منا أن نغلق هذا التحقيق ؟ لأن لدينا شاهداً أكد بأنها آخر شخص شوهد مع سورينسون فى الليلة التى قتل فيها ."

هتفت كريستينا قائلة " هذا صحيح ! "

" ولكن هذا دليل استنتاجى ، لايبرهن على اعتقادنا بأن المشتبه فيها ـ المعروفة بجى والمعروفة أيضا بالخادمة هى قاتل سورينسون، أو أنها كانت موجودة فى تلك الليلة فى روسلين . يجب أن أستمر فى تعقبها ولكن ليس بوسعى إصدار أمر بالقبض عليها أو حتى التنبيه بخطورتها لاعتقالها . لديها شخص ما فى مكان ما ربما فى أوربا يغذيها بالمعلومات . سوف تختفى إذا ما أخطرنا الانتربول ." تساءلت كريستينا " وما العمل ؟ ".

"يجب أن أضع يدى عليها ، شخصيا ."

تساءلت كريستينا أيضا " وماذا عن جونسون ؟ لماذا قتل ؟ ليست له أية علاقة بقضية سورينسون ."

" حظ سيىء المكان الخاطىء فى الوقت الخاطىء . المحترفون لا يتركون شهودا . الذى قتل جونسون ،مهما يكن ، لم يكن أمامه أى خيار آخر غير قتل جونسون أيضا . فقط لأنه كان موجوداً هناك . " وفجأة شردت بذهنها وقالت " ولكنى أخشى أن أكون أنا المسئولة فى المقام الأول عن وجود جونسون هناك ." حملقت فيها كريستينا قائلة " كيف ؟ " " لقد أفزعته بمقابلتى له عن علاقته بتيرون . لعبنا معه لعبة قاسية . الفاكسات ، الرسائل الهاتفية ورجال الشرطة السرية الذين يتعقبونه فى كل مكان . كل ذلك جعله يشتبه فى أننا عرفناه وأننا قريبون منه وان قريبا سنتثبت من يكون . لابد أن ذلك قد أفزعه بشدة إلى الدرجة التى جعلته يتصل بتيرون ويطلب اجتماعا طارئا . كنا نأمل فى الضغط عليه ليرتكب خطأ ما . ولكن لم يكن بوسعنا أن نتوقع هذه النتيجة ."

" ولذا فإنك سوف تسعين وراء بولا ماركوفيتش ؟ هل بوسعى المساعدة ؟ "

" بالتأكيد، ولكنى أحتاج بعض الوقت للتفكير .وبعد أن أصل إلى خطة سوف أخطرك بها ." فوق الاطلنطى.

الثامن من نوفمبر

تحلق طائرة شركة طيران يونايتد التى أقلعت من مطار دالاس الدولى فى ساعة متأخرة من الليل بسلاسة فوق المحيط الاطلنطى أشعة شمس الصباح الباكر تبدد الظلام ويحتضن ضباب الصباح الرقيق الطائرة ويحيطها بهالة بيضاء . وعبر مكبرات الصوت أعرب قائد الطائرة لركابه عن تمنياته بأن يكونوا قد استمتعوا برحلة مريحة وتمنى لهم صباحا مشرقا وإفطارا شهيا. ثم فاجأهم بالأخبار التى يصعب تصديقها التي وردت إليه خلال الليل من أمريكا . " السيناتور جورج جونسون الذى فاز بانتخابات الرئاسة الأمريكية فى الليلة الماضية ، عثر عليه قتيلا فى إحدى الشقق بضاحية فيرجينيا . كما عثر ايضا على جثة مسئول بالسفارة الإسرائيلية فى الشقة نفسها. يبدو أن كليهما السناتور جونسون والدبلوماسى الاسرائيلى قد قتلا على يد قاتل محترف قتل هو نفسه فى تبادل لاطلاق النار .مكتب التحقيقات الفيدرالى يحقق فى هذه المأساة . سنخطركم بالمزيد من التفاصيل حالما تصلنا . سنهبط فى فرانكفورت فى غضون تسعين دقيقة . أشكركم .

"جلست جاكى كما لو كانت قد تجمدت فى الفضاء الخارجى . كل ما حولها كان طنيناً صادراً من الركاب الذين أخذوا يتساءلون ويخمنون حيال هذه الأخبار المفاجأة .

سمعت رجلا خلفها يتساءل " ما اريد أن اعرفه هو ما الذى كان يفعله جونسون بحق الجحيم مع دبلوماسى اسرائيلى ؟ " ردت عليه رفيقته " أتوقع ان نقف على حقيقة الأمر سريعا ." وتوقع الرجل قائلا " أو الأكثر ترجيحا لن نعرف شيئا أبدا ." ومن حسن حظها انه لم يكن فى المقعد المجاور لها أحد ومن ثم لم تكن مضطرة للدخول فى مناقشة . كما أن المفاجأة كانت قد عقدت لسانها «يا إلهى ، لقد قتلت الرئيس المنتخب للولايات المتحدة !» وما هى إلا ثوانى وأيقظها الواقع . ثم عاد لها شعورها بالفخر والحيوية، الحياة بالتأكيد مليئة بالمفاجآت ليس للقتلة فقط وانما للرؤساء أيضا . إنها تعرف تماما ما يجب عليه عمله لاحقا : الاختفاء لفترة راحة طويلة ، طويلة من نشاطها. وإذا ما مضت الأمور على ما يرام فإن هديتها بيتر للامريكيين سوف ترضى فضولهم المهنى وستصرفهم عن مطاردة مدبر اغتيال السفير سورينسون . فى الوقت نفسه فإنها سوف تعود إلى بالمادى مايوركا وإلى حياتها الهادئة هناك بوصفها جى بولا بيرجين مديرة وكالة للعقارات .نهاية تليق بأكثر عمليات الانتقام جرأة فى حياتها . كان يجب عليهم أن يدفعوا منذ البداية .

الفصل الخامس والعشرون

القدس
الثامن من نوفمبر

كان أهارون إيشيل فى حالة نفسية يرثى لها منذ أن أيقظه بينامين شتيرن فى ساعة مبكرة من الصباح ليبلغه بأنباء موت هيبرون وديفيد تيرون .

وقبل ذلك بساعات قليلة عندما ظهرت نتائج الانتخابات ، كان رئيس الوزراء يتيه فخرا بنجاح العملية ـ عملية سوف تضمن أمن البلاد لسنوات قادمة . والآن فإن عميلهم صاحب النفوذ يرقد قتيلا وقد تشوه وجهه برصاصة قاتل محترف . لقد قتل هيبرون وتيرون على يد قاتل ، قال شتيرن إن الموساد كان يستأجره للقيام بعمليات قذرة لحساب الجهاز .

قال لنفسه والألم يعتصره «ياله من مصير أليم». وقد زاد إحباطه من آلام صدره الحادة . ومد يده إلى علبة دوائه ليأخذ ضعف الجرعة المقررة .

بعد ساعات قليلة أتصل شتيرن " وصل رسول خاص لتوه من واشنطن . تحمل حقيبته قصاصة ورق عثر عليها حارس تيرون بالقرب من جثته . والشكر لله أنه التقطها قبل أن يراها الأمريكيون ، يجب أن تقرأ مضمونها ." رد إيشيل " تعال فورا ، هناك مسألة أخرى أود بحثها معك ."

وعندما دخل مدير الموساد مكتب رئيس الوزراء نهض ايشيل بتهور من مقعده ودار حول مكتبه ليواجه شتيرن وبادره قائلا " بن ، هل لديك تفسير حتى الآن لما حدث ؟ كيف يسمح تيرون بحدوث مثل ذلك ؟ كيف يسمح تيرون للقاتل أن يقترب إلى هذه الدرجة من أعظم أرصدتنا ."

" أخشى انه كان من المفترض أن تكون لدى إجابة أو على الأقل جزء من الإجابة . كان آبى سيفيز حارسنا وسائق تيرون يقوم بالحراسة عند مدخل البناية بينما كان تيرون مجتمعا مع هيبرون . ثم سمع صوت طلقات، صعد مسرعا إلى الشقة المؤمنة ووجد الرجال الثلاثة قتلى . شاهد قصاصة بجانب يد تيرون ودون أن يدرك أهميتها الكاملة ، ودون أن يعرف الطبيعة الحقيقية لصلة تيرون بالرجل القتيل الآخر ـ التقط القصاصة وأحتفظ بها قبل وصول الشرطة ." وأخرج مظروفا بنيا ". وضع آبى القصاصة فى المظروف المغلق وأرسله فى حقيبة الرسول مباشرة . وأكد أن لا أحد فى مكتبنا فى واشنطن أو فى السفارة يعرف بأمر هذه الورقة ." وسلم إيشيل الورقة قائلا " يجب أن تقرأ بنفسك ."

أخذ رئيس الوزراء نفسا عميقا وقرأها . ثم أعاد قراءتها مرتين وثلاثاً . أحتاج الأمر ثوانى لاستيعاب المعنى الكامل لرسالة القاتل إلى تيرون ـ أو بالأحرى إلى الإسرائيليين .

" جنرال شتيرن ."

" نعم ، سيدى ؟"

استدار ايشيل وتناول قداحة من على مكتبه . سلمها لشتيرن هى والورقة .

وأمره قائلا " أحرقها ، أحرق هذه الورقة التى تعد آخر دليل يثبت أننى كنت محقا حيال هذه العملية القذرة المجنونة من جانبك .هل فهمت جنرال شتيرن ؟ " وأرتفع صوته وازداد خشونة . هل تدرك أن عمليتك هى التى تسببت فى موت هيبرون أعظم عميل سرى فى تاريخ امتنا ؟ هل لديك فكرة عن فداحة ما فعلته ؟"

وبرأس منحى أشعل شتيرن النار فى الورقة وأسقطها فى طفاية سجائر ، راقب الرجلان الورقة وهى تحترق حتى لم يتبق منها سوى رماد أسود . ثم سحقه شتيرن بيده حتى تفتت إلى آلاف من الجزيئات المتناهية الصغر التى ألقى بها فى المظروف البنى .

جلس ايشيل على مقعده وقد شحب وجهه واشتدت آلام ظهره . استدعى سكرتيره. وعندما دخل ليف ايجلون ، أشار ايشيل بحدة وفظاظة إلى شتيرن . " جنرال شتيرن سيملى عليك استقالته .

وسأقبلها فور انتهائك من طباعتها وتوقيعه عليها . والان ـ أجلسا كليكما على مكتبى أمامى وأشرعا فى العمل ."

جلس شتيرن ومظروف الرماد المحترق قد استقر الآن فى حافظة نقوده وقد تهدل كتفيه الضخمتين وأصطبغ وجهه باللون الأحمر ليملى استقالته من هذا الوضع الذى يعنى الكثير له وللآخرين .

* * * *

وفور مغادرة شتيرن ، وجد أيشيل نفسه وحيدا مرة أخرى . تطلع من النافذة إلى تلال القدس وشاهد شمس الصباح الباكر وهى تغمر عاصمته بأشعة الحياة . وتصارعت أفكار جديدة ومثيرة فى عقله المصدوم الغاضب . «هذه المكائد والدسائس الخطيرة الجنونية ليست هى السبيل لحماية إسرائيل . ليس بعد الآن . يجب علىّ أن أشرك بلدى بإخلاص فى عملية السلام . هذه هى الأمل الوحيد لأطفالي وأطفال أطفالي . وقد يكلفنى هذا حياتى لدينا العديد من المجانين يحومون حول الجماعات المتطرفة ـ ولكنى كنت دائما على استعداد لمثل هذه التضحية من أجل شعبى» .

موسكو ، الثامن من نوفمبر

تطلع يورى فى إرسال مبرقة وكالة الاسوشيتدبرس الموضوعة على مكتبه . يفحص بتوتر نصوص البرقيات بحثا عن أية إشارة إلى جاكى ، لقد قرأ بعناية الأخبار التى

هزت العالم هذا الصباح .لا شيء ، لا توجد أية إشارة إلى تورط امرأة . لا يوجد سوى الإشارة إلى بيتر ديميتريوبوليس القاتل المحترف الذى قتل بدوره فى تبادل لإطلاق النار.

بل والأسوأ من ذلك أن يورى وضع أمامه برقية سرية تم فك رموزها من فولجا أبرز عملاء روسيا فى إسرائيل . وقد أطلق عليه فولجا نظرا لنهر المعلومات السرية القيمة الذى لا ينضبّ التى كان يبعث بها إلى موسكو على مدى أعوام . فولجا ـ بنيامين شتيرن ـ فى العالم الحقيقى أرسل لتوه إشارة سرية عاجلة عبر القمر الصناعى يخبر فيها رؤساءه فى موسكو أنه قد فصل من الخدمة بسبب موت هيبرون وتيرون .

حملق يورى فى البرقية وهو عاجز عن رؤية أى شىء من جراء الغضب العارم الذى يعتمل داخله .

كور نشرة الاسوشيتدبرس وقذف بها بقوة فى الغرفة . «كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ بعد أن وعدت وأقسمت بأن تظل بعيدا عن تيرون». أنه خطئى ، لقد قتل هيبرون وفقدنا أفضل عميل لنا فى إسرائيل .

سأعيش بقية حياتى والخوف يمتلكنى من ان يجرى اقتفاء اثرى فى هذه المسألة بل أنه بوسعها ابتزازى .

" لم ولن أشاهد مثل هذه ـ هذه ... " ويحث عن الكلمة المناسبة " القوة الخارقة مرة أخرى".

وأخذ يصيح ويضرب مكتبه بقدمه " أنها الموت الذى يتربص بكل رجل ." أنها تعتقد أنها امرأة خارقة ولكن لديها نقطة ضعف مميتة ـ الحاجة إلى الانتقام لنفسها من أى هفوة يرتكبها رجل . ومن أجل ذلك تلقى وراءها بما بنته عبر سنوات وهى الآن تعتبر فى حكم الميتة .

بالما دى مايوركا ، بعد سبعة أسابيع

تطلعت جى . بولا بيرجين وهى تبتسم إلى الزوجين اللذين وصلا لتوهما إلى وكالتها للعقارات .

وعلى الرغم من أنه يبدو أن خمسة عشر عاما تفصل بينهما ، فإنهما كانا يمسكان بأيدى بعضهما البعض ويميلان على بعضهما كما لو كانا متزوجين حديثا وهما يفحصان صور الشقق والفيلات على جدران وكالة جاكى . كانا يتحدثان الألمانية .

تساءلت جاكى بالألمانية أيضا وهى مازالت على مكتبها ولكن ابتسامتها المرحبة اتسعت أكثر " هل يمكننى مساعدتكما ؟ "

ردت المرأة وهى تستدير إلى جاكى بابتسامة تضج بالسعادة " أننا مهتمان باستئجار شقة أو فيلا على الساحل " وتطلعت بعيون فاحصة فى جاكى " من أجل قضاء إجازة. بعض الأصدقاء الفلمنكيين فى بروكسل أطروا وكالتك".

" بالتأكيد مدام ، أسمى بولا بيرجين . ناديني جاكى ." غير أنها لاحظت أثرا للكنة أمريكية فى ألمانية المرأة . «هل هذه إشارة من المرأة إلى شريكها ؟ ولماذا ؟». «من فضلك أجلسى .هل يمكنك إعطائى بعض التفاصيل عنكما وإمكانات المسكن الذى تتطلعان إليه ، وسوف أريكما ما لدينا فى قوائمنا. فقط يمكنكما ملء هذه الاستمارة الصغيرة . وسأكون معكما على الفور».

جلست المرأة بهدوء وقد أخرجت قلما من حقيبتها ،وباهتمام عظيم أكملت الاستمارة وهى من حين لآخر تختلس النظر إلى رجلها وهى تغمز له .

تفحصت جاكى الرجل جيدا ولاحظت أناقته غير العادية ـ يبدو وكأنه أرستقراطي بلجيكى أو ألمانى . عرضت عليه المرأة الصيغة الكاملة حيث أومأ موافقا . ثم أعادتها إلى جاكى التى قرأتها وواصلت حديثها بالألمانية " حسنا . دعونا نرى .السيدة بريندا شتراوس انك تفضلين شقة كبيرة . تطل على الميناء ؟ سوف أريكما ما عندنا . ولكن أقامتكما ستكون قصيرة أم طويلة ؟ لقد تركتى هذا البند دون أن تسجلى شيئا ."

سألت المرأة رجلها الواقف خلفها " أسبوع أم أسبوعين. ماذا تعتقد عزيزى ؟ " قال مقترحا" يكفى أسبوع "وتطلع إليها وهو يضغط على يدها. قالت جاكى "رائع ، سوف نبدأ بالشقق ونرى إذا ما كانت تفى بما تتطلعان إليه . وإذا لم يكن الأمر كذلك ، فإننا بوسعنا أن نريكما منزلين صغيرين فى منطقة الميناء ."

ردت بريندا شتراوس وقد تحولت فجأة للحديث بالإنجليزية الأمريكية " شكرا ،فراو بيرجن ـ أو أقصد جاكى ، اننا نشعر بسعادة بالغة . لقد سمعنا عنك الكثير ونعرف أننا سنجد بالضبط ما نبحث عنه هنا . وبالمناسبة فى حديثك لكنة سلافية طفيفة ، أليس كذلك ؟ أنا متأكدة أننا تحدثنا قبل ذلك ، ربما عبر الهاتف ؟ ".

شعرت جاكى برعشة توجس مفاجئة وهى ترفع نظرها فجأة من الاستمارة ، ومثل محطة رادار للإنذار المبكر فحصت عيناها وجميع ما تتمتع به من قدرات ذهنية وجهى الزوجين المرأة الجالسة والرجل الذى مازال واقفا وكلاهما يتطلعان إليها بعناية وبابتسامات ذات مغزى على وجهيهما . أحست بخطر وشيك ومثل الحيوان البرى المحاصر بدأت على الفور فى شحذ أفكارها لرسم خطواتها المقبلة . هل جاء الأمريكيون إليها ؟

أسقطت يدها عرضا من على المكتب لتتأكد من وجود مسدسها الصغير الأوتوماتيك

فى مكانه حول فخذها تحت جونلتها الزرقاء . اطمأنت ، وعلى الرغم من نبضات قلبها المتسارعة تحسست سلسلة المفاتيح الضخمة على المكتب وهى لا تضم فقط مفاتيح سيارتها وإنما مفاتيح قاربها البخارى وملاذها الآمن فى إبيزا . كان عقلها يعمل بسرعة بالغة يقوم خياراتها . قراراتها التالية مصيرية ، الحياة - أو - الموت .و هو ما لا بوسعها التشكيك فيه .

" سيدتى ، سيدى . لدى عقارات رائعة لعرضها عليكما والأكثر أهمية من ذلك أحب أن أدعوكما لتناول الغذاء فى منزلى ، حيث بإمكانكما الإحساس بأنكما تقيمان فى الفردوس ، أو معذرة هذا تعبيرى المفضل للمكان هناك ."

لاحظت جاكى أن الثنائى قد بدا عليه الارتياح والسعادة بدعوتها . يبدو أن أمامهما الكثير من الوقت، إذ لا يبدو أنهما يتقيدان بجدول زمنى معين . «ربما أكون مخطئة». ولكن لايمكنها تحمل أى خطأ . وعندما بدأت فى جمع أوراقها تصاعد الادرينالين فى عروقها . كانت تبدو مثل قط كبير شرس على استعداد للقتل أو الفرار عند أول شعور بالخطر . لقد تدربت بالفعل على عدة خطط للهروب ، عرفت المدة التى تستغرقها كل خطة وعرفت ميزات ومخاطر كل خطة . وكانت أفضلها الوصول إلى قاربها البخارى الراسى على الشاطىء بجوار فيللتها .

قالت جاكى " هل نذهب الآن ؟ سيارتى بالقرب من هنا . سأتصل بخادمتى للترتيب للغذاء ."

وتبعها الاثنان بدون تعليق .

بعد ساعة وبعد رؤية أربع شقق فى منطقة الميناء . وصلت جاكى وضيفاها إلى فيللا ديل سول ، منزل جاكى المجاور للبحر . وبدت جاكى الآن اكثر قلقا . فقد كان الزوجان هادئان تماما ، أثارا اسئلة قليلة حول الشقق وبدا فقط انهما مهتمان بها وبتحركاتها وبالطريقة التى تتحدث بها وبسيارتها . قالت لنفسها «انهما يفحصانى أنا لا الشقق».

ضغطت جاكى على زر التحكم اللاسلكى حيث انفتحت البوابة الرئيسية لمنزلها الذى يفترش مساحة فدان تقريبا . بدا الأمر مثل مشهد فى أفلام هوليود - نسق رائع - منزل على الطراز الأسباني تحيط به من كل الجوانب حشائش الجولف مع نخيل جوز الهند بارتفاع ثلاثين قدما . فقط حمام سباحة على شكل قوس هو الذى قطع تدفق اللون الأخضر حتى نهاية ارض المنزل الذى تطل حافته الصخرية المرتفعة على البحر الذى يرقد فى الأسفل على عمق خمسين مترا . ويقود ممر حجرى إلى الشاطىء الصغير الواقع فى الأسفل . وهو خادع إلى حد ما ويتطلب حرصا بالغا . وكان هناك أيضا

طريق سريع تم إخفاؤه جيدا يفضى إلى الشاطىء ولا يعرفه سوى المالك التى تعرف كيف تستخدمه .

وعندما أوقفت سيارتها أمام مدخل المنزل بدأت جاكى تشعر بأنها تسيطر على أعصابها مرة أخرى . لا أحد يتتبعها أنها متأكدة من ذلك ومن ثم فإن الخطر يبدو أقل مما تخيلته . بل أنها تساءلت عما إذا كانت تحتاج حقيقة إلى تنفيذ ما عقدت عليه العزم . بدأت تعيد النظر على الرغم من أن حواسها كلها تحثها على الفرار ! الفرار .

قالت بريندا " منزلك فى غاية الجمال ، لم أتخيل أى شىء بهذه الروعة .جاى هل بوسعنا تحمل تكلفة استئجار منزل مثل هذا ؟ "

" لا رواتبنا الحكومية الحقيرة لا تسمح بذلك ، عزيزتى . «رواتب حكومية لا بد أنهما من الشرطة». فتحت الخادمة ماريا الباب واتجهت إلى حيث تقف السيارة لمساعدة جاكى وضيفيها على الغذاء .

" الغذاء جاهز ، ماريا ؟ "

" خمس عشرة دقيقة فقط سيدتى ." قالت جاكى وهى تقود ضيفيها إلى المنزل " حسنا ، أحضرى بعض المشروبات للضيوف ، بينما سأغير ملابسى ، من فضلكما كونا على راحتكما . سأعود سريعا ."

" ماريا ."

" نعم سيدتى "

" أذهبى لتشترى بعض عصير الليمون ."

" ولكن سيدتى ... "

" بعض عصير الليمون . ماريا ، أسرعى لدينا ضيوف ."

" حاضر ، سيدتى ."

سارت بريندا وجاى خلف مضيفتهما إلى الصالون الرحب المترف الذى يطل على حديقة النجيل الخضراء ونخيل جوز الهند حتى البحر .هتف جاى قائلا وهو يقترب من النوافذ الزجاجية الضخمة المنزلقة التى تفتح على الشرفة " اه ، ياله من منظر رائع ، دعينا نستأجر هذا لمدة شهر ." ووضع يده حول بريندا مؤديا دوره ببراعة «ملاذ وعش للحب لا مثيل له».

اتجهت جاكى التى شعرت بارتياح لصرف انتباههما إلى جناح غرفة النوم . وفى جناحها أغلقت الباب ثم ضغطت على الزر الموجود خلف جهاز التليفزيون الذى فتح بابا سريا فى جدار الغرفة . أخذت الحقيبة النايلون السوداء الصغيرة التى تضم أدوات هروبها المعدة للحظات لم يكن من المفترض أن تقع . وهى حقيبة مقاومة للماء بوسعها

أن تطفو كما أنها مقاومة أيضا للنيران . بداخلها أسلحة ، أموال نقدية ، جوازات سفر وبطاقة هوية مزورة وبذلة غطس من المطاط الصناعي ومجموعة احتياطية من مفاتيح منزلها المؤمن في ابيزا والعديد من شققها في أنحاء العالم . وفي النهاية كان هناك جهاز اتصالات عبر الأقمار الصناعية صغير من أحدث طراز يمكنها الاتصال به أو تلقي الاتصالات من أي مكان يرسل أو يستقبل البيانات الرقمية وبوسعه أن يدير عن بعد أجهزة الكمبيوتر في مكتبها ومنزلها دون أن يجري رصده .

وبعد أن أصبحت مستعدة للانطلاق ، ضغطت على رقم كودي في نظام " منزلها الذكي " جلبته من ميامي ، قام بإغلاق جميع الأبواب المؤدية إلى جناحها ، وأنزل فواصل داخلية من الصلب من السقف لسد المدخل الذي يفصل الجناح عن باقي المنزل وجميع نوافذ الجناح. وقد أصبح الجناح بذلك مثل شرنقة محمية مضادة للرصاص ثم ضغطت على رقم كودي آخر لتجهيز عبوة ناسفة سوف تدمر المنزل في غضون عشرين دقيقة وهو ما يتيح لها وقتا كافيا للوصول إلى الشاطيء وقاربها البخاري . ستختفي المرأة الأمريكية ورفيقها الأوربي من على وجه الأرض مع أي دليل محتمل - على الرغم من أن الفيللا كانت نظيفة من أي دليل . لقد أخذت معها الشيء الوحيد الذي يمكن أن يثير الشبهات «حقيبة الهروب» قائلة بينها وبين نفسها «يالحظ الغذاء السيىء» وماريا سوف تدين بالفضل لعصير الليمون».

فتحت جاكي بابا منزلقا في مؤخرة حجرتها كشف عن سلم ضيق يؤدي إلى نفق يمكن ان تصل من خلاله إلى الشاطيء دون أن يراها أحد . وكان النموذج المعدل لهذا المنزل قد تضمن هذه الميزة تحسبا لمثل هذه المناسبة . وهي لم تستخدمها قط من قبل.

وفور وصولها إلى الشاطيء الخاص المنعزل البعيد عن تطفل أعين مكتب التحقيقات الفيدرالي أو الانتربول ارتدت حلتها المضادة للبلل ووضعت ملابسها العادية في حقيبة الهروب المضادة للماء . وخاضت في الماء لتصل إلى قاربها البخاري الراسي على بعد أربعة أقدام من الشاطيء . قذفت بحقيبة الهروب داخله وألقت بنفسها فوقه . وبنظرة فاحصة سريعة اطمأنت على أن كل شيء على ما يرام . ثم رفعت المرساة وأدارت المحرك بالمفتاح الذي مازال متصلا بحلقة مفاتيح سيارتها . وبدأ المحركان المرسيدس يهدران استعدادا للتحرك .

* * * *

وداخل الفيللا تطلعت بريندا وجاي اللذان كانا يستمتعان بمشروبهما فجأة إلى بعضهما البعض ، وقد سمعا من بعيد صوت إدارة محركي القارب البخاري . قفزا من الأريكة وأسرعا إلى النافذة المطلة على الشرفة لمعرفة ما إذا كان بوسعهما رؤية

القارب . وفجأة لاح وراء الجرف الصخرى قارب جاكى وهو يتجه إلى الشرق بأقصى سرعة . مال جاى على النافذة قائلا " أنها هى ، أنا متأكد ، أنها تهرب ! "

شعرت بريندا بموجة من الراحة تسرى فى صدرها ، فقد أدركت أنها وقعت على هدفها ، إنها النهاية لجاكى ماركوفيتش . " حسنا ، هذا ما كانت تريده ، أسرعت إلى حقيبة يدها الكبيرة وأخرجت منظارا وأخذت تتطلع فى عدستيه القويتين " أنه قاربها ."

بلعت ريقها بقوة ، وأعدت نفسها للصدمة الوشيكة . " وداعا ، جاكى ماركوفيتش ." وردد وراءها جاى " الوداع ."

وفجأة مزق الهدوء دوى انفجار هائل ، تحول على أثره القارب المنطلق إلى كرة من اللهب .

" حسنا ، أعتقد أن رجال بحريتنا عثروا على متفجراتها وعرفوا ماذا يفعلون بها."

أضاف جاى " ولكن تذكرى ، بمساعدة من وزارة الدفاع الأسبانية ."

همست بريندا " حصلت الآنسة جاكى بيرجين ماركوفيتش لنفسها على بعض المفاجأة . كان الحل الوحيد المناسب لجميع الأطراف . وخاصة لواشنطن .كان القاضى بيكر محقا ليس بوسعنا أن ندعها تقف أمام المحكمة دون أن نعرى أجهزة التجسس فى العالم . شكرا للرب لقد اختارت دون أن تعرف الحل الحاسم . صنعت لنفسها فخ موتها . أننا دعوناها فحسب لعرض ألعابها النارية ."

دخلت ماريا إلى الحجرة حاملة عصير الليمون " سينورا القارب . لقد أنفجر ! ". «هؤلاء القوم لا يبلغوننى بكل شىء». غير أن جاكى فكرت فى حمايتها .

" نعم ماريا ، وكذلك الآنسة جاكى ، شكرا لمساعدتك ، لقد كانت حاسمة . إننا ندين لك برحلة إلى الولايات المتحدة ."

" نعم سينورا ، جراسياس . لى أبن أخ وعدنى مثلك . انه يدرس إدارة الأعمال فى كاليفورنيا ."

وضع جاى ذراعه حول كتفى بريندا وهما يتطلعان إلى البحر لرؤية الحطام المشتعل . وليس ثمة إحساس بالندم . «لقد كانت أكبر من أن يجرى التعامل معها بأية وسيلة أخرى». "بريندا ، لقد كانت خطتك رائعة . لقد ضيقنا عليها الخناق ودفعناها إلى الهروب ، كانت جبانة بعض الشىء . يبدو أنها قد أعدت العدة لذلك ، ولم يكن بوسعها حتى ان تجبر نفسها على مزيد من التفكير ." سرحت بريندا بخيالها. «تماما مثل هيبرون ، ضع يدك على العصب الصحيح وسوف تنتفض العضلة فى كل مرة». وذهب تفكيرها بعيدا إلى والدها . «انه ربما لا يعاملنى بنفس القسوة الآن».

قال جاى وهو يفكر فى البديل " ولكن ما الحل إذا لم تكن قد فعلت ذلك ؟ "

"حسنا، جاى أعتقد أننا كنا سنلجأ إلى واحد من حلولك البلجيكية المشهورة .إذا لم يكن هناك أى حل آخر. حان الآن وقت العودة إلى فندقنا . القاضى ينتظر اتصالاً هاتفياً منى . ثم دعنا نغير مكان اقامتنا إلى هذا الشاطئ ، أعتقد أننا نستحق أن نكتب تقريرنا النهائى طيلة اليوم التالى هنا فى فردوس جاكى ."

" تتحدثين عن الحلول البلجيكية ، عزيزتى الرائعة بريندا ، لقد حان الوقت لإيجاد حل لنا . كيف سنتعامل مع هذه القصة الرومانسية الممتدة عبر الأطلنطي ؟ "

استدارت جاكي وتطلعت في عيني جاى كما لو كانت تختبر مدى جديته " أى قصة عاطفية تتحدث عنها ، روميو ؟ "

وضع جاى يديه حول خصرها ، منتهكا للمرة الأولى المسافة التى تتطلبها واجباتهما الرسمية وجذبها إليه . لقد مل الانتظار .

تساءلت "هل تحبنى أيضا ، أليس كذلك يا عزيزى ؟ " وأمالت رأسها قليلا لتسمح له بتقبيلها للمرة الأولى ، بنعومة فى بداية الأمر ثم بلهفة بعد شهور من الانتظار . أنتقل بشفتيه إلى أذنها اليمنى ليهمس لها " بعض الأشياء تبدأ فقط من النهاية ."

قالت فى نفسها «ياله من سخيف يردد جملا يحفظها عن ظهر قلب من بعض الأفلام الأمريكية المشهورة». والتصقت به أكثر .

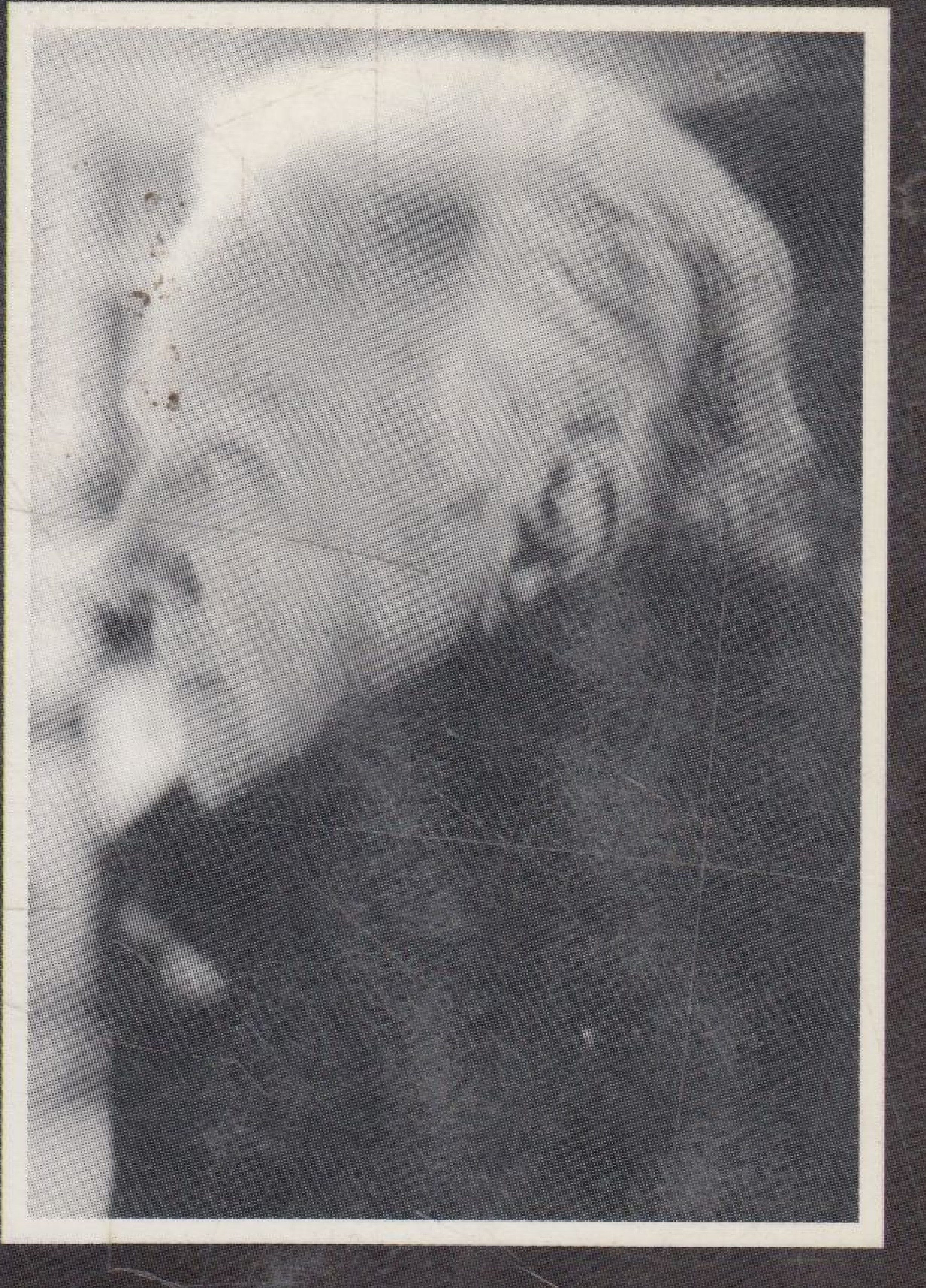
قالت مازحة " ماذا تحسبنى ، عزيزى رجل الشرطة ، من الممكن أن يزج بك فى السجن بتهمة التحرش ."

" من حقى أن التزم الصمت ، أليس كذلك ؟ "وقبلها مرة أخرى فى الوقت الذى كان فيه قارب جاكى يحترق على صفحة المياه .

رقم الإيداع: ٩٥٢٥/ ٢٠٠١

الترقيم الدولى: I.S.B.N.
977 - 07 - 0784 - 8

طبعت بمطابع دار الهلال



هــذه الــروايـــة

❑ عملية هيبرون.. رواية تصنع مجداً جديداً لروايات الجاسوسية التى انحسرت تماما بعد نهاية الحرب الباردة، خصوصاً أن الأحداث الساخنة فى الشرق الأوسط يمكن أن تكون نبعـا لعديد من الروايات المثيرة حول حروب أجهزة الاستخبارات الدولية فى المنطقة.

ومؤلف الرواية «اريك جوردان» استوحى روايته الأولى هذه من تجربته الطويلة كرجل للمخابرات المركزية، مارس المهنة قرابة ثلاثين عاماً وشارك فى صنع الأحداث الأمنية، والسياسات الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط.

ومن واقع تجربته واستناداً إلى حقائق كثيرة، استوحى هذه الفكرة البالغة الإثارة، حول دور الاستخبارات الإسرائيلية فى اختيار الرئيس الأمريكى أثناء عام الانتخابات، ولم يكن ما استوحاه جوردان بعيدا عن وقائع وخطط الإسرائيليين للسيطرة على القرار الأمريكى.

ولأن الوقائع أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال، وتجمع خبرة رجل استخبارات عرف الشرق الأوسط، وصراعاته من الداخل ، فإن الغوص داخل التفاصيل هو أفضل ما فى «العملية هيبرون»، كما أن المغزى النهائى للرواية يشكل هو الآخر رسالة مهمة لمن يريدون معرفة
الإسرائيلى فى صياغة القرار الأمريكى.